

ذخائر العرب

١٢

# إعجاز الفراء

للـبـا و نـلـا نـي  
أبـى بـكـر مـحـمـد بـنـ الطـيـب

مـخـبـق  
السـيـد أنـجـمـ صـقـر

دار المعارف بمصر

المسيرة رفيع الحمل

غفر الله له ولوالديه

2009-03-16

ذخائر العرب

١٢

# إعجاز الفراء

للبياف نلاني  
أبي بكر محمد بن الطيب

تحقيق  
السيد أحمد صقير

دار المعارف بمصر

المسيرة رفيع الحمل

غفر الله له ولوالديه

١٦

السلام

(102)

# إعجاز الفراء

للشافعي  
أبي بكر محمد بن الطيب

e

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be organized into several paragraphs or sections, with some lines being more distinct than others. A horizontal line is visible near the top of the page, and a vertical line is visible on the left side, possibly indicating a margin or a section divider.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

جرت سنة الله في ابتعاث رسله إلى خلقه ، لتبصيرهم بمعظمته وجمعهم على عبادته ، أن يؤيدهم بأمور حسية تخالف السنن الكونية ، وتشذ عن النواميس الطبيعية ؛ وتكون من قبيل ما استحكم في زمانهم ، وغلب على خاصتهم ، وعظم في نفوس عامتهم ؛ لتكون معجزة الرسول المرسل إليهم مفحمة لأعجب الأمور في أنظارهم ، ومبظة لأقوى الأشياء في حساباتهم ؛ ولئلا يجد المبطلون متعلقاً يتشبثون به ، ولا سبيلاً يتخذونه إلى اختداع الضعفاء .

فقد أيد الله جل جلاله موسى عليه السلام — وكان عصره عصر سحر — بفلق البحر ، وانقلاب العصا حية تسعى ، وانبحاس الحجر الصلد بعيون الماء الرّواء . وأيد عيسى عليه السلام — وكان عهده عهد طب — بإبراء الأكمه والأبرص ، وخلق الطير من الطين ، وإحياء الموتى بإذنه .

ولمّا أرسل رسوله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الناس أجمعين ، وجعله خاتم النبيين — أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه من المرسلين ، وخصّه بمعجزة عقلية خالدة ، وهي إنزال القرآن الكريم ، الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البيان ، وجلّت مكاتته في صدور أهله ، وعرفوا باللسن والفصاحة ، وقوة المعارضة في الإعراب عن خوالج النفوس ، والإبانة عن مشاعر القلوب . وظل رسول الله ، صلوات الله عليه ، يتحدّاهم بما كانوا يعتقدون في

أنفسهم القدرة عليه ، والتمكن منه ؛ ولم يزل يقرّعهم بعجزهم ، ويكشف عن نقصهم ؛ حتى استكانوا وذلّوا وطبع عليهم الخزي بطابعه ، وصاروا حيال فصاحته في أمر مريع .

وقد أدهش القرآن العرب لما سمعوه ، وحيرّ ألبابهم وعقولهم بسحر بيانه ، وروعة معانيه ، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه ؛ فمنهم من آمن به ومنهم من كفر ، وافتقت كلمة الكافرين في وصفه ، وتباينت في نعته . فقال بعضهم : هو شعر ، وقال فريق : إنه سحر ، وزعمت طائفة أنه أساطير الأولين اكتبها محمد ، فهي تملّى عليه بكرة وأصيلا ، وذهب قوم إلى أنه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . وقال غير هؤلاء وهؤلاء : لو نشاء لقلنا مثل هذا . ولكنهم لم يقولوا هم ولا غيرهم ، لأن تأليف القرآن البديع ، ووصفه الغريب ، ونظمه المجيب ؛ قد أخذ عليهم منافذ البيان كلها ، وقطع أطباعهم في معارضته ؛ فظلوا مقموعين مدحورين ثلاثة وعشرين عاماً ، يتجرعون مرارة الإخفاق ، ويهطّعون لقوارع التّبكيّات ، وينفضّون رؤوسهم تحت مقارع التحدي والتعير ، مع أنفتهم وعزّتهم ، واستكمال عدّتهم ؛ وكثرة خطبائهم وشعرائهم ، وشيوع البلاغة فيهم ؛ والتهاب قلوبهم بنار عداوته ، وترادف الخوافز إلى مناهضته ؛ وعرفانهم أنّ معارضته بسورة واحدة أو آيات يسيرة أنقض لقوله ، وأفعل في إطفاء أمره ، وأنجح في تحطيم دعوته ، وتفريق الناس عنه — من مناجزته ، ونصبهم الحرب له ؛ وإخطارهم بأرواحهم وأموالهم ، وخروجهم عن أوطانهم وديارهم .

وقد ندب الله المسلمين إلى تلاوة القرآن ، وقراءة ما تيسر منه ؛ وحضّهم على ادّكار معانيه ، وتدبر أغراضه ومراميّه ؛ ليبتدوا ببصائرهم ، وليستضيئوا بأنواره في الحياة ؛ حتى تكون كلمتهم فيها هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . فأقبل عليه علماءهم يتدبرونه ويفسّرونه ، ويُجَلّون آياته على أعين الناس لعلهم

يشهدون ما فيها من المنافع لهم ، فيأتمروا حيث أمر ، وينتهوا حيث زجر . وأقبل عليه غيرهم ، من أعدائه وأعدائهم ، فاتبعوا ما تشابه من آيه ابتغاء الفتنة وبتأويلها ، وتحريف كله عن مواضعها ؛ وخیلت لهم أفهامهم الكلية ، وأذهانهم العلية ؛ أن في نظمه فساداً ؛ وفي أسلوبه لحناً ، وفي معانيه تناقضاً ، وفي نقله اضطراباً ؛ فنفوا عنه صفة الإعجاز ، وسدّدوا نحوه المطاعن ، وبثّوا حوله الشكوك . وكان الناجون الأولون منهم يخافتون بأقوالهم ، ويجمعون بآرائهم ، ويستخفون بمذاهبهم ؛ ويصطنعون الحذر والدهاء في كل ما يأتون وما يذرون ، خوفاً من بطش الخلفاء الراشدين ، ومن تلامهم من خلفاء الأمويين .

وخلف من بعده هؤلاء خلف كانوا أكثر ثقافة ، وأغزر علماً وأحسن بياناً ؛ فأصعقوا بآرائهم ، وجاهروا بمعتقداتهم ، وبثوا شكوكهم في المجالس والأندية ، وسطّروها في الكتب والرسائل التي أسرفوا في تحسينها وبالغوا في تزيينها ؛ وغالوا في انتقاء ورقها ومدادها واستجادة خطها ، ليحسن وقعها في الأنظار ، وتصبو إليها أنفس القراء .

وقد ساعدهم على جهرم هذا ومكن لهم منه ، تبدل الزمان وتغير الحال ، بتسامح الخلفاء في غير ما يمس سلطانهم ويعرض لدولتهم ، وامتلاك غير العرب لزمام الأمور في الدولة ، وانتشار الكتب المترجمة ؛ وازدياد اتصال العرب بغيرهم من أهل المذاهب والنحل الأخرى ، وكثرة الجدل بين المذاهب الإسلامية ، واشتعال نار العداوة بين الفرق الكلامية .

ولما كثرت المطاعن في القرآن ، وأوشكت الشبهات أن تأخذ سبيلها إلى نفوس الأغرار والأحداث — نهض فريق من العلماء يدراؤون عنه ، وينافحون دونه ، ويرمون من ورائه بالحجج النيرة والأدلة الواقعة ؛ فشرعوا أقلامهم لتأليف الكتب والرسائل في الرد عليهم ، وتبيين مفترياتهم . وفي طليعة هؤلاء أبو محمد

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، فقد عمد إلى مطاعنهم فيه ، فجمعها ، ثم كر عليها بالنقض في كتابه الجليل : « تأويل مشكل القرآن » .

وكانت مسألة الإعجاز من أبرز المسائل التي تعاورها العلماء بالبحث أثناء تفسيرهم للقرآن ، وردهم على منكرى النبوة ، وخوضهم في علم الكلام ؛ كعلي بن ربن كاتب المتوكل في كتاب : « الدين والدولة » وكأبي جعفر الطبري في تفسيره : « جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن » ؛ وكأبي الحسن الأشعري في « مقالات الإسلاميين » ، وأبي عثمان الجاحظ في كتاب : « الحجة في تثبيت النبوة » .

وكان علماء الاعتزال أكثر المثيرين للكلام في إعجاز القرآن ، فقد ذهب النظام — من بينهم — إلى أن القرآن نفسه غير معجز ، وإنما كان إعجازه بالصرفة ؛ وقال : « إن الله ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ؛ والعرب إنما لم يعارضوه ، لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك ، وسلب علومهم به » .

وذهب هشام القوطي ، وعبد بن سليمان إلى أن القرآن لم يُجعل علماً للنبي ، وهو عرض من الأعراض ، والأعراض لا يدل شيء منها على الله ولا على نبوة النبي .

وكان ذلك وغيره من أقوال أئمتها ، منبعاً غزيراً للقول في إعجاز القرآن . وقد انبرى كثير منهم للرد على من أنكر إعجازه جملة ، كأبي الحسين الخياط وأبي على الجبائي ، اللذين نقضا على « ابن الرواندي » كتابه : « الدافع » ؛ الذي طعن فيه على نظم القرآن وما يحتويه من المعاني ؛ وقال : إن فيه سفهاً وكذباً .

وكذلك رد كثير منهم على من خالف عن قول جماعتهم : بأن تأليف القرآن ونظمه معجز ، وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كالجاحظ الذي رد على النظام رأيه في الصرفة ، في كتاب : « نظم القرآن » .

ألف الجاحظ كتابه هذا في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه ؛ على حد قوله في مقدمة كتاب الحيوان . وهو من كتبه الضائعة . وقد أشار إليه الباقلاني في إعجاز القرآن ؛ إذ يقول ص ٧ : « وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » .

وأخشى أن يكون الباقلاني قد خاف في حكمه على نظم القرآن ، وحملته العصبية المذهبية على تنقّصه . فقد وصف الجاحظ نظم القرآن في كتابه « حجب النبوة » حيث يقول في صفحة ١٤٧ مخاطباً من كتب له الكتاب : « وفهمت — حفظك الله — كتابك الأول ، وما حثت عليه من تبادل العلم ، والتعاون على البحث ، والتحاب في الدين ، والنصيحة لجميع المسلمين . وقلت : اكتب إلى كتاباً تقصد فيه إلى حاجات النفوس ، وإلى صلاح القلوب ، وإلى معتلجات الشكوك ، وخواطر الشبهات ؛ دون الذي عليه أكثر المتكلمين من التطويل ، ومن التعمق والتعقيد ، ومن تكلف ما لا يجب ، وإضاعة ما يجب . وقلت : كن كالعلم الرفيق ، والمعالج الشفيق ؛ الذي يعرف الداء وسببه ، والدواء وموقعه ؛ ويصبر على طول العلاج ، ولا يسأم كثرة الترداد . وقلت : اجعل تجارتك التي إياها تؤمل ، وصناعتك التي إياها تعتمد — إصلاح الفاسد ، وردّ الشارد . وقلت : ولا بد من استجاء الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حسم كل خاطر ، وقمع كل ناجم ، وصرف كل هاجس ، ودفع كل شاغل ؛ حتى تتمكن من الحجة ، وتتهنأ بالنعمة ، وتجدرأحة الكفاية ؛ وتتلج ببرد اليقين ، وتقضي إلى حقيقة الأمر . وقلت : ابدأ بالأخف فالأخف ، وبكل ما كان آتق في السمع وأحلى في الصدر ؛ وبالباب الذي منه يؤتى الرّيّض المتكاف ، والجسور المتعجرف ؛ وبكل ما كان أكثر علماً ، وأنفذ كيداً . . . فكتبت لك كتاباً أجهدت فيه

نفسى ، وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن ، والرد على كل طعان ؛ فلم أدع فيه مسألة لرافضى ، ولا لحديثى ، ولا لحشوى ؛ ولا لكافر مُبادٍ ، ولا لمنافى مقموع ؛ ولا لأصحاب «النظام» ، ولئن نجم بعد «النظام» ممن يزعم : أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة ؛ فلما ظننتُ أنى قد بلغت أقصى محبتك ، وأتيت على معنى صفتك — أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت الاحتجاج بخلق القرآن . وكانت مسألتك مبهمه ؛ فكُتبتُ لك أشق الكتابين وأثقلهما ، وأغضهما معنى ، وأطولهما طولاً . . . .» .

ولست أعرف نقلاً عن كتاب : «نظم القرآن» ؛ ولا حديثاً عنه ، ولا وصفاً له غير وصف الجاحظ هذا ؛ وأحسبه فيه من الصادقين . وقد قلد الجاحظ فى هذه التسمية أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ ؛ فى كتابه : «نظم القرآن» .

وأبو زيد البلخى : أحمد بن سليمان ، المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ؛ قال أبو حيان فى كتاب «البصائر والذخائر» : قال أبو حامد القاضى : لم أر كتاباً فى القرآن مثل كتاب لأبى زيد البلخى ، وكان فاضلاً يذهب فى رأى الفلاسفة ، لكنه تكلم فى القرآن بكلام لطيف دقيق فى مواضع ، وأخرج سرائره ، وسماه : «نظم القرآن» ولم يأت على جميع المعانى فيه .

وكذلك أبو بكر : أحمد بن على ، المعروف بابن الإخشيد ، المعتزلى ، المتوفى سنة ٣٢٦ هـ ؛ فإنه قد ألف كتاباً أسماه : «نظم القرآن» .

وأول كتاب علمناه ، يشتمل عنوانه على كلمة الإعجاز ؛ هو كتاب : «إعجاز القرآن فى نظمه وتأليفه» لأبى عبد الله محمد بن يزيد الواسطى ، المعتزلى ، المتوفى سنة ٣٠٦ هـ . وهو من الكتب التى لا نعرف عنها غير أسمائها المجردة .

وقد بقي من الكتب المؤلفة في القرن الرابع عن إعجاز القرآن ، ثلاثة كتب .  
أولها كتاب الرمانى ، وثانيها كتاب الخطّابى ، وثالثها كتاب الباقلازنى .  
وهى التى نعرض لها بالبيان والتحليل ، فيما يلى :

### إعجاز القرآن للرمانى :

ولد أبو الحسن : على بن عيسى الرمانى المعتزلى فى سنة ٢٧٦ ، ومات سنة ٣٨٤  
وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، نسبة إلى أستاذه ابن الإخشيد ، وبالوراق ؛  
لأنه كان يحترف الوراقة . وقال عنه ياقوت فى معجم الأدباء ٧٤/١٤ : « كان إماماً  
فى علم العربية علامة فى الأدب ، فى طبقة أبى على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى .  
وله تصانيف فى جميع العلوم : من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام ، على  
رأى المعتزلة . وكان يمزج كلامه فى النحو بالمنطق ؛ حتى قال أبو على الفارسى : إن  
كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن ، فليس  
معه منه شيء » . وقال عنه أبو حيان التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة ١٣٣/١ :  
« وأما على بن عيسى فعلى الرتبة فى النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ؛  
وعيب به ، لأنه لم يسلك طريق واضح المنطق ، بل أفرد صناعة ، وأظهر براعة .  
وقد عمل فى القرآن كتاباً نفيساً . هذا مع الدين الثخين ، والعقل الرصين » . وقال  
عنه فى تقييد الجاحظ ، كما قال ياقوت ، فى معجم الأدباء ٧٦/١٤ — : « لم ير  
مثله قط . . . علماً بالنحو ، وغزارة فى الكلام ، وبصراً بالمقالات ، واستخراجاً  
للعويص ، وإيضاحاً للمشكل ؛ مع تأله وتنزه ، ودين ويقين ، وفصاحة وقفاة ،  
وعفافة ونظافة » .

والكتاب النفيس الذى أشار التوحيدى إليه ، هو كتاب : « الجامع لعلم القرآن »  
وقد ذكره الرمانى فى إعجاز القرآن .



بدأ الرماني كتابه ببيان وجوه إعجاز القرآن ، فقال : إنها تظهر من سبع جهات وهي : ترك المعارضة ، مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة .

ثم قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات ، وقال : إن ما كان في أعلاها معجز ، وهو بلاغة القرآن . ثم عرف البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ؛ وأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن . ثم قسم البلاغة إلى عشرة أقسام ، وهي : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

ثم فسر لها باباً باباً على ترتيبها تفسيراً وافياً شافياً . فهو — مثلاً — عند ما عرض لباب الاستعارة عرفها ، وفرق بينها وبين التشبيه . ثم بين أركانها ، وقال : إن كل استعارة حسنة توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة ، وذلك أنه لو كان يقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ، ولم تجز الاستعارة . ثم ذكر ما جاء في القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة ، وبدأ بقول الله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ ؛ فقال : « حقيقة ” قدمنا “ هنا : عمدنا . و ” قدمنا “ أبلغ منه ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر ، لأنه من أجل إهماله لهم كمعاملة الغائب عنهم . ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم . وفي هذا تحذير من الاعتزاز بالإهمال . والمعنى الذي يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل ، والقدم أبلغ لما بينا » .

وجملة الآيات التي ذكرها في هذا الباب على ذلك النحو العظيم — أربع وأربعون آية .

و بعد أن فرغ الرماني من تفسير أبواب البلاغة العشر ، عاد إلى البيان عن

الوجوه السبعة التي ذكرها في أول الكتاب، وقال : إنها مظاهر إعجاز القرآن .  
فأبان عن أوجه دلالتها على الإعجاز . ويعتينا أن نذكر هنا ما قاله عن توفر  
الدواعي « و » الصرفة « لما للأولى من دلالة خاصة ، ولأهمية الثانية .

قال : « وأما توفر الدواعي فتوجب الفعل مع الإمكان لا محالة ، في واحد  
كان أو في جماعة . والدليل على ذلك أن إنساناً لو توفرت دواعيه الى شرب الماء  
بحضرته ، من جهة عطشه واستحسانه لشربه ، وكل داع يدعو الى مثله ، وهو  
مع ذلك ممكن له ؛ فلا يجوز أن لا يقع شربه منه حتى يموت عطشاً لتوفر الدواعي  
على ما بينا . فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذلك على عجزه عنه ،  
فكذلك توفر الدواعي الى المعارضة على القرآن لما لم تقع المعارضة دل ذلك على  
العجز عنها » .

وقال عن الصرفة : « وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة . وعلى  
ذلك يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن معارضته ،  
وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة . وهذا  
عندنا أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول » .

وختم كتابه بالإجابة على سؤال أورده ، فقال : « فإن قيل : فلم اعتمدتم على  
الاحتجاج بعجز العرب دون المولدين ، وهو عندكم معجز للجميع ، مع أنه يوجد  
للمولدين من الكلام البليغ شيء كثير ؟ قيل له : لأن العرب كانت تقيم الأوزان  
والإعراب بالطباع ، وليس في المولدين من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان  
بالطباع ؛ والعرب على البلاغة أقدر لما بينا من فطنتهم لما لا يفتن له المولدون من  
إقامة الإعراب بالطباع . فإذا عجزوا عن ذلك فالمولدون عنه أعجز » .

وقد ذهب الرماني إلى نفى السجع من القرآن ، وتسمية ما فيه من ذلك  
فواصل ، لأن الأسجاع عيب ، والواصل بلاغة ؛ لأن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما

الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ماتوجه الحكمة في الدلالة .

\* \* \*

### إعجاز القرآن للخطابي :

ولد أبو سليمان : محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستي سنة ٣١٩ وتوفي سنة ٣٨٨ هـ . وهو من أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع الذين امتازت كتبهم بغمارة المادة ، وعمق الفكرة ؛ ودقة الاستنباط وروعة البيان ؛ وظهرت فيها شخصيتهم واضحة المعالم ، بينة القسيمات . ومن كتب الخطابي الجلييلة : كتاب « غريب الحديث » و « معالم السنن في شرح سنن أبي داود » و « أعلام السنن في شرح البخاري » و « إعجاز القرآن » وهو أصغرها حجماً . بدأ الخطابي كتابه بقوله : « قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ؛ وما وجدناهم — بعد — صدروا عن رى ؛ وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته » .

ثم عرض للأقوال التي قيلت قبله في وجوه الإعجاز ، وبدأ برأى القائلين بأن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فمعجزوا عنه ، وانقطعوا دونه . وعقب عليه بقوله : « وهذا — من وجوه ما قيل فيه — أبينها دلالة ، وأيسرها مؤونة ؛ وهو مقنع لمن لم تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه » . ثم ثنى برأى القائلين بأن العلة في إعجازه الصرفة ، أى صرف الهمم عن المعارضة ، وإن كانت مقدوراً عليها ، غير معجوز عنها ؛ إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات — صار كسائر المعجزات . وعلق عليه بقوله : « وهذا أيضاً وجه قريب ، إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه ، وهى قوله سبحانه : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ . فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد ،

وسبيله التأهب والاحتشاد ؛ والمعنى فى الصرفة التى وصفوها لا يلائم هذه الصفة  
فدل على أن المراد غيرها .

ثم ذكر رأى الطائفة التى زعمت أن إعجازه إنما هو فىما تضمنه من الأخبار عن  
الكوائن فى مستقبل الزمان ، وصدقت أقوالها مواقع أكوانها . ثم نقده بقوله :  
« ولا يشك فى أن هذا وما أشبهه من أخباره ، نوع من أنواع إعجازه ؛ ولكنه  
ليس بالأمر العام الموجود فى كل سورة من سور القرآن . وقد جعل سبحانه فى  
صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها ، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثلها ،  
فقال : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ ،  
من غير تعيين . فدلّ على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه .

ثم ذكر رأى الرابع الذى ذهب إليه الأكثرون من علماء أهل النظر ، وهو  
أن إعجازه من جهة البلاغة ، وقال : « ووجدت عامة أهل هذه المقالة ، قد جروا  
فى تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد ، وضرب من غلبة الظن ؛ دون  
التحقيق له ، وإحاطة العلم به . ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة  
التي اختص بها القرآن ، وعن المعنى الذى يتميز به عن سائر أنواع الكلام  
الموصوف بالبلاغة — قالوا : لا يمكننا تصويره ، ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مبيّنة  
القرآن غيره من الكلام ؛ وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة ،  
لا يمكن تحديده . وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذى يقع منه التفاضل ، فتقع  
فى نفوس العلماء به — عند سماعه — معرفة ذلك ، ويتميز فى أفهامهم قبيل  
الفاضل من المفضول منه . وقد يخفى سببه عند البحث ، ويظهر أثره فى النفس ،  
حتى لا يلتبس على ذوى العلم والمعرفة به . وقد توجد لبعض الكلام عذوبة فى  
السمع ، وهشاشة فى النفس ، لا يوجد مثلها لغيره ؛ والكلامان معاً فصيحان ، ثم  
لا يوقف لشيء من ذلك على علة . »

ثم عقب الخطابي على ذلك بقوله : « وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ، ولا يشفي من داء الجهل به ؛ وإنما هو إشكال أحيل به على إبهام » .

ثم ذكر أن دقيق النظر ، وشاهد العبر ؛ قد دلاه على ما يبين به القرآن سائر الكلام ؛ وأن العلة في ذلك : « أن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية . فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز المطلق الرسل . وهذه أقسام الكلام الفاضل . فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه ، والقسم الثاني أوسطه وأقصده ، والقسم الثالث أدناه وأقربه . فخازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة ، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة ؛ فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعدوبة . وهما على الانفراد في نوعيهما كالتضادين ؛ لأن العدوبة نتاج السهولة ، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة . فكان اجتماع الأمرين في نظمه — مع نبوّ كل واحد منهما عن الآخر — فضيلة خصّ بها القرآن » .

ثم قال : « وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله ، لأمر :

منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية ، وبأوضاعها التي هي ظروف المعاني ، والحوامل لها . ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها ، إلى أن يأتوا بكلام مثله . وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى قائم به ، ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ؛ ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً ونشأ كلاً من نظمه . وأما المعاني

فلا خفاء على ذى عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها . وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ؛ فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه ، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً .

فتفهم الآن ، واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني : من توحيد له — عزت قدرته — وتنزيه له في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان بمنهاج عبادته : من تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن ووعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها . واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه ؛ مُودعاً أخبار القرون الماضية ، وما نزل من مَثَلَاتِ الله بمن عصى وعاند منهم ؛ منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان ؛ جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه ، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشاتها حتى تنتظم وتتسق — أمر يعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قُدْرُهُمْ ؛ فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته في شكله .

وأنى لهم ذلك وأمر معاناة المعاني التي تحملها الألفاظ ، شديد بالغ الشدة «لأنها تتأجج العقول ، وولائد الأفهام ، وبنات الأفكار .

وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر ؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني ، وبه يتصل أخذ الكلام ، ويلتم بعضه ببعض ؛ فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان .»

ثم ذكر أقوال المعاندين للقرآن ، لما عجزوا عن معارضته ؛ وقال : « إن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة . ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ؛ كالعلم والمعرفة والحمد والشكر . . . والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك ؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان في بعضها » . ثم مضى يبين الفروق بين معاني الكلمات التي ذكرها ، وأتبعها بطائفة الاعتراضات التي وجهت إلى القرآن ، أو التي يمكن أن توجه إليه ؛ كتأليف معظم كلامه من ألفاظ مبتذلة في مخاطبات العرب ، مستعملة في محاوراتهم ؛ وقلة حظه من الغريب المشكل ، بالإضافة إلى واضح الكثير ؛ وقلة عدد الفقر والفر من ألفاظه ، بالقياس إلى مبادئ ومراسيله . والقول بأن كثيراً من العبارات الواقعة في القرآن ، لم تقع في أفصح وجوه البيان وأحسنها ، وأنه قد عرض فيه سوء التأليف من نسق الكلام على ما ينبو عنه ولا يليق به ، وإدخاله بين الكلامين ما ليس من جنسهما ، مع ما فيه من الحذف والاختصار ، ومضاعفة التكرار ؛ وغير ذلك مما يشكل معه الكلام ، ويستغلق معناه ، ويخرج به عن حد الفصاحة العالية والبلاغة السامية .

ثم كرر على تلك الاعتراضات فنقضها ، وفصل القول في تأويل الآيات الكثيرة التي أوردوها . وبين أسرار بلاغتها تبيناً ترتاح إليه القلوب ، وتطمئن له العقول . ثم قال : « وفي إعجاز القرآن وجه آخر ، ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم . وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنك

لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى — ما يخلص منه إليه . تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق ، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب . يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها . فكم من عدو للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من رجال العرب وفتاكها ، أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه؛ وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً . ثم أورد من المثل التاريخية ، والآيات القرآنية ؛ ما هو مصداق لما وصفه من أمر القرآن . وكان ذلك خاتمة الكتاب .

ثم ألف بعد الرمانى والخطابى معاصرها أبو بكر الباقلانى ، كتابه إعجاز القرآن .

\* \* \*

#### الباقلانى وإعجاز القرآن :

هو أبو بكر : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلانى ، أو ابن الباقلانى .

ولد بالبصرة ، ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولادته ؛ وقد تلقى العلم على أعلامها ، ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن علمائها ، ثم اتخذها داراً لإقامته ، حتى قضى نحبه فيها . ولم يذكر أحد كذلك متى رحل إليها أول ما رحل ؛ ولا متى اتخذها مستقراً ؟

وقد أتيج للباقلانى أن يتلمذ لطائفة من العلماء الذين جمعوا بين العلم



والعمل ، وشهروا بالورع والتقوى . ونحن نشير إلى من وقفنا عليه منهم ، فيما يلي :

( ١ ) فمنهم أبو بكر الأبهري : محمد بن عبد الله ( ٢٨٩ — ٣٧٥ هـ ) شيخ للمالكية في عصره ؛ وقد أخذ عنه الباقلاني الفقه ، وصحبه فأطال صحبته ومما يؤثر عن الأبهري أنه أخرج في آخر حياته ثلاثة آلاف مقال ، وفرقها على تلامذته ، وكانوا جماعة وافرة ، وآثر الباقلاني فأعطاه منها مائة مقال .

( ٢ ) أبو بكر : أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي روى مسند الإمام أحمد ( ٢٧٤ — ٣٦٨ ) ؛ وقد أخذ عنه الحديث .

( ٣ ) أبو محمد : عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي ( ٢٧٤ — ٣٦٩ ) .

( ٤ ) أبو عبد الله : محمد بن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١ . وقد أخذ عنه الباقلاني علم الأصول .

( ٥ ) ابن بهته : محمد بن عمر ، البزاز ، المتوفى سنة ٣٧٤ .

( ٦ ) أبو أحمد : الحسين بن علي النيسابوري ، ( ٢٩٣ — ٣٧٥ ) .

( ٧ ) أبو أحمد : الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ( ٢٩٣ — ٣٨٢ ) .

( ٨ ) أبو محمد : عبد الله أبي زيد القيرواني ، المتوفى سنة ٣٨٦ عن ست

وسبعين سنة .

( ٩ ) أبو عبد الله الطائي : محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ،

البصري ، صاحب أبي الحسن الأشعري . وقد درس عليه الباقلاني الأصول والكلام ، وكان من أخص تلاميذه .

( ١٠ ) أبو الحسن الباهلي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري ؛ قال الباقلاني :

« كنت أنا وأبو إسحاق الإسفرايني ، وابن فورك معاً في درس الشيخ الباهلي ، وكان يدرس لنا في كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا في حجاب ، يرخي الست بيننا وبينه كي لا نراه . وكان من شدة اشتغاله بالله مثل واله أو مجنون ، لم يكن « يعرف مبلغ درسنا حتى نذكره ذلك » . ولم يكن الباهلي يحتجب عن هؤلاء

الثلاثة فقط ، بل كان يحتجب عن كل الناس ، حتى عن الجارية التي كانت تخدمه . وقد سأله تلاميذه في أول عهدهم به عن سبب إرساله الحجاب بينه وبينهم فقال : « إنكم ترون السوق ، وهم أهل الغفلة ، فتروني بالعين التي ترون أولئك بها » ! وذكر ابن شاكر في « عيون التواريخ » أن الباهلي مات سنة ٣٧٠ .

وكان الباهلي وابن مجاهد ، أعرف العلماء بمذهب الأشعري ، وأشدّهم قهقراً له ، وأقوام حجة في الدفاع عنه ؛ لأنها كانا من أقرب تلاميذه إليه . وقد سجل المؤرخون للأشعري : أن أخص تلاميذه به أربعة : أبو بكر بن مجاهد ، وأبو الحسن الباهلي ، وأبو الحسن الطبري ، وخادمه بندار بن الحسين الشيرازي المتوفى ٨٣٥٣ . وقد تلقى الباقلاني عليهما أصول المذهب ، فتعشقه واندفع في نصرته ، بما عرف عنه من قوة الحجة ، وبراعة المحاورة ، وسرعة البديهة ، وطلاقة اللسان ، وغزارة البيان . فطار صيته في الآفاق ، وهو ما زال بعد في ريعان الصبا وفتاء الشباب ؛ حتى وصل إلى أعلام المعتزلة بشيراز .

وكانت شيراز في ذلك الوقت حاضرة ملك أبي شجاع فتآخسرو بن ركن الدولة البويهى . الذى آل إليه ملك فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة في سنة ٣٣٨ ، فتلقب بعضد الدولة .

وكان عضد الدولة أميراً عظيم الهبة ، غزير العقل ، شديد التيقظ ، كثير الفضل ، واسع الثقافة ، مشاركاً في العلوم ، قد تعلم على أحسن المعلمين . فكان يقدر العلم والعلماء ، ويحب الأدب والأدباء ، ويؤثر مجالستهم على مجالسة الأمراء ؛ ويجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين ، والنحاة والمفسرين ، والشعراء والمتكلمين ، والأطباء والمهندسين .

وكانت له خزانة كتب عظيمة ، عنى بها عناية فائقة ، يدل عليها وصف المقدسى لها بأنها « حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف . ولم يبق كتاب

صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصله فيها . وهى أزج طويل  
فى صُفّة كبيرة ، فيه خزائن من كل وجه ، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج  
والخزائن بيوتاً طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق ، عليها أبواب  
تنحدر من فوق ! والدفاتر منضدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت وفهرستات  
فيها أسامى الكتب ، ولا يدخلها إلا كل وجيه .

وكان يقرض الشعر ويتمثل به ، ويحكم على معانيه بعد التقدير له ؛ فقصده  
العلماء من كل فج ، وصنفوا له الكتب ؛ كآبى على الفارسى الذى ألف له كتاب  
« الإيضاح » ، وكتاب « التكملة » فى النحو . وارتحل إليه الشراء كآبى الطيب  
المتنبى الذى ورد عليه بشيراز فى جمادى الأولى سنة ٣٥٤ ، وأنشده قصيدته  
الهائية التى يقول فيها :

وقد رأيتُ الملوكَ قاطبةً وسرتُ حتى رأيتُ مولاها  
ومن منايهمُ براحتهُ يأمرها فيهمُ وينهاها  
أبا شُجاعٍ بفارسٍ عضدَ الدِّ . . دَوْلَة فَنَاحُشِرُو شَهَنشَاها  
أَسَامِيًّا لم تَزده معرفة وإنما لذة ذكرونها

وقد أفرد عضد الدولة فى داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة ، موضعاً  
يقرب من مجلسه ؛ فكانوا يجتمعون فيه للمفاوضة والمذاكرة ، آمنين من السفهاء  
ورعاع العامة . وكان مجلسه هذا يحتوى على شياطين المعتزلة ، كآبى سعد بشر بن  
الحسين قاضى قضاة شيراز ، المتوفى سنة ٣٨٠ ، والأحدب رئيس المعتزلة ببغداد ،  
وأبى إسحق النصيبينى رئيسهم بالبصرة وأبى الحسن : محمد بن شجاع .

وقد لاحظ عضد الدولة خلو مجلسه من أهل السنة ، فقال : هذا مجلس عامر  
بالعلماء ، إلا أنى لا أرى فيه واحداً من أهل الإثبات والحديث ؛ أما لهؤلاء المثبتة  
من ناصر ؟ فقال القاضى بشر بن الحسين : ليس لهم ناصر ، وإنما هم عامة ، أصحاب

تقليد ورواية ، يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعاً ، لا يعرفون النظر ؛ والمعتزلة هم فرسان الجدل والمناظرة . فقال عضد الدولة : محال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر! فانظر إلى موضع فيه مناظر يكتب فيه فيجلب . فلما تبين القاضي العزم في حديثه ، قال : سمعت أن بالبصرة شيخاً وشاباً ، الشيخ يعرف بأبي الحسن الباهلي ، والشاب يعرف بابن الباقلاني . فكتب عضد الدولة يومئذ إلى عامله بالبصرة لبيعتهما إليه ، وأرسل إليهما خمسة آلاف درهم من الفضة . فلما وصل الكتاب إليهما قال الشيخ : هؤلاء الديلم قوم كفرة فسقة روافض ، لا يحل لنا أن نطأ بساطهم ؛ وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال : إن مجلسه مشتمل على أصحاب الحابر كلهم ؛ ولو كان ذلك خالصاً لله لنهضت . وشايعه على ذلك بعض أصحابه . ولكن الباقلاني لم يعجبه رأى شيخه فقال له : كذا قال ابن كلاب والحارث بن أسد المحاسبي ومن في عصرهم : إن المأمون فاسق ظالم لا نحضر مجلسه ، حتى ساق أحمد بن حنبل ؛ وجرى عليه بعد مما عُرِف ؛ ولو ناظره لكفوه عن هذا الأمر ، وتبين له ما هم عليه بالحجة . وأنت أيضاً — أيها الشيخ — تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد ، ويقولوا : بخلق القرآن ونفي الرؤية . وها أنا خارج إن لم تخرج . فقال الشيخ : أما إذا شرح الله صدرك لذلك فافعل .

قال الباقلاني : فخرجت إلى شيراز ، فلما دخلت المدينة استقبلني ابن خفيف في جماعة من الصوفية وأهل السنة ؛ فلما جلسنا في موضع كان ابن خفيف يدرس فيه أصحابه « اللمع » للشيخ أبي الحسن الأشعري ، فقلت له : تَمَاد على التدريس كما كنت ؛ فقال لي : أصلحك الله ، إنما أنا بمنزلة المتيم عند عدم الماء ، فإذا وُجد الماء فلا حاجة إلى التيم . فقلت له : جزاك الله خيراً ، وما أنت بمتيم ، بل لك حظ وافر من هذا العلم ، وأنت على الحق ، والله ينصرك .

ثم قلت : متى الدخول إلى فنّاخُسرو ؟ فقالوا لى : يوم الجمعة لا يحجب عنه صاحب طيلسان . فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والملك قاعد على سرير ملكه ، والناس صفوف على يسار الملك ، وفوق الكل قاضى القضاة بشر بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء فى وزارتهم ، ويصغى الملك إلى رأيه فى أمر الدولة ، فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس وأتخطى رقابهم ، من غير أن أرفع ؛ ولم تدعنى نفسى أن أقعد فى أخريات الناس . وكان عن يمين الملك المجلس خالياً ، ولا يقعد هناك إلا وزير وملك عظيم . فضيت وقعدت عن يمينه ، بمضاء قاضى القضاة ، فوجدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ؛ لأنه كان عندهم من الجنائيات العظام ؛ ونظر الملك لقاضى القضاة نظراً منكراً ، وما فى المجلس من يعرفنى إلا رجل واحد . فقال للقاضى : هذا هو الرجل الذى طلبه الملك من البصرة ، فأعلم الملك بذلك ، فقال قاضى القضاة : أطال الله بقاء مولانا ، هذا هو الرجل الذى كتبت فيه ، وهو لسان المثبتة . فنظر الملك إلى الظلمان والحجاب فطاروا من بين يديه ، ثم قال : اذكروا له مسألة ، وكان فى المجلس رئيس البغداديين من المعتزلة ، وهو الأحذب ، وكان أفصح من عندهم وأعلمهم ، وعدد كثير من معتزلة البصرة ، أقدمهم أبو إسحاق النصيبى ؛ فقال الأحذب لبعض تلاميذه : سلّه ، هل لله أن يكلف الخلق ما لا يطيقون ؛ أو ليس له ذلك ؟ — وكان غرضه تقبيح صورتنا عند الملك — فقلت له : إن أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد ذلك ، لأن الله تعالى قال : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ﴾ ؛ ونحن لا نقدر أن نكون حجارة ولا حديداً . وقال تعالى : ﴿ أنبئنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ؛ فطالبهم بما لا يعلمون ؛ وقال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ . وهذا كله أمر بما لا يقدر عليه الخلق . وإن أردتم بالتكليف

الذى نعرفه ، وهو ما يصح فعله وتركه ، فالكلام متناقض ، وسؤالك فاسد ؛ فلا تستحق جواباً ؛ لأنك قلت : تكليف ، والتكليف : اقتضاء فعل ما فيه مشقة على المكلف ؛ وما لا يطاق لا يفعل لا بمشقة ولا بغير مشقة . فسكت السائل ، وأخذ الكلام الأحذب فقال : أيها الرجل ، أنت سئلت عن كلام مفهوم فطرحته فى الاحتمالات ، وليس ذلك بجواب ؛ وجوابه إذا سئلت أن تقول : نعم أو لا . فأحفظنى كلامه لما لم يوقرنى توقير الشيوخ ولم يخاطبنى بما يليق . وقلت له : يا هذا أنت نائم ورجلاك فى الماء : إنما طرحت السؤال فى الاحتمالات ، وقد بينت لك الوجوه المحتملة ؛ فإن كان معك فى المسألة كلام فهاته ؛ وإلا تكلم فى غيرها . فقال الملك للأحذب : أيها الشيخ ، قد بين الاحتمال ؛ وليس لك أن تعيد عليه ، ولا أن تعاطله ؛ ثم إنى ما جمعتكم إلا للفائدة لا للمهاترة ، ولما لا يليق بالعلماء . ثم التفت إلى وقال لى : تكلم على المسألة . فقلت : ما لا يطاق على ضربين : أحدهما لا يطاق للعجز عنه ، والآخر لا يطاق للاشتغال عنه بضده ؛ كما يقال : فلان لا يطيق التصرف لاشتغاله بالكتابة وما أشبه ذلك ، وهذا سبيل الكافر : أنه لا يطيق الإيمان ؛ لا لأنه عاجز عن الإيمان ، لكنه لا يطيقه لاشتغاله بضده الذى هو الكفر ؛ فهذا يجوز تكليفه بما لا يطاق . وأما العاجز فما ورد فى الشريعة تكليفه ، ولو ورد لكان جائزاً وصواباً ؛ وقد أثنى الله تعالى على من سأله ألا يكلفه ما لا يطيق ، فقال عز وجل : ( ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ) ؛ لأن الله تعالى له أن يفعل فى ملكه ما يريد . ثم تجاوز الأحذب الكلام إلى غيره ، ومال الملك إلى قولى .

ثم سألتى النصيبينى عن مسألة الرؤية : هل يرى البارى سبحانه بالعين ؟ وهل تجوز الرؤية عليه أو استحيل ؟ وقال : كل شئ يُرى بالعين ، فيجب أن يكون فى مقابلة العين . فالتفت الملك إلى وقال : تكلم أيها الشيخ فى المسألة . فقلت : لو كان

الشيء يرى بالعين لوجب أن يكون في مقابلة العين على ما قال ، ولكن لا يرى الله بالعين . فتعجب الملك من قولي ، والتفت إلى قاضي القضاة ، فقال : إذا لم ير الشيء بالعين ، فبأي شيء يرى ؟ فقال : يسأله الملك . فقال : أيها الشيخ ، فبأي شيء يُرى إذا لم ير بالعين ؟ فقلت : يرى بالإدراك الذي في العين ؛ ولو كان الشيء يرى بالعين لكان يجب أن تَرَى كل عين قائمة ؛ وقد علمنا أن الأجهر عينه قائمة ولا يرى شيئاً . فزاد الملك تعجباً ، وقال للنصيبيني : تكلم . فقال : إني لم أعلم أنه يقول هذا ، ولا بنيت إلا على ما نعرف ؛ وظننت أنه يعلم أن الشيء يرى بالعين ! فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل ؛ لأنك بنيت المسألة على الظن . ثم التفت إليّ وقال لي : تكلم أنت . فقلت : العين لا ترى ، وإنما تُرى الأشياء بالإدراك الذي يحدّثه الله تعالى فيها ، وهو البصر ؛ ألا ترى أن المحتضر يرى الملائكة ونحن لا نراه ؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يرى جبريل عليه السلام ، ولا يراه من يحضره ؟ والملائكة يرى بعضهم بعضاً ولا نراه نحن ؟ والدليل على جواز رؤية الباري تعالى أنه ليس فيها قلب للحقائق ، ولا إفساد للأدلة ، ولا إلحاق صفة نقص بالقديم تعالى ؛ فوجب أن يكون كسائر الموجودات ؛ لأنه تعالى موجود ، والشيء إنما يرى لأنه موجود ، لأن المرئي لم يكن مرئياً لأنه جنس ؛ لأننا نرى سائر الأجناس المختلفة ؛ ولا لقيام معنى بالمرئي ؛ لأننا نرى الأعراض التي لا تحمل المعاني ؛ وقد ثبت بالنص وجوب رؤية الحق سبحانه في الدار الآخرة . ثم جرى في المجلس كلام كثير ، وقال الملك على إثره لقاضي القضاة : ألم أقل لك : إن مذهباً طَبَّقَ الأرض لا بد له من ناصر . ولما انقضى المجلس صحبتني بعض الحجاب إلى منزل هُيَّئَ لي فيه جميع ما أحتاج إليه ، فسكنته . ولما خرج الباقلاني قال للملك لقاضيه : فكرت بأى قتلة أقتله لجلوسه حيث جلس بغير أمرى ؛ وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكانى منى .

ثم دفع إليه ابنه صمصام الدولة ، ليعلمه مذهب أهل السنة ؛ فعلمه وألف له كتاب « التمهيد » .

ولم يزل الباقلاني مع عضد الدولة ، إلى أن قدم بغداد . وكان دخوله إياها في سنة ٣٦٧ ؛ وظل الباقلاني أثيراً لديه ، حتى إنه جعله رئيس البعثة التي أوفدها في سنة ٣٧١ إلى ملك الروم .

وقد قال الأستاذ « محمود محمد الخضيرى » والدكتور « محمد عبد الهادى أبوريدة » فى مقدمتهما لكتاب التمهيد : « إن هذه المناظرة جرت فى مجلس الإمبراطور باسيلئوس الثانى ، الذى حكم من سنة ٣٦٥ إلى سنة ٤١٦ هـ » ؛ ثم قالوا : « ومهما يكن أمر سفارة الباقلانى بين عضد الدولة وبين ملك الروم ، فنحن لا نعرف ظروفها التاريخية ، وربما كان ملك الروم قد أراد من يبين له أمر الإسلام أو يجيب عن أسئلة النصارى بشأن ما يعتقدوه المسلمون . ويتبين من تفصيل المناقشات أن مهمة الباقلانى كانت مدنية علمية ، هى أشبه ببعثة تبادل الآراء ومعرفة وجهات النظر الدينية ، لا سيما وأنه ليس عندنا فى التاريخ ما يدل على اتصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حرية أو ما أشبه ذلك ، وأن المؤرخين يشيرون إلى هذه السفارة باختصار ، أو هم يذكرون ما يدل على صبغتها الفكرية الدينية الخالصة . على أنه من الجائز أن يكون ظهور شأن السلطان الفاتح عضد الدولة ، بعد حروب دامت طويلاً بين البيزنطيين والمسلمين وبعء تمرد أحد قواد الروم على الإمبراطور فى الشرق ، كان مما دعا الإمبراطور البيزنطى إلى عقد صلات التعارف مع عضد الدولة » . ثم قالوا : « إن الغرض الذى رعى إليه عضد الدولة من بعثة الباقلانى إلى بيزنطة هو إرضاء شعور المسلمين بالسعى فى تحرر أسراهم المعذنين لدى الروم » .

وكان خليفاً بالأستاذين الفاضلين ألا يكتبنا هذا الكلام البيزنطى بعد نقلهما



لقول ابن الأثير : إن عضد الدولة أرسل الباقلاني إلى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه . وكان حسبهما أن يسجلا على أنفسهما عدم « معرفه ظروفها التاريخية » فإن ذلك كان أسلم لهما ، وكان يمنعهما من أن يتورطا فيما تورطا فيه .

فليس صحيحاً ما قالاه من أنه « ليس في التاريخ ما يدل على اتصال وثيق بين عضد الدولة وبين الروم من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حربية » ، وليس صحيحاً كذلك أن المؤرخين أشاروا إلى هذه السفارة باختصار ، ودلوا على صبغتها الدينية الخالصة ، وليس صحيحاً مرة ثالثة أن عضد الدولة قد قصد من بعثة الباقلاني إرضاء شعور المسلمين بالسعى في تحرير أسراهم .

أجل إن هذه الأقوال كلها ليست من الصحة والصواب في شيء ، فقد بين المؤرخون لتلك الفترة من الزمان الاتصال الوثيق بين عضد الدولة وملك الروم ، وأن البعثات السياسية قد تبدلت بينهما عدة مرات منذ سنة ٣٦٩ حتى وفاة عضد الدولة في شوال سنة ٣٧٢ ، وأن وفد الروم الثالث أدرك وفاة عضد الدولة وحضر مجلس صمام الدولة وتسلم منه الهدايا وتم عقد المعاهدة . ومجمل ما فصله المؤرخون في ذلك : أنه لما توفي أرمانوس ملك الروم وقام بعده ابنه باسيل وقسطنطين ، اختلفت كلمة الروم ، وطمع كبار القواد في الاستئثار بالملك ، وكان ممن طمع في ذلك السقلاروس المعروف بورد الرومي ؛ فجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور ، وكاتب أبا تغلب بن حمدان وواصله وصاهره ، وأخرج إليه الملكان عسكرياً بعد عسكر فكسروهم ، وجرت بين الفريقين معارك طاحنة ، انتهت في يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨ هـ بانهزام السقلاروس ؛ وقد توجه بعد هزيمته إلى ديار بكر ، ونزل بظاهر ميفارقين ، وأنفذ أخاه قسطنطين إلى عضد الدولة يستنصره على ملكي الروم ، ويعدده ببذل الطاعة وحمل الخراج إذا انتصر ؛ فأحسن عضد الدولة استقباله ، ووثق إليه بخطه ، ووعدته بحميل إنجاده ؛ وتناول مقام قسطنطين لدى

عضد الدول ، وانتهى خبره إلى الملكين الأخوين بقسطنطينية ؛ فأنفذ إلى عضد الدولة كاتباً لهما وجيهاً أريباً ، يسمى نقفور ، ويعرف بالأورانوس ، ليفسد ماشرع فيه مع السقلاروس ؛ واجتمع الرسولان على بساط عضد الدولة يتنافسان في التقرب إليه ، ويستبقان إلى التماس الذمام منه ، ولم ينصرفا إلى أن انسلخت سنة تسع وستين وثلثمائة . وذلك أمر لم يكن مثله قط ، ويعدّه المؤرخون من مآثر عضد الدولة .

وكان طلب الأورانوس ينحصر في تسليم السقلاروس ولو بإتباعه ، والوعد بتأمينه ومن معه ، وإخراج كل أسير للمسلمين في بلاد الروم . فقال عضد الدولة إلى ذلك ، واحتال حتى حمل إليه عامله على ديار بكر السقلاروس مقبوضاً عليه ، فأكرمه بعد أن احتاط عليه ، ووعدّه بإطلاقه وتجرّد عساكر معه لنصرته ، ثم وعد الأورانوس خيراً ، وأخرج معه الباقلاقي بجواب الرسالة ، وعاد الباقلاقي بمشروع معاهدة ، ومعه رسول يعرف بابن قونس ليأخذ إمضاء عضد الدولة عليها ، ولكن عضد الدولة بدا له أن يظفر في المعاهدة باسترجاع بعض الحصون ، فأعاد ابن قونس وأرسل معه أبا إسحاق بن شهرام ، ورجع ابن شهرام بمشروع المعاهدة الأخير ، ومعه رسول يعرف بنقفور الكانكلي ، ولكن وصولهما صادف اشتداد العلة على عضد الدولة وموته في الثامن من شوال . ووقع المعاهدة صمصام الدولة على شرطين : أولهما عقد الهدنة لمدة عشر سنوات ، وتسليم الحصون التي اشترط ابن شهرام استرجاعها ؛ وثانيهما إطلاق نقفور بعد أخذ خط ملك الروم بتأمينه ، وإرجاعه إلى مرتبته .

ذلك مجمل ما كان من أمر الصلة بين عضد الدولة وبين ملك الروم ، والبعثات العديدة التي كانت بينهما ، والتي قال الأستاذ الخضيرى والدكتور أبو ريدة : إنه ليس في التاريخ ما يدل عليها . ورتبنا على ذلك مراتباً من شتى الفروض والاحتمالات .

ولو قد فطنا لقول ابن الأثير في حوادث سنة ٧٠ : « إن عضد الدولة أرسل الباقلائي إلى ملك الروم في جواب رسالة » وقدرا قوله هذا حق قدره ، ورجعا إلى كلامه في حوادث سنة ٦٩ — لأفياه يفصل القول في السبب الذي دعا ملك الروم إلى مراسلة عضد الدولة ومفاوضته ، وطلب عقد الهدنة معه ٢٥٥/٨ — ٢٥٦ .

\* \* \*

وعند ما تهيأ الباقلائي للخروج إلى القسطنطينية ، قال له أبو القاسم المطهر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة : الطالع خروجك . فسأله عن معنى هذا الكلام ، فلما فسر له مراده ، قال الباقلائي : لا أقول بهذا ؛ لأن السعد والنحس كله والشر والخير بيد الله عز وجل ، وليس للكواكب هاهنا مثقال ذرة من القدرة ؛ وإنما وضعت كتب المنجمين ليتعیش بها الجاهلون من العامة ، ولا حقيقة لها . فقال الوزير : أحضروا إلى أبا سليمان المنطقي ، فليست المناظرة من شأني ، ولا أنا قائم بها ؛ وإنما أنا أحفظ علم النجوم وأقول : إذا كان من النجوم كذا كان كذا ، وأما تعليقه فهو من علم المنطق . فأحضر وأمر بمكالمة الباقلائي ، فقال أبو سليمان للوزير : هذا القاضي يقول : إن الباري — سبحانه — قادر على أن يركب عشرة أنفس في ذلك المركب الذي في دجلة ، فإذا وصلوا الجانب الآخر يكون الله قد زاد فيهم آخر فيكونون أحد عشر ، ويكون الحادي عشر قد خلقه الله في ذلك الوقت . ولو قلت أنا : لا يقدر على ذلك ، أو هو محال ؛ قطعوا لساني وقتلوني ، وإن أحسنوا إليّ كتّفوني ورموني في الدجلة . وإذا كان الأمر كما ذكرت لم يكن لمناظرتي معه معنى !! فالتفت الوزير إلى الباقلائي وقال : ما تقول أيها القاضي؟ فقال : ليس كلامنا هاهنا في قدرة الباري تعالى ، والباري قادر على كل شيء ، وإن جحد هذا الجاهل ؛ وإنما كلامنا في تأثيرات هذه الكواكب ؛ فانتقل إلى

ما ذكر لعجزه وقلة معرفته ؛ وإلا فأى تعلق للكلام في قدرة البارئ عز وجل في مسألتنا ؟ وأنا وإن قلت : إن القديم ، تعالى ، قادر على ذلك ؛ ما أقول : إنه يخرق العادة ويفعل هذا ؛ لأنه لا يجوز عندنا أن يخلق اليوم إنساناً من غير أبوين ؛ فإذا كان كذلك ، فقد علم الوزير أن هذا فرار من الزحف . فقال الوزير : هو كما ذكرت . وقال أبو سليمان المنطقي : المناظرات دُرْبَةٌ وتجربة ، وأنا لا أعرف مناظرات هؤلاء القوم ، وهم لا يعرفون مواضعنا وعبارتنا ، ولا تجمل المناظرة بين قوم هذا حالهم . فقال له الوزير : قبلنا اعتذارك ، والحق أبلغ . ثم مال إلى الباقلاني بوجهه ، وقال له : سرفى رعاية الله . قال الباقلاني : « فخرجت فدخلنا بلاد الروم حتى وصلنا إلى ملك الروم بالقسطنطينية ؛ وأخبر الملك بمقدمنا ، فأرسل إلينا من يلقانا ، وقال : لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها ، إلا أن تكون مناديل لطافاً ؛ وحتى تنزعوا أخفافكم . فقلت : لا أفعل ، ولا أدخل إلا بما أنا عليه من الزَّيِّ واللباس ؛ فإن رضيتُمْ ، وإلا فخذوا الكتب تقرأونها ، وأرسلوا بجوابها ، وأعود بها . فأخبر بذلك الملك ، فقال : أريد معرفة سبب هذا ، وامتناعه عما مضى عليه رسمى مع الرسل ؟ فسئلت عن ذلك ، فقلت : أنا رجل من علماء المسلمين ، وما تحبونه منا ذُلٌّ وصغار ؛ والله تعالى قد رفعنا بالإسلام ، وأعزَّنَا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأيضا فإن من شأن الملوك إذا بعثوا رسلهم إلى ملك آخر رفع أقدارهم ، لا إذلالهم ؛ سيما إذا كان الرسول من أهل العلم ؛ ووضع قدره انهدام جانبه عند الله تعالى ، وعند المسلمين . فعرفَ الترجمان الملك بذلك ، فقال : دعوه يدخل ومن معه كما يشاءون . فدخل الباقلاني ومن معه كما أرادوا ، وسأله الملك عن السبب في امتناعه عن اتباع ما جرى به رسمه مع الرسل من قبل ؛ فشرح وجهة نظره ؛ وذكره : أن رسوله قد دخل بملابسه على أمير المؤمنين الطائع ، وأدخل بها على السلطان عضد الدولة ؛ ثم قال : « فما تنكرون

على هذا ؛ وأنا رجل من علماء المسلمين ؟ فإن دخلت بغير هيئتي ، ورجعت إلى  
إلى حكمك أهنت العلم ونفسي ، وذهب عند المسلمين جاهي . فقال الملك  
لترجانه : قل له : قد قبلنا عذرک ، ورفعنا منزلتك ؛ وليس محلك عندنا محل سائر  
الرسل ، وإنما محلك عندنا محل الأبرار الأخيار ؛ وقد أخبرنا صاحبكم في كتابه  
أنك لسان المسلمين ، والمناظر عنهم ؛ وأنا أشتهى أن أعرف ذلك منك ، كما  
ذكره عنك . فقلت : إذا أذن الملك . فقال : انزلوا حيث أعددت لكم ،  
ويكون بعد هذا الاجتماع . فنهضنا إلى موضع أعد لنا . فلما كان يوم الأحد بعث  
الملك في طلبی ، وقال لي من بعثه : من شأن الرسول حضور مائدة الملك ؛ فيجب  
أن تجيب إلى طعامنا ، ولا تنقض كل رسومنا . فقلت له : أنا من علماء المسلمين ،  
ولست كالرسل من الجند وغيرهم الذين يُعرفون ما يجري في هذا الوطن عليهم ؛  
والملك يعلم أن العلماء لا يقدرّون أن يدخلوا في هذه الأشياء وهم يعلمون ؛ وأخشى  
أن يكون على مائدته من لحوم الخنازير ، وما حرّمه الله تعالى ، على رسوله وعلى  
المؤمنين . فذهب الترجان وعاد عليّ ، وقال : يقول لك الملك : ليس على مائدتي ،  
ولا في شيء من طعامي شيء تكرهه ، وقد استحسنّت ما أتيت به ؛ وما أنت  
عندنا كسائر الرسل ، بل أعظم ؛ وما كرهت من لحوم الخنازير إنما هو خارج من  
حضرتي ؛ بيني وبينه حجاب . فنهضت على كل حال ، وجلست وقدم الطعام ،  
ومددت يدي وأوهمت الأكل ؛ ولم آكل منه شيئاً ، مع أني لم أر على مائدته  
ما يكره .

فلما فرغ من الطعام بنجر المجلس وعطّره ، ثم قال :  
هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم : من انشقاق القمر ؛ كيف هو عندكم ؟  
فقلت : هو صحيح عندنا ؛ انشق القمر على عهد رسول الله حتى رأى الناس  
ذلك ؛ وإنما رآه الحضور ومن اتفق نظره إليه في تلك الحال .

فقال الملك : وكيف : ولم يره جميع الناس ؟ ! .

قلت : لأن الناس لم يكونوا على أهبة وواعد لشقوقه وحضوره .

فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقاربة ؟ ! لأى شئ لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس ؛ وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؟ !

قلت : فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة ؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد ، وخاصة يونان جيرانكم ؛ فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن ، وأنتم رأيتموها دون غيركم ؟ .

فحجّر الملك ، وقال بكلامه : سبحان الله . وأمر بإحضار فلان القسيس ليكلمنى ، وقال : نحن لا نطيعه ؛ لأن صاحبه قال : ما فى مملكتى مثله ، ولا للمسلمين فى عصره مثله . فلم أشعر إذ جاء برجل كالذئب ، أشقر الشعر ؛ فقعده ، وحُكيت عليه المسألة ؛ فقال : الذى قاله المسلم لازم ، وهو الحق ؛ لا أعرف له جواباً إلا ما ذكره .

فقلت له : أنقول : إن الخسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض ؟ أم يراه أهل الإقليم الذى بمحاذاته ؟ .

قال : لا يراه إلا من كان فى محاذاته .

فقلت : فما أنكرت من اشتقاق القمر إذا كان فى ناحية أن لا يراه أهل تلك الناحية ومن تأهب للنظر له ؛ فأما من أعرض عنه ، أو كان فى الأمكنة التى لا يرى القمر منها فلا يراه .

فقال : كما قلت لا يدفعك عنه دافع ؛ وإنما الكلام فى الرواة الذين نقلوه ؛ فأما الطعن فى غير هذا الوجه فليس بصحيح .

فقال الملك : وكيف يطعن فى النقلة ؟ .

فقال القسيس : شبه هذا من الآيات — إذا صح وجب أن ينقله

الجَمُّ الغفير حتى يتصل بنا العلم الضروري به ؛ ولما لم نعلم ذلك بالضرورة ، دَلَّ على أن الخبر مفتعل باطل .

فالتفت الملك إلى ، وقال : الجواب ؟

قلت : يلزمه في نزول المائدة ، ما يلزمني في انشقاق القمر ؛ ويقال : لو كان نزول المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير ؛ فلا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا وثنى إلا ويعلم هذا بالضرورة ؛ ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دل أن الخبر مكذوب .

فبهت القسيس والملك ومن ضمّه المجلس ؛ وانفصل المجلس على هذا .

\* \* \*

قال الباقلانى : ثم سألتى الملك فى مجلس ثان ، فقال : ماتقولون فى المسيح عيسى ابن مريم ؟

قلت : روح الله وكلمته وعبده ، ونبيه ورسوله ؛ كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن . فيكون ، وتلوت عليه النص .

فقال : يا مسلم ؛ تقولون : المسيح عبد ؟

فقلت : نعم ؛ كذا نقول ، وبه ندين .

قال : ولا تقولون : إنه ابن الله ؟

قلت : معاذ الله ؛ ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ﴾ ؛ إنكم لتقولون قولاً عظيماً ؛ فإذا جعلتم المسيح ابن الله فمن أبوه وأخوه وجده وعمه وخاله ؟ — وعددت عليه الأقارب — فتحير ، وقال :

يا مسلم : العبد يخلق ويحيى ويميت ، ويبرىء الأكمه والأبرص ؟ .

فقلت : لا يقدر العبد على ذلك ؛ وإنما ذلك كله من فعل البارئ عز وجل .

قال : وكيف يكون المسيح عبداً لله وخلقاً من خلقه ؛ وقد أتى بهذه الآيات ،  
وفعل ذلك كله ؟ .

قلت : معاذ الله ؛ ما أحيا المسيح الموتى ، ولا أبرأ الأكمه والأبرص .  
فتحير وقل صبره ، وقال يا مسلم : تنكر هذا مع اشتهاه في الخلق ، وأخذ  
الناس له بالقبول ؟ .

فقلت : ما قال أحد من أهل الفقه والمعرفة : إن الأنبياء — عليهم السلام —  
يفعلون المعجزات من ذاتهم ؛ وإنما هو شيء يفعل الله تعالى على أيديهم تصديقاً  
لهم ؛ يجرى مجرى الشهادة .

فقال : قد حضر عندى جماعة من أولاد نبيكم ، وأهل دينكم ، المشهورين  
فيكم ، وقالوا : إن ذلك في كتابكم .

فقلت : أيها الملك ؛ في كتابنا أن ذلك كله يأذن الله تعالى . وتلوت عليه  
قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ؛ أَذْكَرَ نَعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ،  
إِذْ آتَيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، تَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ؛ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ؛ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنفُخُ فِيهَا  
فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ؛ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ ﴾ .  
وقلت : إنما فعل ذلك كله بالله وحده لا شريك له ، لا من ذات المسيح ؛ ولو كان  
المسيح يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص من ذاته ، لجاز أن يقال : إن موسى  
فلق البحر ، وأخرج يده بيضاء من غير سوء من ذاته ؛ وليس معجزات الأنبياء ،  
عليهم السلام ، من ذاتهم وأفعالهم دون إرادة الخالق ؛ فلما لم يجز هذا : لم يجز أن  
تسند المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه .

فقال الملك : وسائر الأنبياء كلهم ، من آدم إلى من بعده — كانوا يتضرعون  
للمسيح حتى يفعل ما يطلبون !!



قلت : أوفى لسان اليهود عَظْمٌ ، لا يقدرّون أن يقولوا : إن المسيح كان يتضرّع إلى موسى؟ وكل صاحب نبي يقول : إن المسيح كان يتضرّع إلى نبيه؟! فلا فرق بين الموضعين في الدعوى . وانفصل المجلس على هذا .

\* \* \*

قال الباقلاني : وفي تكلمنا في مجلس ثالث ، قلت : لِمَ اتَّحد اللاهوت بالناسوت ؟

فقال : أراد أن ينجى الناس من الهلاك .

فقلت : وهل دَرى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به كذا ، ولم يأمن من اليهود؟ فإن قلت : إنه لم يدرك ما أراد اليهود ؛ بطل أن يكون إلهًا ؛ وإذا بطل أن يكون إلهًا بطل أن يكون ابنًا . وإن قلت : قد درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة ، فليس بحكيم ؛ لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء . فبهت؛ وكان آخر مجلس لي معه .

\* \* \*

ومما جرى في تلك المجالس : أن الباقلاني قال لبعض المطارنة : كيف أنت ؟ وكيف الأهل والأولاد ؟

فقال له الملك وقد عجب من قوله : ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ، ومتقدم على علماء الملة ! أما علمت أننا ننزه هؤلاء عن الأهل والولد؟ . فقال الباقلاني : أنتم لا تنزهون الله ، سبحانه وتعالى ، عن الأهل والأولاد ، وتنزهونهم؟! فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله ، سبحانه وتعالى!! فسقط في أيديهم ، ولم يردوا جواباً .

ثم قال له الملك : أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم ، وما قيل فيها ؟ فقال : هما اثنتان ، قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ، ومريم ابنة عمران ؛ فأما

زوج نبينا : فلم تلد ؛ وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها ؛ وكل قد برأها الله مما رميت به . فاقطع الملك ولم يجر جواباً .

ويروى القاضي عياض : ان الملك قال للبترك : ما ترى في أمر هذا الشيطان ؟ فقال : تقضى حاجته ، وتلاطف صاحبه ، وتبعث بالهدايا إليه ؛ وتخرج هذا عن بلدك من يومك إن قدرت ؛ وإلا لم آمن الفتنة به على النصرانية . ففعل الملك ذلك ، وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه ؛ وعجل تسريحه ، ومعه عدة من أسارى المسلمين والمصاحف ؛ ووكل بالباقلاني من جنده من يحفظه حتى يصل إلى مأمنه .

ويروى الخطيب البغدادي بسنده : أن الباقلاني لما ورد على ملك الروم مدينته ، وعُرف خبره ، وُيِّن له محله من العلم — : « أفكر في أمره ، وعلم أنه لا يكفر له إذا دخل عليه ؛ كما جرى رسم الرعية ، أن تقبل الأرض بين يدي الملوك . ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه ، وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه إلا راکماً ؛ ليدخل القاضي منه على تلك الحال ، فيكون عوضاً من تكفيره بين يديه . فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب ؛ فسار حتى وصل إلى المكان ؛ فلما رآه تفكر فيه ؛ ثم فطن بالقصة ، فأدار ظهره ، وجنا رأسه راکماً ، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه ، قد استقبل الملك بديره ، حتى صار بين يديه ، ثم رفع رأسه ، ونصب ظهره ، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك . فعجب من فطنته ، ووقعت له الهيبة في نفسه » .

ولست أشك في أن هذه الرواية أسطورة من الأساطير التي نسجت خيوطها حول رحلة الباقلاني إلى القسطنطينية . وفيما قصه الباقلاني ، من امتناعه من خلع عمامته ونزع خفيه ؛ وتهديده بعدم الدخول على الملك ؛ ونزول الملك على

رأيه ، وقوله : دعوه يدخل ومن معه كما يشاءون - : ما يجعل هذه الفكرة الساذجة ، بعيدة الوقوع . ولو قد وقعت لتحدث بها الباقلاني ، فيما حدث به من أخبار رحلته .

\* \* \*

وعاد الباقلاني إلى بغداد ، وظل مع عضد الدولة حتى مات في شوال سنة ٣٧٣ ، وتولى بعده ابنه صمصام الدولة .

ولسنا نعرف متى تولى الباقلاني وظيفة القضاء بالشعر ؟ ولا من الذي ولاه ؟ وقد جاء في ترجمة أبي حامد أحمد بن أحمد الأستوائى ( ٣٥٨ - ٤٣٤ ) « الشافعى الأشعرى : أنه «ولى القضاء بعكبرا من قبل أبى بكر بن الطيب الباقلانى» .

\* \* \*

وقد وقف الباقلاني حياته على أمرين ، ملكا عليه أقطار نفسه ، وشغفاه حباً ، وهما التدريس ، والتأليف .

أما التدريس ، فقد اجتمعت له كل أدواته ، ولم يصرفه عنه صارف ؛ حتى إنه أثناء مقامه مع عضد الدولة بشيراز ، وتدرسه لابنه الأمير أبى كاليبجار المرزبان ؛ لم يمتنع عنه ، بل عقد دروساً عامة لأهل السنة . ومن الكتب التى درسها لهم كتاب « اللمع » لأبى الحسن الأشعرى .

وقد تتلمذ عليه كثيرون فى البصرة وبغداد وغيرها ؛ ونحن نشير إلى بعضهم فيما يلى :

( ١ ) القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن نصر ، البغدادى المالكي ( ٣٦٢ - ٤٢٢ ) . قيل له : مع من تفقّهت ؟ قال : صحبت الأبهري ، وتفقّهت مع أبى الحسن بن القصار ، وأبى القاسم بن الجلاب ؛ والذى فتح أفواهنا ، وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب .

(٢) أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حجاج الفعجومي ، وقد أثبت سماعه من الباقلاني إملاءً في رمضان سنة ٤٠٢ ؛ وقال : رحلت إلى بغداد ، وكنت قد تفقّعت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القاسبي ، وأبي محمد الأصيلي ، وكانا عالمين بالأصول . فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ، ورأيت كلامه في الأصول والفقه مع المؤلف والمخالف ، حقرت نفسي ، وقلت : لا أعلم من العلم شيئاً ؛ ورجعت عنده كالمبتدئ . وقال عنه حاتم بن محمد : كان أبو عمران من أحفظ الناس وأعلمهم ، لم ألق أحداً أوسع منه علماً ، ولا أكثر رواية . وذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه ، ويقول له : لو اجتمعت في « مدرستي » أنت وعبد الوهاب — وكان إذ ذاك بالموصل — لاجتمع علم مالك ؛ أنت تحفظه ، وهو ينظره . وتوفي أبو عمران سنة ٤٣٠ عن خمس وستين سنة . وكانت رحلته إلى بغداد في سنة ٣٩٩ .

(٣) أبو ذرّ الهروي عبد بن أحمد ( ٣٥٥ - ٤٣٤ ) للملك الأشعري . قال له بعض الشيوخ : أنت من هراة ، فمن أين تمذهب للملك والأشعري ؟ فقال : سبب ذلك أني قدمت بغداد لطلب الحديث ، فلزمت الدارقطني ( ٣٠٦ - ٣٨٥ ) ؛ وكنت مرة ماشياً معه ، فمر بنا شاب ، فأقبل الشيخ عليه وعظمه ، وأكرمه ودعاه ؛ فلما فارقه قلت : أيها الشيخ الإمام ؛ من هذا الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت ؟ فقال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا . فقال : هذا أبو بكر بن الطيب الأشعري ، ناصر السنة ، وقامع المعتزلة . ثم أفاض في الثناء عليه . فكان ذلك سبب اختلافي إليه ، وأخذني عنه .

(٤) أبو الحسن السكري علي بن عيسى ، الشاعر الذي استفرغ شعره في مدح الصحابة ، والرد على الرافضة ، والنقض على شعرائهم . وقد صحب الباقلاني ؛ ودرس عليه الكلام ؛ ومدحه بقصيدة طويلة ، أوردها الخطيب

البغدادى فى تاريخ بغداد ٥ / ٣٨١ - ٣٨٢ ، وابن عاكر فى تبين كذب  
المفتى ص ٢٢٤ - ٢٢٦ . وهى من أشعار العلماء ؛ وفيها يقول :

اليعزبى فصاحةً وبلاغةً والأشعرى إذا أعتزى للذهب  
قاض إذا التبس القضاء على الحجب كشفت له الآراء كل مغيب  
وإذا الكلام تطاردت فرسانه وتحامت الأقران كل مجرب  
أفئته من لبه وجنانه ولسانه وبيانه فى مقف

(٥) أبو الحسن الحربى على بن محمد المالكى (٣٥٦ - ٤٣٧) .

(٦) القاضى أبو جعفر محمد بن أحمد السمنانى ، الحنفى (٣٦١ - ٤٤٤) .

(٧) أبو الحسن البغدادى رافع بن نصر ، المتوفى سنة ٤٤٧ .

(٨) أبو طاهر الواعظ محمد بن على ، المعروف بابن الأنبارى (٣٧٥ -

٤٤٨) .

(٩) أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي ، المتوفى غربياً بالقيروان .

وهو أحد الذين رووا عن الباقلانى وصفه لمناظراته فى مجلس ملك الروم . وقد

جاء فى تبين كذب المفتى ص ٢١٦ : أن أبا الحسن بن داود الأشعرى ،

المتوفى سنة ٤٠٢ « لما كان يصلى فى جامع دمشق ، تكلم فيه بعض الحشوية ؛

فكتب إلى القاضى أبى بكر محمد بن الطيب ابن الباقلانى يعرفه ذلك ،

ويسأله أن يرسل إلى دمشق من أصحابه من يوضح لهم الحق بالحجة .

فبعث القاضى تلميذه أبا عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي ؛ فعقد مجلس التذكير

فى جامع دمشق ، فى حلقة أبى الحسن بن داود ؛ وذكر التوحيد ، ونزه المعبود ،

ونفى عنه التشبيه والتحديد . فخرج أهل دمشق من مجلسه يقولون : أحد أحد .

وأقام أبو عبد الله الأزدي بدمشق مدة ، ثم توجه الى المغرب ، فنشر العلم بتلك

الناحية ، واستوطن القيروان إلى أن مات بهارحه الله . »

وإليه وإلى أبي طاهر الواعظ ، يرجع الفضل في انتشار مذهب الباقلاني في المغرب .  
(١٠) أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين الصوفي ( ٣٣٠ - ٤١٢ ) .  
وقد أخذ عن الباقلاني أثناء إقامته مع عضد الدولة بشيراز ، وقرأ عليه كتاب  
« اللمع » لأبي الحسن الأشعري .

(١١) القاضي أبو محمد بن أبي نصر . قال القاضي عياض : « وتفقّه عند القاضي  
أبو محمد بن [أبي] نصر ؛ وعلّق عنه ، وحكى في كتبه ما شاهد من مناظراته في الفقه  
— بين يدي ولي العهد ببغداد — للمخالفين » .

(١٢) أبو حاتم محمود بن الحسن الطبري ، المعروف بالقزويني ؛ المتوفى  
بمدينة « آمل » التي ولد فيها ؛ وكان قد قدم بغداد ، ودرس على الباقلاني  
أصول الفقه .

(١٣) القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني ، المعروف بابن اللبان .  
وقد صحب الباقلاني ودرس عليه كتاب : « المقدمات في أصول الديانات »  
وكتاب : « أصول الفقه » .

(١٤) أبو بكر محمد بن الحسين الإسكافي . وهو الذي روى عن  
الباقلاني ، خبر رحلة ابن خفيف الصوفي من شيراز إلى البصرة ، لسماع أبي الحسن  
الأشعري ؛ كما في تبين كذب المفتري ص ٩٥ .

(١٥) أبو علي الحسن بن شاذان ( ٣٣٩ - ٤٢٦ ) .

(١٦) أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي ( ٣٥٥ - ٤٣٥ ) .

(١٧) أبو الفضل عبيد الله بن أحمد المقرئ ( ٣٧٠ - ٤٥١ ) .

وقد تتلمذ له جماعة كثيرة غير هؤلاء ، وكان أكثرهم من العراق وخراسان .

\* \* \*

أما التأليف ، فقد أسهم فيه الباقلاني بنصيب موفور . وكان من عادته أنه  
إذا صلى العشاء ، وقضى وِرْدَه ، وضع دواته بين يديه ، وكتب خمساً

وثلاثين ورقة ؛ فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنّفه ليلته ، وأمره بقراءته عليه ؛ وأملى عليه من الزيادات ما يلوح له فيه .

وقد تسنى له أن يؤلف نيفاً وخمسين كتاباً ؛ لم يصل إلينا منها إلا عدد يسير . ونحن نشير إلى ما عرفناه منها ، وما علمناه من حديثها ، فيما يلي :

( ١ ) كتاب : « إعجاز القرآن » ، ويأتى الحديث عنه فيما بعد .

( ٢ ) كتاب : « التمهيد » . وقد ألفه — أثناء مقامه بشيراز — للأمير

أبى كاليجار المرزبان ؛ ابن عضد الدولة ، وولى عهده . وهو من أهم الكتب الكلامية ، التى تعلق بها أهل السنة تعلقاً شديداً ؛ لأنه أجمع كتاب يبيّنهم بمسائل الخلاف بينهم وبين مخالفيهم فى الرأى والعقيدة ؛ ويرشدهم إلى أقوى الأدلة الجدلية ، وأحكم البراهين العقلية ؛ التى تعضد مذهبهم ، وتظهر مناعته ورجاحته على المذاهب الأخرى ، إسلامية كانت أو غير إسلامية .

وخير ما يعرف بهذا الكتاب ويدل على قيمته ، قول مؤلفه فى مقدمته :  
« أما بعد ؛ فقد عرفت إيثار سيدنا الأمير . . . . . لعمل كتاب جامع مختصر ، مشتمل على ما يحتاج إليه فى الكشف عن معنى العلم وأقسامه ، وطرقه ومراتبه ؛ وضروب المعلومات ، وحقائق الموجودات ؛ وذكر الأدلة على حدّث العالم ، وإثبات محدّثه ، وأنه مخالف لخلقه ؛ وعلى ما يجب كونه عليه ، من واحدانيته ، وكونه حياً علماً قادراً فى أزله ؛ وما جرى مجرى ذلك من صفات ذاته ، وأنه عادل حكيم فيما أنشأه من مخترعاته ؛ من غير حاجة منه إليها ، ولا مُحَرِّك وداعٍ وخاطر ، وعِلَلٍ دعت به إلى إيجادها ؛ تعالى عن ذلك . وجواز إرساله رسلاً إلى خلقه ، وسفراء بينه وبين عباده ؛ وأنه قد فعل ذلك ، وقطع العذر فى الإيجاب تصديقهم ؛ بما أبانهم به من الآيات ؛ ودل به على صدقهم من المعجزات . وجل من الكلام على سائر أهل الملل المخالفين لملة الإسلام ، من

اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وأهل الثنية ، وأصحاب الطبائع ، والمنجمين .  
 ونعقب ذلك بذكر أبواب الخلاف بين أهل الحق ، وأهل التجسيم والتشبيه ،  
 وأهل القدر والاعتزال ، والرافضة ، والخوارج ؛ وذكر جل من مناقب  
 الصحابة ، وفضائل الأئمة الأربعة ؛ وإثبات إمامتهم ، ووجه التأويل فيما شجر  
 بينهم ، ووجوب موالاتهم . ولن آلو جهداً فيما يميل إليه سيدنا الأمير — حرس  
 الله مهجته ، وأعلى كعبه — من الاختصار ، وتحجير المعاني والأدلة والألفاظ ؛  
 وسلوك طريق العون على تأمل ما أودعه هذا الكتاب ، وإزالة الشكوك فيه  
 والارتياب . وأنا — بحول الله وقوته — أسارع إلى امتثال ما رسمه ، وأقف  
 عنده ؛ وإلى الله — جل ذكره — أرغب في حسن التوفيق ، والإمداد بالتأييد  
 والتسديد . »

وقد أشار الباقلانى إلى « التمهيد » ، في كتاب « هداية المسترشدين » ؛  
 حيث يقول : « وقد تكلمنا في « التمهيد » بحمل على اليهود والنصارى والمجوس ؛  
 نغنى الناظر فيها » . كما أشار إليه أبو المظفر الإسفرائىنى في « التبصير » ص ١١٩ ،  
 وابن قيم الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعلقة  
 والجمية » ص ١١٩ ، ١٢٠ .

وقد طبع كتاب « التمهيد » في سنة ١٣٦٦ هـ بتحقيق الأستاذين  
 محمود محمد الخضيرى ، ومحمد عبد الهادى أبوريدة . وقد تسرعا في نشره عن  
 نسخة واحدة في مكتبة باريس ؛ وهى نسخة تنقص فصولا كثيرة من الكتاب ،  
 يزيد عددها على عشرين باباً ؛ كبابى « التعديل والتجوير » ، و « القول في  
 الإمامة » اللذين نص الباقلانى على أنه قد عقدهما في كتابه ! فهو يقول في  
 ص ٩٧ : « وسنتكلم على هذا الباب وما يتصل به ، في باب التعديل والتجوير  
 من كتابنا هذا ؛ إن شاء الله » ؛ ويقول في ص ١٤٠ : « وسنقول في تفصيل



الأخبار . . . وغير ذلك من أحكام الأخبار؛ في باب القول في الإمامة ؛  
إن شاء الله » .

( ٣ ) كتاب : « هداية المسترشدين ، والمقنع في معرفة أصول الدين » . يقول  
القاضي عياض عنه : إنه كتاب كبير . ويشير إليه أبو المظفر الإسفراني ، في  
« التبصير » ص ١١٩ ؛ وابن تيمية في « رسالة الفرقان بين الحق والباطل » ص  
١٣٠ ، وفي الرسالة التسمينية من فتاويه ٢٤١/٥ .

وقد بقي من هذا الكتاب مجلد ، في مكتبة الأزهر ، يحتوي على ٢٤٨ ورقة ؛  
كتبه محمد بن عبد الله العدوي بمدينة صور في سنة ٤٥٩ . ولكن يد البلي  
قد عاثت فيه ، وأتلفت كثيراً من أوراقه ، وقد تركز إفسادها في أوراق متتالية  
( ٨٦ - ١٠٥ ) فخرقت أوساطها ، وجعلتها في حكم الأوراق المفقودة .  
ويشتمل هذا المجلد على أحد عشر جزءاً من تجزئة المؤلف ، تبتدىء بأول الجزء  
السادس ، وتنتهى بانهاء الجزء السابع عشر . وهذه الأجزاء كلها مقصورة على  
القول في النبوت . وأهم ما فيها وأروعها ، تلك الأبحاث الجليلة الطويلة ، التي أدار  
الباقلائي الكلام فيها على « إعجاز القرآن » وملاً بها ستاً وخسين ومائة ورقة  
( ٦١ - ٢١٧ ) ؛ وهي أكبر حجماً من كتاب « إعجاز القرآن » ، وأغزر  
مادة ، وأكثر تفصيلاً ، وأعمق بحثاً ، وأدق بياناً .

وكنيت على نية إفرادها ونشرها مستقلة ؛ لولا أن بعض أصدقائي المغاربة  
أشار على بالتريث حتى يحضر لي صورة من نسخة ناقصة ، قال : إنه رآها في  
بعض المكاتب هناك . فامتثلت لإشارته ، رجاء أن يكون في تلك النسخة  
ما يصلح مواطن الفساد في نسخة الأزهر .

( ٤ ) كتاب : « الانتصار لصحة نقل القرآن ، والرد على من نحله الفساد  
بزيادة أو نقصان » . وقد قال في مقدمته : « أما بعد فقد وقتت — تولى الله

عصمتكم ، وأحسن هدايتكم وتوفيقكم — على ما ذكرتموه من شدة حاجتكم إلى الكلام في نقل القرآن ، وإقامة البرهان على استفاضة أمره ، وإحاطة السلف بعلمه ، وانقطاع العذر في نقله ، وقيام الحجة على الخلق به ، وإبطال ما يدعيه أهل الضلال من تحريفه وتغييره ، ودخول الخلل فيه ، وذهاب شيء كثير منه ، وزيادة أمور فيه . وما يدعيه أهل الإلحاد وشيعتهم من منتحلي الإسلام — من تناقض كثير منه ، وخلو بعضه من الفائدة ، وكونه غير متناسب . وما ذكروه من فساد النظم ، ودخول اللحن فيه ، وركاكة التكرار ، وقلة البيان ، وتأخر المقدم ، وتقديم المؤخر ؛ إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم . وذكر جهل مما روى من الحروف الزائدة ، والقراءات المخالفة لمصحف الجماعة ، والإبانة عن وهاء نقل ذلك وضعفه ، وأن الحجة لم تقم بشيء منه . وعرفت ما وصفتموه من كثرة استضرار الضعفاء بتمويههم ، وعظم موقع الاستبصار والاتقاع بنقض شبههم . ونحن بحول الله وعونه نأتى في ذلك بجمل تزيل الريب والشبهة ، وتوقف على الواضحة .

ونبدأ بالكلام في نقل القراءات ، وقيام الحجة به ، ووصف توفرهم الأمة على نقله وحياطته ؛ ثم نذكر ابتداء أبي بكر ، رضى الله عنه ، لجمعه على ما أنزل عليه ، بعد تفرقة في المواضع التي كتب فيها ، وفي صدور خلق حفظوا جميعه ، وخلق لم يحيطوا بحفظ جميعه ، واتباع عمر رضى الله عنه والجماعة له على ذلك ، وصوابه فيما صنعه ، وسبقه إلى الفضيلة به ، والسبب الموجب لذلك .

ثم نذكر جمع عثمان رضى الله عنه — الناس على مصحف واحد ، وحرف زيد بن ثابت ، ونبين أنه لم يقصد في ذلك قصد أبي بكر في جمع القرآن في صحيفة واحدة على ترتيب ما أوحى به ؛ إذ كان ذلك أمراً قد استقر وفرغ منه قبل أيامه . ونبين صواب عثمان رضى الله عنه في جمع الناس على حرف ، وحظره ومنعه لما عده من القراءات ، وأن الواجب على كافة الناس اتباعه ، وحرام عليهم

بعدُ قراءةُ القرآن بالأحرف والقراءات التي حظرها عثمان ومنع منها، وأن له أخذ المصاحف المخالفة لمصحفه ، ومطالبة الناس بها ، ومنعهم من نشرها والنظر فيها . ونذكر ما يتعلق به من ادعاء نقصان القرآن ، وتغيير نظمه وتحريفه — من الروايات الشاذة الباطلة ، عن عمر وعثمان وعلي وأبيّ وعبد الله بن مسعود، وما يرويه قوم من الرافضة في ذلك عن أهل البيت خاصة . ونكشف عن تكذيب هذه الروايات . ونبين أيضاً ماخالف فيه عبدُ الله بن مسعود عثمان والجماعة ، وهل كان ذلك على جهة الحيلة ، ونسبته إياهم إلى زيادة فيه أو نقصان منه ، أو تغيير لنظمه وما أنزل عليه ؟ أو التصويب لما فعلوه ، وإن استجاز مع ذلك قراءته والتمسك بحرفه . ونذكر ما شجر بينه وبين عثمان رضى الله عنه ، ونصف رجوعه إلى مذهب الجماعة ، وخنوعه لعثمان ، وقدر ما نقمه من أمر زيد ثابت وعيب عليه وعلى الجماعة لأجله . ثم نبين أن القرآن معجزة للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ودلالة على صدقه ، وشاهد لنبوته . ثم نبين أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ ، ونوضح ما هذه السبعة أحرف ، والروايات الواردة فيها ، وجنس اختلافها ، ونذكر خلاف الناس في تأويلها ، ونفسد من ذلك ما ليس بصواب ، وندل على صحة ما نرغب فيه ونجتيه ، ونذكر حال قراءة القراء : وهل قراءتهم هي السبعة الأحرف التي أنزل القرآن بها ، أو بعضها ؟ وهل هم بأسرهم متبعون لمصحف عثمان وحرف زيد ، أو مختلفون في ذلك وقارؤون أو بعضهم بغير قراءة الجماعة ؟ ونصف جملاً من مطاعن الملحدين وأتباعهم من الرافضة في كتاب الله عز وجل . ونكشف عن تمويه الفريقين بما يوضح الحق . ونذكر في كل فصل من هذه الفصول بمشيئة الله وتوفيقه — ما فيه بلاغ للمهتدين ، وشفاء وتبصرة للمسترشدين ، توحيًا لطاعة الله جل وعز ، ورغبةً في جزيل ثوابه . وما توفيقنا إلا بالله ، وهو المستعان .

وقد ذكره في « هداية المسترشدين » ؛ حيث يقول ( ورقة ١٤١ - ١ ) :  
« وقد ذكرنا في كتاب « الانتصار لصحة نقل القرآن » جميع مطاعن الملحدة  
وكل من خالف عن الملة - على القرآن ؛ وكشفنا عن فساد توهمهم وتمويههم ،  
ودعواهم لتناقض آيات منه واختلافها ؛ وما طعنوا به من كثرة التكرار ؛  
وما قالوه : من أنه قد ذكر فيه أشياء لا يعرفها أهل اللغة ؛ من نحو قوله :  
﴿ وفاكهة وأباً ﴾ . وقولهم : إن فيه ما ليس من لغة العرب . وقولهم : إن  
فيه كلمات ملحونة لا تجوز في الإعراب . وأبطلنا أيضاً قدهم فيه بكونه  
مثبتاً على غير تاريخ نزوله ، وأنه قد قَدَّم منه ما يجب تأخيرهُ ، وآخر  
ما يجب تقديمهُ . وأفسدنا أيضاً قدهم فيه بإنزال بعضه متشابهاً ، مع  
الإخبار بإلحاد قوم فيه واتباع المتشابه منه . وأبطلنا أيضاً قول من قال : إن  
فيه تحريفاً وتغييراً وتبديلاً ، وزيادة وتقصاناً ؛ وإنما أثبتته السلف بأخبار  
الآحاد ، وشهادة الاثنين ، ومن جرى مجراها ؛ وإن الدَّاجن والغم آكلا كثيراً  
منه فضاع وذر . وأبطلنا أيضاً قول من قال : إنه ليس فيه ما يدل على شيء  
بظاهره ؛ وإن علم ذلك يجب أخذه عن الرسول والإمام ، ولا يسوغ أن يفسره  
سواهما ، وما تقوله الباطنية وتهذى به وتموه في هذا الباب . واعترضنا أيضاً على  
قول من زعم أن القرآن يجب الإيمان به ، والتسليم بصحته ؛ دون معرفة معناه  
وتأويله . وأبطلنا أيضاً طعنهم على القرآن باختلاف خطوط المصاحف ،  
واختلاف القراءات ، وذكر الشواذ . وبيننا ما ثبت من ذلك ، وما يجب إبطاله .  
وذكرنا قدهم فيه بما روى من قوله عليه السلام : « تلك الفرائق العلا ،  
وإن شفاعتهم لترتجى » . إلى غير ذلك من وجوه اعتراضاتهم على صحة القرآن .  
وأوردناه في ذلك الكتاب ، وطرفاً منه في « أصول الفقه » ؛ بما يغني يسيره  
الناظر فيه ، إن شاء الله » .

وتوجد نسخة من الجزء الأول من هذا الكتاب في مكتبة « قرا مصطفى باشا »  
بإستنبول .

وقد نقل منه ابن حزم في الفصل ٤ / ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ نقولاً  
رماه من أجلها بالكفر ، والكيد للدين ، وتكذيب الله ، وغير ذلك مما رماه به .  
كما نقل منه السيوطي في الإتيان ١ / ٤٨ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ،  
٤٢ / ٢ .

( ٥ ) كتاب : « الفرق بين معجزات النبيين ، وكرامات الصالحين » .  
ذكره في « هداية المسترشدين » مرتين ؛ قال في أولها : « وقد بينا في كتاب :  
الفرق بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين ؛ معنى وصف النبي أنه نبي ،  
وأن من الناس من قال : إنه مشتق ومأخوذ من الإنباء عن الأشياء ، والإخبار  
عن الله عز وجل » . ومن هذا الكتاب قسم في مكتبة « تينجن » بألمانيا .

( ٦ ) كتاب : « مناقب الأئمة ، ونقض المطاعن على سلف الأمة » . أشار  
إليه في « التمهيد » ص ٢٢٩ . وفي الخزانة الظاهرة بدمشق ، نسخة من الجزء  
الثاني ، كتب تحت عنوانها : « تأليف القاضي أبي بكر بن الطيب » . وقد علق  
على هذه العبارة الدكتور يوسف العش - في فهرس مخطوطات الظاهرية ص ٨٤ -  
بقوله : « ولا شك أنه أحمد بن علي الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ » . وقد أخطأ  
الدكتور في اسم الباقلاني واسم أبيه ؛ فهو : « محمد بن الطيب » ؛ لا  
« أحمد بن علي » .

( ٧ ) كتاب : « إكفار المتأولين » . أشار إليه في كتاب التمهيد في باب ذكر  
ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته ؛ ص ١٨٦ ؛ حيث يقول : « وقد  
ذكرنا ما في هذا الباب ، في كتاب إكفار المتأولين ؛ وذكرنا ما روى  
في معارضتها ؛ وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه » .

(٨) كتاب : « الإمامة الكبيرة » . وقد أشار إليه في « هداية المسترشدين » ، في آخر حديثه عن آية أنشقاق القمر؛ إذ يقول : « وقد نقصينا القول في ذلك - في كتاب الإمامة - بما يغني متأمله » . وقد ذكره ابن حزم في الفصل ٤ / ٢٢٥ ، ونقل منه في ص ١٦٦ .

(٩) كتاب : « الأصول الكبير في الفقه » . أشار إليه أبو المظفر الإسفرائيني في كتاب التبصير ص ١١٩ ؛ وقال : إنه يشتمل على عشرة آلاف ورقة . وذكره الباقلاني في كتابي : « التمهيد » و « هداية المسترشدين » .

(١٠) كتاب : « كيفية الاستشهاد » ، في الرد على أهل الجحد والعناد . أشار إليه في كتاب « التمهيد » ص ٤٠ .

(١١) كتاب : « نقض النقض » . ذكره أبو المظفر الإسفرائيني في

التبصير ص ١١٩ .

(١٢) كتاب : « كشف الأسرار ، وهتك الأستار ؛ في الرد على الباطنية » . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١ / ٣٤٦ ؛ فقال : « وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء ؛ وسماه كشف الأسرار ، وهتك الأستار ؛ بين فيه فضائحهم وقبائحهم ، ووضح أمرهم لكل أحد ... وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض » .

وقد نقل منه ابن تَغْرِي بَرْدِي في النجوم الزاهرة ٤ / ٧٥ ؛ في كلامه عن نسب المعزّ وآبائه ؛ فقال : « وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني : القداح ، جد عبيد الله ، كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله المغرب ، وادعى أنه علوي ؛ ولم يعرفه أحد من علماء النسب ؛ وكان باطنياً خبيثاً ، حريصاً على إزالة ملة الإسلام ؛ أعدم الفقه والعلم ، ليتمكن من إغراء الخلق ؛ وجاء أولاده أسلو به ، وأباحوا الخمر

والفروج ؛ وأشاعوا الرفض ، و بشوا دعاة فأفسدوا عقائد جبال الشام ، كالنصيرية والدروزية . وكان القداح كاذباً محترقاً ؛ وهو أصل دعاة القرامطة .

وقد أشار إلى هذا الكتاب السيوطي ، في حسن المحاضرة ٢ / ٢٨ ؛ والسبكي في طبقات الشافعية ٤ / ١٩٢ ؛ أثناء ترجمته لنجم الدين الخبوشاني ، المتوفى سنة ٥٨٧ ؛ والذي كان على يده خراب بيت العبيدين الرافضة ، الذين يزعمون أنهم فاطميون .

(١٣) كتاب : « الإيجاز » . ذكره أبو عذبة في كتاب « الروضة البهية ، فيما بين الأشاعرة والماتريدية » ؛ ثلاث مرات ، قال في أولها ص ١٨ : إن القاضي أبا بكر ذكر في كتاب الإيجاز أن المحبة والإرادة ، والمشيئة والإشادة ، والرضى والاختيار ؛ كلها بمعنى واحد ؛ كما أن العلم والمعرفة شيء واحد . وقال في الثانية ص ٣٥ : إنه يقول في هذا الكتاب : إن أحكام الدين على ثلاثة أضرب : ضرب لا يعلم إلا بالدليل العقلي ؛ كحدوث العالم وإثبات محدثه ؛ وما هو عليه من صفاته المتوقف عليها الفعل ، كقدرته تعالى وإرادته ، وعلمه وحياته ، ونبوة رسله . وضرب لا يعلم إلا من جهة الشرع ؛ وهو الأحكام المشروعة ، من الواجب والحرام والمباح . وضرب يصح أن يعلم تارة بدليل العقل ، وتارة بالسمع ؛ نحو الصفات التي لا تتوقف على العقل ، كالسمع له تعالى والبصر والكلام ، والعلم بجواز رؤيته تعالى ، وجواز القرآن للمذنبين ، وما أشبه ذلك . وقال في الثالثة ص ٥٨ : إن القاضي أبا بكر ذكر في كتاب الإيجاز أن نبينا صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يؤديه عن الله تعالى ؛ وكذا سائر الأنبياء ؛ وأن الصغيرة تجوز على الأنبياء بعد الوحي مطلقاً ؛ لا على سبيل السهو وحده .

(١٤) كتاب : « الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة » . وقد نقل منه ابن تيمية : في « رسالة الفتوى المحوية الكبرى » ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ وابن قيم

الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية، على غزو المعطلة والجهمية » ص ١٢٠ .  
(١٥) كتاب : « دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل  
ومنتحلي الإسلام » . ذكره في « هداية المسترشدين » . وأشار إليه ابن تيمية ، في  
كتاب « بيان موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول » ١ / ٨٨ ؛ أثناء كلامه على  
كثرة الاختلاف بين طوائف الفلاسفة ؛ إذ يقول : « واعتبر هذا بما ذكره أرباب  
المقالات عنهم في العلوم الرياضية والطبيعية ؛ كما نقله الأشعري في كتابه :  
في مقالات غير الإسلاميين ؛ وما ذكره القاضي أبو بكر عنهم ، في كتابه في الدقائق .  
فإن في ذلك من الخلاف عنهم — أضعاف أضعاف ما ذكره الشهرستاني  
وأمثاله ممن يحكى مقالاتهم » . وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١١ / ٣٥٠  
أن للباقلاني كتاباً اسمه : « دقائق الحقائق » . ولا أدري أهو اسم لهذا الكتاب  
أم اسم لكتاب آخر ؟

(١٦) كتاب : « رسالة الحرّة » . ومبلغ علم الباحثين عنه أنه من كتب  
الباقلاني المفقودة ، التي لا يعرفون موضوعها ، ولا يفقهون معنى تسميتها . ومن  
أعجب العجب أن الكتاب موجود بين أيديهم ، مطبوع يقرءون فيه ! لكنه  
يحمل اسماً آخر لم يضعه له الباقلاني ؛ وهو : « الإنصاف » ، الذي طبع بالقاهرة  
في سنة ١٣٦٩ ؛ بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري .

وإني لأقطع بأن كتاب « الإنصاف » هذا ، إنما هو في حقيقة الأمر كتاب  
« رسالة الحرّة » ؛ وأن ذلك الاسم الذي طبع به ، اسم دخيل عليه ، قد وضع على  
نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

والذي دفعني إلى ذلك القطع ، قول الباقلاني في أول مقدمته : « أما بعد ؛  
فقد وقفت على ما التمسته « الحرّة » الفاضلة الدنيّة — أحسن الله توفيقها — لما  
تتوخاه من طلب الحق ونصرتة ، وتنكبّ الباطل وتجنبه ؛ واعتماد القرية



باعتقاد المفروض في أحكام الدين ، واتباع السلف الصالح من المؤمنين ؛ من ذكر  
جمل ما يجب على المكلفين اعتقاده ، ولا يسع الجهل به ؛ وما إذا تدبّر به المرء  
صار إلى التزام الحق المفروض ، والسلامة من البدع والباطل المرفوض . وإني  
— بحول الله تعالى وعونه ، ومشيتته وطوّله — أذكر « لها » جملاً مختصرة ، تأتي  
على البغية من ذلك ؛ ويستغنى بالوقوف عليها عن الطلب ، واشتغال الهمة بما سواه .  
ف نقول وبالله التوفيق : إن الواجب على المكلف ... » .

وقول الباقلاني هذا ، يدل دلالة قاطعة على أنه يقدم لرسالة الحرّة ، لا لكتاب  
الإنصاف . ولست أدري كيف مرّ محقق الكتاب على هذا الكلام ، دون أن  
يتنبه لدلالته الناطقة باسمه ؛ مع علمه بأن القاضى عياضاً قد ذكر « رسالة الحرّة »  
ضمن مؤلفات الباقلاني ، ولم يذكر « الإنصاف » . !! .

ولست أدري كيف فاته مع ذلك أن يتنبه إلى النصين الدخيلين على كلام  
الباقلاني في هذا الكتاب — في ص ٥٨ ، ٦٤ — والمصدرين بقول كاتبهما :  
« قال الشيخ الأجل الإمام جمال الإسلام : ووقع لي أنا دليل ... » . و « قال  
الشریف الأجل جمال الإسلام : ووقع لي جواب أخصر من هذا وأجود ... » . !؟  
ولا مرأى في أن هذين النصين من تعليق بعض قراء النسخة على هامشها ؛  
فأدخلهما ناسخها أو طابعها في صلب الكتاب .

وقد نقل ابن حزم — في الفصل ٢١٦/٤ — قولاً زعم أن الأشاعرة قالوه  
في كتبهم ؛ وهو : « أن الروح تنتقل عند خروجها من الجسم إلى جسم آخر » ؛  
وعقب عليه بقوله : « هكذا نص الباقلاني في أحد كتبه ؛ وأظنه الرسالة ،  
المعروفة بالحرّة . وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة » . ولقد كذب على ابن حزم  
ظنه ، فليس في رسالة الحرّة ما يشير إلى هذا القول المزعوم من قريب أو بعيد ،  
ولم يرد في رسالة الحرّة — من حديث الروح — إلا قوله ص ٤٥ : « ويجب

أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، وردّ الروح إلى الميت عند السؤال ، ونصب الصراط والميزان ، والحوض ، والشفاعة للعصاة من المؤمنين—: كل ذلك حق وصدق، يجب الإيمان والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل .

ولقد نقل ابن قيم الجوزية في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية ، على غزو المعطلة والجهمية » أقوالاً من كتب الباقلاني في صفات الله ؛ ختمها بقوله ص ١٢٠ : « ذكر قوله في رسالة الحرّة . قال في كلام ذكره في الصفات : إن له وجهاً ويدين ، وإنه ينزل إلى سماء الدنيا . ثم قال : وإنه استوى على عرشه ، فاستولى على خلقه . ففرق بين الاستواء الخاص ، والاستيلاء العام » .

وما أشار إليه ابن قيم الجوزية من قول الباقلاني في الوجه واليدين ، والاستواء على العرش المذكور في رسالة الحرّة المسماة بالإنصاف ؛ ص ٢١ ، ٢٢ . ونص عبارته في ذلك : « ... وأخبر الله أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضى الماضيات ... واليدين اللتين نطق بإثباتهما القرآن ... وأنهما ليستا جارحتين ، ولا ذوى صورة وهيئة . وأن الله جل ثناؤه مستوعب العرش ، ومستول على جميع خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ... بغير مماسة وكيفية ، ولا مجاورة ؛ وأنه في السماء إله وفي الأرض إله ، كما أخبر بذلك » . وهذا دليل آخر يؤيد ما ذهب إليه من أن كتاب « الإنصاف » إنما هو رسالة الحرّة .

(١٧) كتاب : « التقريب والإرشاد » في أصول الفقه . قال القاضي عياض : إنه كتاب كبير . وذكره أبو المظفر الإسفراني في كتاب التبصير ص ١١٩ ؛ وأشار إليه السيوطي في الإنقان ١/٤٨ .

(١٨) كتاب : « التبصرة » . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٥٠ .

- (١٩) كتاب : « البيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام ، ووصف ما يلزم من جرت عليه الأقدام ، من معرفة الأحكام » .
- (٢٠) كتاب : « الحدود » في الرد على أبي طاهر محمد بن عبد الله بن القاسم .
- (٢١) كتاب : « تصرف العباد ، والفرق بين الخلق والاكتساب » .
- (٢٢) كتاب : « الرد على المعتزلة ، فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن » .
- (٢٣) كتاب : « الدماء التي جرت بين الصحابة » .
- (٢٤) كتاب : « المقدمات في أصول الديانات » .
- (٢٥) كتاب : « المقنع في أصول الفقه » .
- (٢٦) كتاب : « الأصول الصغير » .
- (٢٧) كتاب : « مسائل الأصول » .
- (٢٨) كتاب : « مختصر التقريب والإرشاد الصغير » .
- (٢٩) كتاب : « مختصر التقريب والإرشاد الأوسط » .
- (٣٠) كتاب : « المسائل التي سأل عنها ابن عبد المؤمن » .
- (٣١) كتاب : « رسالة الأمير » .
- (٣٢) كتاب : « المسائل القسطنطينية » .
- (٣٣) جواب أهل فلسطين .
- (٣٤) البغداديات .
- (٣٥) الأصبهانيات .
- (٣٦) النيسابوريات .
- (٣٧) الجرجانيات .
- (٣٨) كتاب : « الكرامات » .
- (٣٩) كتاب : « الأحكام والعلل » .

- (٤٠) كتاب : « إمامة بنى العباس » . ذكره القاضى عياض .
- (٤١) كتاب : « نقض النقض على الهمداني » . ذكره فى « هداية المسترشدين » .
- (٤٢) كتاب : « الإمامة الصغيرة » .
- (٤٣) كتاب : « التعديل والتجوير » .
- (٤٤) شرح اللمع لأبى الحسن الأشعرى .
- (٤٥) كتاب : « شرح أدب الجدل » .
- (٤٦) كتاب : « أمالى إجماع أهل المدينة » .
- (٤٧) كتاب : « فى أن المدوم ليس بشيء » .
- (٤٨) كتاب : « فضل الجهاد » .
- (٤٩) كتاب : « المسائل والمجالات المنشورة » .
- (٥٠) كتاب : « الرد على المتناسخين » .
- (٥١) نقض الفنون للجاحظ .
- (٥٢) كتاب : « الكسب » . ذكره أبو المظفر الإسفراني فى التبصير

ص ١١٩ .

(٥٣) كتاب : « فى الإيمان » أشار إليه ابن تيمية ، فى رسالته « الفرقان بين الحق والباطل » ؛ أثناء حديثه عن الإيمان ؛ حيث يقول ص ٤٣ : « وكلام الناس فى هذا الاسم ومسماه كثير ، وقد رأيت لابن الهيثم فيه مصنفاً فى : أنه قول اللسان فقط . ورأيت لابن الباقلانى فيه مصنفاً : أنه تصديق القلب فقط . وكلاهما فى عصر واحد ؛ وكلاهما يرد على المعتزلة والرافضة » .

(٥٤) كتاب : « النقض الكبير » . ومنه هذا النص الذى أورده إمام الحرمين فى الشامل : « قال أبو بكر الباقلانى فى النقض الكبير : من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء ؛ لا أول له : —

فقد خرج عن المعقول ، وجحد الضرورة ، وأنكر البديهة . فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء ، فقد اعترف بأوليته ؛ فإن ادعى أنه لا أول له ، فقد سقطت حاجته ، وتعين لحوقه بالسفسطة . وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتوابع في جحد الضروري ؟ ! » .

( ٥٥ ) كتاب : « الرد على الرافضة والمعتزلة ، والخوارج والجهمية » . ذكره الصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » ١٧٧/٣ .

#### آراء العلماء في البقلاني .

( ١ ) روى ابن عساكر في تبين كذب المفتري — عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة — : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة ، على رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها » ؛ ثم قال ص ٥٣ : « وسمعت الشيخ الإمام أبا الحسن علي بن المسلم — على كرسية بجامع دمشق — يقول وذكر حديث أبي علقمة هذا : « كان على رأس المائة الأولى : عمر بن عبد العزيز ؛ وكان على رأس المائة الثانية : محمد بن إدريس الشافعي ؛ وكان على رأس المائة الثالثة : الأشعري ؛ وكان على رأس المائة الرابعة : ابن البقلاني » .

( ٢ ) قال صاحب ابن عباد في وصفه ووصف زميله — : أبي بكر بن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ ، وأبي إسحاق الإسفرايني ، المتوفى سنة ٤١٨ — : وابن البقلاني بحر مغرق ، وابن فورك صلُّ مطرق ، والإسفرايني نار تحرق » . وقد علق ابن عساكر على هذا القول في تبين كذب المفتري ص ٢٤٤ — فقال : « وكأن روح القدس نفث في رُوعه ، حيث أخبر عن حال هؤلاء الثلاثة ، بما هو حقيقة الحال فيهم » .

( ٣ ) قال الخطيب البغدادي ٣٧٩/٥ : « كان البقلاني ثقة . وأما الكلام

فكان أعرف الناس به ، وأحسنهم خاطراً ، وأجودهم لساناً وأوضحهم بياناً ؛ وأصحهم عبارة » .

( ٤ ) قال القاضى عياض فى « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك » : « ومن أهل العراق والمشرق : أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد ، القاضى المعروف بابن الباقلانى ؛ الملقب بشيخ السنة ، ولسان الأمة ؛ المتكلم على مذهب المثبته وأهل الحديث ، وطريقة أبي الحسن الأشعرى . قال الخطيب ... وقال أبو الحسن بن جهضم الهمدانى : كان شيخ المالكيين فى وقته ، وعالم عصره المرجوع إليه فيما أشكل على غيره . قال غيره : وإليه انتهت رئاسة المالكيين فى وقته ؛ وكان حسن الفقه ، عظيم الجدل ؛ وكانت له ببغداد حلقة عظيمة ، وكان ينزل الكرخ . ذكر أبو عبد الله بن سعدون القتيه : أن سائر الفرق رضيت بالقاضى أبى بكر فى الحكم بين المتناظرين » .

( ٥ ) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء : « ابن الباقلانى الإمام العلامة ، وأوحد المتكلمين ، مقدّم الأصوليين ، صاحب التصانيف ، كان يضرب المثل بفهمه ... وكان بحق إماماً بارعاً ، صنف فى الرد على المعتزلة والرافضة ، والخواارج والجهمية والكرامية . وانتصر لطريقة أبى الحسن الأشعرى ، وقد يخالفه فى مضايق ؛ فإنه من نظرائه ، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه .... » .

( ٦ ) قال ابن العماد فى شذرات الذهب ٣ / ١٦٨ : « القاضى أبو بكر بن الباقلانى محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، البصرى ، المالكى الأصولى المتكلم ، صاحب المصنفات ، وأوحد وقته فى فنه ... وكانت له بجامع المنصور حلقة عظيمة ... وقال ابن الأهدل : سيف السنة القاضى أبو بكر بن الباقلانى الأصولى الأشعرى المالكى ، مجدد الدين على رأس المائة الرابعة ... » .

( ٧ ) قال ابن تيمية فى رسالة الفتوى المحوية الكبرى ص ٧٦ : « وقال

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي المتكلم ؛ وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده . قال في كتاب الإبانة .

( ٨ ) قال ابن خلكان ٣ / ٤٠٠ : « القاضي أبو بكر محمد بن الطيب

بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلائي ، البصري ، المتكلم المشهور ؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومؤيداً لاعتقاده ، وناصباً لطريقته . وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره ، وكان أواحد زمانه ، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ؛ وكان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ؛ وسمع الحديث . وكان كثير التطويل في المناظرة ، مشهوراً بذلك عند الجماعة » .

( ٩ ) قال الصفدي في الوافي بالوفيات ٣ / ١٧٧ : « أبو بكر الباقلائي

البصري ، صاحب التصانيف في علم الكلام . وكان ثقة عارفاً بالكلام ، صنف الرد على الرافضة والمعتزلة ، والخواارج والجممية .. جرى بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة ، فأكثر الباقلائي الكلام فيها ، ووسع العبارة ، وزاد في الإسهاب ؛ ثم التفت إلى الحاضرين ، وقال : اشهدوا عليّ أنه إن أعاد ما قلت لم أطلبه بالجواب ؛ فقال الهاروني : اشهدوا عليّ أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال » .

وذكره الصفدي أيضاً في ترجمة أبي الحسن المتكلم محمد بن شجاع المعتزلي ؛

حيث يقول ٣ / ١٤٧ : « حضر مجلس عضد الدولة ، وكلم أبا بكر الباقلائي الأشعري في مسألة كلامية ، فطول في بعض نوبه ؛ فلما أخذ أبو الحسن الكلام في نوبته ، قال له القاضي أبو بكر : قد أخلت بالجواب عن فصل ياشيخ . وأخذ الباقلائي الكلام على نوبته فزاد في الطول ؛ فقال له أبو الحسن : علاوتك أنقل من حملك . فضحك عضد الدولة من ذلك » .

(١٠) قال ابن عمار الميُورقي : « كان ابن الطيب مالكيًا فاضلاً متورِّعًا ، من لم تحفظ عليه زلة قط ، ولا نسبت إليه نقيصة . وكان يلقب بشيخ السنَّة ، ولسان الأُمة ؛ وكان فارس هذا العلم ، مباركًا على هذه الأُمة . وكان حصناً من حصون المسلمين ، وما سُرَّ أهل البدع بشيء كسرورهم بموته » .

(١١) قال أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن بَرّهان النحوي ، المتوفى سنة ٤٥٦ : « من سمع مناظرة القاضي أبي بكر ، لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمسترسلين ؛ ولا الأغاني أيضاً ؛ من طيب كلامه وفصاحته ، وحسن نظامه وإشارته » .

(١٢) قال أبو عمران القاسي ( ٣٦٨ — ٤٣٠ ) : « القاضي أبو بكر سيف أهل السنة في زمانه ، وإمام متكلم أهل الحق في وقتنا » ...

(١٣) قال أبو عبد الله الصيرفي : « كان صلاح القاضي أكثر من علمه ؛ وما نفع الله هذه الأُمة بكتبه ، وبشئافهم ؛ إلا بحسن نيته واحتسابه بذلك . وكان يدرس نهاره وأكثر ليله » .

(١٤) قال أبو حاتم الطبري محمود بن الحسن القزويني : « إن ما كان يضممه القاضي الإمام أبو بكر الأشعري رضي الله عنه ، من الورع والديانة ، والزهد والصَّيانة ، أضعاف ما كان يظهره ؛ فقليل له في ذلك ؟ فقال : إنما أظهر ما أظهره غيظًا لليهود والنصارى ، والمعتزلة والرافضة والمخالفين ؛ لثلاث يستحقروا علماء الحق والدين ، فأضمم ما أضممته ؛ فإني رأيت آدم — مع جلالته — نودى عليه بِذَوْقَةٍ ، وداود بنظرة ، ويوسف بهمة ، ومحمدًا بخطرَة ؛ عليهم السلام » .

(١٥) قال أبو الفرج محمد بن عمران الخلال : « وكان ورد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب ، في كل ليلة ، عشرين ترويجة ؛ ما يتركها في حضر ولا سفر » .



(١٦) قال أبو بكر الخوارزمي محمد بن العباس ، المتوفى سنة ٣٨٣ — :  
« كل مصنّف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه ؛ سوى القاضي  
أبي بكر ، فإن صدره يحوى علمه وعلم الناس » .

(١٧) قال أبو محمد الباقي : « لو أوصى رجل بثلث ماله أن يُدفع إلى أفصح  
الناس ، لوجب أن يُدفع لأبي بكر الأشعري » .

(١٨) قال علي بن محمد بن الحسن الحرّبي ، المالكي : « كان القاضي أبو بكر  
الأشعري ، يهيم بأن يختصر ما يصنّفه ، فلا يقدر على ذلك ؛ لسعة علمه ، وكثرة  
حفظه . وما صنّف أحد خلافاً إلا احتاج أن يُطالع كتب المخالفين ؛ غير القاضي  
أبي بكر ؛ فإن جميع ما كان يذكر خلاف الناس فيه ، صنّفه من حفظه » .

(١٩) روى الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد الدامغانى ؛ قال : لما قدّم  
القاضي الإمام أبو بكر الأشعري ببغداد ، دعاه الشيخ أبو الحسن التميمي الحنبلي  
( ٣٧١ ) إمام عصره في مذهبه ، وشيخ مصره في رهطه ؛ وحضر الشيخ  
أبو عبد الله بن مجاهد ( ٣٧٠ ) ، والشيخ أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون  
( ٣٨٧ ) ، وأبو الحسن الفقيه ، فجرت مسألة الاجتهاد — بين القاضي أبي بكر ،  
وبين أبي عبد الله بن مجاهد ، وتعلّق الكلام بينهما إلى أن انفجر عمود الصبح ،  
وظهر كلام القاضي عليه . وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه : تمسكوا  
بهذا الرجل ، فليس للسنة عنه غنى أبداً » .

(٢٠) أما أبو حامد الإسفرايني ( ٣٤٤ — ٤٠٦ ) فقد كان شديد  
الإنكار على أصحاب الكلام عامة ، وعلى الأشاعرة والباقلاني خاصة ؛ حتى إنهم  
رووا أن الباقلاني كان يخرج الى الحمام متبرقماً خوفاً منه . وقد نقل ابن تيمية في  
فتاويه ٥ / ٢٣٩ : أن أبا الحسن الكرخي قال في كتابه « الفصول في الأصول » :  
« وسمعت شيخني الإمام أبا منصور ، الفقيه الأصبهاني ، يقول : سمعت شيخنا

الإمام أبا بكر الزاذقاني ، يقول : كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرايني ، وكان ينهى أصحابه عن الكلام ، وعن الدخول على الباقلاني . فبلغه أن نفراً من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظن أني معهم ومنهم ؛ وذكر قصة قال في آخرها : إن الشيخ أبا حامد قال لي : يا بني ، بلغني أنك تدخل على هذا الرجل — يعني الباقلاني — فيأتاك وإياه ، فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة ، وإلا فلا تحضر مجلسي ، فقلت : أنا عائد بالله مما قيل ! وتائب إليه ! واشهدوا عليّ أني لا أدخل عليه ! » .

وأعجب مما سبق قوله أيضاً : « كان الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرايني — إمام الأئمة الذي طبّق الأرض علماً وأصحاباً — إذا سعى إلى الجمعة من قطعة الكرخ إلى جامع المنصور ، يدخل الرباط المعروف بالروزي المحاذي للجامع ، ويقبل على من حضر ويقول : اشهدوا عليّ بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما قاله أحمد بن حنبل ، لا كما يقوله الباقلاني ؛ وتكرّر ذلك منه في جمعات ؛ فقليل له في ذلك ؟ فقال : حتى ينتشر في الناس وفي أهل الصلاح ، ويشيع الخبر في البلاد : أني بريء مما هم عليه — يعني الأشاعرة — وبریء من مذهب أبي بكر الباقلاني ، فإن جماعة من المتفهمة الغرباء ، يدخلون على الباقلاني خفية فيقرءون عليه ، فيفتون بمذهبه ، فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظن ظان أنهم مني تعلموه وأنا قلته ، وأنا بريء من مذهب الباقلاني وعقيدته » .

هذا قول الإسفرايني في معاصره الباقلاني ، وهو قول سداه الإسراف والتجنى ، ولحمته الهوى والعصبية ، فما كان الباقلاني مبتدعاً يدعو الناس إلى الضلالة ، وما كان مذهبه فاسداً ، ولا عقيدته مدخولة ؛ بحيث يتبرأ منهما مسلم ولكن العصبية قاهرة غلبة ، والتعاصر مع التماثل في الصناعة مدرجة العداوة والبغضاء .

(٢١) ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب «الامتناع والمؤانسة» ١/١٤٣ أن الوزير أبا عبد الله العارض، سأله في الليلة الثامنة، وقال له: «فما تقول في ابن الباقلاني؟ قلت:

فما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا يزعم أنه ينصر السنة، ويفهم المعتزلة، وينشر الرواية، وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخُرَّمِيَّة، وطرائق الملحدة. قال: والله إن هذا لمن المصائب الكبار، والحقن الفلاظ، والأمراض التي ليس لها علاج». ولست أرتاب في أن أبا حيان قد جاء بالإفك، حين رمى الباقلاني بأنه كان على مذهب الخُرَّمِيَّة وطرائق الملحدة، ولو كان لذلك الاتهام نصيب من الصحة لجرَّد له قلمه الجبار، وذهب يبين عن مظاهره ومصادره، ويفيض في الطعن عليه، ولبادر إلى ثلبه والتشهير به، أعداؤه من شتى المذاهب والنحل التي نقض أقوالها، وأتى على معتقداتها من القواعد؛ ولتسابقوا إلى تأليب الناس عليه، وتحريض السلطان على إهدار دمه وصلبه، كما صلب بابك الخرمي. فإن الخرمية فرقة مبتدعة، لا يعدها أحد في زمرة المسلمين؛ لأنها تستحل كل محرم، وتذهب إلى شركة الناس جميعاً في الأموال والنساء، ويجتمع رجالها ونساؤها في ليال مخصوصة، يفتنونها في احتساء الخمر والرقص، ثم يطفئون كل سراج منير، وكل نار موقدة، ويعكف كل واحد منهم على المرأة التي اتفق جلوسها بجانبه! وهم يدينون بألوهية بابك الخرمي، ويدعون أنه كان لهم ملك في الجاهلية اسمه «شروين»، ينوحون على موتاهم باسمه، ويفضلونه على الأنبياء جميعاً.

ولست أدري كيف يكون الباقلاني على مذهب هؤلاء الخرمية، ويخفى أمره على أعدائه المتربصين به، وعلى أوليائه الملتفين حوله، ولا يظهر إلا لأبي

حيان وحده ! فينفرد بتسجيله عليه ؛ ثم لا ينقله عنه ناقل ، ولا ينبره به نابز !  
 إن في ذلك لآية على إفكه ، ودليلا على اختلاقه عليه ، وعداوته له .  
 ولعل من أسباب عداوة أبي حيان للباقلاني ، بغضه للكلام والمتكلمين ،  
 الذي أفصح عنه بقوله : « ولم أرتكلماً في مدة عمره بكى خشية ، أو دمعت عينه  
 خوفاً ، أو ألقع عن كبيرة رغبة ، يتناظرون مستهزئين ، ويتحاسدون متعصبين ،  
 ويتلاقون متخادعين ، ويصفون متحاملين ، جذّ الله عروقهم ، واستأصل  
 شأفتهم ، وأراح البلاد والعباد منهم ، فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفاتهم  
 على صفار الناس وكبارهم ، ودبّ داؤهم ، وعسر دواؤهم ؛ وأرجو ألا أخرج من  
 الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعضاً ، ومساكنه متجمعاً » .

وقد يكون أبو حيان مدفوعاً الى تلك العداوة بتأثير العداوة بين الباقلاني  
 وبين أستاذه أبي سليمان المنطقي من جهة ، وبينه وبين أبي حامد الإسفرايني من  
 جهة أخرى ، وكلاهما له في نفس أبي حيان منزلة سامية ، وإجلال بالغ .  
 ومهما يكن من أمر عداوة أبي حيان للباقلاني ، وأياً كان مبعثها ومآتاه ،  
 فلا مراء في أنه قد ظلمه ظلماً مبيّناً ؛ إذ نسبه إلى طائفة الخرمية ، وهو منها برى .  
 براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

( ٢٢ ) وثالثة الأثافي التي رمى بها الباقلاني ، تلك الأقوال المنكرة التي  
 قالها عنه ابن حزم الظاهري ( ٣٨٤ — ٤٥٦ ) في كتاب « الفصل في الملل  
 والأهواء والنحل » فهو عنده : « كافر أصلع الكفر ، مشرك يقدح في النبوات ،  
 ملحد خبيث المذهب ملعون ، يلحد في أسماء الله ، ويخالف القرآن ويكذب الله ؛  
 نذل يوجب الشك في الله وفي صحة النبوة ؛ مظلم الجهالة ، من أهل الضلالة ، تمرور  
 فاسق ؛ أحمق ؛ يكيّد للإسلام ويستخف به ، قد صدق فيه قول القائل :

شهدت بأن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقلاني أهزل

وما الجمل الملعون في ذاك دونه وكلهم في الإفك والكفر منزل .  
هذه بعض أقوال ابن حزم في الباقلاني ، نقلتها بألفاظها كما أثبتتها في مواضع  
مختلفة من كتابه .

ولو صدق بعض هذه الأقوال عليه لوجب على المسلمين البراءة منه ، ونبذ  
كتبه ، وعدّه في طليعة أعداء الإسلام ؛ فكيف إذا صدقت كلها ؟ !  
ويحذر بنا — قبل أن نعرض للحكم عليها — أن نتبين : هل كان ابن حزم  
نزيفاً في حكمه ، منصفاً في قوله ، أميناً في نقله ؛ سليم الصدر من دواعي الهوى  
والعصية ؟ أم كان غير ذلك ؟

وما يدعو إلى الدهشة والعجب حقاً ، ويملاً النفس بالأسف الممض ، أن يكون  
ابن حزم عريباً عن ذلك كله ، متكبّكاً سبيل العلم والأخلاق والدين في حديثه عن  
الباقلاني ؛ لأنه أشعري ، وهو ظاهري يبغض الأشاعرة جميعاً ، ويصفهم بنجس  
المقالة وفساد الدين واستسهال الكذب على الله جباراً ، وعلى رسوله بلا رهبة ؛  
ويقول عنهم : « والحمد لله الذي لم يجعلنا من أهل هذه الصفة المرذولة ، ولا من  
هذه العصاة المخذولة » ، ويحمد الله على ضعفهم في عصره ، فيقول : « وأما  
الأشاعرة فكانوا ببغداد والبصرة ؛ ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان  
وبالأندلس ؛ ثم رق أمرهم ، والحمد لله رب العالمين » .

وهو ينسب إليهم أقوالاً لم يقولوها ، ومذاهب لم يذهبوا إليها ؛ ثم يندفع  
في تكفيرهم ، وكيل الشتائم لهم ، كما صنع في باب الرد على من زعم أن الأنبياء  
والرسل ليسوا اليوم أنبياء ولا رسلاً ؛ حيث يقول ١ / ٨٨ : « حديث فرقة  
مبتدعة ، تزعم أن محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليس هو الآن رسول  
الله ، ولكنه كان رسول الله . وهذا قول ذهب إليه الأشعرية . وهذه مقالة  
خبيثة ، مخالفة لله تعالى ورسوله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام منذ كان الإسلام

إلى يوم القيامة . . . ونعوذ بالله من هذا القول ، فإنه كفر صراح لا ترداد فيه ؛ ثم اندفع في إبطال هذا القول في شدة وعنف ؛ ونسى أو تناسى أن هذا القول لم يقل به أحد من الأشاعرة ؛ وإنما نسب إليه بعض الكرامية ؛ واشتد تكريمهم على من نسب إليه ، وبنوا أنه مختلق على إمامهم الأجل أبي الحسن الأشعري . وفي ذلك يقول أبو القاسم القشيري ( ٣٧٦ - ٤٧٥ ) في كتابه « شكاية أهل السنة » - : « فأما ما حكى عنه وعن أصحابه أنهم يقولون : إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، ليس بنبي في قبره ، ولا رسول بعد موته ؛ فهتان عظيم ، وكذب محض ، لم ينطق به أحد منهم ، ولا سمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم ، ولا وجد ذلك في كتاب لهم . . . » .

وليس أدل على كذب هذا القول على الأشاعرة ، من قول الباقلاني عنه - في كتاب رسالة الحرة المسمى بالإنصاف ص ٥٥ - : « ويجب أن يعلم أن نبوات الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة ؛ بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا لحكمهم في حالة نومهم ، وحالة اشتغالهم إما بأكل وشرب ، أو قضاء وطر . والدليل عليه : أن حقيقة النبوة لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم بأداء الرسالة ، دون غيرها من الحالات - لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك . وقد غلط من نسب إلى المحققين من الموحدين - إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا . وليس ذلك بصحيح ؛ لأن مذهب المحققين : أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة ؛ وإنما صار رسولا ، واستحق شرف الرسالة والنبوة ، بقول مرسله - وهو الله تعالى - : أنت رسولي ونبيي ؛ وقول الله تعالى قديم لا يزول ولا يتغير . والدليل على صحة هذا أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم ، سئل فقيل له : متى كنت نبياً ؟ فقال : « كنت نبياً وآدم بين الماء

والطين » . فحاصل الجواب في هذا : أن شرف النبوة وكال المنصب ثابت للأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين ، الآن حسب ما كان ثابتاً لهم في حال الحياة ؛ لم ينتلم ، ولم ينتقض ؛ سواء نسخت شرائعهم أو لم تنسخ . ومن راجع نفسه ، ولم يغالط حسه ، عرف وتحقق أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الآن لم يخاطب شفاها ، ولا يأمرهم ، ولا يكلمهم من غير واسطة ؛ لكن حكم شريعته وصحة نبوته ؛ ثابت لم ينتقض لأجل خروجه من الدنيا ، ولم تزل مرتبته ، ولا انخرمت رسالته ، ولا بطلت معجزته . فاعلم ذلك وتحققه » .

ولست أدري : كيف يقرأ ابن حزم كلام الباقلاني هذا في كتابه هذا ؛ ثم يستسيغ ضميره أن يزعم بعد ذلك أن الأشاعرة قالوا هذه المقالة الخبيثة ؛ مع قوله : إن الباقلاني كبيرهم ؟ حقاً إن هذا لشيء عجاب !

وما أكثر التهم التي ألصقها ابن حزم بالأشاعرة إلصاقاً ؛ وما أوفر عبارات القذف والسباب التي قذفهم بها وسبهم ، والتي بلغت أقصى حدود الإغشاش والإفداع ؛ وقد اختص الباقلاني منها بأعظم قسط ، وأجزل نصيب . ولعل مرد ذلك إلى أن الباقلاني قد نقد داود الظاهري ( ٢٠٠ — ٢٧٠ ) ؛ كما يشمر بذلك قول ابن حزم في الفصل ٤ / ٢٢٥ : « ومن العجب أن هذا النذل الباقلاني قطع بأن داود خالف الإجماع في قوله بإبطال القياس ، أفلا يستحي هذا الجاهل من أن يصف العلماء بصفته ، مع عظيم جهله ؟ ولكن من يضل الله فلا هادي له » .

ومما أحفظه عليه أيضاً ، وأرث نار عداوته في صدره ، أنه كان لا يعبأ بالظاهرية ، ولا يعدّم من العلماء ؛ وقد نقل شيخ الأزهر الشيخ حسن العطار ، ( المتوفى سنة ١٢٥٠ ) — في حاشيته على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع ٢ / ٢٢١ — أن أبا إسحاق الإسفرايني قال : « كل مسلك يختص به أصحاب الظاهر عن القياسيين ، فالحكم بحسبه منقوض ؛ وبحق قال حَبْرُ الأصول القاضي

أبو بكر : إني لا أعدّهم من علماء الأمة ، ولا أبالي بخلافهم ولا وفاقيهم .  
ولست أريد أن أقبس هنا سائر ما أورده من قول ؛ وما نخله من رأى ؛  
ثم أبين ما صنعه فيه من تحريف كلمة عن مواضعها ، ولى عباراته عن معانيها ،  
وقطع مقدماته عن نتائجها ؛ وأخذ من ظاهر لفظه ما يتفق وهوى نفسه ، ويتسق  
وما يريد أن يلزمه من إلزامات شائنة تذهب بسمعته ومكانته . لست أريد ذلك  
لأن بيانه يحتاج إلى بسط وإطناب لا سبيل إليهما في هذا المقام . ولكني أذكر  
من ذلك ما لا مناص من ذكره ، وهو ما يتعلق بقوله في القرآن .

قال ابن حزم في معرض حديثه عن الأشاعة ٤ / ٢٢١ : « ومن شنعهم  
قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن : إن تقسيم آيات القرآن ،  
وترتيب مواضع سورة ، شئ فعله الناس ، وليس هو من عند الله ، ولا من أمر  
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقد كذب هذا الجاهل وأفك ؛ أنراه ما سمع  
قول الله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ؛  
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في آية الكرسي ، وآية الكلاله ،  
والخير : أنه عليه السلام كان يأمر إذا نزلت آية كذا ، أن تجعل في سورة  
كذا ، وموضع كذا . ولو أن الناس رتبوا سورة ، لما تعدوا أحد وجوه ثلاثة :  
إما أن يرتبوها على الأول فالأول نزولا ، أو الأطول فما دونه ، أو الأقصر فما فوقه .  
فإذ ليس ذلك كذلك ، فقد صحّ أنه أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،  
الذي لا يعارض ، عن الله عز وجل ، لا يجوز غير ذلك أصلا . »

وما كذب الباقلاني ولا أفك في مسألتى ترتيب الآيات ، وترتيب مواضع  
السور في القرآن ، وما خرج بقوله فيهما عما قاله أعلام الأئمة وأجمعوا عليه . فقد  
أجمعوا جميعاً على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة فيه ؛ وأيد إجماعهم ما ترادف  
في ذلك من النصوص . ولم تجتمع كلمتهم على أن ترتيب السور توقيفي ؛ فمنهم



من قال به ، ومنهم من قال : إنه باجتهاد من الصحابة ؛ كمالك بن أنس .  
وأنصح دليل على صدق الباقلاني وبرأته مما رماه به ابن حزم ، قوله في  
كتاب « الانتصار لنقل القرآن » : « ترتيب الآيات أمر واجب ، وحكم لازم ؛  
فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا » . وقوله أيضاً في ذلك  
الكتاب ( ورقة ٤ — ب ) : « والذي نذهب إليه في ذلك أن جميع القرآن  
الذي أنزله الله ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم ينسخه ، ويرفع تلاوته بعد نزوله — هو  
هذا الذي بين الدفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ؛ وأنه لم ينقص منه شيء ،  
ولا زيد فيه ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ، ورتبه عليه  
رسوله ، من آي السور ، لم يقدّم من ذلك مؤخراً ، ولا أخر منه مقدماً ؛ وأن  
الأمة ضبطت عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ترتيب أي كل سورة ومواضعها ،  
وعرفت مواقعها ؛ كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة ؛ وأنه يمكن أن  
يكون الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد رتب سورة على ما انطوى عليه مصحف  
عثمان ، ويمكن أن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ، ولم يتول ذلك بنفسه .  
وأن هذا القول الثاني أقرب وأشبه أن يكون حقاً .

ولن يمتري إنسان — بعد قراءة هذا الكلام — في تكذيب ابن حزم في قوله :  
إن الباقلاني يقول : إن ترتيب الآيات والسور « شيء فعله الناس ، وليس هو  
من عند الله ، ولا من أمر رسول الله . فقد كذب هذا الجاهل وأفك ! » .

ولن يمتري كذلك في أنه نص صريح في تكذيب ابن حزم في قوله عن  
الأشاعرة : « وقالوا اكلمهم : إن القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد ،  
عليه الصلاة والسلام ، وإنما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله ؛ وإن  
القرآن ليس عندنا البتة إلا على هذا المجاز ؛ وإن الذي نرى في المصاحف ونسمع  
من القراء ، ونقرأ في الصلاة ، ونحفظ في الصدور — ليس هو القرآن البتة ،

ولا شيء منه كلام الله البتة ، بل شيء آخر ؛ وإن كلام الله لا يفارق ذاته . وإن قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن والنبي ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة . وهذا افتراء قصد به التشنيع والتليس على الناس ، يدحضه قول الباقلاني في « رسالة الحرة » ص ٦٢ : « اعلم أن الله تعالى متكلم له كلام عند أهل السنة والجماعة ، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ، ولا جمعول ، ولا محدث ؛ بل كلامه قديم ، صفة من صفات ذاته ، كعلمه وقدرته وإرادته ، ونحو ذلك من صفات الذات . ولا يجوز أن يقال : كلام الله عبارة ولا حكاية ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق ، ولا يجوز أن يقول أحد : لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير مخلوق ؛ ولا أني أتكلم بكلام الله » .

وقوله ص ٨٢ : « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة كما قال : ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ﴾ ؛ وهو في مصاحفنا مكتوب على الوجه الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ ؛ كما قال تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ . لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، هو والقرآن المكتوب في مصاحفنا شيء واحد ، لا يختلف ولا يتغير ؛ وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا ، وأن الخط الذي فيه غير الخطوط التي في مصاحفنا ، وأن القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ غير أقلامنا . وكذلك ما اختلف وغاز غير ، واختص بمكان دون مكان ، وزمان دون زمان — فهو مخلوق مربوب ، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير ، ولا يجوز عليه شيء من صفات الخلق . فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته . وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة ، كما قال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ . لكن نعلم قطعاً أن

زيداً الحافظ غير عمرو الحافظ ، وأن قلب هذا غير قلب هذا ، وأن حفظ هذا غير حفظ هذا ؛ لكن المحفوظ لهذا بحفظه هو المحفوظ للآخر بحفظه ، وهو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير ؛ إذ هو صفة لله تعالى ، قديم غير مخلوق . وكذلك تقول : إنه مقروء بالسنتنا ، نتلوها على الحقيقة ؛ لكن نعلم أن زيداً القارئ غير عمرو القارئ ، وأن لسان زيد غير لسان عمرو ، وأن قراءة زيد غير قراءة عمرو ؛ ولكن المقروء لزيد هو المقروء لعمرو ، شيء واحد لا يختلف ولا يتغير ؛ بل هو كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا يجوز عليه صفات الخلق . وهذا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنزَلَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ زَيْدَ يَعْلَمُهُ ، وَيَعْلَمُهُ عَمْرُو يَعْلَمُهُ ؛ وَيَعْبُدُهُ زَيْدٌ بِعِبَادَتِهِ ، وَيَعْبُدُهُ عَمْرُو بِعِبَادَتِهِ ؛ وَيَدْعُوهُ زَيْدٌ بِدَعَائِهِ ، وَيَدْعُوهُ عَمْرُو بِدَعَائِهِ ؛ وَيَذْكُرُهُ زَيْدٌ بِذِكْرِهِ ، وَيَذْكُرُهُ عَمْرُو بِذِكْرِهِ ؛ وَيَسْبِيحُهُ زَيْدٌ بِتَسْبِيحِهِ ، وَيَسْبِيحُهُ عَمْرُو بِتَسْبِيحِهِ ؛ فَرِيدٌ غَيْرُ عَمْرُو ، وَذَكْرٌ غَيْرُ ذِكْرِ عَمْرُو ، وَعِبَادَةٌ غَيْرُ عِبَادَةِ عَمْرُو ، وَلَكِنِ الْمَعْبُودُ لِهَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ لِهَذَا ، وَالْمَذْكُورُ لِهَذَا هُوَ الْمَذْكُورُ لِهَذَا ، وَالْمُسَبِّحُ لِهَذَا هُوَ الْمُسَبِّحُ لِهَذَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْقَدِيمُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

وقوله في ص ٨٣ ، ٨٥ : « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مسموع لنا على الحقيقة ؛ لكن بواسطة ، وهو القارئ ... ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، نزول إعلام وإفهام ، لا نزول حركة وانتقال » ؛ و « إن جبريل عليه السلام عَلَّمَ كلام الله وفهمه ، وعلمه الله النظم العربي الذي هو قراءته ، وعلم هو القراءة نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ولم يزل يتقل الخلف عن السلف ذلك ، إلى أن اتصل بنا ، فصرنا نقرأ بعد أن لم نكن نقرأ » .

ويستبين من سائر هذه النصوص أن ابن حزم لم يكن أميناً في نقله ،

ولاصداقاً في قوله ؛ وإنما خان أمانة العلم ؛ وكذب فيما ادعاه على الباقلاني والأشاعرة ، ليتسنى له تكفيرهم ، وسبهم بما يرضى نفسه الظامئة إلى الطعن والسباب . وقد عرف ذلك عنه ، حتى قال فيه ابن العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيتين » ؛ وسجل عليه ذلك المؤرخون له ، كابن خلكان ، الذي يقول في وفيات الأعيان : « وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ، لا يكاد يسلم أحد من لسانه ؛ ففرت عنه التلويح ، واستهدف لفقهاء وقته ، فماتوا على بغضه ، وردوا قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ؛ وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ؛ فأقصته الملوك وشردته عن بلاده » . وكالحافظ الذهبي الذي قال عنه في سير أعلام النبلاء : « لم يتأدب مع الأئمة في الخطاب ؛ بل فجح العبارة وسب وجدع ، فكان جزاؤه من جنس فعله ، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ، ونفروا منها ؛ وأحرقت في وقته » .

وإذا كان ذلك كذلك فيجب ألا يلتفت إنسان إلى قول ابن حزم في الباقلاني ، ولا ينظر بعين الاعتبار إلى طعنه عليه ، وتكفيره له .

( ٢٣ ) قال ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ( ٧٣٢ - ٨٠٨ ) في مقدمته ، أثناء حديثه في فصل علم الكلام ص ٤٦٥ : « . وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري ، واقتفى طريقته من بعده تلاميذه ، كابن مجاهد وغيره ، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني ، فتصدر للإمامة في طريقتهم وهذبها ، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار ، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء ، وأن العرض لا يقوم بالعرض ، وأنه لا يبقى زمانين ، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها ؛ لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول . وحملت هذه

الطريقة ، وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ، إلا أن صور الأدلة تعتبر بها الأقيسة ، ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ؛ ولو ظهر منها بعض الشيء ، فلم يأخذ به المتكلمون ، لملاستها للعلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة ، فكانت مهجورة عندهم لذلك . ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني إمام الحرمين أبو المعالي ، فأمل في الطريقة كتاب الشامل ، وأوسع القول فيه ، ثم لخصه في كتاب الإرشاد ، واتخذ الناس إماماً لعقائدهم . . . »

(٢٤) قال ابن تيمية في كتاب « بغية المرتاد » ص ١٠٧ في معرض حديثه عن مصادر معارف أبي حامد الغزالي ( ٤٥٠ - ٥٠٥ ) وأستاذه أبي المعالي الجويني ؛ إمام الحرمين ( ٤١٩ - ٤٧٨ ) - : « وأبو حامد مادته الكلامية من كلام شيخه في « الإرشاد » و « الشامل » ونحوهما ، مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني ، لكنه في أصول الفقه سلك في الغالب مذهب ابن الباقلاني ، مذهب الواقفة وتصويب المجتهدين ، ونحو ذلك ، وضم إلى ذلك ما أخذه من كلام أبي زيد الدبوسي وغيره في القياس ونحوه . وأما في الكلام فطريقته طريقة شيخه دون القاضي أبي بكر .

وأما شيخه أبو المعالي فادته الكلامية أكثر من كلام القاضي أبي بكر ونحوه ، واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي ؛ على مختارات له . وكان قد فسر الكلام على أبي قاسم الإسكافي ، عن أبي إسحاق الإسفرايني ، ولكن القاضي هو عندهم أولى . ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة . »

(٢٥) ومن ألد أعداء الأشعرى والأشاعرة : أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز ، الأهوازي ( ٣٦٢ - ٤٤٦ ) وقد ألف في مثالب الأشعرى كتاباً ، رماه فيه بكل ما أمكنه ذكره من الأمر الشنيع والوصف القبيح ، كما رمى كبار أصحابه ، وأعلام مذهبه ، وقد نقض عليه كتابه الحافظ ابن عساكر

في كتاب « تبين كذب المفتري » ص ٣٦٤ — ٤٢٠ ومن قوله في ص ٣٩٨ :  
« وأما ما ذكره في حق القاضي أبي بكر بن الباقلاني رحمه الله ، من أنه كان أجير  
القاضي ، وأنه إنما ارتفع قدره بمدخلة السلاطين لا بالعلم — فعين الجهل والتعamy .  
وهل ينكر فضل القاضي أبي بكر في العلم والفهم من شتم أدنى شمة من العلم ؟  
وتصانيقه في الخلق مبثوثة ، وعلموه عنه مستفادة موروثة . وقد كان يدرس المدة  
الطويلة في دار السلام ، ويصنف الكتب الجليلة في قواعد الإسلام ، ويؤخذ  
عنه علم الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وينتفع بدروسه في أصول الدين والفقه  
كلُّ مقتبس ، والرحلة إليه من الشرق والغرب ، فقوله في حقه قول من  
لا يتحاشى من الكذب » .

والذي حدا بالأهوازي إلى الطعن في الأشعري ومتابعيه ، أنه كان مشبهاً مجسماً ،  
يقول بالظاهر ، ويذهب مذهب السالية ، وهي فرقة من المشبهة ، يقولون : إن الله  
سبحانه يرى في صورة آدمي ، وإنه يقرأ على لسان كل قارئ ، وإنهم إذا سمعوا  
القرآن من قارئ يرون أنهم يسمعون من الله . ويعتقدون أن الميت يأكل في قبره  
ويشرب . وقد اتهم العلماء الأهوازي بالوضع والاختلاق ، وقد قال عنه تلميذه الخطيب  
البغدادي : أبو علي الأهوازي كذاب في الحديث والقرآن جميعاً !  
الباقلاني وابن المعلم :

وكان يعاصر الباقلاني إمام الرافضة ولسان الإمامية أبو عبد الله محمد بن محمد  
بن النعمان بن سعيد ، البغدادي الكوفي ، المعروف بابن المعلم ، والملقب عند الشيعة  
بالشيخ المفيد ( ٣٣٩ — ٤١٣ ) وكان ابن المعلم جليل المكانة في الدولة البويهية ،  
وكان عضد الدولة يزوره في داره ، وكان قوياً في الكلام والفقه والجدل ، مولعاً  
بمناظرة أهل كل عقيدة . قال الخطيب البغدادي ٣٧٩/٥ : « إن ابن المعلم شيخ الرافضة  
ومتكلمها ، حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له ، إذ أقبل القاضي أبو بكر

الأشعري ، فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه ، وقال لهم : قد جاءكم الشيطان ، فسمع القاضي كلامهم — وكان بعيداً من القوم — فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه ، وقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّمُ أَرْزَاقٍ ﴾ أى إن كنت شيطاناً فأنتم كفار ، وقد أرسلت عليكم ! » .

قال القاضي : وحكى غير الخطيب أن الحكاية جرت للبقلائي مع أهل مجلس قتنا خسرو الملك ، من شيوخ المعتزلة ، وأنه كان داخلياً إذ سمعهم يذكرون أمره ، فقال لهم بعضهم : ما هو إلا شيطان ؟ فوصل اليهم وهو يتلو الآية .

قال : وسمعت بعض الشيوخ يحكى : أن ابن المعلم تكلم معه يوماً ، فلما احتد الكلام بينهما ، رماه ابن المعلم بكف باقلاء (فول) أعده له ، يعرض له بما ينسب إليه ، ليخجله بذلك ويحصره ، فرد القاضي للحين يده في كمه ورماه بديرٍ أعدها له ، فمجب من فطنته وإعداده للأمور أشباهها قبل وقتها .

#### وفاة الباقلائي :

حدث الخطيب البغدادي ٣٨٢/٥ عن علي بن أبي علي المعدل ، قال : مات القاضي أبو بكر محمد بن الطيب ، في يوم السبت لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وأربعمائة .

وقال أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي : توفي القاضي الباقلائي سنة أربع وأربعمائة .

وقد نقل القاضي عياض في « ترتيب المدارك » ما حكاه الخطيب ، ثم قال : « ووجدت عن غيره : سنة أربع ، أيام بهاء الدولة ، والخليفة القادر بالله ، وهذا خطأ والأول أصح » .

وقد صلى على الباقلائي ابنه الحسن ، وكان شاباً مرجواً ، واختارته المنية بعد أبيه . ودفن القاضي في داره ، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب ، في

تربة بقرب قبر أحمد بن بن حنبل ، ونقش على شاهد تربته ما نصه : « هذا قبر  
القاضي الإمام السعيد ، فخر الأمة ، ولسان الملة ، وسيف السنة ، عماد الدين ، ناصر  
الإسلام ، أبي بكر محمد بن الطيب البصري ، قدس الله روحه ، وألحقه بنيه  
محمد صلوات الله عليه وسلامه ، ويزار ويستسقى ويتبرك به » .

وقد حضر أبو الفضل التيمي الحنبلي ( ٣٤١ — ٤١٠ ) يوم وفاته العزاء حافياً  
مع إخوته وأصحابه ، وأمر أن ينادى بين يدي جنازته : « هذا ناصر السنة  
والدين ، هذا إمام المسلمين ، هذا الذي كان يذب عن الشريعة السنة المخالفين ،  
هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ردّاً على الملحدين » . وقعد للعزاء ثلاثة أيام  
فلم يبرح ، وكان يزور تربته كل يوم جمعة في الدار .

وكان يزورها أيضاً للترحم عليه أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ  
( ٣٧٠ — ٤٥١ ) وأبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان ( ٣٣٩ — ٤٢٦ )  
وأبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي ( ٣٥٥ — ٤٣٥ ) .  
وقد رثى الباقلاني بعض الشعراء فقال :

انظر إلى جبل تمشي الرجال به      وانظر إلى القبر ما يحوى من الصلَفِ  
وانظر إلى صارم الإسلام منعمداً      وانظر إلى درة الإسلام في الصَّدَفِ



## كتاب إعجاز القرآن

وهو أول كتب الباقلااني نشرأ ، وأشهرها ذكرأ ، وهو أعظم كتاب الف في الإعجاز إلى اليوم ، وإن كره ذلك بعض المتعصبين على المعهد العتيق . ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه : أن دارأ للنشر والطبع استشارت كبيرأ منهم في طبع هذا الكتاب بتحقيقى ، فكتب إليها بخط يده يقول : « أنا لا أنصح بطبع كتاب إعجاز القرآن للباقلااني ؛ لأنه ليس أنفس كتاب في موضوعه » !!! ولما لقيت كاتب هذا التقرير العجيب قذفت سامعته بهذا التحدى : دُلّنى على كتاب واحد في إعجاز القرآن تر بو قيمته على كتاب الباقلااني أو تضارعه » ! فأبلس ولم يحرجوا بأ .

\* \* \*

ذكر الباقلااني في مقدمته أن الذين ألفوا في « معانى القرآن » من علماء اللغة والكلام ، لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ، والدلالة على مكانه ؛ مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمسّ ، والاشتغال به أوجب ، فهو أحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأعراض وغريب النحو وبديع الإعراب . وأن ما صنّفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه ، قد أخل بتهذيبه وأهمّل ترتيبه ، وقد التمس لبعضهم العذر فيما وقع منه من تفريط ؛ لأن بيان وجه الإعجاز « مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك ، لطيفة المأخذ » . وقال : إن الجاحظ « صنف في نظم القرآن كتابأ لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » .

ثم قال : إن سائلا سأله أن يذكر جملة من القول جامعة ، تسقط الشبهات ، وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال ، وتنتهى إلى ما يحظر لهم ، ويعرض لأفهامهم ،

من الطعن في وجه المعجزة . فأجابه إلى ذلك ، وألف هذا الكتاب . وذكر أنه أشار إلى ما سبق بيانه من غيره ، ولم يبسط القول فيه ؛ لئلا يكون ما ألفه مكرراً ومقولا . وقال : إنه لا يزعم أنه يمكنه أن يبين ما رام بيانه ، وأراد شرحه وتفصيله ، إلا لمن كان « من أهل صناعة العربية ، وقد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من أصول الدين » .

ثم بين في الفصل الأول أن نبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مبنية على دلالة معجزة القرآن ، واستدل على ذلك بآيات كثيرة ، وقال : إنه ما من سورة من السور المفتحة بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أشبع فيها بيان ذلك « وكثير من هذه السور إذا تأملته ، فهو من أوله إلى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على معجزته » .

وفصل القول في نظم سورتي غافر وفصلت ، وبين دلالاته على ذلك .

وعند الفصل الثاني ص ٢١ لبيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة النبي ؛ وبني ذلك على أصلين : أولهما : وقوع العلم الضروري بأن القرآن المتلو المحفوظ المرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي من عند الله تعالى ، وأنه تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة ، وقام به في المواقف ، وكتب به إلى البلاد ، وتحمله عنه إليها من تابعه ، حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشبهه . والأصل الثاني : أنه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله ، وقرعهم على ترك الإتيان طول تلك السنين فلم يأتوا بذلك ؛ واستدل على هذا الأصل بآيات كثيرة ، منها آية استدلت بها على بطلان قول من زعم أن وحدانية الله لا تعلم إلا من جهة العقل ، ولا يمكن أن تعلم من القرآن ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه ، قل : فأتوا بعشرون مثله مفرجات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا

أما أنزل بعلم الله ، وأن لا إله إلا هو ، فهل أتم مسلمون ﴿ . وقد عقب عليها بقوله ص ٢٣ : « فجعل معجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته » .

ثم كشف عن المعاني التي استقصى أهل العلم الكلام فيها قبله ، وما جاء به بعدهم ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف كون القرآن معجزاً حين أوحى إليه من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدثى إليه سواه . وأفاض في إبطال قول القائلين بالصرفة ، وقال : إن التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنته من الإخبار عن العيوب ، ويباينه في أنه ليس بمعجز في النظم والتأليف ، لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولم يقع به التحدى كما وقع بالقرآن ؛ ولأن الألسنة التي نزل بها لا يتأتى فيها من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز . وقال : إن كتاب زرادشت وكتاب ماني ليس يقع فيها إعجاز ، وإنه لا يوجد لابن المقفع كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن .

والفصل الثالث ص ٤٨ في جملة وجوه إعجاز القرآن . وقد ذكر في مستهله أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه : أولها : ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه .

والوجه الثاني : أنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمة الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم إلى مبعثه ، مع أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبيائهم وسيرهم .

والوجه الثالث « أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه » . وقال : إن الذي أطلقه العلماء في هذا الوجه هو على هذه الجملة ، أما هو فقد كشف الجملة التي أطلقوها ، وفصل ذلك بعض التفصيل ، حيث يقول ص ٥١ : « فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه :

منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ، وتباين مذاهبه ؛ خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد .  
ومنها ص ٥٣ « أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة ؛ على هذا الطول ، وعلى هذا القدر... وهذا المعنى هو غير المعنى الأول ، فتأمله تعرف الفصل » .

والمعنى الثالث ص ٥٤ : أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ويشتمل عليها « وإنما هو على حد واحد في حسن النظم ، وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة ، تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كثيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة — فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ؛ بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة ، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر » .

والمعنى الرابع: أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل ، والعلو والنزول ، والتقريب والتباعد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع . وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء ، والتحول من باب إلى باب . والقرآن على اختلاف فنونه ، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطرق المختلفة — يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد . وهذا أمر عجيب ، تبين به

الفصاحة وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف .  
والمعنى الخامس : أن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام  
الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس ، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله  
كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا .

والمعنى السادس ص ٦٢ : « أن الذي ينقسم عليه الخطاب ، من البسط  
والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ،  
ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم — موجود في القرآن ، وكل ذلك  
بما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة » .

والمعنى السابع ص ٦٣ : « أن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة  
والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ  
البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع » .

والمعنى الثامن : أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ، بأن تذكر منه  
الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذها الأسماع ، وتتشوف  
إليها النفوس ، ويرى وجه رونقها بادياً ، غامراً سائراً ما تقرن به ، كالدارة التي ترى  
في سلك من خرز ، وكالياقوتة في واسطة العقد . وأنت ترى الكلمة من القرآن  
يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والنادى  
على نفسه بتميزه ، وتخصصه برونقه وجماله ، واعتراضه في حسنه ومائه » .

ثم قال في ص ٦٤ : « ولولا هذه التي بينها ، لم يتحير فيه أهل الفصاحة ،  
ولكانوا يفرعون إلى العمل للمقابلة ، والتصنع للمعارضة ... فلما لم نرم اشتغلوا  
بذلك — علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور ، لعلهم  
يعجزهم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه » .

والمعنى التاسع ص ٦٦ : « أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون

حرفاً ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة ؛  
وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف  
الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً ؛ ليدل بالمدكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا  
الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

والمعنى العاشر : « أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحشى المستكره  
والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة . وجعله قريباً إلى الأفهام ،  
يبادر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق للغزى منه عبارته إلى النفس . وهو مع  
ذلك ممتنع المطلب ، عسير المتناول ، غير مطمع مع قربه في نفسه ، ولا مؤهّم مع  
دنوه في موقعه — أن يقدر عليه أو يظفر به . »

ثم قال في ص ٧٠ : « وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة  
والإفراد ؛ فإننا جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتطلقة بها . وكل واحد من  
تلك الأمور مما يمكن اعتماده في إظهار الإعجاز فيه . »

ثم ختم كلامه في هذا الفصل بالإجابة على سؤال هام أورده في ص ٧١ ،  
وهو : « فإنه قيل : فهل تزعمون أنه معجز ، لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ،  
أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟ » .

قيل : « لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟  
ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجل أنه حكاية عن كلام  
الله ؛ لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله  
عز وجل — معجزات في النظم والتأليف . وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك .  
وكذلك يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردا . وقد ثبت  
خلاف ذلك . »

\* \* \*

والفصل الرابع عقدة ص ٧٢ لشرح ما بينه من وجوه إعجاز القرآن الثلاثة السابقة ، وهى الإخبار عن الغيوب ، والإنباء عن قصص الأولين وسير المتقدمين ، وبراعة النظم والتأليف والرصف .

والفصل الخامس ص ٧٦ مقصور على نفي الشعر من القرآن .

وأما الفصل السادس فقد عقده لنفي السجع من القرآن . وقد استهله بقوله :  
« ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن . وذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه . وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ؛ وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التى يقع فيها التفاضل فى البيان والفصاحة ، كالتجنىس والالتفات ؛ وما أشبه ذلك من الوجوه التى تعرف بها الفصاحة . وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون ، عليهما السلام ، ولمكان السجع قيل فى موضع : « هارون وموسى » ولما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون ؛ قيل : « موسى وهارون » .

ثم قال الباقلانى : « وهذا الذى يزعمونه غير صحيح . ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلها لم يقع بذلك إعجاز . ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز . وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؟ لأن الكهانة تنافى النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤه وكلموه فى شأن الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يُطل ؟ فقال : « أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ » وفى بعضها : « أسجعاً كسجع الكهان ؟ » . فرأى ذلك مذموماً لم يصح أن يكون فى دلالة .

والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ؛ لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع ؛ لأن اللفظ يقع فيه تالياً للمعنى .

ثم قال : « ويقال لهم : لو كان الذى فى القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مرزولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه ؛ كان قبيحاً من الكلام . وللسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط متى أدخل به المتكلم وقع الخلل فى كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة » .

ثم قال : « فلو رأوا أن ماتلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن ، وتتجاوز حده فى البراعة والحسن » .

ويقول ص ٩٠ : « ولو كان الكلام الذى هو فى صورة السجع منه لما تحيروا فيه ، ولكانت الطباع تدعو إلى المعارضة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو فى عاداتهم ، فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة ، وهو غير خارج عنها ولا متميز منها ؟ » .

ثم مضى فى حديثه عن السجع ، وذكر فيما ذكر اختلاف العلماء فى الشعر كيف اتفق للعرب قوله أولاً ؟ وهل كان اتفاقاً غير مقصود إليه ؟ أم تواضعوا على هذا الوجه من النظم ؟ وأن الله عرفهم بحاسن الكلام ، ودلهم على كل طريقة عجيبة ، ثم أعلمهم معجزهم عن الإيتان بمنزل القرآن « ووجدوا أن هذا لما تعذر عليهم مع التحدى والتفريع الشديد والحاجة الماسة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر ، وتكامل أحوالهم فيه — دل على أنه اختص به ؛ ليكون دلالة على النبوة ، ومعجزة على الرسالة » .



وختم الباقلاني كلامه في هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه حيث يقول في ص ٩٩ :  
« ولا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه ؛ من أن يسلم ما ذهب إليه  
النظام ، وعباد بن سليمان ، وهشام الفوطي ، ويذهب مذهبهم ، في أنه ليس في  
نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ؛ وإنما صرفوا عنه ضرباً من  
الصرف . ويتضمن كلامه تسليم الخط في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق  
شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها . ويستين بيدع  
نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه ! وكيف يعجزهم الخروج عن السجع  
والرجوع إليه ، وقد علمنا عاديهم في خطبهم وكلامهم ، أنهم كانوا لا يلزمون أبداً  
طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة . فإذا ادعوا  
على القرآن مثل ذلك ؛ لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين ! » .

هذا مجمل ما قاله الباقلاني في هذا الفصل الذي عقده لبيان نفي السجع من  
القرآن ؛ وهو أخف فصول الكتاب وزناً ، وأقلها قدراً ، وأحفلها بالخطأ البين  
في أصل الفكرة ، وفي كيفية نصرتها والدفاع عنها ، والحجاج دونها ، والرد  
على مخالفها ؛ ومردّ ذلك — فيما يلوح لى — إلى أن الباقلاني قد اندفع في  
كلامه بدافع المناصرة لمذهب الأشاعرة الذي كان يدين به .

والذي حدا بالأشاعرة إلى نفي السجع من القرآن أنهم ظنوا ، بل تيقنوا  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذمّ السجع في حديث الجنين . ومن قصة هذا  
الحديث : أن حمل بن مالك بن النابغة كان قد تزوج بامرأتين ، يقال لإحدهما :  
مليكة بنت ساعدة ؛ وللأخرى : أم عفيفة بنت مسروح ؛ فتفايرتا كما  
هو الشأن دائماً بين الضرتين ، فضربت أم عفيفة مليكة بمسطح بيتها أو بعمود  
فسطاطها ، وهي حامل فألقت جنينها ، ورفعت قضيتها إلى النبي فقضى على  
عاقلة الضارب به بغرة : عبد أو أمة . فقال أخوها العلاء بن مسروح : يا رسول

الله ، أنفهم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل ، فمثل هذا يطل ؟ !  
 فقال عليه السلام : أسجع كسجع الجاهلية ؟ وقد روى قول النبي بعدة روايات ؛  
 منها : « أسجع كسجع الجاهلية وكهاتها ؟ » . ومنها : « دعنى من أراجيز  
 الأعراب » . ومنها : « أسجاعة بك ؟ » . ومنها : « أسجع كسجع الجاهلية ؟  
 قيل : يا رسول الله ، إنه شاعر » . ومنها : « لسنا من أساجيع الجاهلية فى شيء » .  
 ومنها : « إنما هذا من إخوان الكهان » . ومنها : « إن هذا ليقول بقول  
 شاعر ، بل فيه — أى فى الجنين — غرّة » . ومنها : « أسجع كسجع  
 الأعراب ؟ » .

وقد فهم كثير من العلماء أن هذا الحديث إنما ورد فى ذم السجع والتنفير  
 منه . ولا شك أنهم واهمون فى ذلك . ولو كان النبي أراد إلى ذمه لقال :  
 « أسجعاً » فقط . وإنما أراد النبي بقوله هذا ، كما يتضح من سياق الحديث ،  
 إنكار تشادق هذا الساجع فى دفعه حقاً وجب عليه وعلى عاقلته ، وقعته  
 بالسجع على طريقة الكهان فى الجاهلية .

وقد أغرب الباقلانى فى استنباطه من هذا الحديث ص ٨٨ : أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم رأى أن السجع مذموم ، فلا يصح أن يكون فى دلالة على  
 نبوته ! وكيف يذم النبي السجع وكثير من كلامه مسجوع ؟ يقول : « أيها  
 الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس  
 نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وقد أخطأ الباقلانى فى قوله : إن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ  
 الذى يؤدى السجع . فليس السجع كذلك على الإطلاق ، وإنما هذا نوع من  
 السجع ردى لا يقع إلا فى كلام الضعفاء . ومنه نوع آخر يقع فيه اللفظ  
 موقعه الرائع ، وهو مع ذلك تابع للمعنى . وهذا هو النوع المحمود منه الذى جاء

في المأثور الصحيح عن بلغاء الجاهلية ، وفصحاء الإسلام ؛ وورد في أحاديث الرسول على أكمل وجه وأتم نسق اتفق وجوده في كلام البشر ؛ وإليه يُرِيعُ المثبتون للسجع في القرآن ، القائلون بأن ما كان منه كذلك هو نهاية النهايات ، وأبعد الغايات في البلاغة ، وقد بان بطلاوته وصفاء لفظه وتمكن معناه — عن جميع ما جرى هذا الجرى من كلام الخلق .

ولو قد تدبر الباقلاني ما حكاه من قول المثبتين للسجع في القرآن : إنه مما يبين به فضل الكلام ، وإنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة . لو تدبر هذا القول ، ولم يكن مدفوعاً إلى معارضته لمخالفته مذهب أصحابه ؛ لراه قولاً وجيهاً ، ولما وجد بين السجع وبين أنواع البديع التي ذكرها من فرق ؛ ولقال عنه مثل قوله عن البديع ص ١٧٠ : « ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذي حكيناه وأضفناه إليهم : إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنس من أجناس البلاغة ؛ وإنه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ؛ وإذا أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع ؛ كان جديراً » .

ولو صنع ذلك لاهتدى إلى سواء الصراط ، ولما ذهب يتمحل العلل الواهية لنفي السجع من القرآن ، كقوله : « لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مردولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه — كان قبيحاً من الكلام ! وللسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط ، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة . . . فلو كان ما تلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ، ونتجاوز حدّه في البراعة والحسن » .

وفوق ما في كلامه هذا من خطأ وتهافت ، فإن فيه هفوة أخرى ، إذ حكم قواعد البلاغة في القرآن ؛ مع أن القرآن هو الأساس الذي يجب أن تحاكم إليه قواعد البلاغة ، وأن تجري على سننه ووفق أحكامه .

وكقوله : « ولا بد لمن جوز السجع في القرآن وسلك ما سلكوه ، من أن يسلم ما ذهب إليه النظام وعباد وهشام ، ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف ! ويتضمن كلامه تسليم الخطب في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ! ويستعين ببدیع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه ! » .

وهذه إزامات عجيبية لاتنزم المثبتين للسجع في القرآن بحال من الأحوال ؛ لأنهم يرون أن السجع الرائع مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة والامتلاك لزمام الفصاحة ؛ وأن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان ، وباين كل أسجاع الساجع ؛ كما يؤمنون بأن سر إعجاز القرآن نظمه البديع ، وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب .

وأى فارق بين مشاركة القرآن كله لغيره من الكلام في كونه كلاماً عربياً مؤلفاً من ألفاظ فصيحة بليغة ، وبين مشاركة بعض آيه في كونها جاءت مسجوعة ؟ وكيف يكون السجع المحمود من أمارات الفصاحة المحدودة ، التي يقصد إليها أعلام البلغاء في بعض كلامهم لتوشيته وتزيينه ، وتحسينه بعقد المناسبة بين ألفاظه ؛ ثم نجرد القرآن منه ، وننفيه عنه بزعمنا ؛ مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة جميعاً ؟

ولئن قال الباقلاني : إن السجع عيب يجب نفيه عن القرآن ؛ فإنى أقول : إن السجع من الميزات البلاغية التي يجدر بنا أن ننزه القرآن عن خلوه منها .

والفصل السابع من فصول إعجاز القرآن ص ١٠١ في ذكر البديع من الكلام ،  
بدأه الباقلاني بقوله : « إن سأل سائل فقال : هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن  
من جهة تضمنه البديع ؟ قيل : ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من  
صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوا عنه ؛ ليكون الكلام وارداً  
على أمرين ، وباب مقرر مصور » . ثم نقل جملة من بديع الشعر ، بعضها من  
كتابي البديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ؛ وقال ص ١٦٢ : « وقد  
قدّر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها ، وأن  
ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه . وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا  
وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها ، والوجوه  
التي نقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها ، فليس مما يقدر البشر على التصنع  
له والتوصل إليه بحال » . وختم كلامه في هذا الفصل بقوله : إنا « لا نجعل الإعجاز  
متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة ، ووفقاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون  
هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في  
الكلام على غير وجه التكلف المستبشع ، والتعمّل المستشنع » .

والفصل الثامن في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن ؛ وعنده أن إعجاز القرآن  
لا يخفى على العربي البليغ الذي قد تنهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على  
طرقها ومذاهبها ، ولا يشتبه على ذي بصيرة ، ولا يخيل عند أخى معرفة . وأما من  
لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف  
اللغة ، فهو كالأعمى في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بأن يعلم أن  
العرب قد عجزوا عنه ؛ وإذا عجز هؤلاء عنه فهو عنه أعجز .

ثم نقل الباقلاني نصوصاً من خطب النبي وكتبه ، وكلام أبي بكر وعمر وعثمان

وعلى وابن عباس وعبد الله بن مسعود ومعاوية وعمر بن عبد العزيز والحجاج  
وقس بن ساعدة وأبي طالب . وقد استغرقت هذه النصوص من ص ١٩٦ —  
إلى ص ٢٣٤ .

ثم قال : إنه نسخ لقارئ كتابه جملاً من كلام الصدر الأول ومحاوراتهم  
وخطبهم ، ليتأملها بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفرغ لب ، وجمع عقل ؛  
حتى يقع له الفصل بين كلام الآدميين ، وبين كلام رب العالمين ؛ ويعلم أن نظم  
القرآن يخالف نظمهم ، ويتبين الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغين والخطيبين  
والشاعرين ، وبين نظم القرآن جملة .

ثم عقد باباً جليل الشأن عظيم الخطر ص ٢٣٦ ، لبيان أن نظم القرآن يزيد  
في فصاحته على كل نظم ؛ قال فيه : « إذا أردنا تحقيق ما ضمنه لك ، فمن سبيلنا  
أن نعد إلى قصيدة متفق على كبر محلها ، وصحة نظمها ، وجودة بلاغتها ، ورشاقة  
معانيها ، وإجماعهم على إبداع صاحبها فيها ؛ مع كونه من الموصوفين بالتقدم في  
الصناعة ، والمعروفين بالحدق في البراعة ؛ فنقفك على مواضع خللها ، وعلى تفاوت  
نظمها ، وعلى اختلاف فصولها ، وعلى كثرة فضولها ؛ وعلى شدة تعسفها ، وبعض  
تكلفها ؛ وما تجمع من كلام رفيع ، يقرن بينه وبين كلام وضعيع ؛ وبين لفظ  
سوقي ، يقرن بلفظ ملوكي » .

وبعد أن عرض لكلام مسيئة ، رجع إلى ما ضمنه من الكلام على الأشعار  
المتفق على جودتها . فهد لذلك بالكلام على جودة شعر امرئ القيس وبراعته  
وفصاحته ، وما ابتدعه في طرق الشعر ؛ ثم عرض لنقد معلقته حيث يقول  
ص ٢٤٣ : « ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص ، وقيل عن النظر  
متخلص ؛ فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه ، فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ  
القيس في أجود أشعاره ، وما نبين لك من عواره ؛ على التفصيل » . ثم مضى

في نقد المعلقة ، وانتهى منه في ص ٢٧٧ ، بعد أن بين أن « هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة ، وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مردولة ، وأبيات وحشية غامضة مستكرهة ، وأبيات معدودة بديعة ؛ وأن وحشيها مستنكر يروع السمع ، ويهول القلب ، ويكد اللسان ؛ ويعبس معناه في وجه كل خاطر ، ويكفهر مطلقه على كل متأمل أوناظر؛ ولا يقع بمثله التمدح والتفاسيح » .

ثم قال ص ٢٧٧ : « وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبيتها تفاوتاً بيناً في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكن والاستصعاب ، والتسهيل والاسترسال ، والتوحش والاستكراه ؛ وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، ومعارضون في بدائعها . ولا سواء كلام ينحت من الصخر تارة ، ويدوب تارة ؛ ويتلون تلون الحرباء ، ويختلف اختلاف الأهواء ؛ ويكثر في تصرفه اضطرابه ، وتتقاذف به أسبابه ؛ وبين قول يجري في سبكه على نظام ، وفي وصفه على منهاج ، وفي وضعه على حد ، وفي صفائه على باب ؛ وفي بهجته ورويقه على طريق ، مختلفه مؤتلف ، ومؤتلفه متحد ، ومتباعده متقارب ، وشارده مطيع ، ومطيعه شارد ، وهو على متصرفاته واحد ، لا يستصعب في حال ، ولا يتعقد في شأن » .

ثم عرض لنظم القرآن ونهجه ، فقال : « فأما نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورصفه ؛ فإن العقول تنبته في جهته ، وتحار في بحره ، وتضل دون وصفه . ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض ، وتستولي به على الأمد ، وتصل به إلى المقصد ؛ وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس ، وتتيقن تنامي بلاغته كما تتيقن الفجر ؛ وأقرب عليك الغامض ، وأسهل لك العسير » .

ثم ذكر آيات كثيرة ، وبين أسرار إعجازها بياناً شافياً كافياً ، على نحو رائع جميل ، كقوله في ص ٢٩٤ : « ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض

وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم؛ إنه كان من المفسدين ﴿؟﴾ هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى ، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ، وروقتها على ما تعين ، وفصاحتها على ما تعرف . وهي تشتمل على جملة وتفصيل ، وجامعة وتفسير : ذكر العلو في الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ؛ وإذا تحكّم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ؟ ! لأن النفوس لا تطمئن على هذا الظلم ، والقلوب لا تقرر على هذا الجور . ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد ، وكفت في التظلم ؛ وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره . ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ . وهذا من التأليف بين المؤتلف ، والجمع بين المستأنس .

وقد استغرق كلامه على تلك الآيات من ص ٢٨١ — إلى ٣٢٢ ؛ ثم رجع إلى حديثه عن امرئ القيس وعن عارض القرآن بشعره ؛ ثم قال ص ٢٢٧ : « فإن قال قائل : أجدك تحاملت على امرئ القيس ، ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة ، وبين اللطف والشكاسة ؛ وبين التوحش والاستئناس ، والتقارب والتباعد ؛ ورأيت الكلام الأعدل أفضل ، والنظام المستوثق أكمل ؛ وأنت تجد البحترى يسبق في هذا الميدان ، ويفوت الغاية في هذا الشأن ؛ وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأى ؛ وكذلك تجد لأبي نواس من بهجة اللفظ ، ودقيق المعنى ؛ ما يتعجب فيه أهل الفضل . . . فكيف يعرف فضل ما سواه عليه ؟ » .

ثم خلاص من الإجابة على هذا السؤال ؛ وقال في ص ٣٣٣ : « ونحن نعمد إلى بعض قصائد البحترى فتتكم عليها ، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ؛ ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة ، ويستخلص من سر المعرفة سريرة ؛ ويعلم كيف



تكون الموازنة ، وكيف تقع المشابهة والمقاربة . ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها  
أجود شعره « . وهي التي مطلعها :

أهلاً بذككم الخيال المقبل      فعل الذي نهواه أو لم يفعل

ثم أخذ في نقدها حتى قال في ص ٣٧٣ : « وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة  
البحترى ؛ لأن الكتاب يفضلونه على أهل دهره ، ويقدمونه على من في عصره .  
ومنهم من يدعى له الإعجاز غلوً ، ويزعم أنه يناغى النجم في قوله علوً . . . فبينما  
قدر درجته ، وموضع رتبته ، وحد كلامه . وهيهات أن يكون المطموع فيه  
كلمايوس منه ، وأن يكون الليل كالنهار ، والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين  
ككلام البشر » .

والحق أن نقد الباقلائي لمعلقة امرئ القيس وقصيدة البحترى ، من نماذج  
النقد الأدبي الرائعة ، وصوره الرفيعة البارة ؛ غير أنه شان حسنها ، وشاب  
صفاءها ، بتعامله عليهما ، وإسرافه في نقد بعض أبياتهما ؛ كقوله في نقد قول  
امرئ القيس ص ٢٥٣ :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة      فقالت لك الويلات إنك مرجلي

قوله : « دخلت الخدر خدر عنيزة » ذكره تكريراً لإقامة الوزن ، لا فائدة  
فيه غيره ، ولا ملاحظة له ولا رونق ! وقوله : « فقالت لك الويلات إنك مرجلي »  
كلام مؤنث من كلام النساء ، نقله من جهته إلى شعره ! وليس فيه غير هذا ! ! .

وكقوله ص ٣٣٥ في نقد قول البحترى :

أهلاً بذككم الخيال المقبل      فعل الذي نهواه أو لم يفعل  
برقُ سرى في بطن وجرة فاهتدت      بسناه أعناق الركاب الضلل

البيت الأول في قوله : « ذلكم الخيال » ثقل روح وتطويل وحشو ، وغيره أصلح له . وأخف منه قول الصنوبري :

أهلاً بذاك الزور من زورِ شمسُ بدت في فلك الدّورِ

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكرازة ، وتعود ملاحظته بذلك ملحوظة ، وفصاحته عيًّا ، وبراعته تكلفًا ، وسلامته تعسفًا ، وملاسته تلويًا وتعقدًا ، فهذا فصل . وفيه شيء آخر ، وهو : أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلفت على هذه العيادة ؛ ففيه عُمْدَةٌ ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة . وهو — لبراعته وحذقه في هذه الصنعة — يَمَلِّقُ نحوَ هذا الكلام ، ولا ينظر في عواقبه ؛ لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحوَ هذه الأمور . ثم قوله « فعل الذي نهواه أو لم يفعل » ؛ ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظريفة ؛ وإن كانت كسائر الكلام .

ولست أشك في أن الباقلاني قد حاد عن جادة الصواب عند ما حكم بأن بيت الصنوبري أخف من بيت البحترى . وغنى عن البيان أن بيت الصنوبري ثقیل بالغ الثقل ؛ وحسبه أن يجتمع في شطره الأول « الزور من زور » ، وأن يكون في شطره الثاني كلمة « الدّور » ، ليأخذ سبيله إلى مستقره في حضيض الشعر الأوهد . وأما نقد الباقلاني لبيت البحترى الثاني ، فإني أوردته ليكون بيانًا لمنهج في نقده ، ولأنه استطرد فيه إلى نقد امرئ القيس بنقد لطيف ذهب به ، ولم يسبقه أحد إليه . قال : « فأما بيته الثاني ، فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبدیع المأخذ ، حسن الرّواء ، أنيق المنظر والمسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح الخاطر ، وتسرى بشاشته في العروق . وكان البحترى يسمي نحو هذه الأبيات عروق الذهب ؛ وفي نحوه

ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه في البلاغة . ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة ، والرونق المليح . وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه ؛ كما يقال : إنه يسرى كنسيم الصبا ، فيطّيب ما مرّ به ؛ كذلك يضيء ما مرّ حوله ، وينور ما مرّ به . وهذا غلو في الصنعة ، إلا أن ذكره « بطن وجرة » حشو ، وفي ذكره خلل ؛ لأن النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمان منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ؛ فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة . وتحديد المكان — على الحشو — أحمد من تحديد امرئ القيس من ذكر « سقط اللوى بين الدخول فحومل ، فتوضح فالقراءة » ؛ لم يفتح بذلك حد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشى إن أخل بحدّ أن يكون يبعه فاسداً أو شرطه باطلا !! فهذا باب . ثم إنما يذكر الخيال بخفاء الأثر ، ودقة المطلب ، ولطف المسلك . وهذا الذي ذكره يضادّ هذا الوجه ، ويخالف ما وضع عليه أصل الباب . ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحترى قطع الكلام الأول ، وابتدأ بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ؛ لأن هذا القطع إن كان فعله ، كان خارجاً به عن النظم المحمود ، ولم يكن مبدعاً ؛ ثم كان لا تكون فيه فائدة ؛ لأن كل برق شعل وتكرر وقع الاهتداء به في الظلام ؛ وكان لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً . وهو على ما كان من مقصده ، فهو ذو لفظ محمود ، ومعنى مستجلب غير مقصود ، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات ، وتعليق القول بالإشارات . وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده .

ومن شواهد تجنى الباقلاني على البحترى قوله في ص ٢٤٠ : « وأما قوله :

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسنٍ فيما أتاه ولا الجمال بمجمل  
غذل المشوق وإن من سبى الهوى في حيث يجمله لجأجُ العذل

قوله في البيت الأول : « عندك » حشو ، وليس بواقع ولا بديع ، وفيه كلفة ، والمعنى الذى قصده ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء . وفيه شيء آخر ، لأنه يذكر أن حسننا لم يحسن فى تهيج وجده . وتهنيم قلبه ؛ وضد هذا المعنى هو الذى يميل إليه أهل الهوى والحب . ويتكشاجم أسلم من هذا ، وأبعد من الخلل ؛ وهو قوله :

بحياة حسنك أحسنى ، وبحق من جمل الجلال عليك وفقاً أجلى .

ولست أرى رأى الباقلانى فى أن كلمة « عندك » قد وقعت حشواً متكلفاً ، ليست بواقعة ولا بديعة ؛ وإنما هى فى هذا المقام قد وقعت موقعها الطبيعى البديع ، ولم يجتلبها التكلف حشواً لا يغنى غناه فى تأدية المعنى ، وإنما هى أصيلة فى أصل المعنى ، ولا يؤدى معناها غيرها . ولست أشك كذلك فى أن بيت البحترى أمثل من بيت كشاجم .

ونجمل إلى أن الباقلانى قد ضل عنه معنى بيت البحترى ؛ إذ فهم أنه « يذكر أن حسننا لم يحسن فى تهيج وجده وتهنيم قلبه » . وإنى أفهم أن المعنى الذى أراغ إليه البحترى : أن حسننا لم يحسن إليه بما يود الحبيب من حبيبه أن يحسن إليه به ، مما يتمتع نفسه ، ويروى ظمأ حبه ؛ وأن جماها لم يحمل بإصفاء المودة ، وإنالة جنى الحب المشتهى . وبذلك يتسق معنى البيت ، مع المعنى الذى يميل إليه أهل الهوى والحب .

ولئن كان الباقلانى قد أخطأ فى نقد بيت البحترى الأول ، وضل عن معناه ؛ فإنه أصاب فى نقده للبيت الثانى ، حيث يقول : « وأما البيت الثانى فإن قوله : « فى حيث » ، حشا بقوله كلامه ، ووقع ذلك مستنكراً وحشياً ، نافراً عن طبعه ، جافياً فى وضعه ؛ فهو كرقعة من جلد فى ديباج حسن ! فهو يمحو حسنه ، ويأتى

على جماله . ثم في المعنى شيء ؛ لأن لجأ العُذْل لا يدل على هوى مجهول ، ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للعذل عليه . فعلم أن المقصد استجلاب العبارات . ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ، ولا شيء يفوت قول الشعراء في العذل ؛ فإن ذلك جملهم الذلول ، وقولهم المكرر المقول . »

\* \* \*

ثم قال الباقلاني في ص ٣٧٤ « وأما الغرض الذي صنفنا فيه ، في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن ، فلم نجد على التقريب الذي قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مغنياً ووافياً . . . وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ، ومهدنا الطريق . . . »

ثم عرض لنقد الجاحظ في ص ٣٧٧ : بأن كلامه قريب ، ومنهاجه معيب ؛ ونطاق قوله ضيق . ومن أجل ذلك يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه ، من بيت سائر ، ومثل نادر ؛ وحكمة منقولة ، وقصة مأثورة ؛ فإذا أطال ولم يستعن بكلام غيره ، كان كلامه ككلام غيره .

ثم زعم أن أبا الفضل بن العميد قد سلك مسلكه ، ونازعه طريقته ، فلم يقصّر عنه . ولعله قد بان تقدمه عليه ، لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه ؛ كما ترى الجاحظ يفعل في كتبه ، متى ذكر من كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس أوراقًا ؛ وإذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابًا . وفي هذا الكلام حق كثير ، وظلم مبين ؛ وأين كلام ابن العميد من سحر الجاحظ ؟ هيهات هيهات أن يقارنه أو يقاربه .

\* \* \*

ثم عقد فصلاً في ص ٣٨٠ لبيان أن عجز سائر أهل الأعصار عن الإتيان بمثل القرآن ثابت ، كمعجز أهل العصر الأول .

ثم أعقبه بفصل في التحدى ووجه الحاجة إليه في باب القرآن ص ٣٨٢ .

وتلاه بفصل في قدر المعجز من القرآن عند الأشاعرة والمعتزلة ص ٣٨٦ :  
« فذهب عامة الأشاعرة إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها . قال الأشعري : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز ؛ ولم يبق دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر . وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة » .

وبعد فصل في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ ص ٣٩٣ وقد ذهب إلى أن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك غير البليغ من العرب ؛ فأما البليغ الذي أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة ، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه .

وجعل الفصل الذي يليه ص ٣٩٤ فيما يتعلق به الإعجاز : أهو الحروف المنظومة ؟ أم الكلام القائم بالذات ؟ أم غير ذلك ؟ وذهب إلى أن التحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة ، التي هي عبارة عن كلام الله تعالى ، في نظمها وتأليفها ، وهي حكاية لكلامه ، ودلالات عليه ، وأمارات له ؛ على أن يكونوا مستأنفين لذلك ، لا حاكين بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر فصلاً في وصف وجوه من البلاغة ، بدأه بقوله : « ذكر بعض أهل الأدب والكلام : أن البلاغة على عشرة أقسام . . . » . وهذا البعض الذي لم يشأ أن يصرح باسمه ، هو معاصره أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى المعتزلى . وقد نقل الباقلانى هذا الفصل الطويل بأمثله من كتابه : « النكت في إعجاز القرآن » ؛

وعلق عليه تعليقات شتى . وقد ذيلت كل مثال نقله بما قاله الرماني فيه ؛ لنتم  
فائدة القارئ ، وليستبين الفرق بين الرجلين .

ثم عقد الباقلاني فصلا في حقيقة المعجز ص ٤٣٦ ، فبين معنى إعجازه على  
أصول الأشاعرة بأنه لا يقدر العباد عليه ، وإنما ينفرد الله بالقدرة عليه ؛ ولما لم  
يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز ؛ وإنما لا يقدر العباد على مثله لأنه لو صح  
أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز ؛ وقد أجرى الله العادة بأن يتعذر فعل ذلك  
منهم وأن لا يقدروا عليه . ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله ، أو عرضوا  
عليه من كلام فصحاءهم وبلغائهم ما يعارضه . فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا  
 لخروج ذلك عن أوزان كلامهم ، وأساليب نظامهم ؛ وزالت أطماعهم عنه .  
وتعرض في هذا الفصل لنظم القرآن ص ٤٣٩ ، وأن أصحابه قالوا فيه : إن الله يقدر  
على نظم هيئة أخرى تزيد في الفصاحة عليه ، كما يقدر على مثله . وأما بلوغ بعض  
نظم القرآن الرتبة التي لا مزيد عليها ، فقد قال مخالفونا : إن هذا غير ممتنع . . .  
والذي نقوله : أنه لا يمتنع أن يقال : إنه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم أبلغ  
وأبدع من القرآن كله . وأما قُدِّرَ العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه ، مما  
تصح قدرتهم عليه . »

وعقد بعد ذلك فصلا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل بالإعجاز ،  
بين فيه أنه محال أن يكون القرآن من كلامه عليه السلام ، ورد فيه على قول  
من يقول : لولا أن كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين ،  
وبين غيرها من القرآن ؛ وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت في أنه هل هو  
من القرآن أم لا .

وقال : إن هذا من تخليط الملحدين ، وإن الذي يروونه في ذلك خبر واحد ،  
لا يسكن إليه في مثل هذا ولا يعمل به . وقد جَوَّز أن يكون أبيّ قد كتب دعاء

القنوت على ظهر مصحفه لثلاثين سنة ؛ كما جوز أن يكون ابن مسعود قد شذ عن مصحفه إثبات المودتين ، أو أن يكون الناقل اشتبه عليه الأمر ، لأن مصحفه يخالف في النظم والترتيب مصحف عثمان . وقال : « ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا ، لكانت الصحابة تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ؛ وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ؛ فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ! ؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف ، فكيف يقدر بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة في الإجماع المتقرر ، والاتفاق المعروف ! ؟ » . ثم قال : « ولو كان القرآن من كلامه ، لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئهما رجل واحد ؛ وكانوا يعارضونه ؛ لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يخرج إلى حد الإعجاز ، ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا يخفى كلامه من جنس أوزان كلامهم ، وليس كذلك نظم القرآن ؛ لأنه خارج من جميع ذلك » .

ثم أجاب إجابة دقيقة موفقة على اعتراض أورده في ص ٤٤٦ ؛ وهو :

« لو كان القرآن معجزاً لم يختلف أهل اللغة في وجه إعجازه ؟ » .

ثم أعقبه بفصل موجز لبيان أن من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه .

ثم ذكر الباقلاني الفصل الأخير من كتابه ، ص ٤٥٢ ، وقال في مستهله : « قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول ، رجونا أن يكفي ، وأملنا أن يقنع ؛ والكلام في أوصافه — إن استقصى — بعيد الأطراف ، واسع الأكناف ؛ لعلو شأنه ، وشریف مكانه . والذي سطرناه في الكتاب ، وإن كان موجزاً ، وما أمليناه فيه ، وإن كان خفيفاً — فإنه ينبه على الطريقة ، ويدل على الوجه ، ويهdy إلى الحجة ؛ ومتى عظم محل الشيء فقد يكون



الإسهاب فيه عيًّا ، والإكثار في وصفه تقصيراً . . . ولولا أن العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تتفاضل — لم نحتج إلى ما تكلفنا ؛ ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ، ولو اتفقوا فيها لم يحز أن يتفوقوا في معرفة هذا الفن ، أو يجتمعوا في الهداية إلى هذا العلم ؛ لاتصاله بأسباب خفية ، وتعلقه بعلوم غامضة الغور ، عميقة القعر ، كثيرة المذاهب ، قليلة الطلاب ، ضعيفة الأصحاب ، وبحسب تأتى مواقعه تقع الأفهام دونه ، وعلى قدر لطف مسالكه يكون القصور عنه . . . فإذا كان نقد الكلام كله صعباً ، وتمييزه شديداً ، والوقوع على اختلاف فنونه متمذراً ؛ وهذا في كلام الآدميين ؛ فما ظنك بكلام رب العالمين ؟ » .

ثم قال : « وقد بينا في نظم القرآن أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ، والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف » . وأطلق لقله العنان في وصف القرآن وما اشتمل من جوامع المعاني . وعظيم البلاغة ، وعجيب النظم المفارق لسائر النظم ؛ فأتى في ذلك بما يلذ ويشوق . ويعجب ويطرب ؛ ومن قوله في هذا المعنى : « تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ، ونظم أنيق ، ومعرض رشيق ، غير مُعتاصٍ على الأسماع ، ولا مغلق على الأفهام ، ولا مستكره في اللفظ ، ولا مستوحش في المنظر ؛ غريب في الجنس ، غريب في القبيل ؛ ممتلئ بماء ونضارة ، ولطفاً وغضارة ؛ يسرى في القلب كما يسرى السرور ، ويمر إلى مواقعه كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ، جموح على المتناول المنتاب ؛ كالروح في البدن ، والنور المستطير في الأفق ، والغيث الشامل ، والضياء الباهر ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ؛ من توهم أن الشعر يلحق شأوه بأن ضلاله ، ووضع جهله ، إذ الشعر سميت قد تناولته الألسن ، وتداولته القلوب ، وانتالت عليه الهواجس ؛ وضرب الشيطان فيه بسهمه ، وأخذ منه بحظه . وما دونه من

كلامهم ، فهو أدنى محلا ، وأقرب مأخذاً ، وأسهل مطلباً . . والقرآن كتاب دل على صدق متحمله ، ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها ، وبرهان شهد له براهين الأنبياء المتقدمين ، وبينة على طريقة ما سلف إلى الأولين . . تحداهم به إذ كان من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ؛ فعرفوا عجزهم ، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج ، والوصول إلى أعلى مراتب الطب ؛ فجاءهم بما بهرهم من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وكما أتى موسى بالعصا التي تلففت ما برعوا فيه من سحرهم ، وأتت على ما أجمعوا عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمان الريح والطير والجن حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة وبدائع اللطف . ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الأول والآخر وقوفاً واحداً ، ويبقى حكمها إلى يوم القيامة ... فتأمل ما عرفناك في كتابنا ، وفرغ له قلبك . واجمع عليه لبك ؛ ثم اعتصم بالله يهدك ، وتوكل عليه يعنك ويحرك ، واسترشد به يرشدك ، وهو حسبي وحسبك ، ونعم الوكيل .

\* \* \*

#### رأى الرافعي في إعجاز القرآن :

قال في كتاب « تاريخ آداب العرب » ١٥٣/٢ : « وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ فوضع كتابه المشهور « إعجاز القرآن » ، الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حدة ؛ والغريب أنه لم يذكر فيه كتاب الواسطي ، ولا كتاب الرمانى ، ولا كتاب الخطاطى الذى كان يعاصره ، وأوماً إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما ، فكأنه هو ابتداء التأليف في الإعجاز بما بسط في كتابه واتسع ، وفي ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف

لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ . على أن كتاب الباقلاني وإن كان فيه الجيد الكثير ؛ وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له ، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ، ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواه ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : « لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » .

فإن مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام ، وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول ، ونوع وآخر من فنونه ، وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل من النظم والنثر ؛ ذهبت بأكثره ، وغمرت جلته ؛ وعدّها في محاسنه وهي من عيوبه .

وكان الباقلاني ، رحمه الله وأثابه ، واسع الحيلة في العبارة ، مبسوط اللسان إلى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ ومذهب مقلده ابن العميد ؛ على بصر وتمكن وحسن تصرف ؛ فجاء كتابه وكأنه في غير ما وضع له ؛ لما فيه من الإغراق في الحشد ، والمبالغة في الاستعانة ، والاستراحة إلى النقل ؛ إذ كان أكبر غرضه في هذا الكتاب أن « ينبه على الطريقة ، ويدل على الوجه ، ويهdy إلى الحجة » وهذه ثلاثة لو بسطت لها كل علوم البلاغة وفنون الأدب — لو سعتها ، وهي مع ذلك حشو ووصل .

على أن كتابه قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز ، واحتمل المؤنة فيه بجملة من الكلام والعربية والبيان والنقد ، ووفى بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها ، حتى عدّوه الكتاب وحده ، لا يشرك العلماء معه كتاباً آخر في خطره ومنزلته ، وبعده غوره ، وإحكام ترتيبه ، وقوة حجته ، وبسط عبارته ، وتوثيق سرده . فانظر ما عسى أن يكون غيره مما سبقه أو تلاه . وما زاد الباقلاني ، رحمه الله ، على أن ضمن كتابه روح عصره ، وعلى أن جعله في هذا الباب كالمستحجّ للخواطر الوانية ، والهمم المتشاقة في أهل التحصيل والاستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب ، ولم يغفلوا عن وجه

اللسان ، ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيونه ، ولم يضلوا في مذاهبه وفنونه ، حتى قال : « إن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشاذي فيها كالباثن منها » . وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهد ، ولم يبلغ منها الاستنباط العلمي ، ولم تجرد فيها الأمهات والأصول ، ككتب عبد القاهر ومن جاء بعده ؛ فبسط الرجل من ذلك شيئاً ، وأجل شيئاً ، وهذب شيئاً ، ونحا في الانتقاد منحى الذين سبقوه من العلماء بالشعر وأهل الموازنة بين الشعراء ، وكانت تلك العصور بهم حافلة . وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره » .

\* \* \*

وقد طبع كتاب « إيجاز القرآن » عدة طبعات : أولاها بمطبعة الإسلام بمصر في سنة ١٣١٥ ، وثانيها على هامش كتاب الإتيان للسيوطي المطبوع بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٧ ، وثالثها على هامشه كذلك في المطبعة الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣١٨ ، والطبعة الرابعة في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ ؛ وهي بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب . وقد عارضها بنسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وصدرها بكلمة طيبة عن البلاقاني . ومع أن هذه الطبعة أحسن طبعات الكتاب جميعاً ، فإنها لم تخل من شوائب التصحيف والتحريف ، والنقص الكثير ؛ وفيها ما هو أكثر من ذلك . فقد كرر فيها كلام البلاقاني من السطر الحادي عشر من صفحة ١٧ إلى السطر الأول من ص ١٩ ، فأعيد بنصه وفصه ابتداء من السطر الثاني والعشرين من صفحة ٢١٧ إلى السطر التاسع من صفحة ٢١٩ ، مع أنه مقحم في هذا الموضع إقحاماً ياباه المقام .

ومن أمثلة النقص الواقع فيها : ما جاء في ص ٤١ : « وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة . فرأيناه غير مختلف » وقد ورد هذا الكلام في طبعتنا كاملاً ص ٥٦ « ... عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً

يناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة  
فرأيناه غير مختلف » .

ومنها في ص ٧٠ وكقول علي « حين سئل عن قول النبي صلى الله عليه  
وسلم : إنما قال ذلك والدين في قل » . وهو في طبعنا : « حين سئل عن قول  
النبي صلى الله عليه وسلم : غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود — : إن النبي صلى  
الله عليه وسلم إنما قال ذلك والدين في قل » .

ومنها ماجاء في ص ٧٧ « ومن البليغ عندهم الغلو كقول النمر بن تولب » وهو  
في طبعنا : « ومن البليغ عندهم الغلو والإفراط في الصفة ، كقول النمر بن تولب » .  
ومنها في ٨٣ « إذا فريق منكم بربهم يشركون . ويعدون من البديع  
الموازنة » . وفي طبعنا ص ١٣٣ « ... يشركون . ومن هذا الجنس قول هند بنت  
النعمان الصغيرة بن شعبة ، وقد أحسن إليها : برئتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ،  
وأغناك الله عن يد نالت ثروة بعد فاقة . ويعدون من البديع الموازنة » .

ومنها في ص ٨٧ « ونحوه صحة التفسير ، كقول القائل » . وفي طبعنا ص ١٤٣  
« ونحوه صحة التفسير ، وهو أن توضع معان تحتاج إلى شرح أحوالها ، فإذا شرحت  
أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان ، كقول القائل » .  
وفي نفس الصفحة منها : « ومن البديع التكميل والتتميم ، كقول نافع بن خليفة » .  
وهو في صفحتنا نفسها : « ومن البديع التكميل والتتميم وهو أن يأتي بالمعنى  
الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة التمة لصحته ، المكملة لجودته ، من غير أن  
يخل ببعضها ، ولا أن يغادر شيئاً منها . كقول القائل : وما عسيت أن أشكر  
عليه من مواعيد لم تشن بمطل ، ومرافد لم تشب بمن ، وبشر لم يمازجه ملق ،  
ولم يخالطه مذاق . وكقول نافع بن خليفة » .

ومنها في ص ٢٢٠ « وكذلك لم يشته دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن

أم ، ولا يجوز أن يخفى عليهم « وهو في طبعتنا ص ٢٤٢ » ... هو من القرآن أم لا ، قيل : هذا من تخليط الملحدين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يخف عليهم ما هو من القرآن ، ولا يجوز أن يخفى عليهم .

وقد رمزت إلى طبعة السلفية برمز « س » ووضعت كل زيادة عليها بين هاتين العلامتين [ ] .

وأمثلة التحريف والتصحيح كثيرة مبينة في أماكنها من الكتاب ، ولكننا نذكر منها :

جاء في ص ٦٦ منها « وفطنوا لحسنه فتنبعوه من بعد ، وبنوا عليه وطلبوه ، ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الاضطراب بوزنها ، وتهش النفوس إليها » . والصواب في طبعتنا ص ٩٧ « التي يقع الإطراب بوزنها » .

وجاء في ص ٩٧ « كأمري القيس ، وزهير ، والنابعة وإلى يومه ، ونحن نبين تميز كلامهم » . والصواب في طبعتنا ص ١٦٧ « والنابعة ، وابن هرمة ، ونحن نبين تميز كلامهم » .

وجاء في ص ١٣١ « وإنما قرع له الأصمعي إلى إفادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه » . والصواب في طبعتنا ص ٢٤٥ « وإنما فزع الأصمعي إلى إفادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه » .

وجاء في ص ١١٤ « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، سهيل بن عمرو : اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس » . والصواب في طبعتنا ص ٢٠٥ « اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس » .

وجاء في ص ١٣٠ في كلام الباقلاني عن امرئ القيس : « ثم ترى أنفس

الشعراء تتشوق إلى معارضته ، وتسأويه في طريقته ، وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة » . والصواب في طبعتنا ص ٢٤٢ « . وربما غبّرت في وجهه في أشياء كثيرة . »

وجاء في كلام الباقلاني على بيت امرئ القيس :  
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل  
ص ١٣٨ « لأنه إن كان محتاجاً — على ما وصف به نفسه من الصباية —  
فقلبه كله لها ، فكيف يكون بكاؤها هو الذي يخلص قلبه لها ؟ » .  
والصواب كما في طبعتنا ص ٢٦٠ « لأنه إن كان محباً — على ما وصف به  
نفسه من الصباية . . . » .

ومن أجل ذلك وأمثاله رأيت أن أنشر الكتاب نشرة علمية قوية ، تقوم  
أودّه ، وتكمل نقصه ، وكان لي ما أردت ، بحمد الله وتوفيقه .

\*\*\*

وقد اعتمدت في نشره على أربع نسخ خطية :

فالنسخة الأولى : صورتها عن نسخة المتحف البريطاني رقم ٧٧٤٩ وعدد أوراقها ١٣٩ ورقة ، وخطها نسخ جميل ، وقد ضبطت كلماتها بالحركات . وكتب في آخرها بخط يخالف خطها : « هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع وتسعين بعد الثلاثمائة » . ولست أمتري في أن هذه العبارة مرورة ، قد كتبها كاتب ليضفي على النسخة قيمة تاريخية ليتسنى له بيعها بشئ مرتفع . وبعيد أن يكتب الباقلاني هذه النسخة لمكتبة عضد الدولة ، ويكون فيها : « خطبة لقس بن ساعدة الإيادي رضى الله عنه ! » ، ولا يعني بتصحيحها . وهذه النسخة مترعة بالتحريف ، وتنقص بعض النصوص ، كما هو مبين في أما كنه من الكتاب . وقد رمزتُ إلى هذه النسخة بالرمز « م » .

والنسخة الثانية : صورتها عن نسخة مكتبة « كوبريلي » بالأستانة ، وهي تقع ١٠٤ ورقة ، ومقاسها ٢٥ر٥ × ١٦ر٨ وخطها نسخ مشكول بالحركات ، وهي مخرومة من وسطها ، وقد كتب في آخرها بخط ناسخها : « وكان الفراغ من نسخه سلخ الشهر المعظم رجب سنة ثمانية عشر وستمائة . علقه الشريف حسن بن الشريف محمد ، بن الشريف علي ، بن الشريف حسين ، الحسيني ، السمرقندي الناسخ ، وصلوات على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً » وقد رمزت إليها بالحرف « ك » .

والنسخة الثالثة : مخطوطة خاصة مجهولة التاريخ ، وليس عليها ما يدل على اسم ناسخها ، وهي مكتوبة بخط مغربي دقيق ، غير مضبوطة وتقع في ١١٢ ورقة ، وقد فقدت منها الورقة الأولى ، وقد رمزت إليها بالحرف « ب » .

والنسخة الرابعة صورتها عن النسخة المحفوظة بمكتبة « الأسكوريال » بأسبانيا تحت رقم ١٤٣٥ وهي تقع في ١٢٥ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « وكان



الفراغ منه في غرة ذى الحجة ، سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، نسخته من أصل  
الفقيه الإمام أبي الحجاج يوسف بن عبد العزيز اللخمي ، الذي عليه خط  
شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله التيمي . وأخبرني أنه نسخها من نسخة  
صحيحة ، عليها مكتوب : فرغ من نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة .  
وقال لي : توفي القاضي المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربعمائة . وعارضت نسختي  
هذه بالأصل ، وقرأتها عليه وهو يمسك أصله ، والحمد لله رب العالمين . وقد  
رمرت إلى هذه النسخة بحرف « ا » .

\* \* \*

وبعد ، فإني أحمد الله سبحانه أن وفقني لإخراج الكتاب على هذا النحو ،  
فإن كنت أصبت فالخير أردت ، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني بذلت فيه  
وسعى ، وفي لفتات النقاد ما يكمل النقص ويسد الخلل ، والله ولي التوفيق ؟  
السيد أحمد صقر

القاهرة يوم الخميس } ١٨ من المحرم سنة ١٣٧٤ هـ  
١٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٤ م



اللوحة رقم : ١  
 عنوان نسخة المتحف البريطاني  
 المرموز لها بحرف : م





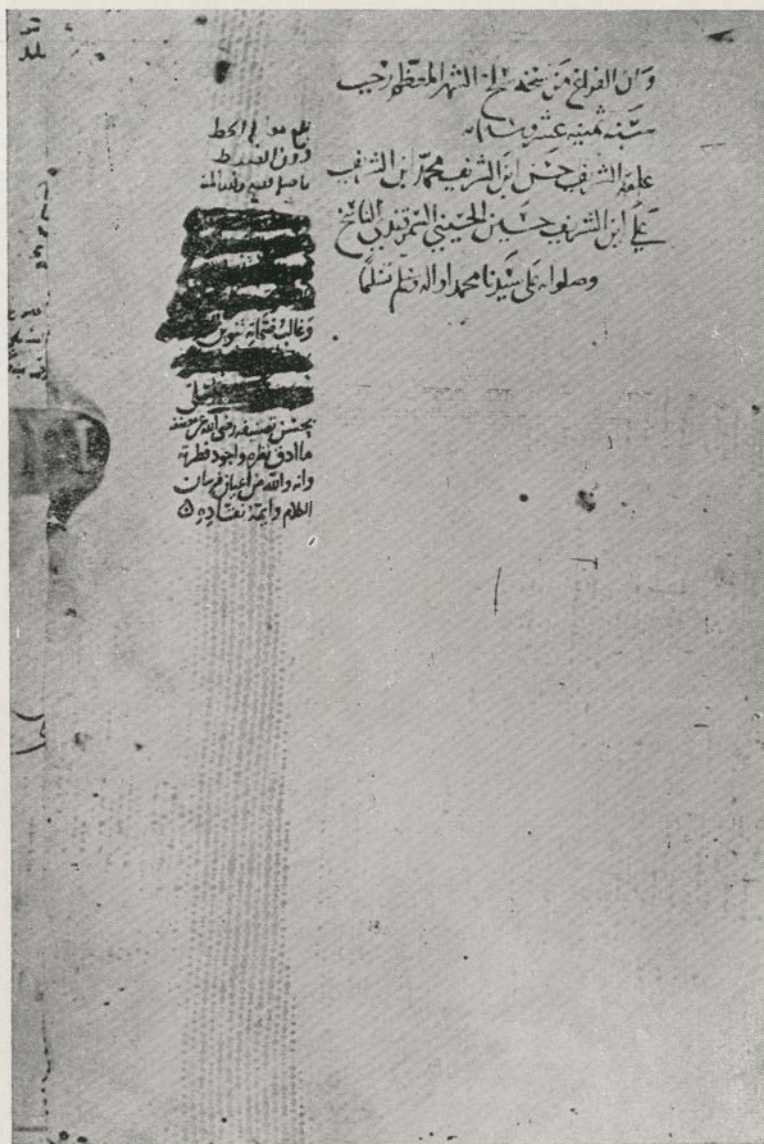


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُ الْمُؤَقِّ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْعِمِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا هَدَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْمَتَّبِعِ لِحَسْبَانِهِ  
 رَبِّمَا أَقَامَ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ الْيَوْمَ الَّذِي يَنْفُسُهُ مَا تَزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ لِيَكُونَ شَيْئًا  
 وَنَذِيرًا وَدَلِيلًا لِلَّهِ بَادِيَهُ وَنَسْرًا لِمَنْ يَلِيهِ أَوْ هَادِيًا لِمَا ارْتَضَى لَهُمْ مِنْ  
 دِينِهِ وَسُلْطَانًا أَوْخَعَ وَجْهَ تَيْفِينِهِ وَدَلِيلًا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَمُرْسَلًا إِلَى مَعْرِفَةِ  
 عِزَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ وَمُبْصِرًا عَنْ صِفَاتِ جَلَالِهِ وَعِلْوِ شَانِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ  
 وَحَكِيمِ سُلُوكِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ بِوَعْدِكَ عَلَى صِدْقِهِ وَبَيِّنَةٍ عَلَى أَمْنِهِ عَلَى  
 وَجْهِهِ وَصَادِقًا بِأَمْرِهِ فَمَا أَشْرَفَ مِنْ كِتَابٍ تَحْقُرُ صِدْقُ تَحْقُلِهِ شَأْلُهُ  
 تَشْتَقِلُ عَلَى صَحْبِهِ قَوْلَ مَوْدِيَّائِهِ فَيَنْوِي سَخَطَهُ أَنْ يَحْتَدَّ كَافِيَتُهُ  
 هَلَاكِيَهُ لَا يَخْلُجُ مَعَ صُورَتِهِ عَلَى بَلَدِيَّتِهِ تَعْدُو مَا أَوْجَدَتْهُ تَسْلُوًا وَأَنْ الرُّعَابُ  
 عَيْنًا كَالرَّهَابِ عَنْ أَضْرَافِهَا وَالتَّشْكَلُ فِي الْمَشَاعِلَاتِ وَلِذَلِكَ قَالَ عَزَّ  
 ذَكَرَهُ وَلَوْ تَرَانَا عَلَيْكَ كَمَا فِي قُرْطَانٍ فَلَسَوْفَ يَأْتِيَنَّهُمْ لِقَالِ الذِّكْرِ كَفَرُوا  
 أَنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُتَّبِعٌ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْ فَخَّرْنَا عَلَيْهِمْ يَا أَيُّهَا السَّمَاءُ وَظَلُّوا  
 فِيهِ لَعَجَزُوا لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْنٌ لِنَا أَنْصَارًا بَلْ لَعَنَهُمُ السَّجُورُ وَفِي قَوْلِهِ  
 الشُّكُّ عَلَى حَرِّ الْحُسَيْنِ وَعَظِيمِ مَنَبَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مَصْطَفٍ  
 وَالْوَاسِلُ هُوَ وَهُوَ أَهْمُّ مَا يَجِبُ عَلَى هَذَا نَبِ  
 اللَّهُ كَشَفَهُ وَأَوْرَثَ مَا لَمْ يَزَلْ حَسَنَةً مَا كَانَ لِأَصْلَاحِ نَبِيِّهِمْ نَوَامًا وَلِقَاعُهُ  
 تَوْحِيدُهُمْ عِمَادًا وَنُظَامًا وَعَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزْهَانًا  
 وَلَمْ يَجْرِدْ تَبَتًا وَجْهَهُ لَأَسْمَاءِ الْجَلِيلِ مَمْدُودُ الرِّوْقِ شَدِيدُ التَّقَارُفِ

اللوحة : ٥

الصفحة الأولى من نسخة كوبريللي

المرموز لها بحرف : ك



اللوحة : ٦

آخر صفحة من نسخة كوبريللي  
المرموز لها بحرف : ك



باب البحث وبحث الاله في وجه البحر وبحث  
نابو الاديان وعا وبحث جماله السطحي  
ومقدوف بخلاف الرحمن واسباب الخلال  
والجماله كثيره ودرجات الحرمان مختلفه  
ومعلا جعلت بازاء الكفره مثل لسدر وسفره  
العاصري في حشر اسلامه وبحث في زفير في صدى  
ايمان وحشر ثباته وبحث في الشبهات  
والخطايا التي اسلموا على اركان الهدى الاول ما فهم  
الاخيم زانوا وبحث في اخر ومدينه الارواح  
الابعد اليه الله ولا توفى الا بغيره الله وذلك  
فضل الله بونه من شيا فهاصل ما عثر فيناك  
في كتابنا وبحث في فليد واجه عليه لتك  
م اعظم بالله بغيرك ونوكل عليه بغيرك  
والجرك واستمر منه بوشرك وهو حسي  
وحسينك وبع الوكيل والحمد لله رب العالمين  
وصلاه على سيدنا محمد حاتم النبيين وعلى اهل بيته  
ودار البقاع منه في عركه في الحجه سنة ثلثه واربعمائه  
سنة من اهل القبة الامام اي الحاج موسى بن عبد العزيز الحمزي  
الذي عليه خط بيته عدة اهل القبة اي عبد الله النبي واهل بيته  
انه سبحانه بيته عليه السلام في قوع من سبحا في حماري  
الاحمر سنة احدى واربعمائه وصال يوم القاصي المولى  
رحمه الله سيدنا في دار بيمانه وعاصبه بختي هذه بالاصل  
ومرابطا عليه وهو مستأصله والحمد لله رب العالمين

اللوحة : ٧

الصفحة الأخيرة من نسخة الأسكوريال

المرموز لها بحرف : ١

# إعجاز القرآن

للباقلاّني  
أبي بكر محمد بن الطيّب



مجلسه اول

مجلسه دوم

مجلسه سوم

مجلسه چهارم

مجلسه پنجم

مجلسه ششم

مجلسه هفتم

مجلسه هشتم

مجلسه نهم

مجلسه دهم

مجلسه یازدهم

مجلسه دوازدهم

مجلسه سیزدهم

مجلسه چهاردهم

مجلسه پانزدهم

مجلسه شانزدهم

مجلسه هجدهم

مجلسه نوزدهم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المُنعم على عباده بما هداهم إليه من الإيمان ، والمُتمم إحسانه بما أقام لهم من جَلِيّ البرهان ، الذي حمّد نفسه بما<sup>(١)</sup> أنزل من القرآن ، ليكونَ بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، وهاديًا إلى ما ارتضى لهم من دينه ، وسلطانًا أوضح وجهَ تبيينه<sup>(٢)</sup> ، ودليلاً على وحدانيته ، ومُرشداً إلى معرفة عزّته وجبروته ، ومُفصّحاً عن صفات جلاله ، وعلوّ شأنه وعظيم<sup>(٣)</sup> سلطانه ، وحُجّةً لرسوله الذي أرسله به ، وعاملاً على صدّقه ، وبيّنةً على أنه أمينه على وحيه ، وصادعٌ بأمره .

فما أشرفه من كتاب يتضمّن صدقَ مُتحمّله ، ورسالةً تشتمل على قول مُؤدّيها . بيّن فيه سبحانه أن حُجّته كافيةٌ هاديةٌ ، لا يُحتاجُ مع وضوحها إلى بيّنة تعدّوها ، أو<sup>(٤)</sup> حُجّةٍ تتلوها ، وأنّ الذّهابَ عنها كالذّهاب عن الضّروريّات ، والتّشكُّك في المُشاهدات . ولذلك قال عزّ ذكره : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْنِكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ

(١) : « فيما »

(٢) : « بينته »

(٣) : « وعظم »

(٤) : « ولا »

لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ <sup>(١)</sup> . وقال عز وجل :  
﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا  
سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ <sup>(٢)</sup> 》 .

فله الشكر على جزيل إحسانه وعظيم مننه . والصلاة على محمد  
المصطفى وآله ، وسلم .

ومن أم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ؛  
ما كان لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً <sup>(٣)</sup> ونظاماً ، وعلى  
صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهاناً ، ولمعجزته ثبوتاً وحجة <sup>(٤)</sup> .  
ولا سيما أن الجهل ممدود الرِّواق ، شديد النفاق <sup>(٥)</sup> ، مُستَوَلٍ على الآفاق .  
والعلم إلى عَفَاءٍ ودُرُوسٍ ، وعلى خفاءٍ وطُمُوسٍ . وأهله في جَفْوَةِ الزمن  
الْبَهِيمِ <sup>(٦)</sup> ، يُقَاسُونَ من عُبُوسِهِ لِقَاءِ الأسدِ الشَّتِيمِ <sup>(٧)</sup> ، حتى صار  
ما يكابدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه ، والأخذ في سبيله .

(١) سورة الأنعام - ٧

(٢) سورة الحجر - ١٥ . يعرجون : يصعدون . سكرت : صارت سكرى ،  
أى غشيهم ما غطى أبصارهم ، كما غشى السكران ما غطى عقله ، القرطبي  
٩ - ٨ / ١٠

(٣) م : « عصاماً أو »

(٤) ١ : « حجة وتبياناً » ، م : « وحجة لمعجزته وتبياناً »

(٥) الرِّواق : الفُسْطَاط . النِّفاق : الرِّواج

(٦) البهيم : الأسود

(٧) في اللسان ٢١١ / ١٥ : « أسد شتيم : عابس »

فالناس بين رجلين : ذاهبٍ عن الحق ذاهلٍ عن الرُّشد ، وآخرٍ  
مَصْدُودٍ عن نُصْرته ، مَكْدُودٍ في صِنْعته .

فقد أَدَّى ذلك إلى خوض الملحدِّين ، في أصول الدين ، وتشكيكهم  
أهلَ الضَّعْفِ في كلِّ يقين .

وقد قلَّ أنصارُهُ ، واشتغل عنه أعوانُهُ ، وأسلمه أهله . فصار  
عُرْضَةً لمن شاء أن يَتعرَّضَ فيه ، حتى عاد مِثْلَ الأمرِ الأوَّلِ على  
ما خاضوا فيه عند ظهور أمره . فمن قائلٍ قال : إنه سحر<sup>(١)</sup> ، وقائلٍ  
يقول : إنه شعر<sup>(٢)</sup> ، وآخر يقول : إنه أساطيرُ الأولين<sup>(٣)</sup> ، وقالوا :  
لو نشاء لقلنا مثل هذا<sup>(٤)</sup> . إلى الوجوه التي حكى الله عز وجلَّ عنهم  
أنهم قالوا فيه ، وتكلموا به ، فصرفوه إليه .

وذكر لي عن بعض جُهاَّلم أنه جعل يَمُدُّهُ يَمَضُ الأشعار ،  
ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يُفَضِّلَهُ عليه !  
وليس هذا بيديع من مُلْحِدة هذا العصر ، وقد سبقهم إلى عُظُم<sup>(٥)</sup>

( ١ ) قال تعالى في سورة سبأ — : ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم :  
إن هذا إلا سحر مبين )

( ٢ ) قال تعالى في سورة الأنبياء — ٥ : ( بل قالوا أضغاث أحلام بل  
افتراه بل هو شاعر ) . وقال في سورة الصافات — ٣٦ : ( ويقولون : أثنا  
لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون )

( ٣ ) قال تعالى في سورة الفرقان — ٥ : ( وقالوا أساطير الأولين  
اكتتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا )

( ٤ ) قال تعالى في سورة الأنفال — ٢١ : ( وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا  
قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين )

( ٥ ) م : « أعظم »

ما يقولونه إخوانهم من ملحدة قريش وغيرهم . إلا أن أكثر مَنْ  
كان طَعَن فيه في أول أمره استبان رُشده ، وأبصر قصده ، فتاب  
وأناب ، وعرف من <sup>(١)</sup> نفسه الحق بغريزة طبعه ، وقوة إتيقانه ،  
لا لتصرف لسانه ، بل لهداية <sup>(٢)</sup> ربه وحسن توفيقه . والجهل في هذا  
الوقت أغلب ، والملحدون <sup>(٣)</sup> فيه عن الرشد أبعد ، وعن الواجب  
أذهب .

وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن ،  
وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام ،  
أن يتسبطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته ، والدلالة على مكانه .  
فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه من القول في الجزء [ والطفرة ] <sup>(٤)</sup> ،  
ودقيق الكلام في الأعراض ، وكثير من بديع الإعراب وغامض  
النحو . فلحاجة إلى هذا أمس ، والاشتغال به أوجب .

وقد قصر بعضهم في هذه المسألة ، حتى أدّى ذلك إلى تحول قوم  
منهم إلى مذاهب البراهمة فيها ، ورأوا أن عجز أصحابهم عن نصره  
هذه المعجزة يوجب أن لا مُسْتَنْصَر <sup>(٥)</sup> فيها ، ولا وجه لها ، حين  
رأواهم قد برعوا في لطيف ما أبدعوا ، وانتهوا إلى الغاية فيما أخذوا

( ١ ) لك : « على »

( ٢ ) ١ : « بهداية »

( ٣ ) لك : « والملحد »

( ٤ ) الزيادة من ١ ، م

( ٥ ) س : « أن لا يستنصر »

وَوَضُّعُوا . ثم رأوا ما صَنَّفُوهُ في هذا المعنى غيرَ كاملٍ في بابهِ ، ولا مستوفًى في وجههِ ، قد أُخِلَّ بهتذيب طرَقهِ ، وأُهْمِلَ ترتيبُ بيانه . وقد يُعَذَّرُ بِمُضَمِّهِمْ في تقرِيطٍ يقع منه فيه ، وذهابٍ عنه ؛ لأنَّ هذا الباب مما لا يمكن إحكامه إلا بعد<sup>(١)</sup> التقدُّم في أمور شريفة المحل ، عظيمة المقدار ، دقيقة المسلك ، لطيفة المأخذ .

وإذا اتَّهينا إلى تفصيل القول فيها ، استبان ما قلناه من الحاجة إلى هذه المقدمات ، حتى يمكن بعدها إحكام القول في هذا الشأن . وقد صَنَّفَ الجاحظ في نظم القرآن كتاباً ، لم يَرِدْ فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى .

\* \* \*

وسألنا سائلٌ أن نذكر جملةً من القول جامعةً ، تُسْقِطُ الشبهات ، وتزيل الشكوك التي تعرض للجُهال ، وتنتهي إلى ما يَخْطُرُ لهم ، ويُعَرِّضُ لأفهامهم ، من الطعن في وجه المعجزة . فأجبناه إلى ذلك ، متقربين إلى الله عزَّ وجل ، ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومُعَوِّثته .

ونحنُ مُبَيِّنٌ ما سبق فيه البيانُ من غيرنا ، ونشير إليه ولا نبسط القول ، لئلا يكون ما أَلْفَنَاهُ مكرراً ومَقُولاً ، بل يكون مستفاداً من جهة هذا الكتاب خاصة .

(١) س ، ك : « مما يمكن إحكامه بعد »

وَنَصِفُ مَا يَجِبُ وَصْفُهُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَنْزِيلِ مُتَصَرِّفَاتِ الْخُطَابِ ،  
وَتَرْتِيبِ وَجْهِ الْكَلَامِ ، وَمَا تَخْتَلِفُ فِيهِ طُرُقُ الْبَلَاغَةِ ، وَتَتَفَاوَتْ مِنْ  
جِهَتِهِ سُبُلُ الْبَرَاةِ ، وَمَا يَشْتَبِهُ لَهُ ظَاهِرُ الْفَصَاحَةِ ، وَيَخْتَلِفُ فِيهِ  
الْمُخْتَلِفُونَ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ فِي أَصْلِ  
الْوَضْعِ .

ثُمَّ مَا اخْتَلَفَتْ بِهِ مَذَاهِبُ مُسْتَعْمَلِيهِ فِي فَنُونِ مَا يَنْقَسِمُ إِلَيْهِ  
الْكَلَامُ ، مِنْ شِعْرِ وَرِسَائِلَ وَخُطَبَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَجَارِي الْخُطَابِ .  
وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ أَصُولَ مَا يَبِينُ فِيهِ التَّفَاصُحُ ، وَتُقْصَدُ  
فِيهِ الْبَلَاغَةُ . لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورَ يُتَعَمَّلُ لَهَا فِي الْأَغْلَبِ ، وَلَا يُتَجَوَّزُ فِيهَا .  
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ هَذَا <sup>(١)</sup> الْكَلَامُ الدَّائِرُ فِي مَحَاوِرَاتِهِمْ . وَالتَّفَاوُتُ فِيهِ  
أَكْثَرُ ، لِأَنَّ التَّعَمُّلَ فِيهِ أَقَلُّ . إِلَّا مِنْ غَزَاةٍ طَبِيعَ ، أَوْ فُطَانَةٍ تَصْنَعُ  
وَتَكْلُفُ .

وَنُشِيرُ إِلَى مَا يَجِبُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، لِيُعْرَفَ عَظِيمُ  
مَحَلِّ الْقُرْآنِ ، وَلِيُعْلَمَ ارْتِفَاعُهُ عَنْ مَوَاقِعِ هَذِهِ الْوُجُوهِ ، وَتَجَاوُزُهُ الْحَدَّ  
الَّذِي يَصِحُّ أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَوَازِنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، أَوْ يَشْتَبِهَ ذَلِكَ عَلَى مِثَالٍ .  
وَلَسْنَا نَزْعُ أَنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَبَيِّنَ مَا رُمْنَا بَيَانَهُ ، وَأَرَدْنَا شَرْحَهُ وَتَفْصِيلَهُ ،  
لِمَنْ كَانَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَدَبِ ذَاهِبًا <sup>(٢)</sup> ؛ وَعَنْ وَجْهِ اللِّسَانِ غَافِلًا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ

(١) ب : « ثُمَّ مِنْ بَعْدِهَا »

(٢) م : « ذَاهِلًا »

مما لا سبيل إليه ، إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعة العريية قد وَقَفَ على جُمْل من محاسن الكلام ومُتَصَرِّفاته ومذاهبه ، وعرف جملةً من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من أصول الدين .

وإنما ضَمَّنَ الله عز وجل فيه البيانَ لمثل من وصفناه ، فقال : ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قِرَاءَتُهُ عَرِيبًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> 》 . وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قِرَاءَتُهُ عَرِيبًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ <sup>(٢)</sup> 》 .

---

( ١ ) سورة فصلت - ٣

( ٢ ) سورة الزخرف - ٣



## فصل

في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن ، أن نبوة نبينا عليه السلام مُبَيَّنَت<sup>(١)</sup> على هذه المعجزة ، وإن كان قد أُيِّدَ بـمَد ذلك بمعجزاتٍ كثيرة . إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة ، وأحوال خاصة ، وعلى أشخاص خاصة . وتُقل بعضها ثقلاً متواتراً يقع به العلم وجوداً . وبعضها مما تُقل ثقلاً خاصاً ، إلا أنه حُكِيَ بمشهدٍ من الجمع العظيم وأنهم شاهدوه ، فلو كان الأمر على خلاف ما حُكِيَ لأنكروه ، أو لأنكره بعضهم ، فخلَّ محلَّ المعنى الأول ، وإن لم يتواتر أصلُ النقل فيه . وبعضها مما تُقل من جهة الآحاد ، وكان وقوعه بين يدي الآحاد .

فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة ، عمَّت الثَّقَلَيْنِ ، وبقيت بقاء العَصْرَيْنِ . ولزومُ الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد ، وإن كان قد يُعلم بمعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وَجْهٌ دلالاته ، فيغنى ذلك عن نظرٍ مجدِّدٍ في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان<sup>(٢)</sup> بمثله . وكذلك قد يغنى عجزُ أهل هذا العصر عن الإتيان

(١) م : « أثبتت »

(٢) س : « أول العصر عن مثله »

بمثله ، عن النظر في حال أهل العصر الأوّل .  
 وإنما ذكرنا هذا الفصل ، لما حُكي عن بعضهم أنه زعم أنه وإن  
 كان قد عجز عنه أهل العصر الأوّل فليس أهل هذا العصر بما جزين  
 عنه ، ويكفي عجزُ أهل العصر الأوّل في الدلالة ، لأنهم خُصّوا  
 بالتحدّي<sup>(١)</sup> دون غيرهم .

ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه إن شاء الله .  
 فأما الذي يبيّن ما ذكرناه ، من أن الله تعالى حين ابتعته جمل  
 معجزته القرآن ، وبَنَى أمر نبوّته عليه - : سُورٌ كثيرة وآيات ، نذكر  
 بعضها ، وننبّه بالمدكور على غيره ، فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه :  
 فمن ذلك قوله تعالى : ﴿الرّ . كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ  
 النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ<sup>(٢)</sup>﴾ .  
 فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ،  
 ولا يكون حجةً إن لم يكن معجزةً .

(١) ليس القرآن وإعجازه على ذلك ، فإن أهل العصر الأوّل لم  
 يُخَصّوا بالتحدّي دون غيرهم ، وذلك لأن القرآن معجزة باقية على الزمن ،  
 فالتحدّي باق معها على الزمن ، فهو تحد لأهل كلّ عصر كما كان لأهل  
 العصر الأوّل ، وقد حبا الله هذا الرسول العربيّ الكريم بالرسالة « مؤيداً بدلالة  
 على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى ممر الشهور والسنين دائمة .  
 يزداد ضياؤها على كمر الدهور إشراقاً ، وعلى مرّ الأيّام اثتلاقاً » كما قال  
 الطبري في مقدمة تفسيره ٣ / ١ . فالإعجاز فيها واقع في كلّ عصر ، والتحدّي  
 بها لازم لأهل كلّ زمان .

(٢) سورة إبراهيم - ١

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> 〉 . فلولاً أن سماعه إياه حجةٌ عليه لم يقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجةً إلا وهو معجزةٌ .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنَّ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ 〉 . وهذا بَيِّنٌ جَدًّا فيما قلناه ، من أنه جعله سبباً لكونه منذراً . ثم أوضح ذلك بأن قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ <sup>(٢)</sup> 〉 . فلولاً أن كونه بهذا اللسان حجةً لم يُعَقَّبْ كلامه الأوَّل به .

وما من سورة افتُتِحَتْ بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أُشْبِعَ فيها بيانُ ما قلناه . ونحن نذكر بعضها لتستدل بذلك على ما بعده .  
وكثيرٌ من هذه السور إذا تأملتَه فهو من أوَّلِهِ إلى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن ، والتنبيه على وجه معجزته .

فمن ذلك سورة المؤمن <sup>(٣)</sup> ، قوله عز وجل : ﴿ حَمِّمْ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ 〉 . ثم وصف نفسه بما هو أهله من قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ . ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يُفْرِّكُ

(١) سورة التوبة — ٦

(٢) سورة الشعراء — ١٩٢ — ١٩٥

(٣) هي سورة غافر

تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿١﴾ . فدل على أن الجدل في تنزيله كفرٌ وإلحاد .  
ثم أخبر بما وقع <sup>(١)</sup> من تكذيب الأمم برسولهم ، بقوله عز وجل :  
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ  
لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ . فتوَعَّدَهم بأنه آخِذُهُمْ  
في الدنيا بذنوبهم في تكذيب الأنبياء .

وردَّ براهينهم ، فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴾ .  
ثم توَعَّدَهم بالنار ، فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى  
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ .

ثم عَظَّمَ شأنَ المؤمنين بهذه الحجة ، بما أخبر من استغفار الملائكة  
لهم ، وما وعدَهم عليه من المغفرة ، فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ  
وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا :  
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ  
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ . فلولا أنه برهان قاهر لم يَدُمَّ الكفار على  
العدول عنه ، ولم يحمد المؤمنين على المصير إليه .

ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة للمؤمنين ، ثم عطف على  
وعيد الكافرين ، فذكر آيات ثم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ . فأمر  
بالنظر في آياته وبراهينه ، إلى أن قال : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ،  
يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

(١) : « ما وقع » م : « عما وقع »

فجعل القرآن والوحيَ به كالروح ؛ لأنه يؤدّي إلى حياة الأبد ، ولأنه لا فائدة للجسد من دون الروح . فجعل هذا الروح سبباً<sup>(١)</sup> للإنذار ، وعلماً عليه ، وطريقاً إليه . ولولا أن ذلك برهانٌ بنفسه لم يصحَّ أن يقع به الإنذار والإخبار عما يقع عند مخالفته ، ولم يكن الخبرُ عن الواقع في الآخرة عند ردِّهم دلالته<sup>(٢)</sup> من الوعيد حجةً ولا معلوماً صدقه ، فكان لا يلزمهم قبوله .

فلما خلاص من الآيات في ذكر الوعيد على ترك القبول ، ضرب لهم المثل بمن خالف الآيات وجحد الدلالات والمعجزات ، فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ .

ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى الشوآى ، بأن رُسُلهم كانت تأتيهم بالبينات ، وكانوا لا يقبلونها منهم . فعلم أن ما قدّم ذكره في السور يَنبُتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ، ومحيطهما بالبينات ، ومخالفتهما حكمها ، إلى أن قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ

(١) م « سبباً »

(٢) م : « دلالة »

على كل قلب متكبر جبار ﴿ . فأخبر أن جدّهم في هذه الآيات لا يقع بحجة ، وإنما يقع عن جهل ، وأن الله يطبعُ على قلوبهم ، ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان ، لجحودهم وعنادهم واستكبارهم .

ثم ذكر كثيراً من الاحتجاج على التوحيد ، ثم قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أننى يُصرفون ﴾ .

ثم بين هذه الجملة ، وأن من آياته الكتاب ، فقال : ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يعلمون ﴾ . إلى أن قال : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ .

فدل على أن الآيات على ضربين : أحدهما كالمعجزات التي هي أدلة<sup>(١)</sup> في دار التكليف . والثاني الآيات التي ينقطع عندها العذر ، ويقع عندها العلم الضروري ، وأنها إذا جاءت ارتفع التكليف ، ووجب الإهلاك . إلى أن قال تعالى : ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ . فأعلمنا أنه قادر على هذه الآيات ، ولكنه إذا أقامها زال التكليف ، وحقَّت العقوبة على الجاحدين .

وكذلك ذكر في ﴿ حم ﴾ السجدة<sup>(٢)</sup> على هذا المنهاج الذى شرحنا ، فقال عز وجل : ﴿ حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتابُ فُصِّلَتْ آياته قرآنًا عربيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيرًا ونذيرًا ﴾ . فلولا أنه جعله

(١) ١ ، م : « الأدلة »

(٢) ٢) هي سورة : فصلت

برهاناً لم يكن بشيراً ولا نذيراً . ولم يَخْتَلِفْ بأن يكون عربياً مفصلاً  
أو بخلاف<sup>(١)</sup> ذلك .

ثم أخبر عن ججودهم وقلة قبولهم ، بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ  
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ . ولولا أنه حجة لم يضرهم الإعراض عنه .

وليس لقائل أن يقول : قد يكون حجة<sup>(٢)</sup> ولكن يحتاج في كونه  
حجة إلى دلالة أخرى ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حجة ،  
ولكنه يحتاج إلى دلالة على صدقه وصحة نبوته .

وذلك : أنه إنما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ، ولم يذكر  
حجة غيره .

وبين ذلك : أنه قال عقيب هذا : ﴿ قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحَىٰ  
إليّ ﴾ . فأخبر أنه مثلهم لولا الوحي .

ثم عطف عليه بحمد المؤمنين به المصدقين له ، فقال : ﴿ إن الذين  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ . ومعناه الذين آمنوا بهذا  
الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجة .

ثم تصرف في الاحتجاج على الوحانية والقدرة ، إلى أن قال :  
﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ .  
فتوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد .

(١) م : « خلاف »

(٢) س : « ويحتاج »

ونمود في الدنيا . ثم توعدّهم بأمر الآخرة ، فقال : ﴿ ويوم يُحْشَرُ أعداءُ الله إلى النار فهم يُوزَعُونَ ﴾ ، إلى انتهاء ما ذكره فيه .

ثم رجع إلى ذكر القرآن فقال : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ .

ثم أثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول ، فقال : ﴿ إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنَزَّلُ عليهم الملائكةُ ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا ﴾ . ثم قال : ﴿ وإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وهذا ينبه على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف إعجاز القرآن ، وأنه دلالة له على جهة الاستدلال ؛ لأن الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان . ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه .

ثم قال : ﴿ إنَّ الذين يُلْحِدُونَ في آياتنا ﴾ ، إلى أن قال : ﴿ إنَّ الذين كفروا بالَّذِ كَرَّمَا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهٗ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . وهذا وإن كان متأولاً على أنه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه من أقاصيص الأولين وأخبار المرسلين ، وكذلك لا يوجد خلفٌ فيما يتضمنه <sup>(١)</sup> من الأخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الآتي — : فلا يخرج عن أن يكون متأولاً على ما يقتضيه نظام الخطاب ، من أنه لا يأتيه ما يطله من شبهة سابقة

(١) م : « تضمنه »



تَقْدَحُ فِي مَعْجَزَتِهِ أَوْ تُعَارِضُهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكَذَلِكَ لَا يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِهِ قَطُّ أَمْرٌ يُشَكِّكُ فِي وَجْهِ دَلَالَتِهِ [وإِعْجَازِهِ] . وَهَذَا أَشْبَهُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ وَنِظَامِهِ .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قِرَاءًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أَأَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ <sup>(١)</sup> 〉 . فَأَخْبَرْنَاهُ لَوْ كَانَ أَعْجَبِيًّا لَكَانُوا يَحْتَجُّونَ فِي رَدِّهِ : إِمَّا بِأَنْ ذَلِكَ خَارِجٌ عَنْ عَرَفِ خُطَابِهِمْ ، أَوْ كَانُوا يَعْتَدِرُونَ بِذَهَابِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهُ ، وَبِأَنَّهُمْ لَا يَبِينُ <sup>(٢)</sup> لَهُمْ وَجْهُ الْإِعْجَازِ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَلَا مِنْ لِسَانِهِمْ ، أَوْ بَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَأَنَّهُ إِذَا تَحَدَّاهُمْ إِلَى مَا هُوَ مِنْ لِسَانِهِمْ وَشَأْنِهِمْ فَعَجَزُوا عَنْهُ ، وَجَبَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِهِ ، عَلَى مَا نَبَّيْنَاهُ فِي وَجْهِ هَذَا الْفَصْلِ . إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ 〉 . وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ نَظْمِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ يَنْبَغِي عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ السُّورِ ، فَكِرْهِنَا سَرَدَ الْقَوْلِ فِيهَا . فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُتَأَمِّلُ مَا دَلَّلْنَاهُ عَلَيْهِ بِجِدِّهِ كَذَلِكَ .

ثُمَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ <sup>(٣)</sup> 〉 . فَأَخْبَرْنَا أَنَّ الْكِتَابَ آيَةٌ مِنْ

(١) سُبُورَةُ فَصَّلَتْ - ٤٤

(٢) م : « وَبِأَنَّهُ لَا يَتَبَيَّنُ »

(٣) سُبُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ - ٥٠ وَ ٥١

آياته ، وعَلِمَ من أعلامه ، وأن ذلك يكفي في الدلالة ، ويقوم مقام معجزات غيره وآياتٍ سواه من الأنبياء ، صلوات الله عليهم .  
ويدلُّ عليه قوله عز وجل : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذي له مُلْكُ السموات والأرض ﴾ <sup>(١)</sup> .  
ويدل عليه قوله : ﴿ أم يقولون افتَرى على الله كذباً ، فإن يشأ الله يُخَيِّمَ على قلبك ، ويمحُو الله الباطل ويُحِقُّ الحقَّ بكلماته ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
فدل على أنه جعل قلبه مُستودعاً لوحيه ، ومستنزلاً لكتابه ، وأنه لو شاء صرف ذلك [ عنه ] إلى غيره . وكان له حكم دلالاته على تحقيق الحق وإبطال الباطل مع صرفه عنه . ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التي وصفناها .

فبان بهذا وبنظائره <sup>(٣)</sup> ما قلناه ، من أن بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته ، وصار له من الحكم في دلالاته على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى ، وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء ؛ لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد عليها ، ووصفٍ مُنْضَافٍ <sup>(٤)</sup> إليها ؛ لأن نظمها ليس معجزاً <sup>(٥)</sup> ، وإن

(١) سورة الفرقان — ١ و ٢

(٢) سورة الشورى — ٢٤

(٣) ١ : « بها وبنظائرها »

(٤) س : « مضاف »

(٥) م : « بمعجز »

كان ما تتضمنه<sup>(١)</sup> من الأخبار عن الغيوب<sup>(٢)</sup> معجزاً .

وليس كذلك القرآن ؛ لأنه يشاركها في هذه الدلالة ، ويزيد عليها في أن نظمه معجز ، فيمكن أن يستدل به عليه ، وحلّ في هذا من وجهٍ محلّ سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى ؛ لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه .

وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله ، وإن اختلف الحال في ذلك من بعض الوجوه ؛ لأن موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل ، وأسمعه نفسه متكلماً ، وليس كذلك الواحد منّا . وكذلك قد يختلفان في غير هذا الوجه ، وليس ذلك قصداً بالكلام في هذا الفصل .

والذي نرومه الآن ما يبتأه من اتفاقهما في المعنى الذي وصفنا ، وهو : أنه عليه السلام يعلم أن ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال ، وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه<sup>(٣)</sup> من هذا على جهة الاستدلال .

(١) م : « يتضمنه »

(٢) م : « عن الغائبات والغيوب »

(٣) م ، ا : « ما نعلمه »

## فصل

في [ بيان وجه ] الدلالة على أن القرآن معجزٌ

قد ثبت بما بيننا في الفصل الأول أن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن، فيجب أن نبين وجه الدلالة من ذلك :  
قد ذكر العلماء أن الأصل في هذا : هو أن يُعلم أن القرآن، الذي هو متلوٌّ محفوظ مرسومٌ في المصاحف، هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة .  
والطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر، الذي يقع عنده العلم الضروري به .

وذلك أنه قام به في المواقف، وكتب به إلى البلاد، وتحمله عنه إليها من تابعه، وأورده على غيره ممن لم يتابعه . حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشبهه على أحدٍ ولا يخيل أنه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه ويأخذه على غيره ويأخذ غيره على الناس، حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها، وتعدى إلى الملوك المُصَاقِبَةِ لهم، كملك الروم والمعجم والقيط والحبش، وغيرهم من ملوك الأطراف .

ولما ورد ذلك مضاداً لأديان أهل ذلك العصر كلهم، ومخالفاً لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في الكفر؛ وقف جميع أهل الخلاف على جلته، ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله بالإيمان على جلته

وتفاصيله، وتظاهر بينهم، حتى حفظه الرجال، وتنقلت به الرِّحَال، وتعلّمه الكبير والصغير. إذْ كان عمدة دينهم، وعلمًا عليه، والمفروض تلاوته في صلواتهم، والواجب استعماله في أحكامهم. ثم تناقله خلفٌ عن سلفٍ<sup>(١)</sup> مثلهم في كثرتهم وتوفّر دواعيهم على نقله، حتى انتهى إلينا، على ما وصفناه من حاله.

فلن يتشكك أحدٌ، ولا يجوز أن يتشكك، مع وجود هذه الأسباب، في أنه أتى بهذا القرآن من عند الله تعالى. فهذا أصلٌ. وإذا ثبت هذا الأصل وجودًا، فإننا نقول: إنه تحدّاهم إلى<sup>(٢)</sup> أن يأتوا بمثله، وقرّعهم على ترك الإتيان به، طولَ السنين التي وصفناها، فلم يأتوا بذلك. [وهذا أصلٌ ثانٍ].

والذي يدل على هذا الأصل: أنا قد علمنا أن ذلك مذكور في القرآن في المواضع الكثيرة، كقوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾<sup>(٣)</sup>.

وكقوله: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مُفترياتٍ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن

(١) ١: «عن سلفهم»

(٢) ١: «على»

(٣) سورة البقرة — ٢٣ و ٢٤

لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ .

فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه ، ودليلاً على وحدانيته .

وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم أنه لا يمكن أن تُعلم بالقرآنِ الوحدانيةُ ، وزعم أن ذلك مما لا سبيل إليه إلا من جهة العقل ؛ لأن القرآنَ كلام الله عز وجل ، ولا يصح أن يُعلم الكلامُ حتى يُعلم المتكلمُ أولاً .

فقلنا : إذا ثبت بما نبينُه إعجازه ، وأن الخلق لا يقدرُون عليه ، ثبت أن الذي أتى به غيرهم ، وأنه إنما يختصُّ بالقدرة عليه من يختصُّ بالقدرة عليهم ، وأنه صدقٌ . وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً ، وليس إذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع أن يُعرف من [ طريق القرآن ، بل يمكن عندنا أن يُعرف من ] الوجهين .

وليس الغرضُ تحقيقَ القول في هذا الفصل ؛ لأنه خارج عن مقصود كلامنا ، ولكننا ذكرناه من جهة دلالة الآية عليه .

ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنِّي اجْتَمَعْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٢) . وقوله : ( أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ . فليأتوا

(١) سورة هود - ١٣ و ١٤

(٢) سورة الإسراء - ٨٨

بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين<sup>(١)</sup> . فقد ثبت بما بيننا أنه تحدّاهم إليه ، ولم يأتوا بمثله .

وفي هذا أمران : أحدهما التحديّ إليه . والآخر أنهم لم يأتوا له بمثل<sup>(٢)</sup> . والذي يدل على ذلك النقلُ المتواتر الذي يقع به العلمُ الضروريّ ، فلا يمكن جحودُ واحدٍ من هذين الأمرين .

وإن قال قائل : لعله لم يقرأ عليهم الآيات التي فيها ذكرُ التحديّ ، وإنما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن — : كان ذلك قولاً باطلاً ، يُعلم بطلانه بمثل<sup>(٣)</sup> ما يُعلم به بطلانُ قول من زعم أن القرآن أضعافُ هذا ! وهو يبلغ جمل جمل ! وأنه كُتِم ، وسيُظهره المهدى !!

أو يدّعى أن هذا القرآن ليس هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شيء وضعه عمرُ أو عثمانُ ، رضى الله عنهما ، حيث وُضع<sup>(٤)</sup> المصحفُ .

أو يدّعى فيه زيادة أو نقصاناً .

وقد ضمنَ الله حفظَ كتابه أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، ووعدّه الحقّ .

وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الردّ عليه ، لأن العدَدَ الذين

(١) سورة الطور — ٣٣ و ٣٤

(٢) م ، ا : « يأتوا بمثله »

(٣) س : « مثل »

(٤) م ، ا : « وضعاً »

أخذوا القرآن في الأمصار وفي البوادي ، وفي الأسفار والحضر ، وضبطوه حفظاً ، من بين صغيرٍ وكبير ، وعرفوه حتى صار لا يشتبه على أحدٍ منهم حرف — : لا يحوز عليهم السهو والنسيان ، ولا التخليط فيه والكتبان .

ولو زادوا وتقصوا أو غيروا لظهر . وقد علمت أن شعر امرئ القيس وغيره — على أنه لا يحوز أن يظهر ظهور القرآن ، ولا أن يُحفظ كحفظه ، ولا أن يُضبط كضبطه ، ولا أن تَمَسَّ الحاجة إليه إمساسها<sup>(١)</sup> إلى القرآن — لو زيدَ فيه بيتٌ ، أو تُقص منه بيتٌ ، لا ، بل لو غيّر فيه لفظ ، لتبرأ منه أصحابه ، وأنكره أربابُه .

فإذا كان ذلك مما لا يمكن [ أن يكون ] في شعر امرئ القيس ونظرائه ، مع أن الحاجة إليه تقع لحفظ العربية ، فكيف يحوز أو يمكن ما ذكره في القرآن ، مع شدة الحاجة إليه في [ الصلاة التي هي ] أصل الدين ، ثم في الأحكام والشرائع ، واشتغال الهمم المختلفة على ضبطه :

فمنهم من يضبطه لإحكام قراءته ومعرفة وجوهها وصحة أدائها .

ومنهم من يحفظه للشرائع والفقه .

ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه .

ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة .

(١) س : « مساسها »



ومن الملحدّين من يُحصّله لينظر في عجيب شأنه :  
وكيف يجوز على أهل هذه المهّم المختلفة والآراء المتباينة ، على  
كثرة أعدادهم ، واختلاف بلادهم ، وتفاوت أغراضهم — : أن  
يجمعوا على التغير والتبديل والكتمان ؟ !

وبين ذلك : أنك إذا تأملتَ ما ذكر في أكثر السور مما بيننا ،  
ومن نظائره في رد قومه عليه ورد غيرهم ، وقولهم ﴿ لو نشاء لقلنا مثلَ  
هذا ﴾<sup>(١)</sup> ، [ وقول بعضهم إن ذلك سحر ] ، وقول بعضهم ﴿ ما سمعنا  
بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا أختلاق ﴾<sup>(٢)</sup> ، إلى الوجوه التي يصرف  
إليها قولهم في الطعن عليه .

فمنهم من يستهين بها<sup>(٣)</sup> ويحمل ذلك سبباً لتركه الإتيان بمثله .  
ومنهم من يزعم أنه مُفترى ، فلذلك لا يأتي بمثله .  
ومنهم من يزعم أنه دأرس وأنه أساطير الأولين .  
وكرهنا أن نذكر كل آية تدل على تحدّيه لتلايق التطويل .  
ولو جاز أن يكون بعضه مكتوماً لجاز على كله . ولو جاز أن  
يكون بعضه موضوعاً لجاز ذلك في كله .  
فثبت بما بيننا أنه تحدّاهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله<sup>(٤)</sup> ، وهذا الفصل  
قد بينّا أن الجميع قد ذكروه وبنوا عليه .

( ١ ) سورة الأنفال — ٣١

( ٢ ) سورة ص — ٧

( ٣ ) ١ ، م : « به »

( ٤ ) س : « تحدى إليه . . . له بمثل »

فإذا ثبت هذا وجب أن يُعلم بعده أن تركهم للإتيان بمثله كان لعجزهم عنه .

والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن : أنه تحدّاهم إليه حتى طال التحدّي ، وجعله دلالة على صدقه ونبوته ، وضمن<sup>(١)</sup> أحكامه استباحة دماءهم وأموالهم وسبّ ذريتهم ، فلو كانوا يقدرّون على تكذيبه لفعلوا ، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهلهم وأموالهم من حكمه ، بأمر قريب ، هو عادتُهم في لسانهم ، ومألوف من خطابهم ، وكان ذلك يغيثهم عن تكلف القتال ، وإكثار المراء والجدال ، وعن الجلاء عن الأوطان ، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي . فلما لم تحصل هناك معارضة منهم ، علّم أنهم عاجزون عنها .

يبيّن ذلك أن العدو يقصد لدفع قول<sup>(٢)</sup> عدوّه بكل ما قدر عليه من المكائد ، لا سيما مع استعظامه ما بدّاهه بالمجىء من<sup>(٣)</sup> خلع آلهته ، وتسفيه رأيه في ديانته ، وتضليل آبائه ، والتغريب عليه بما جاء به ، وإظهار أمر يوجب الاتقياء لطاعته ، والتصرف على حكم إرادته ، والعدول عن إلفه وعادته ، والانخراط في سلك الأتباع بعد أن كان متبوعاً ، والتشيع بعد أن كان مُشيّعاً ، وتحكيم الغير في ماله ، وتسليطه إياه على جملة أحواله ، والدخول تحت تكاليف شاقة ،

(١) س : « وتضمن »

(٢) ١ : « لقول »

(٣) ١ : « مع »

وعباداتٍ مُتَّبَعَةٍ ، بقوله . وقد علم أن بعض هذه الأحوال مما يدعو إلى سلب النفوس دونه .

هذا ، والْحَمِيَّةُ حَمِيَّتُهُمْ ، والهمم الكبيرة همهمهم ، وقد بذلوا له السيف فَأَخْطَرُوا<sup>(١)</sup> بنفوسهم وأموالهم . فكيف يجوز أن لا يتوصلوا إلى الرد عليه وإلى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم ، وما يمكن تناوله من غير أن يعرق فيه<sup>(٢)</sup> جبين ، [أو ينقطع دونه وَتَيْنٌ] ، أو يشتغل به خاطر ، وهو لسانهم الذى يتخاطبون به ، مع بلوغهم فى الفصاحة النهاية التى ليس وراءها مُتَطَّلِعٌ ، والرتبة التى ليس فوقها<sup>(٣)</sup> مَنَزَعٌ ؟ !

ومعلوم أنهم لو عارضوه بما تحدّاهم إليه لكان فيه توهينُ أمره ، وتكذيبُ قوله ، وتفريقُ جمعه ، وتشتيتُ أسبابه ، وكان من صدق به يرجع على أعقابه ، ويعود فى مذهب أصحابه .

فلما لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، مع طول المدة ، ووقوع الفُسْحَةِ ، وكان أمره يتزايد حالاً خلاً ، ويملأ شيئاً فشيئاً ، وهم على المعجز عن القدح فى آيته ، والطمأن [بما يؤثر] فى دلالاته — : عَلِمَ<sup>(٤)</sup> مِمَّا<sup>(٤)</sup> بيننا أنهم كانوا لا يقدرّون على معارضته ، ولا على توهين حجته .

(١) س : « وأخطروا »

(٢) م ، ١ : « له »

(٣) س : « مطلع . . . وراءها »

(٤) م ، ١ : « بما »

وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال :  
﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ  
خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

وعلم أيضاً ما كانوا<sup>(٤)</sup> يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن ،  
مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم : ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن  
هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾<sup>(٥)</sup> ، وقولهم : ﴿ما هذا إلا سحرٌ مُفْتَرًى ،  
وما سمِعْنَا بهذا في آبائنا الأولين﴾<sup>(٦)</sup> ، وقالوا : ﴿يا أيها الذي نُزِّلَ عليه  
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقالوا : ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنتُمْ تَبْصِرُونَ﴾<sup>(٨)</sup> ،  
وقالوا : ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾<sup>(٩)</sup> ، وقال : ﴿وقال الذين  
كفروا : إن هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا  
ظُلماً وزوراً ، وقالوا : أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً

(١) سورة الزخرف - ٥٨

(٢) سورة مريم - ٩٧

(٣) سورة النحل - ٤

(٤) س : « أن ما كانوا »

(٥) سورة الأنفال - ٣١

(٦) سورة القصص - ٣٦

(٧) سورة الحجر - ٦

(٨) سورة الأنبياء - ٣

(٩) سورة الصافات - ٣٦

وَأَصِيلًا<sup>(١)</sup>، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ: إِنَّ تَبِعْمُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إلى آيات كثيرة في نحو هذا، تدل على أنهم كانوا متحيرين في أمرهم، متعجبين من عجزهم، يفزعون إلى نحو هذه الأمور: من تعليل وتعذير، ومدافعة بما وقع التحدي إليه، ووجد<sup>(٤)</sup> الحث عليه. وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب، وجَاهَدُوهُ<sup>(٥)</sup> وناذبوه، وقطعوا الأرحام، وأخطروا بأنفسهم، وطالبوه بالآيات والإتيان [بالملائكة] وغير ذلك من المعجزات، يريدون تعجيزه ليُظهرُوا عليه بوجه من الوجوه.

فكيف يجوز أن يقدرُوا على معارضته القريبة السهلة عليهم — وذلك يَدْخُضُ حُجَّتَهُ، ويفسد دلالته، ويبطل أمره — : فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المناظرة والمعاداة، ويتركون الأمر الخفيف؟!

هذا مما يمتنع وقوعه في العادات، ولا يجوز اتفاهه<sup>(٦)</sup> من العقلاء. وإلى هذا [الموضع] قد استقصى أهلُ العلم الكلام، وأكثرُوا في هذا المعنى وأحكموه.

(١) سورة الفرقان — ٤ و ٥

(٢) سورة الفرقان — ٨

(٣) سورة الحجر — ٩١

(٤) س : « وعرف »

(٥) س : « وجَاهَرُوهُ »

(٦) س : « اتفاهه »

ويمكن أن يقال : إنهم لو كانوا قادرين على معارضته والإتيان بمثل ما أتى به ، لم يجوز أن يتفق منهم ترك المعارضة ، وهم على ما هم عليه من الذرابة والسلافة<sup>(١)</sup> ، والمعرفة بوجوه الفصاحة ، وهو يستطيل عليهم بأنهم عاجزون عن مباراته ، وأنهم يضعفون عن مجاراته ، ويكرر<sup>(٢)</sup> فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل ما يأتي به ، ويقرّعونهم ويؤنبهم عليه ، ويدرك أماله فيهم ، وينجح ما سعى له في تركهم<sup>(٣)</sup> المعارضة .

وهو يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه ، وتقدير أمره ، حتى يتلو قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ يُنزلُ الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

(١) في اللسان ١٢ - ٢٥ : « وسلقه بلسانه يسلقه سلقاً : أسمع ما يكره فأكثر ، وسلقه بالكلام سلقاً : إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان ، وفي التنزيل : سلقوكم بالسنة حداد : أى بالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنمة أشدّ مخاصمة وأبلغها »

(٢) م ، ١ « وتكرر »

(٣) س : « ما يسعى له يتركهم »

(٤) سورة الإسراء - ٨٨

(٥) سورة النحل - ٢

(٦) سورة الحجر - ٨٨

لِحَافِظُونَ»<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>،  
 وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ  
 كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ  
 جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن . فمنها  
 ما يتكرر في السورة في مواضع منها، ومنها ما ينفرد فيها . وذلك مما  
 يدعوهم إلى المباراة، ويحضهم على المعارضة، وإن لم يكن متحدياً إليه .  
 ألا ترى أنهم قد ينافروا شعراؤهم بعضهم بعضاً ؟ ولهم في ذلك  
 مواقف معروفة ، وأخبار مشهورة ، وآثار منقولة مذكورة<sup>(٥)</sup> .  
 وكانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذلاقة ، ويتبجحون بذلك ،  
 ويتفاخرون بينهم . فلن يجوز الحال هذه أن يتغافلوا عن معارضته  
 لو كانوا قادرين عليها ، تحداهم أو لم يتحدّهم إليها .

ولو كان هذا القليل مما يقدر عليه البشر ، لوجب في ذلك أمر  
 آخر ، وهو أنه لو كان مقدوراً للعباد لكان قد اتفق إلى وقت مبعثه  
 من هذا القبيل ما كان يمكنهم أن يعارضوه به ، وكانوا لا يفتقرون إلى  
 تكلف وضعه ، وتعمل نظمه في الحال .

(١) سورة الحجر - ٩

(٢) سورة الزخرف - ٤٤

(٣) سورة البقرة

(٤) سورة الزمر - ٢٣

(٥) س : « وأيام منقولة وكانوا »

فلما لم نرهم احتجّوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سألقة ، ونظم بديع ، ولا عارضوه به فقالوا : هذا أفصح مما جئت به وأغرب منه أو هو مثله — : عُلِمَ أنه لم يكن إلى ذلك سبيل ، وأنه لم يوجد له نظير .

ولو كان وجد له مثل لكان يُنقل إلينا ، ولعرفناه . كما نُقل إلينا أشعارُ أهل الجاهلية وكلامُ الفصحاء والحكماء من العرب ، وأدّى إلينا كلامُ الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم وصنوف فصاحتهم .

فإن قيل : الذي بُني عليه الأمر في تثبيت معجزة القرآن : أنه وقع التحدى إلى الإتيان بمثله ، وأنهم عجزوا عنه بعد التحدى إليه . فإذا نظر الناظر وعرف وجه النقل المتواتر في هذا الباب ، وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه . وما ذكرتم يوجبُ سقوطَ تأثير التحدى ، وأن ما أتى به قد عُرف المعجزُ عنه بكل حال .

قيل : إنما احتيج إلى التحدى لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان [ على الكافة ] ، لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجةً بأن يدعيها من ظهرت عليه ، ولا تظهر على مدّعي لها إلا وهي معلومة أنها من عند الله . فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدى وجب فيها التحدى ، لأنه تزول بذلك الشبهة عن الكل ، وينكشف للجميع أن

(٣)



العجز واقع عن المعارضة . وإلا كان<sup>(١)</sup> مقتضى ما قدّمناه من الفصل  
أنّ من كان يعرف وجوه الخطاب ، ويفتنّ في مصارف<sup>(٢)</sup> الكلام ،  
وكان كاملاً في فصاحته ، جامعاً للمعرفة بوجوه الصناعة — : لو أنه  
احتجّ عليه بالقرآن ، وقيل له : إن الدلالة على النبوة والآية للرسالة  
ما تلوته عليك<sup>(٣)</sup> منه ، لكان ذلك بالغاً<sup>(٤)</sup> في إيجاب الحجة [ عليه ] ،  
وتاماً في إلزامه فرض المصير إليه .

ومما يؤكد هذا : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الأحاد إلى  
الإسلام ، محتجاً عليهم بالقرآن . لأننا نعلم ضرورة [ أنه ] لم يلزمهم  
تصديقّه تقليداً ، ونعلم أن السابقين الأولين إلى الإسلام لم يقلدوه ،  
وإنما دخلوا على بصيرة . ولم نعلمه قال لهم : ارجعوا إلى جميع الفصحاء  
فإن عجزوا عن الإتيان بمثله فقد ثبتت حجتي .

بل لما رآهم يعلمون إعجازه ، ألزمهم حكمه : فقبلوه ، وتابعوا  
الحق وبادروا إليه مستسلمين ، ولم يشكّوا في صدقه ، ولم يرتابوا في  
وجه دلالته .

فمن كانت بصيرته أقوى ، ومعرفته أبلغ ، كان إلى القبول منه

(١) س : « وإلا فإن »

(٢) س : « ويتقن مصارف »

(٣) س : « على الرسالة ما أتلوه »

(٤) س : « بلاغاً »

أسبق . ومن اشتبه عليه وجه الإعجاز ، أو خفي <sup>(١)</sup> عليه بعض شروط المعجزات وأدلة النبوات ، كان أبطأ إلى القبول ، حتى تكاملت أسبابه ، واجتمعت له بصيرته ، وترادفت عليه مواده .

وهذا فصل يجب أن يتم القول فيه [ من ] بعد ، فليس هذا بموضع له .

وبين ما قلناه : أن هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والالتقاد له ؛ وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ، ومعرفة وجه دلالة . لأن الأعجمي لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة الفصاحة . فإذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم في <sup>(٢)</sup> توجه الحجة عليه .

وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان ، من هذا الشأن ، ما يعرفه العال في هذه الصنعة . فربما حل في ذلك محل الأعجمي ، في أن لا توجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه .

وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده ، أو الغاية في معرفة الخطب أو الرسائل وحدها — [ من ] غور هذا الشأن — ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصاريف الخطاب ووجوه

(١) س : « واشتبه »

(٢) ١ : « مق »

الكلام وطرق البراعة . فلا تكونُ الحجةُ قائمةً على المختصِّ يعض هذه العلوم بانفرادها : دون تحقيقه لعجز<sup>(١)</sup> البارع في هذه العلوم كلها عنه .

فأما مَنْ كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهارُ الفصاحة ، فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه . وإن لم تقل ذلك أدّى هذا القول إلى أن يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى إليه ، حتى سبر الحال بعجز أهل اللسان عنه ! وهذا خطأ من القول .

فصح من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى إليه القرآن عرف كونه معجزاً ، أو عرف — بأن<sup>(٢)</sup> قيل له : إنه دلالة وعلم على نبوتك . — أنه كذلك ، من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدثى إليه سواء .

ولذلك قلنا : إن المتناهي في الفصاحة والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاسيح ، متى سمع القرآن عرف أنه معجز . لأنه يعرف من حال نفسه أنه لا يقدر عليه ، وهو يعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه ، فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو . وإن كان يحتاج بعد هذا إلى

(١) س : « بعجز »

(٢) س : « معجزاً ، وبأن قيل »

استدلال آخر على أنه علم على نبوته ، ودلالة على رسالته<sup>(١)</sup> بأن يقال له :  
إن هذه آية نبي ، وإنها<sup>(٢)</sup> ظهرت عليه ، وأدعاها معجزة له ، وبرهاناً  
على صدقه .

فإن قيل : فإن من الفصحاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ، ولا  
يعلم مع ذلك عجز غيره عنه . فكذلك البليغ ، وإن علم عجز نفسه عن  
مثل القرآن ، فهو قد يخفى عليه عجز غيره .

قيل : هو مع مستقرّ العادة . وإن عجز عن قول الشعر ، وعلم أنه  
مفحّم ، فإنه يعلم أن الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم .

ومتى علم البليغ المتناهي في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن ، علم  
عجز غيره عنه . وأنه كهو<sup>(٣)</sup> . لأنه<sup>(٤)</sup> يعلم أن حاله وحال غيره في هذا  
الباب سواء . إذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز أن<sup>(٥)</sup> يعلم قدرة أحد  
من البلغاء عليه . فإذا لم يكن لذلك مثل في العادة — وعرف هذا الناظر  
جميع أساليب الكلام ، وأنواع الخطاب ، ووجد القرآن مبايناً لها —  
علم خروجه عن العادة ، وجرى مجرى ما يعلم أن إخراج اليد البيضاء  
من الجيب خارج عن العادات ، فهو لا يجوز من نفسه ، وكذلك  
لا يجوز وقوعه من غيره ، إلا على وجه تقضى العادة ، بل يرى وقوعه

(١) س : « على نبوة . . . على رسالة »

(٢) س : « لنبيّه وإنما »

(٣) س : « غيره لأنه كهو لأنه »

(٤) س : « للقرآن يجوز أو »

موقع المعجزة . وهذا وإن كان يفارق فلق البحر . وإخراج اليد البيضاء ، ونحو ذلك من وجه ، فهو <sup>(١)</sup> أنه يستوى الناس في معرفة عجزهم عنه ، بكونه <sup>(٢)</sup> ناقضاً للعادة ، من غير تأملٍ شديدٍ ولا نظرٍ بعيد . فإن النظر في معرفة إعجاز القرآن يحتاج إلى تأمل ، ويفتقر إلى مراعاةٍ مقدّمات ، والكشف عن أمور نحن ذاكروها بعد هذا الموضع . فكل واحد منهما <sup>(٣)</sup> يؤول إلى مثل حكم صاحبه ، في الجمع الذي قدمناه .

ومما يبين ما قلناه :— من أن البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن ، وتكون معرفته حجة عليه ، إذا تحدّى إليه وعجز عن مثله ، وإن لم ينتظر وقوع التحدى في غيره ، وما الذى يصنع ذلك بالغير . — فهو ما روى في الحديث أن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في مُعَتَى حليف له ، أراد أن يفاديه ، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ في صلاة الفجر ، قال : فلما انتهى إلى قوله : ﴿ إن عذابَ ربِّك لواقع ﴾ ، ما له من دافع ، قال : خشيت أن يدركنى العذاب . فأسلم .

وفي حديث آخر : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سورة ﴿ طه ﴾ فأسلم .

(١) س : « وهو أنه »

(٢) س : « فكونه »

(٣) س : « منها »

وقد روى أن قوله عز وجلّ في أوّل ﴿حَم﴾ السجدة إلى قوله :  
﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> نزلت في شيبة وعتبة ابني  
ربيعة ، وأبي سفيان بن حرب ، وأبي جهل . وذكر أنهم بعثوا هم  
وغيرهم من وجوه قريش ، بعثت ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
ليكلمه ، وكان حسن الحديث ، عجيب البيان<sup>(٢)</sup> ، بليغ الكلام ،  
وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة ﴿حَم﴾  
السجدة ، من أولها حتى انتهى إلى قوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ  
صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ، فوثب مخافة العذاب ، فاستحكهوه  
ماسمع ، فذكر أنه لم يفهم<sup>(٣)</sup> منه كلمة واحدة ، ولا اهتدى لجوابه .  
ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه وجه الاحتجاج والرد .  
فقال له عثمان بن مظعون : لتعلموا أنه من عند الله ، إذ لم يهتد لجوابه .  
وأبين من ذلك قول الله عز وجلّ : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ، حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾<sup>(٤)</sup> . فجعل  
سماعه حجة عليه بنفسه ، فدل على أن فيهم من يكون سماعه إياه  
حجة عليه .

فإن قيل : لو كان [ كذلك ] على ما قلتم ، لوجب أن يكون حال

(١) سورة فصلت ٤

(٢) س : « عجيب الشأن »

(٣) س : « لم يسمع »

(٤) سورة التوبة ٦

الفصحاء الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة واحدة في إسلامهم عند سماعه .

قيل له : لا يجب ذلك ؛ لأن صَوَارِفَهُمْ كانت كثيرة ، منها أنهم كانوا يشكون : ففيهم <sup>(١)</sup> من يشك في إثبات الصانع ، وفيهم من يشك في التوحيد ، وفيهم من يشك في النبوة . ألا ترى أن أباسفيان بن حرب ، لما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عام الفتح ، قال له النبي عليه السلام : أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : بلى . فشهد . قال : أما آن لك أن تشهد أني رسول الله ؟ قال : أما هذه ففي النفس منها شيء ١٩ .

فكانت وجوه شكوكهم مختلفة ، وطرق شبههم متباينة : فمنهم من قلّت شبهه ، وتأمل الحجة حق تأملها ولم يستكبر ، فأسلم . ومنهم من كثرت شبهه ، أو أعرض <sup>(٢)</sup> عن تأمل الحجة حق تأملها ، أو لم يكن في البلاغة على حدود النهاية ، فتطاول عليه الزمان إلى أن نظر واستبصر ، وراعى واعتبر ، واحتاج إلى أن يتأمل <sup>(٣)</sup> عَجَزَ غيره عن الإتيان بمثله ، فلذلك وقف أمره .

ولو كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة ، وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة — : لتوافوا إلى القبول جملة واحدة .

(١) س : « يشكون منهم »

(٢) م ، س : « وأعرض »

(٣) م : « إلى تأمل »

فإن قيل : فكيف يَعرف البليغ الذى وصفتموه إعجاز القرآن ؟ وما الوجه الذى يتطرق به إليه ، والمنهاج الذى يسلكه ، حتى يقف به على جليلة الأمر فيه ؟ قيل : هذا سبيله أن يفرد له فصل .

\* \* \*

فإن قيل : فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات ، وتصرفهم فى أجناس الفصاحات ؟ وهلا قلتم : إن من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة بوجه<sup>(١)</sup> من هذه الطرق الغريبة ، كان على مثل نظم القرآن قادرًا ، وإنما يصرفه الله عنه ضربًا من الصرف ، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضربًا من المنع ، أو تقصر دواعيه [ إليه ] دونه ، مع قدرته عليه ، ليتكامل ما أراد الله من الدلالة ، ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة ، لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين ، لم يعجز عن نظم مثلهما ، وإذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية إلى الأولى ، وكذلك الثالثة ، حتى يتكامل قدر الآية والسورة ؟ فالجواب أنه لو صح ذلك لصح لكل من أمكنه نظم ربع بيت ، أو مصراع من بيت ، أن ينظم القصائد ويقول الأشعار ، وصح لكل ناطق ، قد يتفق فى كلامه الكلمة البديعة ، نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ! ومعلوم أن ذلك غير سائغ ولا ممكن .

على أن ذلك لو لم يكن معجزًا على ما وصفناه من جهة نظمه

(١) س : « وتوجه »



المتنع ، لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه ، ومنع<sup>(١)</sup> من مقدار الفصاحة في نظمه ، [ كان ] أبلغ في الأعجوبة<sup>(٢)</sup> ، إذا صرفوا عن الإتيان بمثله ، ومنعوا من<sup>(٣)</sup> معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن إنزاله على النظم البديع ، وإخراجه في<sup>(٤)</sup> المعرض الفصيح العجيب .

على أنه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه ، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف ، لأنهم لم يتحدثوا إليه ، ولم تلزمهم حجته .  
فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان .

وفيه معنى آخر : وهو أن أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاماً مطعماً ، لم يخف عليهم ولم يشبهه لديهم .  
ومن كان متناهماً في فصاحته لم يجز أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال .

فإن قال صاحب السؤال : إنه قد يطمع في ذلك . قيل له : أنت تريد على هذا فتزعم أن كلام الأدي قد يضارع القرآن ، وقد يزيد

(١) س : « ووضعه »

(٢) م : « في الأعجوبة »

(٣) س : « عن »

(٤) م : « على »

عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه، ويحسب أن ما ألفه<sup>(١)</sup> في الجزء والطفرة هو أبدع وأغرب من القرآن لفظاً ومعنى ! ولكن ليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه، ويحسبه ظان من أمره، والرجوع في هذا إلى جملة الفصحاء دون الآحاد. ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصيح البليغ، ونميزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب، ليعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين الغلط، وأن هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ ﴾<sup>(٢)</sup>. فهم يعبرون عن دعواهم — أنهم يمكنهم أن يقولوا مثله — وأن<sup>(٣)</sup> ذلك من قول البشر، لأن ما كان من قولهم فليس يقع فيه التفاضل إلى الحد الذي يتجاوز إمكان معارضته .

ومما يبطل ما ذكره من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة — وإنما منع منها الصرفة — لم يكن الكلام معجزاً، وإنما ون المنع هو المعجز<sup>(٤)</sup>، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

(١) م : « أن ما قد ألفه »

(٢) سورة المدثر ١٨ — ٢٥

(٣) س : « بأن »

(٤) س : « المنع معجزاً »

وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم : أن الكل قادرون على الإتيان بمثله ، وإنما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه لو تعلموه لوصلوا إليه به .

ولا بأعجب من قول فريق منهم : إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب ، وإنه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد .

\* \* \*

فإن قيل : فهل تقولون بأن غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز ، كالتوراة والإنجيل والصحف ؟

قيل : ليس شيء من ذلك بمعجز<sup>(١)</sup> في النظم والتأليف ، وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار عن الغيوب<sup>(٢)</sup> .

وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي إلى القرآن .

ولمعى آخر : وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ، ما يقع به التفاضل الذي ينتهى إلى حد الإعجاز ، ولكنه يتقارب . وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر الألسنة ، ويقولون : ليس

(١) م : « معجز »

(٢) س : « الإخبار بالغيوب »

يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب . ويمكن بيان ذلك بأننا<sup>(١)</sup> لا نجد في القدر الذي نعرفه من الألسنة ، للشئ الواحد ، من الأسماء ما نعرف من اللغة ، وكذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية ، وكذلك التصرف في الاستعارات والإشارات ، ووجوه الاستعمالات البديعة ، التي يحى تفصيلها بعد هذا .

ويشهد لذلك من القرآن ، أن الله تعالى وصفه بأنه ﴿ بلسانٍ عربىّ مبين ﴾<sup>(٢)</sup> ، وكرر ذلك في مواضع كثيرة ، ويين أنه رفعه عن أن يجعله أعجمياً .

فلو كان يمكن في لسان العجم إيراد مثل فصاحته ، لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة . وإنه وإن كان يمكن أن يكون من فائدة قوله إنه عربى مبين ، أنه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه إلى الرجوع إلى غيرهم ، ولا يحتاجون في تفسيره إلى سوام<sup>(٣)</sup> ، فلا يمتنع أن يفيد ما قلناه أيضاً ، كما أفاد بظاهره ما قدّمناه .

وبين ذلك أن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة ، وهم من أهل البراعة فيها ، وفي العربية ، فقد وقفوا على أنه ليس يقع فيها ،

(١) م : « فإننا »

(٢) سورة الشعراء ١٩٥

(٣) س : « إلى من »

من التفاضل والفصاحة ، ما يقع في العريية . ومعنى آخر ، وهو أنا لم نجد أهل التوراة والإنجيل ادّعوا الإعجاز لكتابهم ، ولا ادّعى لهم المسلمون . فلم أن الإعجاز مما يختص به القرآن .

وبين هذا أن الشعر لا يتأتى في تلك الألسنة ، على ما قد اتفق في العريية . وإن كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة ، لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويتأتى في العريية . وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع الوجوه التي تتبين فيها الفصاحة ، على ما يتأتى في العريية .

فإن قيل : فإن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت ، وكتاب ماني معجزان ؟

قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني ، من طريق النيرنجات ، وضروب من الشعوذة ، ليس يقع فيها إعجاز . ويزعمون أن في الكتاب الحكم ، وهي حكم منقولة ، متداولة على الألسن<sup>(١)</sup> ، لا تختص بها أمة دون أمة ، وإن كان بعضهم أكثر اهتماماً بها ، وتحصيلاً لها ، وجمعاً لأبوابها .

وقد ادّعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن ، وإنما فزعوا إلى الدرّة واليتيمة . وهما كتابان : أحدهما يتضمن حكماً منقولة ، توجد عند

(١) م « الألسن التي »

حكاء كل أمة مذكورة بالفضل . فليس فيها<sup>(١)</sup> شيء بديع من لفظ ولا معنى .

والآخر في شيء من الديانات ، وقد تهوَّس فيه بما لا يخفى على متأمل .

وكتابه الذى يبناه فى الحكم ، منسوخ من كتاب بزرجمهر فى الحكمة ، فأى صنع له فى ذلك ؟ وأى فضيلة حازها فيما جاء به ؟ وبعد ، فليس يوجد له كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن ، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم مزق ما جمع ، واستحيا لنفسه من إظهاره . فإن كان كذلك ، فقد أصاب وأبصر القصد ، ولا يمتنع أن يشبهه عليه الحال فى الابتداء ، ثم يلوح له رشده ، ويتبين له أمره ، وينكشف له عجزه . ولو كان يبق على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع غفلته ، ولم يشبهه لدينا وجه شبهته .

ومتى أمكن أن تدعى الفرس فى شيء من كتبها أنه معجز فى حسن تأليفه وعجيب نظمه ؟

(١) م : « فليس فى هذا منها شيء »

## فصل

﴿ في جملة وجوه إعجاز القرآن ﴾

ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز:

أحدها: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه . فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه ، عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان ، بقوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ففعل ذلك .

وكان أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله ، من إظهار دينه ، ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجح .

وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يفعل كذلك في أيامه ، حتى وقف أصحابُ جيوشه عليه ، فكان سعد بن أبي وقاص ، رحمه الله ، وغيره من أمراء الجيوش ، من جهته ، يذكر ذلك لأصحابه ، ويحرضهم

(١) سورة التوبة ٣٣

به ، ويوثق لهم ؛ وكانوا يُلقَوْنَ الظفر في مُتَوَجِّهَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> ، حتى فُتِحَ إلى آخر أيام عمر ، رضى الله عنه ، إلى بَلْخ ، وبلاد الهند ، وفتح في أيامه مرو الشاهجان ، ومرو الروذ ، ومنعهم من العبور إلى جيحون<sup>(٢)</sup> ، وكذلك فُتِحَ في أيامه فارس إلى إصطخر<sup>(٣)</sup> ، وكرمان ، ومكران ، وسجستان ، وجميع ما كان من مملكة كسرى ، وكل ما كان يملكه ملوك فارس ، بين البحرين من الفرات إلى جيحون ، وأزال ملك ملوك الفرس ، فلم يعد إلى اليوم ، ولا يعود أبداً ، إن شاء الله تعالى ، ثم إلى حدود إرمينية ، وإلى باب الأبواب . وفتح أيضاً ناحية الشام ، والأردن ، وفلسطين ، وفسطاط مصر ، وأزال ملك قيصر عنها ، وذلك من الفرات إلى بحر مصر ، وهو ملك قيصر . وغزت الخيول في أيامه إلى عمورية ، فأخذ الضواحي كلها ، ولم يبق منها<sup>(٤)</sup> إلا ما حَجَزَ دونه بحر ، أو حال عنه جبل منيع ، أو أرض خشنة ، أو بادية غير مسلوكة .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ<sup>(٥)</sup> ﴾ ، فصدق فيه .

(١) س : « في موجهاتهم »

(٢) س : « يجيحون »

(٣) ١ : « إلى الإصطخر »

(٤) س : « دونها »

(٥) سورة آل عمران ١٢



وقال في أهل بدر: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (١).  
ووفى لهم بما وعد .

وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن ، من الإخبار عن الغيوب ،  
يكثر جدًا ، وإنما أردنا أن ننبه بالبعض على الكل .

\* \* \*

والوجه الثاني : أنه كان معلوماً من حال النبي صلى الله عليه وسلم ،  
أنه كان أمياً لا يكتب ، ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب  
المتقدمين ، وأقاصيصهم وأنبأهم وسيرهم . ثم أتى بحمل ما وقع وحدث ،  
من عظيما الأمور ومهمات السير ، من حين خلق الله آدم عليه  
السلام ، إلى حين مبعثه ، فذكر في الكتاب ، الذي جاء به معجزة له :  
قصة آدم عليه السلام ، وابتداء خلقه ، وما صار أمره إليه من الخروج  
من الجنة ، ثم جللاً من أمر ولده وأحواله وتوبته ، ثم ذكر قصة نوح  
عليه السلام ، وما كان بينه وبين قومه ، وما انتهى إليه أمرهم (٢) ؛  
وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام ، إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين  
في القرآن ، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء ، صلوات الله  
عليهم .

(١) سورة الأنفال ٧

(٢) س ، م : « إليه أمره »

ونحن نعلم ضرورةً أن هذا مما لا سبيل إليه ، إلا عن تعلم ؛ وإذا كان معروفاً أنه لم يكن مُلابساً لأهل الآثار وحمة الأخبار ، ولا متردداً إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ ، فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه ، علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي . ولذلك قال عز وجل : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه يمينك ، إذ أَلَّا رتاب المُنْطَلون ﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿ وكذلك نُصَرِّفُ الآيات ، وليقولوا دَرَسْتُ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وقد بينا أن من كان يختلف إلى تعلم علم ، ويشغل بملابسة أهل صنعة ، لم يخف على الناس أمره ، ولم يشتهبه <sup>(٣)</sup> عندهم مذهبه ، وقد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم ، وإن كان نادراً ، وكذلك كان يعرف من يختلف إليه لِلتَّعَلُّمِ ، وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها ، فلو كان منهم لم يخف أمره .

والوجه الثالث : أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعَلِّمُ عجز الخلق عنه . والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ، ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها .

فالذي يشتمل عليه بديع نظمه ، المتضمن للإعجاز وجوه :  
منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه ،

( ١ ) سورة العنكبوت ٤٨

( ٢ ) سورة الأنعام ١٠٥

( ٣ ) س : « ولم يختلف »

وتباين<sup>(١)</sup> مذاهبه ، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين  
للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في  
تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وذلك أن الطرق التي يتقيد بها  
الكلام البديع المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر ، على اختلاف  
أنواعه ، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقي ، ثم إلى أصناف  
الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ، ثم إلى  
ما يرسل إرسالاً ، فتطلب فيه الإصابة والإفادة ، وإفهام المعاني المعترضة  
على وجه بديع ، وترتيب لطيف ، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه ، وذلك  
شبيه<sup>(٢)</sup> بحملة الكلام الذي لا يتعمل [ فيه ] ، ولا يتصنع له . وقد علمنا  
أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق . ويبقى علينا  
أن نبين أنه ليس من باب السجع ، ولا فيه شيء منه ، وكذلك ليس  
من قبيل الشعر ، لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع ، ومنهم من  
يدعى<sup>(٣)</sup> فيه شعراً كثيراً ، والكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع .  
فهذا إذا تأمله المتأمل تبين — بخروجه عن أصناف كلامهم ، وأساليب  
خطابهم — أنه خارج عن العادة ، وأنه معجز ، وهذه خصوصية  
ترجع إلى جملة القرآن ، وتميز حاصل في جميعه .

(١) س : « واختلاف »

(٢) م : « يشبهه »

(٣) س : « أن فيه »

\* \* \*

ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة ، والغرابة ،  
 والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم  
 الكثيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة ، على هذا الطول ،  
 وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ  
 قليلة ، وإلى شاعرهم <sup>(١)</sup> قصائد محصورة ، يقع فيها ما نبينه بعد هذا من  
 الاختلال ، ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف ، ويشملها <sup>(٢)</sup> ما نبديه  
 من العمل والتكلف والتجوز والتعسف . وقد حصل القرآن على  
 كثرتة وطوله متناسباً في الفصاحة ، على ما وصفه الله تعالى به ، فقال  
 عزَّ من قائل : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ، مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ  
 مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى  
 ذِكْرِ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> ﴾ وقوله : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا  
 كَثِيرًا <sup>(٤)</sup> ﴾ . فأخبر سبحانه أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت ،  
 وبأن عليه الاختلال .

وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره ، فتأمله تعرف  
 الفصل <sup>(٥)</sup> .

(١) م : « شاعر »

(٢) س : « ويقع فيها »

(٣) سورة الزمر ٢٣

(٤) سورة النساء ٨٢

(٥) س : « الفصل »

\* \* \*

وفى ذلك معنى ثالث : وهو أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها ، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج ، وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف ، وتعليم أخلاق كريئة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التى يشتمل عليها . ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور .

فمن الشعراء من يجود فى المدح دون الهجو .

ومنهم من يبرز فى الهجو دون المدح .

ومنهم من يسبق فى التقريظ دون التأين .

ومنهم من يجود فى التأين دون التقريظ .

ومنهم من ينرب فى وصف الإبل أو الخيل ، أو سير الليل ، أو وصف الحرب ، أو وصف الروض ، أو وصف الحمر ، أو الغزل ، أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتناوله<sup>(١)</sup> الكلام ، ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابعة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب . ومثل ذلك يختلف فى الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام .

ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ ، رأيت التفاوت فى شعره على حسب الأحوال التى يتصرف فيها ، فأتى بالغاية فى البراعة فى معنى ،

(١) س : « ويتداوله »

فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ، ووقف دونه ، وبان الاختلاف على شعره ؛  
ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم ، لأنه لا خلاف في تقديمهم<sup>(١)</sup> في صنعة  
الشعر ، ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم . فإذا كان الاختلال  
يتأتى في شعرهم ، لا اختلاف ما يتصرفون فيه ، استغنينا عن ذكر من  
هو دونهم ، وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب  
والرسائل ونحوها . ثم نجد من الشعراء من يجوّد في الرجز ، ولا  
يمكنه نظم القصيد أصلاً ، ومنهم من ينظم القصيد ، ولكن يقصر  
[ تقصيراً عجيباً<sup>(٢)</sup> ] ، ويقع ذلك من رجزه موقعاً بعيداً . ومنهم من يبلغ  
في القصيد الرتبة العالية ، ولا ينظم الرجز ، أو يقصر [ فيه مهما تكلفه  
أو عمله<sup>(٣)</sup> ] .

ومن الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر  
ونقص نقصاً يئساً<sup>(٤)</sup> ، ومنهم من يوجد بضد ذلك .

وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه  
التي قدّمنا ذكرها ، على حدّ واحد ، في حسن النظم ، وبديع التأليف  
والرصف ، لا تفاوت<sup>(٥)</sup> فيه ، ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا

(١) م : « في تقديمهم »

(٢) س : « بينا »

(٣) س : « عمله »

(٤) ن : « عجيباً »

(٥) م : « لا تفاوت »

إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا ، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب ، من الآيات الطويلة والقصيرة ، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدّ واحد لا يختلف . وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة [تفاوتاً بيناً ، ويختلف اختلافاً كبيراً] . ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة [فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة ، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لأن الذي يقدرون عليه قد بينّا فيه التفاوت الكثير ، عند التكرار وعند تبين الوجوه ، واختلاف الأسباب التي يتضمن .

\* \* \*

ومعنى رابع : وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل ، والعلو والنزول ، والتقريب والتبعيد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع .

ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره ، والخروج من باب إلى سواه . حتى إن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحترى ، مع جودة نظمه ، وحسن وصفه — في الخروج من النسيب إلى المديح . وأطبقوا على أنه لا يحسنه ، ولا يأتي فيه بشيء ، وإنما اتفق له — في<sup>(١)</sup> مواضع معدودة — خروج يرتضى ، وتنقل يستحسن .

(١) م : « في قوله مواضع »

وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء، والتحول من باب إلى باب . ونحن نقفل بعد هذا ، ونفسر هذه الجملة ، ونبين<sup>(١)</sup> أن القرآن — على اختلاف [ فنونه و ] ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة — يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد ، وهذا أمر عجيب ، تبين به الفصاحة ، وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ، ويتجاوز العرف .

\* \* \*

ومعنى خامس : وهو أن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام<sup>(٢)</sup> [ الجن ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس ] ، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ، ويقصرون دونه كقصورنا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾<sup>(٣)</sup> .

فإن قيل : هذه دعوى منكم ، وذلك أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن [ الإتيان ] بمثله ، وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله ، وإن كنا عاجزين ، كما أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة ،

(١) س : « على أن »

(٢) س : « كلام الإنس والجن . فهم يعجزون »

(٣) سورة الإسراء ٨٨



وأَسباب غامضة دقيقة ، لا تقدر نحن عليها ، ولا سبيل لنا للطفها إليها ،  
وإذا كان كذلك ، لم يكن إلى علم ما ادعيتُم سبيل .

قيل : قد يمكن أن نعرف ذلك بنجر الله عز وجل ، وقد يمكن أن  
يقال إن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن ،  
وما يروون لهم من الشعر ، ويحكون عنهم من الكلام ، وقد علمنا أن  
ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم . والقدر الذي نقلوه [ من ذلك ] قد  
تأملناه ، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس ؛ ولعله يقصر  
عنها ، ولا يمتنع أن يسمع الناس كلامهم ، ويقع بينهم وبينهم محاورات  
في عهد الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود  
ما ينقض العادات . على أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ،  
ولهم أشعار محفوظة مدونة<sup>(١)</sup> في دواوينهم . قال تأبط شراً<sup>(٢)</sup> :

وأدهمَ قد جُبْتُ جِلْبَابَهُ      كما اجْتَابَتِ الكاعِبُ الخَيْمَلَا<sup>(٣)</sup>  
إلى أن حذا الصبحُ أثناءه      ومزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلَا<sup>(٤)</sup>

(١) س : « مروية »

(٢) ترجمته في الشعر والشعراء ٢٧١ / ١ ، والأبيات في حماسة ابن

الشجري ص ٤٧

(٣) الأدهم هنا : الليل . اجْتَابَت : لبست . الخَيْمَل : ثوب تبتذله

المرأة . والبيت في اللسان ١٣ / ٢٢٣ . وقد نسبته ابن برى لحاجز السروي

(٤) حذا : ساق . أثناء الليل : أوقاته وقطعه . الأليل : الشديد الظلمة .

على شيم نار تنورتها فبت لها مُدبرًا مُقبلاً<sup>(١)</sup>  
 فأصبحت والنول لى جارة فيا جارتا أنتِ ما أهولا  
 وطالبتها بضمها ، فالتوت بوجه تهول واستغولا<sup>(٢)</sup>  
 فمن سال أين ثوت جارتى فإن لها باللوى منزلا  
 وكنتُ إذا ما هممت اعتزم ت وأحر إذا قلت أن أفعلا

وقال آخر<sup>(٣)</sup> :

عشوا نارى فقلت منون أتم فقالوا الجنُّ قلت عموا ظلاما<sup>(٤)</sup>  
 فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الإنس الطعاما<sup>(٥)</sup>  
 ويدكرون لامرئ القيس قصيدة مع عمر والجنى ، وأشعاراً لهما ،  
 كرهنا نقلها<sup>(٦)</sup> لطولها . وقال عبيد بن أيوب :

(١) الشيم : النظر إلى النار ، وفي حماسية ابن الشجرى : « على ضوء » .  
 تنورتها : تبصرتها

(٢) البضع : الفرج ، تهول : صار دهولة ، من الهول ؛ أى كرهه  
 المنظر يفزع منه . واستغول : تلون

(٣) هو شُمير بن الحارث الضبي كما فى نوادر أبي زيد ص ١٢٣ .  
 راجع خزانة الأدب ٣/٣ والحيوان ٤/٤٨٢ ، ٦/١٩٧ ومعنى عشوا نارى :  
 رأوها ليلاً على بعد فقصدوها مستضئين بها . وفى نوادر أبي زيد : أتوا نارى فقلت  
 منون قالوا سراة الجن ...

(٥) س : « فقمتم إلى »

(٦) س : « ذكرها »

فله درُ الفول أى رفيقة  
أرنت بلجن بعد لحن وأوقدت  
وقال ذو الرمة<sup>(٣)</sup> بعد قوله :  
قد أعسف النازح المجهول معسفه  
للجنّ بالليل في حافاتها زجلّ  
دويّة ودجى ليل كأنهما  
وقال أيضاً :

وكم عرّست بعد السرى من معرّس به من كلام الجن أصوات سامر<sup>(٧)</sup>

(١) س : « يتقفر » . وفي الحيوان ١٦٥/٦ « متقتر » ، وفي منتهى الطلب « يتقتر » .

(٢) أرنت : صوّتت . وفي منتهى الطلب : « تعنت » ، وفي س والحيوان ٤٨٢/٤ ، ١٢٣/٥ : « تبوخ وتزهر »

(٣) ديوانه ص ٥٧٤ والحيوان ١٧٥/٦

(٤) أعسف : أسير على غير هداية . النازح : البعيد . والأخضر هنا : الأسود ، والمراد به الليل . وفي الديوان : « أغصف » أى أسود ، والهام : ذكر البوم ، وأثناه الصدى .

(٥) حافاتها : جوانبها . زجل : صوت . عيشوم : من ضروب النبت يتخشخش إذا هبت عليه الريح

(٦) م : « في حافاتها » . والدويّة : القلابة ، واليم : البحر . الدجى : الليل . والرطانة : كلام العجم والروم وما ليس بعربي من اللغات . حافاتها : جوانبها . شبه البرية وما تراكم عليها من سواد الليل بالبحر وأمواجه .

(٧) ديوانه ص ٢٩٢ والحيوان ١٧٦/٦ والتعريس : النزول آخر الليل للنوم والاستراحة . سامر : الذين يتحدثون بالليل .

وقال :

ورملٍ عَزِيفُ الجن في عَقَبَاتِهِ هَزِيزٌ كَتَضْرَابِ الْمُغْنَيْنِ بِالطَّبَلِ<sup>(١)</sup>  
وإذا كان القوم يمتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ، ويحكون عنهم ،  
وذلك القدر المحكى لا يزيد أمره على فصاحة العرب ، صَح ما وصف  
عندهم من عجزهم عنه كعجز الإنس .

ويبين ذلك من القرآن : أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا  
فيه من القرآن فقال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ  
الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ  
مُنْذِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، إلى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه .

فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ، ووافق ما يمتقدونه من نقل  
خطابهم ، صح أن يوصف الشيء المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن  
في الفصاحة .

وهذان الجوابان أسدُّ عندى من جواب بعض المتكلمين عنه ، بأن  
عجز الإنس<sup>(٣)</sup> عن القرآن يثبت له حكم الإعجاز ، فلا يعتبر غيره .

---

(١) ديوانه ص ٤٨٨ والحيوان ٦ / ١٧٦ . وفي الديوان : « في عقداته  
هدوءاً » . وعزيف الجن : صوت يسمع بين الرمال . وعقدات الرمل :  
ما انعقد منه . هدوءاً : أى بعد ساعة من الليل . هزيز : صوت ، يعنى صوت  
الرحى وما أشبهها .

(٢) سورة الأحقاف ٢٩

(٣) م : « الإنسان »

ألا ترى أنه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن عنه ، فقال لنا قائل : فدلّوا على أن الملائكة تعجز عن الإتيان بمثله ، لم يكن لنا في الجواب غير هذه الطريقة التي قد بيناها .

وإنما ضَعَفْنَا هذا الجواب ، لأن الذي حُكِيَ وذكر عجزُ الجن والإنس<sup>(١)</sup> عن الإتيان بمثله ، فيجب أن نعلم عجز الجن عنه ، كما علمنا عجز الإنس عنه . ولو كان وصف عجز الملائكة عنه ، لوجب أن نعرف ذلك أيضاً بطريقه .

فإن قيل : أتم<sup>(٢)</sup> قد اتهمتم إلى ذكر الإعجاز في التفاصيل ، وهذا الفصل إنما يدل على الإعجاز في الجملة ؟

قيل : هذا كما أنه يدل على الجملة ، فإنه يدل على التفصيل أيضاً ، فصح<sup>(٣)</sup> أن يلحق هذا القبيل ، كما كان يصح أن يلحق بياب الجمل .

\* \* \*

ومعنى سادس : وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب ، من البسط والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق ، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم ، موجود في القرآن . وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم ، في الفصاحة

( ١ ) م : « والإنس أنهم عجزوا عن »

( ٢ ) م : « إنه قد »

( ٣ ) م : « فيصح »

والإبداع والبلاغة . وقد ضمنا بيان ذلك [ من ] بعدُ ، لأن الوجه ههنا ذكر المقدمات ، دون البسط والتفصيل .

\* \* \*

ومعنى سابع : وهو أن المعانى التى تضمنها<sup>(١)</sup> ، فى أصل وضع الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات فى أصل الدين ، والردّ على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضاً فى اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ويمتنع . وذلك<sup>(٢)</sup> أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعانى المتداوله المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعانٍ مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة . فإذا برع اللفظ فى المعنى البارع ، كان أطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع فى المعنى المتداول المتكرر ، والأمر المقرر المتصور ، ثم انضاف إلى ذلك التصرف البديع فى الوجوه التى تتضمن تأييد ما يبدأ تأسيسه ، ويراد تحقيقه ، بان التفاضل فى البراعة والفصاحة ، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى ، والمعانى وفقها ، لا يفضل أحدهما على الآخر ، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم .

\* \* \*

ومعنى ثامن : وهو أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته ،

(١) س : « تتضمن »

(٢) س : « ويمتنع ذلك »

بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذها<sup>(١)</sup> الأسماع ، وتشوّف إليها النفوس ، ويرى وجه روتقها باديًا غامرًا سائر ما تُقرَنُ<sup>(٢)</sup> به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكالياقوتة في واسطة العقد .

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه ، بروتقه وجماله ، واعتراضه في حسنه<sup>(٣)</sup> ومائه ، وهذا الفصل أيضًا مما يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص ، ليتحقق ما ادّعيناه منه .

ولولا هذه الوجوه التي بينها ، لم يتحير فيه أهل الفصاحة ، ولكانوا يفرعون إلى العمل بالمقابلة ، والتصنع للمعارضة ، وكانوا ينظرون في أمرهم ، ويراجعون أنفسهم ، أو كان يراجع بعضهم بعضًا في معارضته ويتوقفون لها .

فلما لم نرم اشتغلوا بذلك ، علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور ، لعلمهم بعجزهم عنه ، وقصور فصاحتهم دونه . ولا يمتنع أن يلتبس — على من لم يكن بارعًا فيهم ، ولا متقدمًا في الفصاحة منهم — هذا الحال حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل ، وحتى

(١) س : « فتأخذ . . . إليه النفوس . . . وجه روتقه . . . ما يقرن »

(٢) س : « في جنسه »

يعرف حال عجز غيره . إلا أننا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك ، تحقّقاً بظهور المعجز وتبيناً له . وأما قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ <sup>(١)</sup> فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم ، [ وقد يمكن أن يكون قاله منهم أهل الضعف في هذه الصناعة دون المتقدمين فيها ] ، وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما خرج منهم ، وهو يدل على عجزهم . ولذلك أوردته الله مورد تقريرهم ، لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز ، والضمنان إلى الوفاء ؛ فلما لم يفعلوا <sup>(٢)</sup> ذلك — مع استمرار التحدى وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه — علم عجزهم ، إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط .

ومعلوم من حالهم وحميتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات وفي وصف الأزمة والأنساع والأمور التي لا يؤبّه لها ولا يحتاج إليها ، ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ، ويتبجحون به أشد التبجح . فكيف يجوز أن تمكنهم معارضة في هذه المعاني الفسيحة ، والبارات الفصيحة ، مع تضمن المعارضة لتكذيبه ، والذب عن أديانهم القديمة ، وإخراجهم أنفسهم من تسفيهه رأيهم ، وتضليله إياهم ، والتخلص من منازعته ، ثم من محاربته ومقارعته . ثم لا يفعلون شيئاً من ذلك ،

(١) سورة الأنفال ٣١

(٢) س : « لم يستعملوا »



ولأنما يُحِيلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى التَّعَالِيلِ ، وَيَعْلَلُونَهَا بِالْأَبَاطِيلِ . [ هذا محال ] .

• • •

ومعنى تاسع ، وهو : أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً ، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة ، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة ، وهو أربعة عشر حرفاً ، ليدل بالذكور على غيره ، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم .

والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها أقسام ، نحن ذاكروها :

فن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة ، وأخرى مجهورة .  
فالمهموسة منها عشرة : وهي الحاء ، والهاء ، والحاء ، والكاف ،  
والشين ، والطاء ، والفاء ، والتاء ، والصاد ، والسين .

وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة .

وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور .

وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء ، لا زيادة ولا نقصان .  
« والمجهور » معناه : أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع أن  
يجرى معه [ النفس ] حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت .

« والمهموس » كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس. وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتُبني<sup>(١)</sup> عليه أصول العربية .

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف ، يقولون : إنها على ضربين : أحدهما حروف الحلق ، وهي ستة أحرف : العين ، والحاء ، والمهمزة ، والهاء ، والخاء ، والعين .

والنصف [ الآخر ] من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المثبتة<sup>(٢)</sup> في أوائل السور ، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق .

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين : أحدهما حروف غير شديدة ، وإلى الحروف الشديدة ، وهي التي تمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهي المهمزة ، والقاف ، والكاف ، والجيم ، والطاء ، والذال ، والطاء ، والباء<sup>(٣)</sup> .

وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضاً هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور .

ومن ذلك الحروف المطبقة ، وهي أربعة أحرف ، وما سواها منفتحة . فالمطبقة : الطاء ، والطاء ، والصاد ، والضاد .

( ١ ) س : « لتبني »

( ٢ ) س : « المبينة »

( ٣ ) م : « والتاء »

وقد علمنا أن نصف هذه [ الحروف ] فى جملة الحروف المبدوء بها فى أوائل السور .

وإذا كان القوم — الذين قسموا فى الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم فى ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، رأوا مباني اللسان على هذه الجهة ، وقد نبه بما ذكر فى أوائل السور على ما لم يذكر ، على حد التنصيف الذى وصفنا — دل على أن وقوعها الموقع الذى يقع التواضع عليه ، بعد العهد الطويل ، لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل ، لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب .

وإن كان إنما تنبهوا على ما بنى عليه اللسان فى أصله ولم يكن لهم فى التقسيم<sup>(١)</sup> شىء ، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان . فذلك أيضاً من البديع الذى يدل على أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان .

فإن كان أصل اللغة توقيفاً فالأمر فى ذلك أبين ، وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً ؛ لأنه لا يصح أن تجتمع مهمهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى . وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه .

وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة<sup>(٢)</sup> تخصها فى النظم ، إذا كانت حروفاً ، كنحو ﴿ آلم ﴾ ، لأن الألف المبدوء بها هى أقصاها

(١) م : « فلم . . . فى الذى قسم شىء »

(٢) م : « سورة فائدة »

مَطْلَعًا ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة ، لأنها تأخذ في الشفة ، فبها  
 يذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما  
 يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين .

ويشبه أن يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الألف ، لأن  
 الألف قد تلتقى ، وقد تقع الهمزة وهي موقعاً واحداً .

\* \* \*

ومعنى عاشرٌ ، وهو : أنه سهل سبيله ، فهو خارج عن الوحش  
 المستكره ، والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة . وجعله قريباً إلى  
 الأفهام ، يبادرُ معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى  
 النفس . وهو مع ذلك ممتنع المطالب ، عسير المتناول ، غير مُطْمَعٍ مع  
 قربهِ في نفسه ، ولا مُوهِمٍ مع دنوّهِ في موقعه أن يُقدَّرَ عليه أو يُظفرَ به .  
 فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبتذل ، والقول  
 المسفسف ، فليس يصحُّ أن تقع فيه فصاحةٌ أو بلاغةٌ ، فيطلب فيه  
 الممتنع<sup>(١)</sup> ، أو يوضع فيه الإعجاز .

ولكن لو وضع في وحشٍ مستكره ، أو عُمر بوجوه الصنعة ،  
 وأطبق بأبواب التمسف والتكلف — : لكان لقائل أن يقول فيه  
 ويعتذر ، أو يعيب ويقرّع .

ولكنه أوضح مناره ، وقرب منهاجَه ، وسهل سبيله ، وجمله في  
 ذلك متشابهاً متماثلاً ، ويُنَمَّى مع ذلك إعجازهم فيه .

(١) س : « التمتع »

وقد علمت أن كلام فصحاءهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف  
في غريب مستنكر، أو وحشٍ مستكره، ومعانٍ مستبعدة. ثم  
عدولهم إلى كلام مبتذل وضع لا يوجد دونه في الرتبة، ثم تحوّلهم إلى  
كلام معتدل بين الأمرين، متصرف بين المنزلتين.  
فمن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس:

\* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل \*

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما تتصرف إليه هذه القصيدة  
ونظائرُها ومنزلتها من البلاغة، ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها،  
على وجه يؤخذ باليد، ويُتناول من كُتِب، ويُتصوّر في النفس كـتـصـوـر  
الأشكال. ليتبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن.

واعلم أن من قال من أصحابنا: إن الأحكام معللة بعلم موافقة لمقتضى  
العقل، جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة  
فيه، كنحو ما يعللون به الصلاة ومعظم الفروض وأصولها. ولهم في  
كثير من تلك العلل طرق قريية، ووجوه تستحسن.

وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك، ولكن الأصل الذي  
يننون عليه، عندنا غير مستقيم. وفي ذلك كلام يأتي في كتابنا  
في الأصول.

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد، فإننا  
جمعنا بين أمور، وذكرنا المزية المتعلقة بها. وكل واحد من تلك

الأمور مما قد يمكن اعتماده في إظهار الإعجاز فيه .

فإن قيل : فهل تزعمون أنه معجز ، لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟

قيل : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ، فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً : إن وجه الإعجاز في نظم القرآن [ من أجل ] أنه حكاية عن كلام الله<sup>(١)</sup> ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجلّ معجزات في النظم والتأليف . وقد يتنا أن إعجازها في غير ذلك ، وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومنفردتها ، وقد ثبت خلاف ذلك .

(١) س : « عن الكلام القديم »

## فصل

﴿ في شرح ما بيننا من وجوه إعجاز القرآن ﴾

فأما الفصل الذي بدأنا بذكره من الإخبار عن الغيوب ، والصدق والإصابة في ذلك كله .

فهو كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ <sup>(١)</sup> ﴾ . فأغزام أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، إلى قتال العرب والفرس والروم .

وكقوله : ﴿ أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ <sup>(٢)</sup> ﴾ . وراهن أبو بكر الصديق رضى الله عنه في ذلك ، وصدق الله وعده .

وكقوله في قصة أهل بدر : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

[وكقوله : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ <sup>(٤)</sup> ﴾ ]

وكقوله : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَيْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ <sup>(٥)</sup> ﴾ .

(١) سورة الفتح ١٦

(٢) سورة الروم ١ - ٤

(٣) سورة الأنفال ٧

(٤) سورة القمر ٤٥

(٥) سورة الفتح ٤٥

وكقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾<sup>(١)</sup>. وَصَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَعْدَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ .

وقال في قصة الْمُخَلَّفِينَ عَنْهُ فِي غَزْوَتِهِ: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾<sup>(٢)</sup>. فحق ذلك كله وصدق، ولم يخرج من المناققين<sup>(٣)</sup> الذين خوطبوا بذلك معه أحدٌ .  
وكقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>. فامتنعوا من المباهلة، ولو أجابوا إليها اضطربت عليهم الأودية نارا، على ما ذكر في الخبر.

وكقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٦)</sup>. ولو تمنَّوْهُ لوقع بهم . فهذا وما أشبهه فصل .

(١) سورة النور ٥٥

(٢) سورة التوبة ٨٣

(٣) س: « المخالفين »

(٤) سورة التوبة ٢٣

(٥) سورة آل عمران ٦٠

(٦) سورة البقرة ٩٤ - ٩٥



\* \* \*

وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه ، من إخباره عن قصص الأولين وسير المتقدمين ، فن العجيب الممتع على من لم يقف على الأخبار ، ولم يشتغل بدرس الآثار<sup>(١)</sup> . وقد حكى في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقال : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾<sup>(٤)</sup> . فيبين وجه دلالته من إخباره بهذه الأمور الغائبة السالفة .

(١) قال المؤلف في كتاب « التمهيد » : ص ١٣٠ « والوجه الآخر : ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين وسير الماضين ، وأحاديث المتقدمين ، وذكر ما شجر بينهم وكان في أعصارهم ، مما لا يجوز حصول علمه إلا لمن كثر لقاءه لأهل السير ، ودرسه لها وعنايته بها ، ومجالسته لأهلها ، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها ، مع العلم بأن النبي ، صلى الله عليه ، لم يكن يتلو كتاباً ولا يخطه يمينه ، وأنه لم يكن ممن يعرف بدراسة الكتب ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم ، ولا لقي إلا من لقوه ، ولا عرف إلا من عرفوه ، وأنهم يعرفون دأبه ودينه ، ومنشأه وتصرفه ، في حال إقامته بينهم وطمعته عنهم ؛ فدل ذلك على أن الخبر له عن هذه الأمور هو الله سبحانه علام الغيوب »

(٢) سورة العنكبوت ٤٨

(٣) سورة القصص ٤٤

(٤) سورة القصص ٤٦

وقال : ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ  
ولا قومك من قبلِ هذا ، فاصبر ، إن العاقبة للمتقين ﴾ <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

فأما الكلام في الوجه الثالث ، وهو الذى يبناه من الإعجاز الواقع  
في النظم والتأليف والرّصف ، فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوهاً :  
منها : أننا قلنا : إنه نظم خارجٌ عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ،  
ومباينٌ لأساليب خطابهم .

ومن ادّعى ذلك لم يكن له بدٌّ من أن يصحح أنه ليس من قبيل  
الشعر ، ولا السجع ، ولا الكلام الموزون غير المقفى . لأن قوماً من  
كفار قريش ادّعوا أنه شعر .

ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعراً .

ومن أهل الملة من يقول : إنه كلام مسجّع ، إلا أنه أفصح مما قد  
اعتادوه من أسجاعهم .

ومنهم من يدّعى أنه كلام موزون .

فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب .

## فصل

### ﴿ في تنفى الشعر من القرآن ﴾

قد علمنا أن الله تعالى تنفى الشعر عن القرآن وعن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين <sup>(١)</sup> ﴾ . وقال في ذم الشعراء : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون <sup>(٢)</sup> ﴾ . إلى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات . وقال : ﴿ وما هو بقول شاعر <sup>(٣)</sup> ﴾ .

وهذا يدل على أن ما حكاه عن الكفار — من قولهم : إنه شاعر، وإن هذا شعر . — لا بد من أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه [ إلى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام ، لا أنهم نسبوه ] في القرآن إلى أن الذى أتاهم به هو من قبيل الشعر الذى يتعارفونه على الأعاريض المحصورة المألوفة .

أو يكون محمولاً على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر ، لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق . وإن كان ذلك الباب خارجاً عما هو عند العرب شعرٌ على الحقيقة .

(١) سورة يس ٦٩

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤ — ٢٢٥

(٣) سورة الحاقة ٤١

أو يكون محمولاً على أنه أطلقه<sup>(١)</sup> بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر، وهذا أبعد الاحتمالات.

فإن حمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحاً، وذلك أن الشاعر يفطن لما لا يفطن له غيره، وإذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه - في رأيهم وعندهم - أقدر، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب.

فإن زعم زاعم أنه قد وجد في القرآن شعراً كثيراً، فمن ذلك ما يزعمون أنه بيت تام أو أبيات تامة، ومنه ما يزعمون أنه مصراع، كقول القائل:

قد قلت لما حاولوا سلوتي ﴿هيهات هيهات لما تواعدون﴾<sup>(٢)</sup>  
ومما يزعمون أنه بيت، قوله: ﴿وجفان كالجواب وقُدُورِ  
راسيات﴾<sup>(٣)</sup>. قالوا: هو من الرَّمْل، من البحر الذي قيل فيه:  
ساكنُ الريح نطو فُ المزنِ مُنَحَلُّ العزالي<sup>(٤)</sup>

(١) س: «أطلق عن بعض»

(٢) سورة المؤمنون ٣٦

(٣) سورة سبأ ١٣

(٤) يصف يوماً مطيراً. والنطوف: القطور، وليلة نطوف: قاطرة تمطر حتى الصباح. المزن: السحاب. والعزالي، بكسر اللام: جمع عزلاء، وهي مصب الماء من الرواية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء. يقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر: قد حلت عزاليها، على تشبيه اتساع المطر واندفاعه بالذي يخرج من فم المزادة.

وقوله : ﴿ من تزكّى فإنما يتزكّى لنفسه <sup>(١)</sup> ﴾ . كقول الشاعر من  
بجر الخفيف :

كل يوم بشمسه      وغدٌ مثل أمسه  
وكقوله عز وجل : ﴿ ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من  
حيث لا يحتسب <sup>(٢)</sup> ﴾ . قالوا هو من المتقارب .  
وكقوله : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذلّت قطوفها تذليلاً <sup>(٣)</sup> ﴾ .  
ويشبعون حركة الميم ، فيزعمون أنه من الرّجّز .  
وذ كر عن أبي نواسٍ أنه ضمن ذلك شعراً ، وهو قوله <sup>(٤)</sup> :  
وقتيّة في مجلس وجوههم      ريحانهم قد عدموا التثقيلا  
دانية عليهم ظلالها      وذلّت قطوفها تذليلاً  
وقوله عز وجل : ﴿ ويخزّم وينصرّكم عليهم ويشف صدور قوم  
مؤمنين <sup>(٥)</sup> ﴾ . زعموا أنه من الوافر ، كقول الشاعر <sup>(٦)</sup> :  
لنا غنم نسوّقها غزاراً      كأنّ قرون جلّتها عصى <sup>(٧)</sup>  
وكقوله عز وجل : ﴿ أرايت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي

(١) سورة فاطر ١٨

(٢) سورة الطلاق ٢ - ٣

(٣) سورة الإنسان ١٤

(٤) أخبار أبي نواس ٥٣/٥

(٥) سورة التوبة ١٤

(٦) امرؤ القيس كما في اللسان ١٢ - ٣٢ والديوان ص ١٩٢

(٧) نسوّقها : نسوقها . غزار : كثيرة . جلّتها : جمع جليل ، وهي الغنم  
الكبيرة المسنة .

يَدْعُ الْيَتِيمَ<sup>(١)</sup> ﴿ضمنه أبو نواس في شعره ففصل، وقال: «فذاك الذي»،  
وشعره :

وقرا معلنا ليصدع قلبي والهوى يصدع الفؤاد السقيما<sup>(٢)</sup>  
أرأيت الذي يكذب بالدين فذاك الذي يدعُ اليتيما  
وهذا من الخفيف كقول الشاعر :

وفؤادي كعهده بسليمي بهوى لم يحل ولم يتغير  
وكما ضمنه في شعره من قوله :

سبحان (من) سخر هذا لنا (حقاً) وما كنا له مقرنين<sup>(٣)</sup>  
فزاد فيه حتى انتظم له الشعر .

وكما يقولونه في قوله عز وجل : ﴿والعاديات ضَبْحًا﴾ ، فالموريات  
قَدْحًا<sup>(٤)</sup> .

ونحو ذلك في القرآن كثير ، كقوله : ﴿والذاريات ذروا .  
فالحاملات وقرا . فالجاريات يُسْرًا<sup>(٥)</sup>﴾ . وهو عندهم شعر من بحر  
البسيط .

والجواب عن هذه الدعوى التي ادَّعَوْهَا ، من وجوه :

(١) سورة الماعون ١٤

(٢) أخبار أبي نواس ٥٣/٢ وقد ذكرهما المؤلف في كتاب التمهيد ص ١٢٨  
ولم ينسبهما .

(٣) أخبار أبي نواس ٥٥/٢ وفي ١ : «لنا هذا» . قال تعالى في سورة الزخرف  
١٣ : ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ .

(٤) سورة العاديات ١ - ٢

(٥) سورة الذاريات ١ - ٣

أولها: أن الفصحاء منهم حين أُورد عليهم القرآن، لو كانوا يمتقدونه شعراً، ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم —: لبادروا إلى معارضته، لأن الشعر مسخرٌ لهم مسهلٌ عليهم، ولهم فيه ما علمت من التصرف العجيب، والاقتدار اللطيف. فلما لم نرم اشتغلوا بذلك، ولا عولوا عليه —: عُلم أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً مما يقدره الضعفاء في الصنعة، والمُرمِدون في هذا الشأن. وإن استدراك من يجيء الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغائهم وخطبائهم، وزعمه أنه قد ظفر بشعر في القرآن [وقد] ذهب أولئك النفر عنه وخفى عليهم مع شدة حاجتهم<sup>(١)</sup> [عندهم] إلى الطمن في القرآن والغض منه والتوصيل إلى تكذيبه بكل ما قدروا عليه — فلن يجوز أن يخفى على أولئك، وأن يجهلوه، ويعرفه من جاء الآن، وهو بالجهل حقيق!

إذا كان كذلك، عُلم أن الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال سديد، وهو أنهم قالوا: إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعراً، وأقل الشعر بيتان فصاعداً. وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام.

وقالوا أيضاً: إن ما كان على وزن بيتين، إلا أنه يختلف وزنها أو قافيتهما<sup>(٢)</sup>، فليس بشعر.

(١) ب: « حاجته عندهم »

(٢) س: « يختلف رويهما وقافيتهما »

ثم منهم من قال : إن الرجز ليس بشعر أصلاً ، لا سيما إذا كان مشطوراً أو منهوكاً . وكذلك ما كان يقاربه <sup>(١)</sup> في قلة الأجزاء . وعلى هذا يسقط السؤال .

ثم يقولون : إن الشعر إنما يطلق ، متى قصّد القاصدُ إليه — على الطريق الذي يتعمد ويسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء ، دون ما يستوى فيه العامي والجاهل ، والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد ، فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر . لأنه لو صح أن يسمّى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض — : كان الناس كلهم شعراء . لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله ، ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه .

ألا ترى أن العامي قد يقول لصاحبه : « أغلق الباب واثني بالطعام » . ويقول الرجل لأصحابه « أكرموا من لقيتم من تميم » ؟ ومتى تتبع الإنسان هذا [ النحو ] عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه <sup>(٢)</sup> .

(١) س : « يقارنه »

(٢) قال الجاحظ في البيان والتبيين ١ - ٢٨٨ :

« ويدخل على من طعن في قوله (ثبت يدا أبي لهب) وزعم أنه شعر لأنه في تقدير مستفعلن مفاعله . . . فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً ، ومستفعلن مفاعله . وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً . ولو أن رجلاً من الباعة صاح :  
(٦)



وهذا القدر الذى يصح فيه التوارد، ليس يعدُّه أهل الصناعة سرقة، إذا لم تعلم فيه حقيقة الأخذ. كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل<sup>(١)</sup>  
وكقول طرفة :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد<sup>(٢)</sup>  
ومثل هذا كثير.

فإذا صح مثل ذلك فى بعض البيت ولم يمتنع التوارد فيه، فكذلك لا يمتنع وقوعه فى الكلام المنشور اتفاقاً غير مقصود إليه، فإذا اتفق لم يكن ذلك شعراً.

وكذلك يمتنع التوارد على ييتين، وكذلك يمتنع فى الكلام المنشور وقوع البيتين ونحوهما.

فثبت بهذا أن ما وقع هذا الموضع لم يعد شعراً، وإنما يعدُّ شعراً ما إذا قصده صاحبه : تأتى له ولم يمتنع عليه.

من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولات ! وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها ، كان ذلك شعراً . وسمعت غلاماً لصديق لى ، وكان قد سقى بطنه ، وهو يقول لغلمان مولاه : اذهبوا إلى الطبيب وقولوا : قد اكتوى . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج فاعلاتن مفاعلن . فاعلاتن مفاعلن . مرتين . وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعر أبداً ، ومثل هذا كثير ، ولو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته .

( ١ ) ديوانه ص ١٢٥

( ٢ ) ديوانه ص ٢١

فإذا كان هو مع قصده لا يتأتى له ، وإنما يعرض في كلامه عن غير قصد إليه — : لم يصح أن يقال : إنه شعر ، ولا إن صاحبه شاعر ، ولا يصح أن يقال : إن هذا يوجب أن مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب أن يكون شعراً ، لأنه لو قصده لكان يتأتى له <sup>(١)</sup> .

وإنما لم يصح ذلك ، لأن ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعراً من أحد ، وما كان شعراً من أحد من الناس كان شعراً من كل أحد <sup>(٢)</sup> . ألا ترى أن السوقي <sup>(٣)</sup> قد يقول : « اسقنى الماء يا غلام سريماً » ، وقد يتفق ذلك من الساهى ومن لا يقصد النظم .

فأما الشعر <sup>(٤)</sup> إذا بلغ الحد الذى يبتأ ، فلا يصح أن يقع إلا من قاصد إليه .

وأما الرجز فإنه يعرض في كلام العوام كثيراً ، فإذا كان يبتأ واحداً فليس ذلك بشعر .

وقد قيل : إن أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات ، بعد أن تتفق قوافيها ، ولم يتفق ذلك في القرآن بحال . فأما دون أربعة أبيات منه أو ما يجرى مجراه في قلة الكلمات ، فليس بشعر .

وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروى ، ويقولون : إنه

(١) س : « منه »

(٢) م : « من واحد . . . كل أحد من الناس »

(٣) م : « أن المفحم إن أخذ السوق »

(٤) م : « فأما النظم »

متى اختلف الروى خرج عن أن يكون شعراً .

وهذه الطرق التى سلكوها فى الجواب ، معتمدةٌ أو أكثرها .  
ولو كان ذلك شعراً لكانت النفوس تتشوّف إلى معارضته ، لأن  
طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد ، وأهله يتقاربون  
فيه ، أو يضربون فيه بسهم .

• • •

فإن قيل : فى القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى ،  
بل هو مُزَاجٌ متساوى الضروب ، وذلك أحد<sup>(١)</sup> أقسام كلام العرب .  
قيل : من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه فى الطول  
والقصر ، والسواكن والحركات . فإن خرج عن ذلك لم يكن  
موزوناً ، كقوله :

رب أخ كنتُ به مقتباً      أشدُّ كفى بُعراً صجبتُه  
تمسكاً منى بالودِّ ولا      أحسبه يزهد فى ذى أمل<sup>(٢)</sup>  
تمسكاً منى بالودِّ ولا      أحسبه يغير العهد ولا  
يحول عنه أبداً      فخاب فيه أملى

وقد علمنا أن القرآن ليس من هذا القبيل ، بل هذا قبيل غير ممدوح ،

(١) س : « وذلك آخر »

(٢) م ، ا : « أحسبني أزهد »

ولا مقصود من جملة الفصيح ، وربما كان عندهم مستكرًا ، بل أكثره على ذلك .

وكذلك<sup>(١)</sup> ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولًا ، وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوي في الأجزاء ، غير الاختلاف الواقع في التقفية . ويبين<sup>(٢)</sup> ذلك أن القرآن خارج عن الوزن الذي بينا ، وتم فائدته بالخروج منه . وأما الكلام الموزون فإن فائدته تتم بوزنه .

(١) م : « وليس »

(٢) م : « وبين »

## فصل

### ﴿ في نفي السجع من القرآن ﴾

ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن ، وذكره [ الشيخ ] أبو الحسن الأشعري [ رضى الله عنه ] في غير موضع من كتبه .

وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالتجنيس والالتفات ، وما أشبه ذلك من الوجوه التي تُعرف بها الفصاحة .

وأقوى ما يستدلون به عليه : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهما السلام ، ولمكان<sup>(١)</sup> السجع قيل في موضع : ﴿ هرون وموسى ﴾ . ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون ، قيل : ﴿ موسى وهرون ﴾ .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ، لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه<sup>(٢)</sup> شعراً ، وذلك القدر ما يتفق وجوده من المُفَحَّم ، كما يتفق

(١) م : « ولكان »

(٢) س : « يسمى »

وجوده من الشاعر . وأما ما في القرآن من السجع فهو كثير ، لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه .

وينون الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع . قال أهل اللغة : هو موالاته الكلام على وزن واحد . وقال ابن دريد : « سجت الحمامة » معناه : ردّدت صوتها . وأنشد :

طربت فأبككتك الحمام السواجمُ تَمِيلُ بها ضَحْوًا غصونُ فوائعِ  
النوائعِ : الموائل ، من قولهم : جائع نائع ، أي متمائل ضعفاً<sup>(١)</sup> .  
وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان  
غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز .  
ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا :  
شعر معجز .

وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من  
القرآن أجدرُ بأن يكون حجةً من نفي الشعر ، لأن الكهانة تنافي  
النبوءات ، وليس كذلك الشعر .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤه وكلموه في  
شأن الجنين : كيف نَدَى من لا شَرِبَ ولا أَكَلَ<sup>(٢)</sup> ، ولا صاح  
فاستهلّ ، أليس دمه قد يُطَلّ ؟ فقال : « أسجاعة كسجاعة الجاهلية » ،

(١) نقل المؤلف هذا النص من كتاب الجمهرة لابن دريد ٢ - ٩٣

(٢) في الأصول : « من لا أكل ولا شرب » راجع البيان والتبيين

وفي بعضها : « أسَجَمًا كسجع الكهان » ؟ فرأى <sup>(١)</sup> ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالة .

والذى يقدرونه <sup>(٢)</sup> أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع . وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى . وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع ، كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم <sup>(٣)</sup> المعنى بنفسه دون السجع ، كان مستجلباً لتحسين <sup>(٤)</sup> الكلام دون تصحيح المعنى .

فإن قيل : فقد يتفق في القرآن ما يكون من القبيلين جميعاً ، فيجب أن تُسموا أحدهما سجعاً .

قيل : الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا ، وإلا كنا نأتى على فصلٍ فصلٍ من أوّل القرآن إلى آخره ، ونبين في الموضع الذى يدعون الاستغناء عن السجع من الفوائد ما لا يخفى ، ولكنه

(١) م : « فرأى أن ذلك »

(٢) م : « يقررونه »

(٣) س : « ومتى ارتبط »

(٤) س : « مستجلباً لتحسين »

خارج عن غرض كتابنا . وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضوعين .  
ثم إن سَلَّم لهم مُسَلَّمٌ موضعاً أو مواضعَ معدودة ، وزعم أن وقوع  
ذلك موقع <sup>(١)</sup> الاستراحة في الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام  
بها ، وهى الطريقة التى يبين القرآن بها سائر الكلام ، وزعم أن الوجه  
في ذلك أنه من الفواصل ، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه — :  
فإن <sup>(٢)</sup> ذلك إذا اعترض في الخطاب لم يُعَدَّ سجماً ، على ما قد بينا في  
القليل من الشعر ، كالبيت الواحد ، والمصرع ، والبيتين من الرجز ،  
ونحو ذلك يعرض فيه ، فلا يقال إنه شعر ، لأنه لا يقع مقصوداً إليه ،  
وإنما يقع مغموراً في الخطاب ، وكذلك حال السجع الذى يزعمونه  
ويقدرونه .

ويقال لهم : لو كان الذى فى القرآن على ما تقدرونه سجعاً : لكان  
مذموماً مردولاً ، لأنَّ السجع إذا تفاوتت أوزانه ، واختلفت طرقه ،  
كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب محفوظ ، وطريق مضبوط <sup>(٣)</sup> ،  
متى أُخلَّ به المتكلم وقع <sup>(٤)</sup> الخلل فى كلامه ، ونُسب إلى الخروج عن  
الفصاحة . كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً ، وكان  
شعره مردولاً ، وربما أخرجه عن كونه شعراً .

(١) م : « وقوع »

(٢) س : « وأن »

(٣) م : « والسجع منهج قريب . . . . وطريقة مضبوطة »

(٤) س : « أوقع »



وقد علمنا أن بعض ما يدَّعونه سجعاً متقارباً<sup>(١)</sup> الفواصل، متداني المقاطع ، وبعضها مما يمتدّ حتى يتضاعف طوله عليه ، وتردّ الفاصلة على ذلك الوزن الأوّل بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير مرضى ولا محمود .

فإن قيل: متى خرج السجع [من] المعتدل إلى نحو ما ذكرتموه ، خرج من أن يكون سجعاً ، وليس على المتكلم أن يلتزم أن يكون كلامه كله سجعاً ، بل يأتي به طوراً ثم يمدل عنه إلى غيره ، ثم قد يرجع إليه . قيل : متى وقع أحد مصراعى البيت<sup>(٢)</sup> مخالفاً للآخر ، كان تخليطاً وخبطاً ، وكذلك متى اضطرب أحد مصراعى الكلام المسجّع وتفاوت كان خبطاً .

[وقد] علّم أن فصاحة القرآن غير مذمومة في الأصل ، فلا يجوز أن يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب<sup>(٣)</sup> .

ولو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه لما تحيّر وافيهِ، ولكانت الطباع تدعو إلى المعارضة ؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو عادتهم ، فكيف تُنقضُ العادة بما هو نفسُ العادة ، وهو غير خارج عنها ولا مُتميّز<sup>(٤)</sup> منها ؟ وقد يتفق في الشعر كلام [متزن] على منهاج السجع ،

(١) م : « متفاوت »

(٢) م : « الشعر »

(٣) م : « من الاختلال »

(٤) س : « ممّيز »

وليس بسجع عندهم . وذلك نحو قول البحترى :

تَشَكَّى الوجى ؛ والليلُ ملتبسُ الدجا  
غُرَيْرِيَّةُ الأنسابِ مرَّتْ بِقِيعِهَا<sup>(١)</sup>  
وقوله<sup>(٢)</sup> :

قريب المَدَى ، حتى يكون إلى النَّدى ،

عدوَّ البُنَى ، حتى تكون مَعَالِي<sup>(٣)</sup>

ورأيتُ بعضهم يرتكب هذا ، فيزعم<sup>(٤)</sup> أنه سجع مداخل !

ونظيره من القرآن قوله تعالى : ﴿ ثم يومَ القيامة يُخْزِيهِمْ ، ويقولُ  
أين شركائى الذين كنتم تُشَاقُّونَ فيهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله : ﴿ أمرنا مُتَرَفِّفِهَا  
فَفَسَّقُوا فِيهَا ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وجِهَادٍ فِي

(١) ديوانه ١ - ٥ والوجى : أن يشتكى البعير باطن خفِّه . الغرير :  
فحل من الإبل ، والإبل الغريرية : منسوبة إليه . ومكان مرت : قفر لا نبات فيه .  
والبقيع من الأرض : المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى . وفى س :  
« نقيعها »

(٢) ديوانه ٢ - ٧٨٥ يمدح به محمد بن عمر .

(٣) س ، م : « يكون » وفى م بعد البيت : « وقوله غريرية الأنساب  
مرت بقيعها ، ورأيت ، إلخ .

(٤) م : « حتى يزعم »

(٥) سورة النحل ٢٧

(٦) سورة الإسراء ١٦

(٧) سورة التوبة ٢٤

سبيله<sup>(١)</sup> . وقوله : ﴿ والتوراة والإنجيل ، ورسولاً إلى بني إسرائيل<sup>(٢)</sup> 》 .  
وقوله : ﴿ إني وهن العظم مني<sup>(٣)</sup> 》 .

ولو كان ذلك عندهم سجماً لم يتحيروا فيه ذلك التحير ، حتى سماه بعضهم سِحْراً ، وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه إليه ويتوهمونه فيه . وهم في الجملة عارفون بمجزم عن طريقه ، وليس القوم بماجزين عن تلك الأساليب المعتادة عندهم ، المألوفة لديهم .

والذي تكلمنا به في هذا<sup>(٤)</sup> الفصل كلام على جملة دون التفصيل .  
ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ، ما يكشف عن مَبَايِنَةِ ذلك وجوه السجع .

ومن جنس السجع المعتاد عندهم ، قولُ أبي طالب<sup>(٥)</sup> لسيف بن ذى يزن : « أُنبتَكَ مَنبِتًا طابَتْ أرومَتُهُ ، وعَزَّتْ جُرْثُومَتُهُ ، وثَبَّتْ أصلُهُ ، وبَسَقَ فرعُهُ ، ونبتَ زرعُهُ ، في أَكْرَمِ مَوَاطِنَ ، وأَطْيَبِ مَعْدِنَ » . وما يجري هذا المجرى من الكلام .

والقرآن مخالف لهذه<sup>(٦)</sup> الطريقة مخالفته للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم .

( ١ ) سورة آل عمران ٤٨ - ٤٩

( ٢ ) سورة مريم ٤

( ٣ ) م : « على هذا »

( ٤ ) في دلائل النبوة ١ / ٢٤ : « قول عبد المطلب » مع اختلاف في

الرواية قليل .

( ٥ ) م : « منبتك منبت »

( ٦ ) س : « لنحو هذه »

ولا معنى لقولهم: إن ذلك مشتق من ترديد الحمامة صوتها على نسقٍ واحد وروى غير مختلف ، لأن ما جرى هذا المجرى لا يُبنى على الاشتقاق وحده ؛ ولو بُني عليه لكان الشعر سجعاً ، لأن رويته يتفق ولا يختلف ، وتتردد القوافي على طريقة واحدة .

وأما الأمور التي يستريح إليها الكلام ، فإنها تختلف : فربما كان ذلك يسمى <sup>(١)</sup> قافية ، وذلك إنما يكون في الشعر ، وربما كان ما انفصل عنده الكلامان <sup>(٢)</sup> مقاطع السجع ، وربما سمي <sup>(٣)</sup> ذلك فواصل . وفواصل القرآن — مما هو مختص بها <sup>(٤)</sup> — لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب .

وأما ما ذكره من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير ما ذكره . وهي <sup>(٥)</sup> : أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ، تؤدي معنى واحداً ، من الأمر الصعب ، الذي تظهر به الفصاحة ، وتبين به البلاغة <sup>(٦)</sup> . وأعيد كثير من القصص في مواضع [ كثيرة ] مختلفة ، على ترتيبات

(١) ا ، ب : « مسمى »

(٢) س : « عنده »

(٣) هكذا في ا ، ب ، م

(٤) م : « يسمى »

(٥) م : « مما يختص بها »

(٦) م : « وهو »

متفاوتة ، ونُبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررًا .  
ولو كان فيهم تَمَكُّنٌ من المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها  
بألفاظٍ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها<sup>(١)</sup> ، وجعلوها بإزاء ما جاء به ،  
وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه ، وإلى مساواته فيما [ حكى و ] جاء به .  
وكيف وقد قال لهم : ﴿ فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين ﴾<sup>(٢)</sup> . فعلى  
هذا يكون المقصدُ — بتقديم بعض الكلمات<sup>(٣)</sup> وتأخيرها — إظهار  
الإعجاز<sup>(٤)</sup> على الطريقتين جميعاً ، دون السجع<sup>(٥)</sup> الذي توهموه .

فإن قال قائل : القرآن مختلط من أوزان كلام العرب ، ففيه  
من جنس خطبهم ، ورسائلهم [ وشعرهم ] وسجعهم ، وموزون كلامهم  
الذي هو غير مقفًى ، ولكنه أبدعَ فيه ضرباً من الإبداع ، لبراعته  
وفصاحته .

قيل : قد علمنا أن كلامهم ينقسم إلى نظم ونثر ، وكلام مقفًى غير  
موزون ، [ وكلام موزون غير مقفًى<sup>(٦)</sup> ] ، ونظم موزون ليس بمقفًى ،  
كالخطب والسجع ، ونظم مقفًى موزون له روى<sup>(٧)</sup> .

(١) س : « فيه »

(٢) س : « ونحوها »

(٣) سورة الطور ٣٤

(٤) م : « الكلام »

(٥) م : « إظهاراً للإعجاز »

(٦) س : « التسجيع »

(٧) ما بين الرقمين ساقط من م

ومن هذه الأقسام ما هو سجيّة الأغلب من الناس . فتناولوه أقرب ، وسلوكه لا يتعذر . ومنه ما هو أصعب تناولاً ، كالموزون عند بعضهم ، والشعر عند الآخرين<sup>(١)</sup> .

وكل هذه الوجوه لا تخرج عن أن تقع لهم بأحد أمرين : إما بتعمل وتكلف وتعلم<sup>(٢)</sup> ، أو باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان للحاجة إليه .

ولو كان ذلك مما يجوز اتفاهه من الطبائع ، لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ، ويعرض<sup>(٣)</sup> على ألسنتهم ، وتجيش به خواطرهم ، ولا ينصرف<sup>(٤)</sup> عنه الكل ، مع شدة الدواعي إليه . ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه وتعلموه<sup>(٥)</sup> ، والمهلة لهم فسيحة ، والأمد واسع .

• • •

وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم ؟ فقد قيل : إنه اتفق في الأصل غير مقصود إليه ، على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ، ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا أنه قد تألفه

(١) س : « أو الشعر عند الآخرين »

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) ١ : « ويعترض » س « ويعترض »

(٤) م : « ولا يتصرف »

(٥) م : « طريقه العمل لتصنعوا فيه وتعلموه »

الآسماع وتقبَّله النفوس ، تتَّبَعُوهُ<sup>(١)</sup> من بعدُ وتعلَّوه . وحكى لى بعضهم عن أبي عمر غُلامٍ ثعلب عن ثعلب : أن العرب تعلِّم أولادها قولَ الشعر بوضع غير ممقول ، يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزنٍ :

\* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل \*

ويسمَّون ذلك الوضع « المتير »<sup>(٢)</sup> واشتقاقه من المتر ، وهو الجذب أو القمع ، يقال : مترت الحبل ، أى<sup>(٣)</sup> قطعت أو جذبت . ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره ، فيحتمل ما قاله<sup>(٤)</sup> .  
وأما ما وقع السَّبْق إليه فيُشبه أن يكون على ما قدَّمنا ذكره أولاً .

وقد يحتمل — على قول مَنْ قال : إن اللغة اصطلاح — أنهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم .  
وقد يمكن أن يقال مثله على المذهب الآخر ، وأنهم وقفوا على ما يتصرَّف إليه القول من وجوه التفاصح ، وتوافقوا<sup>(٥)</sup> بينهم على ذلك .

(١) م : « فتبعوه . . . وتعلموه »

(٢) م : « المتَّير »

(٣) س : « بمعنى »

(٤) م : « فحمل ما قالوه »

(٥) س : « أو توافقوهم »

ويمكن أن يقال : إن التواضع وقع على أصل الباب ، وكذلك التوقيف ، ولم يقع على فنون تصرف الخطاب ، وإن الله تعالى أجرى على لسان بعضهم من النظم ما أجرى ، وفطنوا لحسنه فتبعوه من بعد ، وبنوا عليه وطلبوه ، ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الإطراب<sup>(١)</sup> بوزنها ، وتهشُّ النفوس إليها ، وجمع دواعيهم وخواطرهم على استحسان وجوه من ترتيبها ، واختيار طرق من تنزيلها ، وعرفهم بحاسن الكلام ، ودلهم على كل طريقة عجيبية ، ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان [ بمثل<sup>(٢)</sup> ] القرآن ، [ وأن ] القدر الذي تنهاى إليه قدرهم هو ما لم يخرج عن لغتهم<sup>(٣)</sup> ، ولم يشذ من جميع كلامهم ، بل قد عرض في خطابهم ، ووجدوا أن هذا لما تمذر<sup>(٤)</sup> عليهم مع التحدى والتقريع الشديد والحاجة الماسة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر ، وتكامل أحوالهم فيه - : دل على أنه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومعجزة على الرسالة . ولولا ذلك لكان القوم إذا اهتمدوا في الابتداء إلى وضع هذه الوجوه التي يتصرف إليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه ، فلأن يقدروا بعد التنبيه على وجهه والتحدى إليه : أولى أن يبادروا إليه ، لو كان لهم إليه سبيل .

(١) س : « الاضطراب بوزنها » !

(٢) س : « الإتيان بالقرآن »

(٣) ١ ، م : « هو ما لم يفهم »

(٤) س : « إنما تعذر »



ولو كان الأمر على ما ذكره السائل : لوجب أن لا يتحيروا في أمرهم ، ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم<sup>(١)</sup> ، ولكانوا يسرعون إلى الجواب ويبادرون إلى المعارضة .

ومعلوم من حالهم أن الواحد منهم يقصد إلى الأمور البعيدة عن الوهم ، والأسباب التي لا يحتاج إليها ، فيكثر فيها من شعر ورجز ؛ ونجد من يعينه على نقله عنه ، على ما قدمنا ذكره من وصف الإبل وتناجها ؛ وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولا دنيا . ثم كانوا يتفاخرون باللَّسَنِ والذَّلَاقَةِ والفصاحة والذَّرَابَةِ<sup>(٢)</sup> ، ويتنافرون فيه ، وتجري بينهم فيه الأسباب المنقولة في الآثار ، على ما لا يحق على أهله .

فاستدلنا بتحريم في أمر<sup>(٣)</sup> القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ، ووقوعه موقعا يخرق العادات . وهذه سبيل المعجزات .

فبان بما قلنا أن الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة موقعَ النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يخرجها عن حدّها ، ولا يدخلها في باب السجع .

وقد يئنا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ، فكان

( ١ ) م : « عليهم فيه شبهة فيما يأتيهم »

( ٢ ) س : « والدارية »

( ٣ ) م : « في القرآن »

بعضُ مَصَارِيهه<sup>(١)</sup> كلمتين ، وبعضُها أربع<sup>(٢)</sup> كلمات ، ولا يرون في ذلك فصاحةً ، بل يرونه عجزاً .

فلو رأوا أن ما تلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فتزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ، وتجاوز حده في البراعة والحسن .

ولا معنى لقول من قدّر أنه ترك السجع تارة إلى غيره ثم رجع إليه ؛ لأن ما تخلل بين الأمرين يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدّروه من التسجيع<sup>(٣)</sup> ، لأنه لو كان من باب السجع لكان أرفعَ نهاياته وأبعد غاياته<sup>(٤)</sup> .

ولا بد لمن جوّز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يُسَلِّمَ ما ذهب إليه<sup>(٥)</sup> النّظام ، وعبّاد بن سليمان ، وهشام الفوطيّ ، ويذهب مذهبهم ، في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز ، وأنه يمكن معارضته ، وإنما صُرفوا عنه ضرباً من الصّرف<sup>(٦)</sup> .

(١) م : « مصراعيه »

(٢) س : « تبلغ كلمات »

(٣) م : « من السجع »

(٤) م : « أرفع نهاية وأبعد غاية »

(٥) م : « مذهب النظام »

(٦) قال أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين »

ص ٢٢٥ : « واختلفوا في نظم القرآن ، هل هو معجز أم لا ؟ على ثلاثة أقاويل : فقالت المعتزلة — إلا النظام وهشام الفوطي وعباد بن سليمان — : تأليف القرآن ونظمه معجز ، محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويتضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم ، وأنه منتظم من فرق شتى ، ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ، ويستبين ببدع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدى إليه . وكيف يُعجزهم الخروجُ عن السجع والرجوعُ إليه ، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يرمون أبداً طريقة السجع والوزن ، بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة ، فإذا ادَّعَوْا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلةً بين نظمي الكلامين .

وقال النظام : الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدهما فيهم .

وقال هشام وعباد : لا نقول : إن شيئاً من الأعراض يدل على الله سبحانه ، ولا نقول أيضاً : إن عرضاً يدل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل القرآن علماً للنبي صلى الله عليه وسلم . وزعم أن القرآن أعراض .

## فصل

﴿ في ذكر البديع من الكلام ﴾

إن سأل سائل فقال : هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن من جهة ما تضمنه<sup>(١)</sup> من البديع ؟

قيل : ذكر أهلُ الصنعة ومن صَنَّف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ، ثم نبين ما سألوا عنه ، ليكون الكلام وارداً على أمر مبين ، وباب مقرر مصور<sup>(٢)</sup> .

ذكروا : أن من البديع في القرآن قوله عز ذكره : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾<sup>(٥)</sup> . وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> . وقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ

يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾<sup>(٧)</sup> . وقوله : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾<sup>(٨)</sup> .

(١) س : « ما يتضمنه »

(٢) س : « مبين مقرر وباب مصور »

(٣) سورة الإسراء ٢٤

(٤) سورة الزخرف ٤

(٥) سورة مريم ٤

(٦) سورة يس ٣٧

(٧) سورة الحج ٥٥

(٨) سورة النور ٣٥

وقد يكون البديع في الكلمات الجامعة الحكيمة ، كقوله :  
﴿ولكم في القصاص حياة<sup>(١)</sup>﴾ .

وفي الألفاظ الفصيحة ، كقوله : ﴿فلما أَسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا  
نَجِيًّا<sup>(٢)</sup>﴾ .

وفي الألفاظ الإلهية ، كقوله : ﴿وله كُلُّ شَيْءٍ<sup>(٣)</sup>﴾ . وقوله :  
﴿وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>﴾ . وقوله : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟  
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ<sup>(٥)</sup>﴾ .

\* \* \*

ويذكرون من البديع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس  
رَجُلٌ مُنْسِكٌ بَعِنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَلِمَا سَمِعَ هَيْعَةً  
طَارَ إِلَيْهَا<sup>(٦)</sup> » .

وقوله : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي<sup>(٧)</sup> » .

(١) سورة البقرة ١٧٩

(٢) سورة يوسف ٨٠

(٣) سورة النمل ٩١

(٤) سورة النحل ٥٣

(٥) سورة غافر ١٦

(٦) في الفائق للزمخشري ٣ / ٢٢٣ « الهَيْعَةُ : الصيحة التي يفرع منها

وأصلها من هاع يهيج إذا جبن » .

(٧) الفائق ١ / ٣٠٦ وقال الشريف الرضي في المجازات النبوية ص

٢٠٢ : « وهذه استعارة ، والحوبة والحبوب : المأثم ، والمراد احطط عني وزري

وتعتمد ذنبي وخطيئتي ، ولكن المعصية لما كانت كالدرن الذي يصيب

الإنسان فيفحش أثره ، ويقبح منظره ؛ أقام عليه الصلاة والسلام إمطة وزرها ،

وقوله : « غَلَبَ عَلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ : الحسدُ والبغضاء ، وهى حالقة الدِّين ، لا حالقة الشَّعر <sup>(١)</sup> » .

وقوله : « النَّاسُ كِبَابِلُ مَائَةٍ ، لا تجدف فيها راحلة <sup>(٢)</sup> » .

وقوله : « وَهَلْ يَكْبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنَتِهِمْ <sup>(٣)</sup> » .

وقوله : « إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّيِّعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ <sup>(٤)</sup> » .

وكقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فى كلام له قد نقلناه

وإسقاط إثمها مقام غسل الأدران وإماطة الأذناس ؛ لأن الإنسان بعدها يعود نقى الأثواب طاهراً من العباب . وهذا الدعاء من النبى على وجه التعبد والخضوع والتطامن والخشوع ، لا أن له حوبة يستحط وزرها ويستغسل درنها ، أو يكون ذلك على طريق التعليم لأمته . . . » .

( ١ ) فى الفائق ١ / ٢٩٠ « هى قطعة الرحم والنظام لأنها تجتاح الناس وتهلكهم ، كما يخلق الشعر ، يقال : وقعت فيهم حالقة لا تدع شيئاً إلا أهلكته » .  
( ٢ ) البيان والتبيين ٢ / ٢٠ وفى اللسان ١٣ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ « الراحلة كل بعير نجيب قوى على الأسفار والأحمال تام الخلق حسن المنظر . . . أراد صلى الله عليه وسلم أن الكامل فى الخير والزهد فى الدنيا مع رغبته فى الآخرة والعديل لها قليل ، كما أن الراحلة النجبية نادرة فى الإبل الكثيرة » .

( ٣ ) الفائق ١ / ٢٦١ والمجازات النبوية ١٢١ - ١٢٢ وفى اللسان ٤ / ١٣٠ عن الأزهري : « أى ما قالته الألسنة وهو ما يقطعونه من الكلام الذى لا خير فيه ، واحداً حصيدة ، تشبيهاً بما يحصد من الزرع إذا جذ ، وتشبيهاً للسان وما يقطعونه من القول بحمد المنجل الذى يحصد به » .

( ٤ ) فى اللسان ٩ / ١٤٠ « الحبط : أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها » . وفيه ١٦ / ٢٣ « أو يلِم ، قال أبو عبيد : معناه أو يقرب من القتل » وفيه ٩ / ١٣٩ « قال الأزهري : فأما قوله صلى الله عليه وسلم : وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً ، فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع ، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التى تحلّولها الماشية

بعد هذا على وجهه ، وقوله لخالد بن الوليد رضى الله عنه : « احرص على الموت تُوهَبَ لك الحياة » . وقوله : « فَرَّ من الشَّرَفِ يَتَّبِعَكَ الشَّرَفُ » .

وكقول علي بن أبي طالب في كتابه إلى ابن عباس ، وهو عامله على البصرة : « أَرِغِبْ رَاغِبَهُمْ ، واحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْهُمْ » . وقوله رضى الله عنه ، حين سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : [ غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ — : إن النبي صلى الله عليه وسلم ] إنما قال ذلك والدين في قُلِّ ، فأما وقد اتَّسَعَ نِطاقُ الإسلام ، فكل امرئٍ ومَا اخْتَارَ <sup>(١)</sup> » .

وسأل علي رضى الله عنه بعضَ كبراء فارس ، عن أحمدٍ ملوكهم عندهم ؟ فقال : لأَرْدَشِيرَ فَضِيلَةَ السَّبْقِ ، غير أن أحمدَ أَنُوشِرَوَانَ . قال : فأئى أخلاقه كان أغلبَ عليه ؟ قال : الحلم والأناة ، فقال علي رضى الله عنه : « هَا تَوَأْمَانُ يُنْتَجِمُهُمَا علَوُ الهمة <sup>(٢)</sup> » .

وقال : « قِيَمَةُ كُلِّ امرئٍ مَا يَحْسِنُ » .

وقال : « العلم قُفْلٌ ، ومِفْتَاحُهُ المسئلة <sup>(٣)</sup> » .

وكتب خالد بن الوليد إلى مَرَازِبَةَ فارس : « أما بعد ، فالحمد لله

فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيعاب العذاب » .

(١) البديع لابن المعتز ص ٢٠

(٢) البديع ٢١

(٣) البديع ٢١ والصناعتين ٢١٣

الذى فَضَّ خَدَمَتَكُمْ ، وفرَّقَ كلمتكم . وَالْخِدْمَةُ : الْحَلَقَةُ المستديرة ،  
ولذلك قيل للخلاخيل : خِدَامٌ<sup>(١)</sup> .

وقال الحجاج : « دلّوني على رجل مَمِين الأمانة<sup>(٢)</sup> » .

ولما عُقدت الرئاسة لعبد الله بن وهبِ الرَّاسِي<sup>(٣)</sup> على الخوارج ،  
أرادوه على الكلام ، فقال : « لا خيرَ في الرأى الفَطِير<sup>(٤)</sup> » ، وقال :  
« دَعُوا الرأى يُنِيب<sup>(٥)</sup> » .

وقال أعرابي في شكر نعمة<sup>(٦)</sup> : « ذاك عُنْوان نِعْمة الله عز وجل » .

( ١ ) نقل المؤلف هذا النص بشرحه من كتاب البديع ص ٢١ وفي اللسان  
٥٨ / ١٥ « فضَّ الله خدمتهم : أى فرق جماعتهم ، والخدمة بالتحريك :  
سير غليظ مضمفور مثل الحلقة ، يشد في رسغ البعير ، ثم يشد إليها سرائح نعله ،  
فإذا انفضت الخدمة انحلت السرائح وسقطت النعل ، فضرِب ذلك مثلاً للذهاب  
ما كانوا عليه وتفرّقه ، وشبه اجتماع أمر العجم واتساقه بالحلقة المستديرة ، فلهذا  
قال : فضَّ الله خدمتهم : أى فرقها بعد اجتماعها . . . » .

( ٢ ) البديع ٢٢ وفي الصناعتين ٢١٤ بعد ذلك : « أعجف الخيانة » .

( ٣ ) خرج عبد الله بن وهب هذا على على في أربعة آلاف ، فبايعه  
الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ راجع الطبرى ٦ / ٤٢

( ٤ ) الفطير : ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه ، وفي البديع بعد ذلك  
« والكلام القضيبي ، فلما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى » إلخ وكذلك في

البيان والتبيين ١ / ٢٠٥ والصناعتين ٢١٤

( ٥ ) في البيان والتبيين والصناعتين بعد ذلك : « فإن غوبه يكشف لكم  
عن محضه » . وفي البديع : « عن فضه » .

( ٦ ) في البديع ٢٣ والصناعتين ٢١٤ « وقيل لأعرابي : إنك لحسن الكدنة  
فقال : ذاك عنوان ، إلخ . والكدنة : كثرة الشحم واللحم ، كما في اللسان ١٧ / ٢٣٦



ووصف أعرابي قوماً فقال : « إِذَا أَصْطَفَقُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُم السَّهَامُ ،  
وَإِذَا تَصَافَحُوا بِالسَّيْفِ قَعَدَ الْحَمَامُ <sup>(١)</sup> » .

وسئل أعرابي عن رجل ؟ فقال : « صَفَرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
بَعْدَ امْتِلَاحِهَا ، وَاكْفَهَرَتْ وَجْوهُ كَانَتْ بِمِائِهَا <sup>(٢)</sup> » .

وقال آخر : « مِنْ رَكِبَ ظَهَرَ الْبَاطِلَ نَزَلَ دَارَ النَّدَامَةِ <sup>(٣)</sup> » .  
وقيل لِرُؤُوبَةٍ <sup>(٤)</sup> : كَيْفَ خَلَقْتَ مَا وَرَاءَكَ ؟ فقال : « التَّرَابُ  
يَابِسُ ، وَالْمَالُ عَابِسُ <sup>(٥)</sup> » .

\*\*\*

ومن البديع في الشعر طرق كثيرة ، قد نقلنا منها جملةً ، لتستدل  
بها على ما بعدها :

فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقد أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا      بَعَجَرٍ دَقِيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ <sup>(٦)</sup>

( ١ ) كَذَا فِي سَائِرِ الْأَصُولِ ، وَالصَّوَابُ : « وَإِذَا تَصَافَحُوا بِالسَّيْفِ  
فَغَرَفَهُ الْحَمَامُ » . كَمَا فِي زَهْرِ الْأَدَابِ ١١٩ / ٢ فِي الْبَدِيعِ « فَغَرَّ الْحَمَامُ » . وَفِي  
أَمَالِي الْقَالِي ١ / ١٣٩ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٢١٦ « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا أَصْطَفَقُوا تَحْتَ الْقَتَامِ ،  
خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ بِوَفُودِ الْحَمَامِ ؛ وَإِذَا تَصَافَحُوا فَغَرَّتِ الْمَنِيَا أَفْوَاهَهَا . . . » .  
وكَذَلِكَ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣ / ٤٤٦ وَمَعْنَى فَغَرَّتْ : فَتَحَتْ .

( ٢ ) الْبَدِيعُ ٢٤ وَزَهْرُ الْأَدَابِ ١٢٠ / ٢ ، وَصَفَرَتْ : خَلَّتْ ، وَالْعِيَابُ :  
جَمْعُ عَيْبَةٍ وَهِيَ مَا تَحْفَظُ فِيهِ الثِّيَابُ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الصُّدُورُ .

( ٣ ) الْبَدِيعُ ٢٤

( ٤ ) الْقَائِلُ هُوَ عَتَبَةُ بْنُ هَارُونَ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ٩٧ / ٢

( ٥ ) الصَّنَاعَتَيْنِ ٢١٤ وَالْبَدِيعُ ٢٤ وَفِي الْبَيَانِ « وَالْمَرْعَى عَابِسٌ »

( ٦ ) دِيَوَانُهُ ص ١٠١ الْوُكُنَاتُ : الْأَوْكَارُ ، الْمُنْجَرِدُ الْفَرَسُ الْقَصِيرُ الشَّعْرَ .  
وَالْأَوَابِدُ : جَمْعُ آبَدَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ تَوَحَّشَتْ وَفُتِرَتْ مِنَ الْإِنْسِ . وَالْهَيْكَلُ :  
الْعَظِيمُ الْخَلْقُ .

قوله : « قيد الأوابد » عندهم من البديع ومن الاستعارة ، ويروونه من الألفاظ الشريفة<sup>(١)</sup> ، وعنى بذلك أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها ، وكانت بحالة المقيّد من جهة سرعة إحضاره .  
واقندى به الناس ، واتبعه الشعراء ، فقليل : « قيد النواظر » و « قيد  
اللاحظ » و « قيد الكلام » و « قيد الحديث » و « قيد الرهان » .

وقال الأسود بن يَمْفَر :

بِمُقْلَصٍ عَتِدَ جَهِيْزٍ شَدُّهُ      قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادٍ<sup>(٢)</sup>

وقال أبو تمام :

لَهَا مَنَظَرٌ قَيْدُ الْأَوَابِدِ لَمْ يَزَلْ      يَرُوحُ وَيَقْدُ فِي خَفَارَتِهِ الْحُبُّ<sup>(٣)</sup>

(١) في الصناعتين ٢٠٧ : « والحقيقة : مانع الأوابد من الذهاب والإفلات . والاستعارة أبلغ ؛ لأن القيد من أعلا مراتب المنع عن التصرف ، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع فلست تشك فيه » .

وقال قدامة في نقد الشعر ص ٥٨ : « فلما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد ، فلم يتكلم باللفظ بعينه ، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له ، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يتبعها أن تكون الأوابد — وهى الوحش — كالمقيدة له إذا نجا في طلبها . والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة فيقولون : هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عنى بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة إحضاره ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له . وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب » .

(٢) فرس مقلص : طويل القوائم ، وفي المفضليات ١٩ / ٢ « بمشمر » وهى بمعناها . وعند : قوى سريع الوثبة معد للجرى . جهيز شدة : سريع عدوه . الرهان : المراهنة ، يعنى أنه إذا دخل السباق حبس الرهن فلا يناله غيره . الجواد : القوى السابق البعيد الجرى .

(٣) ديوانه ١ / ١٧ « قيد النواظر » .

وقال آخر :

أَلْحَاضُهُ قَيْدُ عَيُونِ الْوَرَى      فَلَيْسَ طَرْفٌ يَتَعَدَّاهُ

وقال آخر :

\* قَيْدُ الْحُسْنِ عَلَيْهِ الْحَدَقَا \*

وذكر الأصمعي وأبو عبيدة وحماد ، وقبلهم أبو عمرو ، أنه أحسن في هذه اللفظة ، وأنه أثبت فلم يلحق ، وذكره في باب الاستعارة البليغة . وسماها بعض أهل الصنعة<sup>(١)</sup> باسم آخر ، وجعلوها من باب الإرداف ، وهو : أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ هو تابع له ورِدْف<sup>(٢)</sup> . قالوا : ومثله قوله<sup>(٣)</sup> :

\* نَوْوَمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ \*

ولأنما أراد ترفُّها بقوله : « نَوْوَمُ الضُّحَى<sup>(٤)</sup> » .

- ( ١ ) يقصد المؤلف قدامة بن جعفر ، فإنه هو الذى وضع الإرداف .  
أوصاف الشعر ونوعته ، راجع نقد الشعر ٥٧ - ٥٨  
( ٢ ) فى نقد الشعر ٥٧ بعد ذلك : « فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع » .  
( ٣ ) يريد امرأ القيس ، وصدر البيت :  
\* ويضحى فتيت المسك فوق فراشها \*

( ٤ ) قال قدامة فى نقد الشعر ص ٥٧ : « وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفها فقال : نَوْوَمُ الضُّحَى ، وإن فتيت المسك يبق إلى الضحى فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ، أى هى لا تنتطق لتخدم ، ولكنها فى بيتها متفضلة . ومعنى عن فى هذا البيت معنى بعد » . راجع الصناعتين ٢٧٦ والعمدة ٢ / ٢٨٢

ومن هذا الباب قول الشاعر <sup>(١)</sup> :

بعيدة مهوى القرط إماماً لتوفل أبوها، وإماماً عبد شمس وهاشم  
ولإنما أراد أن يصف طول جيدها ، فأتى بردفه <sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

\* وليل كموج البحر أرخى سدوله <sup>(٣)</sup> \*

وذلك من الاستمارة المليحة .

ويحملون من هذا القليل ما قدمنا ذكره <sup>(٤)</sup> من القرآن : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ ، ﴿ وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ .

\*\*\*

ومما يمدونه من البديع التشبيه الحسن ، كقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خيائناً وأرحلنا الجزع الذى لم يُثَقَّب <sup>(٥)</sup>

(١) هو عمر بن أبي ربيعة كما فى ديوانه ص ٢٠٠

(٢) قال قدامة : « وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره

بلفظه الخاص به ، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعد مهوى القرط » .

راجع العمدة ٢/ ٢٨٢ ، والصناعتين ٢٠٦ .

(٣) وعجزه كما فى ديوانه ص ١٠٠ :

\* على بأنواع الهموم ليتلى \*

راجع البديع ص ٢٤

(٤) راجع ص ١٠١

(٥) الصناعتين ص ١٨٥ والكامل ٧٤١ وفى اللسان ٩ / ٣٩٨ : « والجزع

الخرز اليماني ، وهو الذى فيه بياض وسواد ، واحدته جزعة ، قال ابن برى :

سمى جزعاً لأنه مجزع ، أى مقطع بألوان مختلفة ، أى قطع سواده بياضه » .

وقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا  
لَدَى وَكْرِهَا الْمُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(١)</sup>

واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن ما وُجد في هذا للمُحدثين<sup>(٢)</sup> قولُ بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رَوْوَسِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ<sup>(٣)</sup>

وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى ، دون صحة التقسيم والتفصيل .

وكذلك عَدُوًّا<sup>(٤)</sup> من البديع قول امرئ القيس في أذني الفرس :

(١) البديع ص ١٢٢ وسر الفصاحة ٢٣٧ وأخبار أبي تمام ١٧ والصناعتين ص ١٨٥ ، ١٨٩ وأسرار البلاغة ص ١٦٨ والعمدة ١ / ٢٦٠ وقال المبرد في الكامل ص ٧٤٠ : « فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه رطبا العناب ، وكأنه يابسا الحشف ؟ قيل له : العربي الفصيح الفطن اللقن يرى بالقول مفهوماً ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيباً » .

(٢) م : « ما وجد للمحدثين في نحو هذا » .

(٣) س : « رؤوسنا » م : « ليل تهاوت » والبيت في ديوانه ١ / ٣١٨ والصناعتين ص ١٨٩ والعمدة ١ / ٢٦٠ وأسرار البلاغة ص ١٥١ .

(٤) م : « وكذلك عدوا من البديع قول طرفة بن العبد في أذني ناقته :

مؤلتان يعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد

مذعورة أم فرقد ، ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وعينان كالساويتين ومحجر إلى سنبك مثل الصفيح المنصب

وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ الْعِتْقُ فِيهِمَا

كسامتني مذعورة وسطر ربّ<sup>(١)</sup>

واتبعه طرفة ، فقال فيه :

وَسَامِعَتَانِ يُعْرِفُ الْعِتْقُ فِيهِمَا

كسامتني شاةٍ بحوملٍ مُفردٍ<sup>(٢)</sup>

ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس :

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ وَتَحْجِرٍ إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيحِ الْمُنْصَبِ<sup>(٣)</sup>

وقال طرفة في وصف عيني ناقته :

وعينان كالمأويتين استكتتا

بكهفي حجاجي صخرة قلت مؤرد<sup>(٤)</sup>

(١) لم يرد هذا البيت في ديوان امرئ القيس ، وورد في ديوان علقمة ص ٢٤ . والسامعتان : الأذنان . المذعورة : المفزعة ، يعني بقرة الوحش ذعرت فنصبت أذنيها وحددتها ، الربرب : جماعة بقر الوحش .

(٢) البيت في اللسان ٢٦ / ١٠ وروايته الأولى : « ومؤلتان » وفي ١٣ / ٢٤ : « وأللت الشيء تأليلاً » أي حددت طرفه ، ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذن ناقته بالحدة والانتصاب : مؤلتان . إلخ

(٣) م : « إلى منبك » والسند : الخد . وفي اللسان ١٦٨ / ٢٠ : « الماوية : المرأة كأنها نسبت إلى الماء لصفائها وأن الصورة ترى فيها كما ترى في الماء الصافي ، والميم أصلية فيها ، وقيل : الماوية : حجر البلّور » وتحجر العين : ما دار بها من العظم الذي في أسفل الجفن .

(٤) في اللسان ٥٢ / ٣ : « الحجاج : العظم النابت عليه الحاجب » والقلت : النقرة في الجبل تمسك الماء . وقلت العين : نقرتها .

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس :

له أَيْطَلَا ظَنِّي وساقاً نَعَامَةً

وإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفَلٍ<sup>(١)</sup>

وذلك في تشبيه أربعة أشياء بأربعة أشياء ، أحسن فيها .

• • •

ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ

فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ<sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ يَصْفُ مَكْنُونٌ<sup>(٣)</sup> 》 .

ومواضع نذكرها بعد هذا .

ومن البديع في الاستعارة قول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُّوْلَهُ عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَلَى<sup>(٤)</sup>

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ

( ١ ) ديوانه ص ١٠٢ ونقد الشعر ص ٣٨ والصناعتين ص ١٨٩ والعمدة

١ / ٢٥٩ والأمالى ٢ / ٢٥٠ . والأبطل : الخاصرة . والإرخاء : شدة العدو .

شبه خاصيته بخاصية الظبي في دقهما ، وشبه ساقيه بساق النعامة في قصرهما .

ويستحب ذلك مع طول الوظيف ، وفي شدتهما ، لأن ساق النعامة ظمياء ليست

برهلة ، كما قال البكري في شرح الأمالى ٢ / ٨٧٨ . والسرحان الذئب . والتقريب :

رفع اليدين معاً ووضعهما معاً في العدو ، ويقال : إن الذئب أحسن الدواب تقريباً .

والتنفل : ولد الثعلب .

( ٢ ) سورة الرحمن ٢٤

( ٣ ) سورة الصافات ٤٩

( ٤ ) ديوانه ص ١٠٠ والبديع ص ٢٤ ، ٢٥ والصناعتين ص ٢١٧

والموازنة ص ١١ والموشح ص ٣١ ودلائل الإعجاز ٦٢ وطبقات الشعراء ٧١

السدول : السطور . يبتلى : ينظر ما عندي من صبر أو جزع . تمطى : امتد .

صلبه : وسطه . أردف : أتبع . أعجازه : متأخيره . ناء : نهض . الكلكل : الصدر .

وهذه كلها استعارات أتت بها في ذكر طول الليل .

ومن ذلك قول النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همة      تضاعف فيه الحزن من كل جانب<sup>(١)</sup>

فاستعاره من إراحة الراعي إبله إلى مواضعها التي تأوى إليها بالليل .

وأخذ منه ابن الدُمينة فقال :

أقضى نهاري بالحديث وبالتمنى      ويجمعني والهَمُّ بالليل جامع<sup>(٢)</sup>

ومن ذلك قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله      وعُرتي أفراس الصبا ورواحله<sup>(٣)</sup>

ومن ذلك قول امرئ القيس :

سموتُ إليها بعد ما نام أهلها      سموَّ حَبَابُ الماء حَالاً على حال<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ص ٩ والبديع ص ٢٦ : والصناعتين ص ٢١٧ وفي الموشح ص ٣١ « قال الصولي . . . جعل صدره مألفاً للهموم ، وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه ، كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها . وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل . . . »

(٢) البيت لابن الدمينية في ديوانه ص ١٧ والأغاني ١٥ / ١٥٤ والموشح ص ٣٢ وصدره هناك :

• أظل نهاري فيكم متعللاً •

وقد ورد منسوباً لقيس ابن ذريح في الأمل ٣١٦ / ٢ والأغاني ٩ / ٢١٨ وإلى مجنون ليلى في مصارع العشاق ص ٢٤٨ والأغاني ٢ / ٤٥ وقد صحح أبو الفرج نسبته إلى ابن الدمينية راجع الأغاني ٩ / ٢١٨ .

(٣) البديع ص ٢٦ والموازنة ص ١١ والصناعتين ٢١٧ ومعاهد التنصيص

٢٦٠ وديوانه ص ٤٢ وفي س : « عن ليلى » .

(٤) ديوانه ص ١٠٨

(٨)



وأخذه أبو تمام فقال :

\* مُمَوَّ عُبَابُ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ <sup>(١)</sup> \*

ولمّا أراد امرؤ القيس إخفاء شخصه .

ومن ذلك قوله :

\* كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا <sup>(٢)</sup> \*

يريد أنهم غير مطمئنين .

ومن ذلك ما كتَبَ إلى الحسن بن عبد الله بن سعيد ، قال :  
أخبرني أبي ، قال : أخبرنا عَسَلُ بْنُ ذَكْوَانَ ، أخبرنا <sup>(٣)</sup> أبو عثمان  
المازني ، قال : سمعت الأصمعي يقول : أجمع أصحابنا أنه لم يُقَلَّ أحسنُ  
ولا أجمعُ من قول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي      وإن خِلْتُ أن المُنْتَأَى عنك واسع <sup>(٤)</sup>  
قال الحسن بن عبد الله : وأخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا عَوْزُ بْنُ

( ١ ) وصدره كما في ديوانه ص ٤٥ :

• سَمَا لِلْعَلَى مِنْ جَانِبِهَا كَلِيمَا •

وهو في مدح أبي دلف العجلي

( ٢ ) وصدره كما في ديوان امرئ القيس ص ٥١

• وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَذَارَانِ ظَلَّتُهُ •

وقذاران : اسم موضع . والأعفر . الظبي الذي تعلو بياضه حمرة . جاء في اللسان  
٦ / ٢٦١ : « ويقال : رماني عن قرن أعفر ، أي رماني بداهية . . . وذلك أنهم  
كانوا يتخذون القرون مكان الأسمنة ، فصار مثلاً عندهم في الشدة تنزل بهم .  
ويقال للرجل إذا بات ليلته في شدة تقلقه : كنت على قرن أعفر ، ومنه قول  
امرئ القيس . . . »

( ٣ ) م : « قال لنا »

( ٤ ) ديوانه ص ٤١

محمد الكِنْدِي ، أخبرنا قَعْنَبُ بْنُ مُحَرِّزٍ ، قال <sup>(١)</sup> : سمعت الأَصْمَعِيَّ يقول :  
سمعت أبا عمرو يقول : كان زهير يمدح السُّوقَ ، ولو ضرب على  
أسفل قدميه مثلاً دَقَلَ صِنِيَّ <sup>(٢)</sup> على أن يقول كقول النابغة :  
فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خلت أن المتأى عنك واسع  
— : لما قال ؛ يريد أن سلطانه كالليل يصل إلى كل مكان .

وَاتَّبَعَهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :

ولو سَحَلْتَنِي الرِّيحُ ثُمَّ طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَشْيٍّ وَأَذْرَكْتَنِي مَقَادِرُهُ <sup>(٣)</sup>  
فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق إليه النابغة .  
ثم أخذه الأخطل فقال :

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عارٌ بما فعل الدهر <sup>(٤)</sup>  
وقد روى نحو هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « نصرتُ  
بالرُّعب ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وليدخلن هذا الدينُ على  
ما دخل عليه الليل » .

(١) سقط هذا الخبر من م

(٢) في اللسان ١٣ / ٢٦٢ : « الدقل : ضرب من النخل ، وخشبة طويلة  
تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع ، وتسميه البحرية الصاري »

(٣) م : « كسيل » والبيت في ديوان الفرزدق ص ٣١٣ وروايته :  
« وأن لو ركبت الريح . . . كشيء أدركته » وقبله :

فأيقنت أني إن نأيتك لم يرد بي التأى إلا كل شيء أحاذره  
وفي زهر الآداب ٤ / ١٧٩ « لكنت كمود »

(٤) لا يوجد في ديوانه .

وأخذه على بن جبلة<sup>(١)</sup> فقال :

وما لأمري حاولته منك مهرب<sup>(٢)</sup> ولو رفعتني في السماء المطالع<sup>(٣)</sup>

يلي ، هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع<sup>(٤)</sup>

ومثله قول سلم الخاسر :

فأنت كالدهر مبيوثاً حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب<sup>(٥)</sup>

ولو ملكت عنان الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب<sup>(٦)</sup>

فأخذه البحرى فقال :

ولو أنهم ركبو الكواكب لم يكن ينجيهم عن خوف بأسك مهرب<sup>(٧)</sup>

ومن بديع الاستعارة قول زهير :

فلما ورذن الماء زرقاً جمائه وضمن عصي الحاضر المتخيم<sup>(٨)</sup>

وقول الأعشى :

وإن عتاق العيس سوف يزوركم ثناء على أعجازهم معلق<sup>(٩)</sup>

(١) ك : « على بن أبي طالب » !

(٢) معاهد التنصيص ١٤٩ وزهر الآداب ٤ / ١٨٠ وفي س ، ك :

« عنك مهرب ولو كان في جوف السماء »

(٣) س ، ك : « طالع »

(٤) معاهد التنصيص ص ١٤٩

(٥) ديوانه ٢ / ١٨٩ وزهر الآداب ٤ / ١٨٠

(٦) ديوانه ص ١٣

(٧) ديوانه ص ١٤٩

ومنه أخذ نُصِيبُ فقال :

فعاَجُوا فَاثْمَنُوا بالذى أنتَ أهله      ولوسكتوا أثنتُ عليك الحقائق<sup>(١)</sup>  
ومن ذلك قول تَابَّطَ شَرًّا :

نَخَالَطُ سهلَ الأرضِ لم يَكْدَحِ الصفا      به كدْحَةُ الموتِ خزيانُ يُنظر<sup>(٢)</sup>  
ومن الاستعارة في القرآن كثير ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ  
وَلِقَوْمِكَ <sup>(٣)</sup> ﴾ . يريد ما يكون الذِّكر عنه شرفاً .

وقوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً <sup>(٤)</sup> ﴾ . قيل : دين  
الله أراد .

وقوله : ﴿ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ، فَارَبَّحْتَ تِجَارَتَهُمْ <sup>(٥)</sup> ﴾ .

\* \* \*

ومن البديع عندهم [ التَّلَوُّ والإفراط في الصفة ] ، كقول النمر  
بن تَوَلَّب :

( ١ ) نقد الشعر ٢٧ والشعر والشعراء ١ / ٣٧٢ والأغاني ١ / ٣٣٧

( ٢ ) الأغاني ١٨ / ٢١٥ وشرح الحماسة للتبريزي ١ / ٨٠ وقال المرزوقي  
في شرحه ١ / ٨٢ : « ويقول : أسهلت ولم يؤثر الصِّفا في صدرى أثراً ، لا  
خدشاً ولا خمشاً ، والموت كان طمع فيَّ ، فلما رآني وقد تخلصت بقي مستحيماً  
ينظر ويتحير . والواو من قوله : « والموت » واو الحال . وهذا من فصيح الكلام ،  
ومن الاستعارات الملية »

( ٣ ) سورة الزخرف ٤٤

( ٤ ) سورة البقرة ١٣٨

( ٥ ) سورة البقرة ١٦

أَبْقِ الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ مِنْ نَمْرِ  
تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ  
أَسْبَادَ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثَرُهُ بَادِي<sup>(١)</sup>  
بَعْدَ الذَّرَاعَيْنِ وَالْقَيْدَيْنِ وَالْهَادِي<sup>(٢)</sup>

وَكَقُولِ النَّابِغَةِ :

تَقْدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ  
وَيُوقِدُنَ بِالْصَّفَّاحِ نَارَ الْجُبَابِجِ<sup>(٣)</sup>

وَكَقُولِ عَنْتَرَةَ :

فَازَوْرَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلْبَانِهِ  
وَشَكَ إِلَى بَعْبَرَةٍ وَتَحْمُجُمُ<sup>(٤)</sup>

وَكَقُولِ أَبِي تَمَامٍ :

لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنُ مِنْ قَدْ جَاءَ يَلْتَمُهُ  
نَحْرًا يَلْتَمُ مِنْهُ مَوْطِئُ الْقَدَمِ<sup>(٥)</sup>

وَكَقُولِ الْبَحْتَرِيِّ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا  
فِي وَسْعِهِ ، لَمَشَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرِ<sup>(٦)</sup>

وَمِنْ هَذَا الْجَنْسِ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَوْمَ تَقُولُ لُجْهُهُمْ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ  
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ <sup>(٧)</sup> ﴾ .

(١) نقد الشعر ١٧ والموشح ٧٨ والعمدة ٥٨ / ٢ والوساطة ٤٣٥  
والصناعتين ٢٨٣ والأغاني ١٩ / ١٦٢ والشعر والشعراء ١ / ٢٧٠  
(٢) يريد بعد قطع الهادي والذراعين والساقين  
(٣) ديوانه ص ٤٤ وفيه : « وتوقد » والعمدة ٥٩ / ٢ ، ٢٨٥ وتأويل  
مشكل القرآن ١٣١

(٤) شرح القصائد العشر ص ٢٠٤

(٥) غير موجود في ديوانه

(٦) ديوانه ١٨ / ١ والصناعتين ٢٨٦ والموازنة ١ / ٢٩٦

(٧) سورة ق - ٣٠

وقوله : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفِيظًا وَزَفِيرًا <sup>(١)</sup> 〉 .  
 وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْفَيْظِ <sup>(٢)</sup> 〉 .

\* \* \*

ومما يعدّونه من البديع الماثلة ، وهو ضرب من الاستمارة ، [ سَمَاءُ  
 قُدَامَةُ التَّمْيِيلِ ، وهو على العكس من الإرداف ؛ لأن الإرداف مبنى  
 على الإسهاب والبسط ، وهو مبنى على الإيجاز والجمع <sup>(٣)</sup> ] .  
 وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى ، فيضع ألفاظاً تدل عليه ؛ وذلك  
 المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذى قصد الإشارة إليه .

نظيره من المنثور : أن يزيد بن الوليد بلغه أن مروان بن محمد يتلصق  
 عن بيعته ، فكتب إليه : « أما بعد ، فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر  
 أخرى ، فاعتمد على أيتهما شئت <sup>(٤)</sup> » .

وكنحو ما كتب به الحجاج إلى المهلب <sup>(٥)</sup> : « فإن أنت فعلت  
 ذاك ؛ وإلا أشرعتُ إليك الرمح » . فأجابه المهلب : « فإن أشرع الأمير  
 الرمح ، قلبتُ إليه ظهرَ المَجَنِّ » .

( ١ ) سورة الفرقان ١٢ .

( ٢ ) سورة الملك ٨ .

( ٣ ) الزيادة من م .

( ٤ ) سر الفصاحة ص ٢٢٢ .

( ٥ ) فى سر الفصاحة بعد ذلك : « حين حضه على قتال الأزارقة وتوعده

له . . . »

وكقول زهير :

ومن يَعْصِ أطراف الزَّجاج فإنه يُطِيعُ العوَالِي رُبَّتْ كُلُّ لَهْذَمٍ <sup>(١)</sup>

وكقول امرئ القيس :

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إِلَّا لتضربني بسهميكِ في أعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلٍ <sup>(٢)</sup>

وكقول عمرو بن معدى كَرِب :

فلو أن قومي أنطقني رماخهم نطقْتُ ولكنَّ الرماح أَجَرَتْ <sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ص ٣١ الزجاج : جمع زج وهو الحديدية التي تركب في أسفل الرمح ، والسنان يركب عاليته ، والزج تركز به الرمح في الأرض ، والسنان يطعن به . قال أبو عبيدة : هذا مثل ، يقول : إن الزج ليس يطعن به ، إنما الطعن بالسنان ، فن أبي الصلح وهو الزج الذي لا طعن به أعطى العوالم وهي التي بها الطعن . راجع اللسان ١١٠/٣ والصناعتين ص ٢٧٩ وسر الفصاحة ص ٢٢١ (٢) ديوانه ص ٩٧ والصناعتين ص ٢٧٩ والعمدة ٢٤٧/١ والميسر والقديح ص ١٢٢ وفي اللسان ٢٤٩/٦ : « أراد بقوله : بسهميك ههنا : سهمي قداح الميسر ، وهما المعلى والرقيب ، فللمعلى سبعة أنصباء ، وللرقيب ثلاثة ، فلماذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع غيره في شيء منها ، وهي تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى : أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان ، فغلبته على قلبه كله وقتنته فملكته . . . وهذا التفسير في هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذلل » .

(٣) شرح الحماسة للتبريزي ١٦٠/١ والبيان والتبيين ٢١٤/١ واللسان ١٩٦/٥ وقال المرزوقي في شرح الحماسة ١٦٢/١ : « يقول لو أن قومي أبلوا في الحرب واجتهدوا لافتخرت بهم وذكرت بلاءهم ، ولكن رماخهم أجزت لسائي ، كما يجر لسان الفصيل . وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها . والإجزار : أن يشق لسان الفصيل للرماح فيجعل فيه عويدًا ثلاثا يرضع أمه » .

وكقول القائل<sup>(١)</sup> :

بنى عنما لاتذكروا الشعر بعدما دفتنم بصحراء الغُمير القوافيا<sup>(٢)</sup>

وكقول الآخر<sup>(٣)</sup> .

أقول وقد شدوا لسانى بنسعةٍ أمعشرَ تيمٍ أطلقوا عن لسانيا

ومن هذا الباب<sup>(٤)</sup> فى القرآن قوله : ﴿ فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وكقوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾<sup>(٦)</sup> . قال الأصمى : أراد البدن ، قال :

(١) هو الشمندر الحارثى ، أو سويد بن صُميع المرتدديّ ، وكان قُتل أخوه غيلة ، فقتل قاتل أخيه نهراً فى بعض الأسواق من الحضر . كما فى شرح الحماسة للمرزوقى ١ / ١٢٤ والتبريزى ١ / ١١٩ .

(٢) قال المرزوقى : « يقول : دعوا التفاخر فى الشعر وبالشعر ، فإنكم قصرتم بصحراء الغُمير ولم تبلوا فيها ، فتنتطق ألسنتكم لدى المساجلة ، وتستجيب قوافى الشعر لكم ، إذا أردتم نظمها وإنشادها عند المنافرة والمحكمة ، لأنكم أتمم قوافى الشعر ودفتنموها ، فكما أن الميت لا يجيب إذا دُعى ، كذلك لا يجيبكم الشعر إذا أردتموه ، مع سوء بلائكم وقبح آثاركم » .

(٣) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى ، كما فى المفضليات ١ / ١٥٥ وشرح الحماسة للمرزوقى ١ / ١٦٣ وذيل الأمالى ١٣٢ والأغاني ١٥ / ٧٣ ، ٧٦ والبيان والتبيين ٢ / ٢٦٨ وفى ذيل الأمالى : « قوله : وقد شدوا لسانى بنسعة : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسعة . وإنما أراد : افعلوا بى خيراً ينطلق لسانى بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم ويروى : معاشرتم أطلقوا لى لسانيا .

(٤) م : « هذا المعنى »

(٥) سورة البقرة ١٧٥

(٦) سورة المدثر ٤



وتقول العرب : « فِدَى لَكَ ثوبَايَ » . يريد<sup>(١)</sup> نفسه . وأنشد :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا      فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثَقَةَ إِزَارِي<sup>(٢)</sup>

• • •

ويرون من البديع أيضاً ما يسمونه « المطابقة » ، وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض . وإليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعي ، ومن المتأخرين عبد الله ابن المعتز .

وذكر ابن المعتز من نظائره من المنشور ما قاله بعضهم<sup>(٣)</sup> : « أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع ، فأدخلتنا في ضيق الضمان » .

ونظيره من القرآن : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾<sup>(٦)</sup> . ومثله كثير جداً .

(١) م « يريدون » .

(٢) البيت من قصيدة كتب بها إلى عمر بن الخطاب ، أبو المنهال بُقَيْلَةُ الأكبر الأشجعي ، في شأن واليهم الغزل جعدة بن عبد الله السامي ، الذي كان يخرج الجوارى إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو فيعقلهن ويقول : لا يمشي في العقال إلا الحصان . فربما وقعت فتكشفت . . . راجع اللسان ٥ / ٧٥ والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ٦٣ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٠٥ .

(٣) كتاب البديع ص ٧٤

(٤) سورة البقرة ١٧٩

(٥) سورة الروم ١٩

(٦) سورة الحج ٦١

وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إِنْكُمْ تَكْثُرُونَ  
عند الفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عند الطَّمْعِ »<sup>(١)</sup> .

وقال آخرون : بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة ، وإليه  
ذهب قدامة بن جعفر الكاتب<sup>(٢)</sup> .

فمن ذلك قول الأَفْوهِ الأَوْدَى :

وَأَقْطَعُ الهَوَجَلَ مُسْتَأْنَسًا      بِهَوَجَلٍ مُسْتَأْنَسٍ عَنَتْرِيسٍ<sup>(٣)</sup>  
عَنَى بالهوجل الأول : الأرض ، وبالثاني : الناقة<sup>(٤)</sup> .

ومثله قول زيادٍ الأعْجَمِ :

وَبُنَيْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ      وَلِلْوَمِّ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) البديع ص ٧٤

( ٢ ) راجع نقد الشعر ص ٦٠

( ٣ ) ديوانه ص ١٦ « بهوجل عيرانة » وسر الفصاحة ص ١٨٥ ونقد الشعر  
٦٠ والعمدة ١ / ٢٩٠ . والعيرانة كما في اللسان ٦ / ٣٠١ « الناقة الصلبة ، تشبيهاً  
بغير الوحش ، والألف والنون زائدتان » . والعنتريس كما في اللسان ٨ / ٤ « الناقة  
الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجرئة » .

( ٤ ) في اللسان ١٤ / ٢١٤ « الهوجل : المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام ،  
والأرض التي لا معالم بها . والهوجل : الناقة السريعة الذاهبة في سيرها ، وقيل :  
هي الناقة التي كأن بها هوجاً من سرعتها » .

( ٥ ) البديع ص ٥٨ ونقد الشعر ٦٠ وسر الفصاحة ص ١٨٤ وفي م و ك :  
« يستنظرون » وفي الأغاني ١١ / ١٧١ « أتت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل  
ليهجو زياداً الأعجم فأبى عليهم ، فقال : زياد :

• وَأَبْنَيْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ ابْنَ كَاهِلٍ • »

ومثله قول أبي دُوَاد :

عهدتُ لها منزلاً دائراً      وآلَا على الماءِ يَحْمِلُنَ آلا<sup>(١)</sup>

فالآل الأول : أعمدة الخيام تُنصب على البئر للسقي ، والآل الثاني :  
السراب<sup>(٢)</sup> .

وليس عنده قول من قال : المطابقة إنما تكون باجتماع الشيء  
وضده — : بشيء .

ومن المعنى الأول قول الشاعر :

أهين لهم نفسى لأكرمها بهم      ولن تُكرم النفس التى لا تُهينها<sup>(٣)</sup>  
ومثله قول امرئ القيس :

وتردى على صُلمٍ صلابٍ مَلَاطِسٍ      شديداً عَقْدٍ لِيَنَابِ مِثَانٍ<sup>(٤)</sup>

(١) نقد الشعر ص ٦٠ واللسان ١٣ / ٣٩ .

(٢) فى العمدة ١ / ٢٨٨ . . . . . هكنا فسروه منهم قدامة ، والذى قال الخدّاق : يعنى أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة . وقوله على الماء : يعنى الماء العذ الذى هو المحضر يرجعون إليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء . وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت .

(٣) البيت لأعرابي حجب عن باب السلطان ، كما فى البيان والتبيين ٢ / ١٨٩ وأمالى المرتضى ١ / ٢٠٥ والصناعتين ص ٢٤٠

(٤) ديوانه ص ١٤٥ وفى اللسان ١٩ / ٣٣ : « ردت الخيلُ ردياً وردياناً : رجعت الأرض بخوافرها فى سيرها وعدوها . والملاطس : جمع ملطس ، وهو المعول الذى يكسر به الصخر . وفى م : « مثانى » .

وكقول النابغة :

ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربةً لازِبٍ<sup>(١)</sup>

وكقول زهير ، وقد جمع فيه طباقين :

بِمَزْمَةٍ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرٍ مَطَاعٍ ، فلا يُلْقَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ<sup>(٢)</sup>

وكقول الفرزدق :

والشَيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يُصْبِحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارٌ<sup>(٣)</sup>

ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير :

وباسط خير فيكم يمينه وقابض شر عنكم بشماليا<sup>(٤)</sup>

وكقول رجل من بَلْعَنْبَرٍ<sup>(٥)</sup> :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ص ٤٥ والصناعتين ٢٤٣ وفي اللسان ٢ / ٢٣٤ : « واللازب : الثابت ، وصار الشيء ضربة لازب ، أى لازماً . هذه اللغة الجيدة ، وقد قالوها بالميم ، والأول أفصح » .

(٢) ديوانه ص ١٠٨ م « لعزمة » . وك و س « فلا يلقي » .

(٣) ديوانه ص ٤٦٧ والكامل ١ / ١٨ والصناعتين ص ٢٤٣ وفي « في السواد » والأغاني ١٩ / ١٦ والموشح ١٠٣

(٤) ديوانه ص ٦٠٥ والصناعتين ٢٤٤ والوساطة ص ٢٩ وسر الفصاحة

ص ١٩١

(٥) هو قريظ بين أثيف ، كما في شرح الحماسة للتبريزي ص ٨ : « والعرب تقول : بلعنبر ، وبنو العنبر ، وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولا م إذا لم يكن ثم إدغام » .

(٦) شرح المزدوقي ١ / ٣١

وروى عن الحسن<sup>(١)</sup> بن علي رضي الله عنهما أنه تمثل بقول القائل :  
فلا الجود يُفنى المال والجُدُّ مَقْبَلٌ ولا البخلُ يُبقي المال والجُدُّ مدبرٌ<sup>(٢)</sup>  
وكقول الآخر :

فَسِرِّي كاعلاني وتلك سَجِيَّتِي وظُلْمَةُ ليلي مثلُ ضوءِ نهاريا<sup>(٣)</sup>  
وكقول قيس بن الخطيم :  
إذا أنت لم تنفع فُضْرًا ، فإنما يُرَجَّى الفتى كما يضرّ وينفعا<sup>(٤)</sup>  
وكقول السموأل :

وما ضرّنا أنا قليلٌ وجارُنا عزيز وجار الأَكْثَرين ذليلٌ<sup>(٥)</sup>  
فهذا باب يرويه من البديع .

\*\*\*

وباب آخر وهو « التَّجْنِيس » . ومعنى ذلك : أن تأتي بكلمتين  
متجانستين :

فنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها  
[ومعناها<sup>(٥)</sup>] . وإليه ذهب الخليل<sup>(٦)</sup> .

(١) م « أن الحسين »

(٢) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٤٤

(٣) ديوانه ص ٤٤ والصناعتين ص ٢٤٥ وقد نسبته الصولي في أخبار

أبي تمام ص ٢٨ لعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

وقد سقط هذا البيت من م

(٤) شرح الحماسة للتبريزي ١ / ١١٠ والمرزوقي ١ / ١١٢ .

(٥) الزيادة من م

(٦) البديع ص ٥٥

ومنهم من زعم أن المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق<sup>(١)</sup>.

وكقوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكقوله : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكقوله : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وكقوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وكقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَسْلَمُ سَالِمًا اللَّهُ ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةٌ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، ] وَتُجِيبُ أَجَابَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ <sup>(٧)</sup> [ » .

وكقوله : « الظلم ظلماتٌ يوم القيامة <sup>(٨)</sup> »

وقوله : « لَا يَكُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ <sup>(٩)</sup> » .

(١) نقد الشعر ص ٦١ وم « على وجه »

(٢) سورة الروم ٤٢

(٣) سورة النمل ٤٤

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٥) سورة الأنعام ٨٢

(٦) سورة الأنعام ٢٦

(٧) الزيادة من م والحديث في البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥١

(٨) الصناعتين ص ٢٥١ والبديع ص ٥٦

(٩) الصناعتين ٢٥٢

وكتب بعض الكتاب : « العذر مع التَّعَذُّر واجب ، فأليك فيه <sup>(١)</sup> » .  
وقال معاوية لابن عباس : ما لكم يا بني هاشم تُصابون في أبصاركم ؟  
فقال : كما تصابون في بصائركم <sup>(٢)</sup> .  
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « هاجروا ولا تهجروا <sup>(٣)</sup> » .  
ومن ذلك قول قيس بن عاصم :  
ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة كستنه نجيعاً من دم الجوف أشكلاً <sup>(٤)</sup>  
وقال آخر <sup>(٥)</sup> :  
\* أملٌ عليها باليلي المَلَّوان <sup>(٦)</sup> \*

(١) الصناعتين ٢٥٢

(٢) البديع ص ٥٦ والصناعتين ٢٥٢

(٣) الصناعتين ٢٥٢ : والبديع ص ٥٦ وفي اللسان ١١١ / ٧ قال أبو عبيد : يقول : أخلصوا الهجرة لله ، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم فهذا هو التهجر .

(٤) حفزته بالرمح : طعنته . والبيت لسوار بن حبان المنقري ، يفتخر بطعن « الحوفزان » واسمه الحارث بن شريك الشيباني ، ولم يكن سوار الحافز له ، وإنما الحافز له قيس بن عاصم المنقري في يوم جدد ، كما قال ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ص ٣١٦ ، ١٢٣ . والنجيع : الدم الطرى ، وقيل : النجيع دم الجوف خاصة . والأشكل : الذى يخالطه بياض من الزبد . راجع الأغاني ١٢ / ١٥٣ واللسان ٧ / ٢٠٣ وأما المرتضى ١ / ٧٧ والنقائض ص ١٤٦ وفيها « تمج نجيعاً » وص ٣٢٨ : « سفته » وكذلك في اللسان ١٣ / ٣٨١ والبيت منسوب في الصناعتين ص ٢٥٤ كما هنا لقيس بن عاصم .

(٥) هو تميم بن أبي بن مقبل ، كما في الاقتضاب ص ٤٧٢ والحواليق ص ٤٠٣ والأما إلى ١ / ٢٣٣ واللسان ٢٠ / ١٦٠  
(٦) وصدرة :

\* ألا يا ديار الحى بالسبعان \*

والمَلَّوان : الليل والنهار . وجعلهما ابن مقبل الغداة والعشى .

وقال الآخر<sup>(١)</sup> :

وذاكم أن ذلّ الجار حالفكم وأن أنفكم لاتعرف الأنفا<sup>(٢)</sup>  
وكتب إلى بعض مشايخنا ، قال : أنشدنا الأخفش عن المبرد  
عن التوزي<sup>(٣)</sup> :

وقالوا<sup>(٤)</sup> : حمامات فحّم لقاؤها وطلح فزيرت والمطى طلوح<sup>(٥)</sup>  
عقاب بأعقاب من النأى بعدما جرت نية تنسى المحب طروح<sup>(٦)</sup>  
وقال صحابي : هدهد فوق بانه هدى وبيان بالنجاح يلوح<sup>(٧)</sup>  
وقالوا : دمّ دامت موثيق عهده ودام لنا حسن الصفاء صريح<sup>(٨)</sup>

(١) م : « الآخر أظنه التوزي »

(٢) البيت لرجل من بني عبس في البديع ص ٥٨ والموازنة ٢٤٩/١  
والصناعتين ٢٥٥ ونقد الشعر ٦١ وصدره فيه تحريف . وسر الفصاحة ص ١٨٤  
والعمدة ٢٩٢/١ وفيه : « وذلكم » كما في م

(٣) م « عن التنوخي » ا « التوجي » ك « الثوري »

(٤) الشعر لأبي حية النيمري كما في أمالي القالي ١/٧٠ وزهر الآداب  
٢/١٦٧ ونسب للراعي في الزهرة ص ٢٤٧

(٥) م : « وطلح قريب » وهو تحريف ، وفي زهر الآداب : « وطلح  
فنيلت » ، وطلح : أجهدها السير وهزلها .

(٦) قال البكري في شرح الأمالي ١/٢٤٤ : « بإعقاب بالكسر بخط  
أبي علي » . وفي ك ، س : « من النأى » وفي الأمالي « تسلي المحب » وفي زهر  
الآداب « بعد ما نأت نأية بالطاعنين طريق »

(٧) في الزهرة « وقالوا : نراه هدهداً . . . وبيان والطريق تلوح »

(٨) في الزهرة : « دامت مودة بيننا . . . صفو صفاه صريح » وفي الأمالي  
وفي زهر الآداب « موثيق بيننا . . . حلو الصفاء » وقال البكري : « وقوله حلو  
الصفاء : هو نعت لشيء محذوف ، ولولا ذلك ما نعت به بعد بصريح كأنه عهد  
حلو الصفاء أوود »



وقال آخر<sup>(١)</sup> :

\* أَقْبَلَنَ مِنْ مِصْرَ يُبَارِينَ الْبَرَى \*

وقال القطامي :

ولما رَدَّهَا فِي الشَّوْلِ شَالَتْ بِذِيَالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعًا<sup>(٢)</sup>

وقد<sup>(٣)</sup> يكون التجنيس بزيادة حرف [ أو بنقصان حرف<sup>(٤)</sup> ]

أو ما يقارب ذلك ، كقول البحترى :

هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ تَلَاقٍ تَلَافٍ أَمْ لَشَاكٍ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافٍ<sup>(٥)</sup>

(١) هو جليح بن شميذ كما في ديوان الشماخ ص ١٠٥ وكان من حديثه أنه أقبل من مصر مع جماعة من الشعراء منهم الشماخ ، فكان الرجل منهم ينزل فيسوق بأصحابه ويرتجز . وقد ارتجز الجليح بالقوم فقال قصيدة مطلعها :

« طاف الخيال من سليمى فاعترى » وهي مثبتة في ديوان الشماخ ص ١٠٥ - ١٠٨

(٢) وقبله : « له علامات على حدّ الصوى » وبعده : « يشكون قرحاً بالدفوف والكلى » الصوى : حجارة تجعل علامة في الطريق . والضمير في « أقبلن » للمطايا . يبارين : من المباراة ، وهي المعارضة في السير . والبرى : جمع برة بالضم ، وهي حلقة تجعل في أنف البعير . والدفوف : جمع دف ، وهو الجنب . وقد ورد منسوباً في الصناعتين ص ٢٥٥ لجليح بن سويد ، وفيه « من مصر » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ص ٤٣ والصناعتين ص ٢٥٦ والبديع ص ٥٦ والموازنة ١ / ١١ ، ٢٤٩ والشول : طروقة الفحل . رَدَّهَا لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لاقح ، وذِيَال : ذنب طويل . ولِفَاع : ثوب يلتصق به .

(٤) م : « قال القاضي الجليل رحمه الله : وقد يكون إلخ »

(٥) الزيادة من ا ، ب ، م

(٦) ديوانه ١ / ٣٦٦ « أَلِمَافَاتٍ مِنْ تَلَاقٍ » وس ، ك : « من تلاف »

وقال ابن مقبل :

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالت جوانبه ينهالُ حيناً وينهأُ الثرى حيناً<sup>(١)</sup>

وقال زهير :

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ الْبَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لا يَنْكُلُونَ إِذَا مَا اسْتُلْحِمُوا وَحُمُوا<sup>(٢)</sup>  
ومن ذلك قول أبي تمام :

يَعْدُونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ<sup>(٣)</sup>  
وأبو نواس يقصد في مصرعَيْه مقدّمات شعره هذا الباب<sup>(٤)</sup> ،  
كقوله :

أَلَا دَارِهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تُلَيْنَهَا فَلَنْ تَكْرَمَ الصَّهْبَاءُ حَتَّى تُثَمِّنَهَا  
وكذلك قوله :

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارٍ كَسَوْنِكَ شَجَوُا هُنَّ مِنْهُ عَوَارٍ<sup>(٥)</sup>  
وكقول ابن المعتز :

سَأَتْنِي عَلَى عَهْدِ الْمَطِيرَةِ وَالْقَصْرِ وَأَدْعُو لَهَا بِالسَّاءِ كَنِينَ وَبِالْقَطْرِ<sup>(٦)</sup>

(١) حماسة ابن الشجرى ١٨٨ وجمهرة أشعار العرب ص ١٦٢ ، والهليل :  
من الرمل : الذى لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط ، كما فى اللسان ١٣٩/١٤ ،  
والنقا : كما فى اللسان ٢٠ - ٢٣١ : « الكتيب من الرمل » وفى م : « مثل النقا »  
(٢) ديوانه ص ١٥٩ والصناعتين ٢٦٠ ، استلحِمُوا : أدركُوا ،  
وحِمُوا : غضبوا

(٣) ديوانه ص ٤٢ والصناعتين ٢٦١

(٤) م : « هذا الباب كله »

(٥) ديوانه ٧٢

(٦) ديوانه ٣٥

وكقوله أيضاً :

هي الدار إلا أنها منهم قفرٌ      وأتى بها ثاوٍ وأنهم سَفَرٌ<sup>(١)</sup>  
وكقوله :

للأمانى حديثٌ [قد] يقر      ويسوء الدهر من قد يسر<sup>(٢)</sup>  
وكقول المتنبي :

وقد أرانى الشبابُ الروحَ فى بدنى      وقد أرانى المشيبُ الروحَ فى بدنى<sup>(٣)</sup>  
وقد قيل : إن من هذا القليل قوله عز وجل : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ  
عَجَلٍ ، سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا  
لَهُ دِينِي ، فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

ويعمدون من البديع « المُقَابَلَة » ، وهى أن يوفق بين معان ونظائرهما  
والمضاد بضده ، وذلك مثل قول النابغة الجعدي :  
فتى تَمَّ فيه ما يسرُّ صديقَه      على أن فيه ما يسوء الأعدايا<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ص ٤٢

(٢) م « حديث يعز » ديوانه ٤٤ « قد يغمر ويسر الدهر »

(٣) ديوانه ٦٦/٢ . يقول : إنه إنما كان حياً حين كان شاباً ،  
فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره . والبدل فى هذا البيت :  
الولد .

(٤) سورة الأنبياء ٣٧

(٥) سورة الزمر ١٤ ، ١٥

(٦) الصناعتين ٢٦٥ والأمالى ٢/٢ وأمالى المرتضى ١/ ١٩٤ والعمدة

٢/ ١٥ ، ٤٦ والشعر والشعراء ١/ ٢٥٢ وشرح الحماسة للتبريزى ٣/ ٨٣  
وقد عاد أبو هلال العسكري فنسبه إلى جندل بن جابر الفزارى فى ص ٣٢٤  
وهو وهم لا شك فيه .

وقال تأبط شرًا :

أهزُّ به في ندوة الحى عطفه كما هزَّ عطفى بالهجان الأوارك<sup>(١)</sup>  
وكقول الآخر :

وإذا حديثٌ ساءنى لم أكتبْ وإذا حديثٌ سرَّنى لم أشر<sup>(٢)</sup>  
وكقول الآخر :

وذى إخوة قطعَتْ أرحامَ بينهم كما تركونى واحدًا لا أخاليًا<sup>(٣)</sup>  
ونظيره من القرآن : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ .  
ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ<sup>(٤)</sup> ﴾ .  
[ومن هذا الجنس قول هند بنت النعمان للمغيرة بن شعبه ، وقد  
أحسن إليها : بَرَّتْكَ يَدُنَا لَهَا خِصَاصَةٌ بَعْدَ ثُرُوةٍ ، وَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ يَدٍ  
نَالَتْ ثُرُوةً بَعْدَ فَاقَةٍ<sup>(٥)</sup> ] .

(١) الصناعتين ٢٦٤ وشرح الحماسة للتبريزى ٩١ / ١ والمرزوقى ٩٤ / ١ عطفه : جانبه . والهجان : الإبل البيض الكرام ، والأوارك : التي  
ترعى الأراك . يقول : أحرك بالثناء جانبه كما حرك جانبي بعطيته ، أى أسرّه  
بذلك حتى يرتاح ويطرب كما سرَّنى حتى اهترزت »

(٢) الصناعتين ٢٦٦ ونقد الشعر ٤٧ وفي حماسة البحتري ص ١١٩  
« قال عبد الله بن سليم الأزدي : وإذا حديث . . . لم أبشر ، وبعده :  
أخشى الفواحش منهما كلتيهما ورعيت نفسى ناشئاً للمكبر  
وفي س ، م « لم أسرر » والأشر : المرح .

(٣) س ، ك والصناعتين ٢٦٦ : « أقران بينهم »

(٤) سورة النحل ٥٣ ، ٥٤

(٥) الزيادة من م ، وكلام هند مع بعض التغير في سر الفصاحة ص ٢٥٢

\* \* \*

ويعمدون من البديع « الموازنة » ، وذلك كقول بعضهم : أصبر  
على حرّ اللّقاء ، وممض النّزال ، وشدة المصّاع <sup>(١)</sup> .

وكقول امرئ القيس :

سليمُ الشّظَا عَبلُ الشّوى شَنِجُ النّسا

[ له حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ <sup>(٢)</sup> ]

ونظيره من القرآن : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ  
وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ <sup>(٣)</sup> 》 .

\* \* \*

ويعمدون من البديع « المساواة » ، وهى أن يكون اللفظ مساوياً

(١) كذا فى ا ، ب ، م ، ك وفى س : « المصارع » وهو تحريف .  
والمصارع كما فى اللسان ١٠ / ٢١٤ « المقاتلة والمجالدة بالسيوف » .

(٢) الزيادة من م والبيت فى ديوانه ص ١١١ والصناعتين ٢٩٦ والشظى  
كما فى اللسان ١٩ / ١٦٢ : عظم ملزق بالذراع فإذا تحرك من موضعه قيل :  
قد شظى الفرس بالكسر . والشظى : انشقاق العصب . « وفى اللسان  
١٣ / ٤٤٦ « وفرس عبل الشوى : أى غليظ القوائم » والنسا : من الورك إلى  
الكعب كما فى ٢٠ / ١٩٣ وفى ٣ / ١٣٤ : « وفرس شنج النسا : متقبّضه ،  
وهو مدح له ؛ لأنه إذا تقبض نساها وشنج لم تسترخ رجلاه . وفى ١ / ٢٩٠ :  
« الحجة : بالتحريك : رأس عظم الورك » وفى ١٤ / ٥٢ : « على الفال :  
أراد على الفائل فقلب ، وهو عرق فى الفخذين يكون فى خربة الورك ينحدر فى  
الرجل »

(٣) سورة البروج ١ - ٣

للمعنى ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وذلك يُعدُّ من البلاغة ، وذلك  
كقول زهير :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ      وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ<sup>(١)</sup>  
وكقول جرير :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ      وَكَانَ عَلَى جُهَّالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي<sup>(٢)</sup>  
وكقول الآخر<sup>(٣)</sup> :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا      أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ  
وكقول الهذلي<sup>(٤)</sup> :

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتَهَا      وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مِنْ يَسِيرُهَا<sup>(٥)</sup>  
وكقول الآخر<sup>(٦)</sup> :

فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ      وَإِنْ عَاصُوكَ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ

(١) ديوانه ٣٢، ونقد الشعر ص ٥٥ وسر النصيحة ص ٢٠٦

(٢) ديوانه ص ٤٦٢ وفي ١ ، ك : « على أعداء جهالم » وصوابه من

ب ، م

(٣) هو زهير كما في ديوانه ص ٣٠٠ وسر النصيحة ص ٢٠٦ ونقد

الشعر ص ٥٥ وفيه « لم ترحل عن »

(٤) هو خالد بن محرز بن أخت أبي ذؤيب ، كما في ديوان أبي ذؤيب

ص ١٥٦ ، ١٥٧ وفي نقد الشعر ص ٥٥ هو خالد بن زهير بن أخي أبي ذؤيب

الهذلي .

(٥) كذا في م ، ١ ونقد الشعر وفي س ، ك : « راض سيرة »

(٦) البيت لخليفة مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كما في

شرح الحماسة للتبريزي ٣ / ٣١٥ وغير منسوب في اللسان ١٩ / ١٣٩ والأغاني

١٥ / ١٥٧ ونسب في الزهرة ص ١٢٢ لبعض الأعراب ، وفي معجم البلدان

٨ / ٣٠٠ لأبي العميثل .

## ونظير ذلك في القرآن كثير .

\* \* \*

ومما يعدّونه من البديع « الإشارة » ، وهو اشتغال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة . وقال بعضهم في وصف البلاغة : [ البلاغة ] لمحة دالة<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك قول طرفة :

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَدَيْدٌ بِنِعْمَةٍ      فَقُلْ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبٌ<sup>(٢)</sup>  
وَقُفُولٌ زَيْدٌ أَخْلِيلٌ :

فَخَيْبَةٌ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنَى      وَبَاهِلَةٌ بَنَ أَعْصَرَ وَالرَّ بَابٍ<sup>(٣)</sup>

(١) هو خلف الأحمر ، كما في العمدة ٢١٣ / ١

(٢) لا يوجد هذا البيت في ديوان طرفة ، وهو لا مرئ القيس كما في ديوانه ص ٢٠ ونقد الشعر ص ٥٧ وأما البيت الذي يصلح أن يكون شاهداً للإشارة من شعر طرفة فهو قوله :

مرفوعها زَوْلٌ وموضوعها كَمَرٌ غَيْثٌ لِحَبِّ وَسَطٍ رِيحٍ  
فقوله « زول » مشار به إلى معان كثيرة ، وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء ، واختصاره عجب ، راجع نقد الشعر ص ٥٦ والبيت محرف فيه وهو على الصواب في اللسان ٤٨٩ / ٩ ، ٢٧٩ / ١٠

(٣) البيت له في الأغاني ٥٢ / ١٦ وفيه : « وخيبة من تجيب . . . بن أعصر والكلاب » والشعر والشعراء ٢٤٦ / ١ وفيه « فخبية من يغير . . . والركاب » وهو غير منسوب في أمالي المرتضى ٢٠٨ / ١ وفيه : « وباهلة بن يعصر » وفي الإصابة ٥٥٥ / ١ والشعر والشعراء ٢٤٦ / ١ والمعاني الكبير ٥٧٦ وقد شرحه ابن قتيبة بقوله : « يقول من غزا فخاب فإنه يكر على غنى وباهلة فيغنم ؛ لأنهم لا يمتنعون ممن أرادهم ، كالركاب ، وهي الإبل ؛ لأنها لا تمتنع على من أرادها . ابن الأعرابي : يقول : من صار في يده أسير من غنى وباهلة فقد خاب لقلة فدايته ، والدليل على ذلك قوله :

وأدى الغنم من أدى قُشيرا ومن كانت له أسرى كلاب

ونظيره من القرآن : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ  
بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا <sup>(١)</sup> 〉 . ومواضع كثيرة .

\* \* \*

ويعدون من البديع « المبالغة » ، و « الغلو » .  
والمبالغة : تأكيد معاني القول ، وذلك كقول <sup>(٢)</sup> الشاعر :  
ونكريم جارنا ما كان فينا      وتنبه الكرامة حيث مالا <sup>(٣)</sup>  
ومن ذلك قول الآخر <sup>(٤)</sup> :  
وهم تركوك أسلح من حبارى      رأت صقرا وأشرد من نعام

والدليل على التفسير الأول قول الفرزدق يهجو أصم باهلة :  
أجعل دارمأ كابني دخان      وكانا في الغنيمة كالركاب  
ابنا دخان : غنى وباهلة ، وكانوا يسبون بذلك في الجاهلية ، كالركاب ،  
أى لا امتناع بهم كما لا تمتنع الركاب ، وكان الرجل منهم في الجاهلية إذا  
قتل رجلا من أفناء العرب لم يكن في دمه وفاء منه حتى يزداد عشرا من الإبل  
أونحوها ، وهذا قول أبي عبيدة ، وذكر أن الأشعث الكندي قال للنبي  
صلى الله عليه وسلم : أتكافأ دماؤنا يا رسول الله ؟ قال : نعم ولو قتلت رجلا من  
باهلة لقتلتك به »

( ١ ) سورة الرعد ٣١

( ٢ ) م : « القول كقول »

( ٣ ) البيت لعمر بن الأيهم كما في نقد الشعر ص ٥٠ وفيه « حيث  
سارا » ولعمرو بن الأيهم التغلبي في العمدة ٢ / ٥٢ وفيه « حيث كانا » ولعميرة  
بن الأهم التغلبي في الصناعتين ٢٨٨ ولأعشى تغلب ص ٢٧١

( ٤ ) هو أوس بن غلفاء يخاطب يزيد بن عمرو بن الصعق ، كما في الكامل  
٢ / ٤٢٢ والنقاظ ص ٩٣٣ والخزانة ٣ / ١٣٩ واللسان ١١ / ٢٣١ ونقد  
الشعر ص ٥١ والصناعتين ص ٢٨٩ .



فَقُولُهُ : « رَأَتْ صَقْرًا » مبالغة .

وَمِنَ الْغُلُوِّ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأُنَا      تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ  
فَمَا يَرْتَقِي التَّكْيِيفُ فِيهَا إِلَى مَدَى      يَحْدُّ بِهِ إِلَّا وَمِنْ قَبْلِهِ قَبْلُ<sup>(١)</sup>

وَقَوْلُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ      قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ - قَعَدُوا<sup>(٢)</sup>  
وَكَقَوْلُ النَّابِغَةِ :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاوُنَا      وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَ<sup>(٣)</sup>  
وَكَقَوْلُ الْخَنَسَاءِ :

وَمَا بَلَّغْتَ كَفْ أَمْرِي مُتَنَاوِلَ      بِهَا الْمَجْدِ إِلَّا جَيْثًا نَلْتَ أَطُولَ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونُ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً      وَإِنَّا أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلَ<sup>(٥)</sup>

(١) م : « فَمَا يَرْجِعُ »

(٢) ديوانه ص ٢٨٢ وقد نسبته أبو تمام في الوحشيات لأبي الجويرة :  
عيسى بن أوس ، وترجمته في المؤلف ص ٧٩ ومعجم الشعراء ص ٢٥٨ وفي ١ :  
« فوق النجم »

(٣) في الأغاني ٤ / ١٣٠ قال النابغة الجعدي : « أنشدت النبي صلى  
الله عليه وسلم هذا الشعر فأعجب به :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُونَا      وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَ  
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ فَقُلْتُ الْجَنَّةَ . فَقَالَ :  
« قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقُلْتُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ » وَالْبَيْتُ فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ١ / ٢٤٧ وفي  
اللسان ٦ / ٢٠٢ . وَالْمَظْهَرُ : الْمُصْعَدُ

(٤) ديوانها ص ١٨٤ من قصيدة في أخيها صخر . وفي م : « كف امرى  
متناول من المجد »

(٥) م : « مدحة وإن ظنوا إلا الذي » وفي الديوان « مدحة ولا صفة إلا الذي »

وقول الآخر<sup>(١)</sup> :

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا      وهَمُّهُ الصَّغَرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ  
له راحة لو أَنَّ معشار جودها      على البرِّ صار البرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

\* \* \*

ويرون من البديع « الإيغال » في الشعر خاصة ، فلا يُطلب مثله  
في القرآن إلا في الفواصل ، كقول امرئ القيس :  
كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا      وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ<sup>(٢)</sup>  
فقد أوغل بالقافية في الوصف وأكد التشبيه بها ، والمعنى قد  
يستقل دونها .

\* \* \*

ومن البديع عندهم « التوشيح » . وهو أن يشهد<sup>(٣)</sup> أوّل البيت  
بقافيته وأوّل الكلام بآخره ، كقول البحترى :

(١) زعم صاحب معاهد التنصيص ٢٠٨ / ١ أنه لحسان بن ثابت ،  
وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح في أبي دلف

(٢) البيت منسوب لعليمة الفحل في ديوانه ص ٢٨ وديوان امرئ القيس  
ص ٢٧ ولأمرئ القيس في الصناعتين ص ٣٠١ والعمدة ٢ / ٥٥ وسر الفصاحة  
١٤٨ وفي نقد الشعر ص ٦٣ : « فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملا قبل  
القافية ، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ، ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف  
ووكده وهو قوله : الذي لم يثقب ، فإن عيون للوحش غير مثقبة وهي بالجرع  
الذي لم يثقب أدخل في التشبيه »

(٣) س : « أن يشيد »

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحَلٍّ      وليس الذي حرّمته بحرام<sup>(١)</sup>  
ومثله في القرآن : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

ومن ذلك « رَدُّ عَجْزِ الْكَلَامِ عَلَى صَدْرِهِ ». كقول الله عز وجل :  
﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَآ آخِرَةَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ  
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكقوله : ﴿ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ  
خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا الباب قول القائل<sup>(٥)</sup> :

وإن لم يكن إلا تملُّ ساعةٍ      قليلاً فإنّي نافعٌ لى قليلها  
وكقول جرير :

(١) ديوانه ص ١٠ وفي الصناعتين ص ٣٠٣ « وذلك أن من سمع  
النصف الأول عرف الأخير بكماله »

(٢) سورة المائدة ٣٩

(٣) سورة الإسراء ٢١

(٤) سورة طه ٦١ وفي مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص  
٢٢٤ : « السُّحْتُ : القشر الذي يستأصل »

(٥) هو ذو الرمة ، كما في ديوانه ص ٥٥٠ وفي نوادر القالي ص ٢١٦ :  
« إلا معرس ساعة قليل »

- سقى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهْلٌ نَعْمَاهُ وماذاك إلّا حُبٌّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ<sup>(١)</sup>  
 وكقول الآخر<sup>(٢)</sup> :  
 يَوْذُ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فكيف يرى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ  
 وكقول أبي صخر الهذلي :  
 عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فلما انقضى ما يَبْنِي سَكَنَ الدَّهْرُ<sup>(٣)</sup>  
 وكقول الآخر :  
 أَصْدُ بِأَيْدِي الْعِيسِ عَنْ قَصْدٍ أَرْضِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمَوْدَةِ قَاصِدٌ<sup>(٤)</sup>  
 وكقول عمرو بن معدى كرب :  
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

ومن البديع « صحة التقسيم » ؛ ومن ذلك قول نُصَيْب :

- (١) ديوانه ص ٤٦٠ : « مستهل ربابه » وكذلك في البديع ص ٩٥ والصناعتين ص ٣٠٦ والعمدة ٢ / ٤  
 (٢) هو النمر بن تولب كما في الأغاني ١٩ / ١٥٩ والصناعتين ١٢٧ ، ٣٠٧ وجهرة أشعار العرب ١١٠ وشرح شواهد المغني ٢١٥  
 (٣) شرح الحماسة للتبريزي ٣ / ٢٠٨ والأغاني ٢١ / ١٤٩ والشعر والشعراء ٢ / ٥٤٦  
 (٤) الصناعتين ٣٠٦ « قصد دارها »  
 (٥) الشعر والشعراء ١ / ٣٣٥ والأصمعيات ص ٤٥ والصناعتين ص ٣٠٦ والأغاني ١٤ / ٣٣ ومعاهد التنصيص ٢ / ٢٣٦ وحماسة البحرى ٢٣٦

فقال فريقُ القوم: لا، وفريقُهُم: نعم، وفريقُ قال: ويحك ما ندرى<sup>(١)</sup>  
وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا.  
وكقول الآخر<sup>(٢)</sup>:

فكانها فيه نهارٌ ساطع      وكأنه ليلٌ عليها مظلم<sup>(٣)</sup>  
وقول المقتع الكندي:

وإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم      وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجداً<sup>(٤)</sup>  
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم      وإن هم هَوَوْا غَيِّيَ هَوَيْتُ لهم رُشداً  
وإن زجروا طيراً بنحسٍ تمرُّ بي      زجرتُ لهم طيراً تمرُّ بهم سعدا  
وكقول عروة بن حزام:

بمن لو أراه عانياً لفديته      ومن لو رآني عانياً لفداني<sup>(٥)</sup>  
ونحوه قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، يُخْرِجُهُم مِّنْ

(١) الجمدة ٢/ ٢٠ وسر الفصاحة ٢٢٤ وس، ك « ما يدرى »

ونقد الشعر ص ٤٦ « لا أدرى » وفي الصناعتين: « وفريق لا يمن الله ما ندرى » وفي اللسان ١٧ / ٣٥٤:

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم وفريق كيمنن الله ما ندرى

(٢) هو بكر بن النطاح، كما في الأمل ١ / ٢٢٧ وقبله:

بيضاء تسحب من قيام فرعها      وتغيب فيه وهو وحف أسنم  
(٣) س، ك « فكانما »

(٤) الأمل ١ / ٢٨١ وفي الأغاني ١٥ / ١٥٧ والشعر والشعراء

٧١٦ / ٢ « إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم » وحاسة البحري ٢٤٠

(٥) الأغاني ٢٨ / ١٥٥ وفي س، ك: « لو أراه غائباً... رآني غائباً »

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ، يُخْرِجُونَهُمْ  
مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (١).

\*\*\*

ونحوه « صحة التفسير ». [وهو أن توضع معانٍ تحتاج إلى شرح  
أحوالها، فإذا شرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا  
زيادة ولا نقصان (٢)]. كقول القائل (٣):

ولى فرسٌ للحلم بالحلم مُلْجَمٌ      ولى فرسٌ للجهل بالجهل مُسْرَجٌ  
\* \* \*

ومن البديع « التكميل والتتيم ». [وهو أن يأتي بالمعنى الذى بدأ به بجميع المعاني المصححة المتممة  
لصحته، الكلمة لجودته، من غير أن يخل ببعضها، ولا أن يفاد  
شيئاً منها]. كقول القائل: وما عسيت أن أشكرك عليه من مواعيد  
لم تشن بطل، ومرافد لم تشب بمن، وبشر لم يمازجه ملق، ولم  
يخالطه مذق (٤).

- 
- (١) سورة البقرة ٢٥٧  
(٢) الزيادة من م  
(٣) هو محمد بن وهيب كما في عيون الأخبار ٤/ ٢٨٩ أو محمد بن  
حازم الباهلي كما في معجم الشعراء ص ٢٩٤ أو صالح بن جناح اللخمي كما في  
نقد الشعر ص ٤٩ والصناعتين ص ٢٧٢  
(٤) الزيادة من م

وكقول نافع بن خليفة :

رجالٌ إذا لم يقبلوا الحقَّ منهم وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ <sup>(١)</sup>

وإنما تم جودة المعنى بقوله : « وَيُعْطَوْهُ » .

وذلك كقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى آخر

الآية . ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

ومن البديع « التَّرْصِيعُ » . وذلك على ألوان <sup>(٣)</sup>

منها قول امرئ القيس :

مِخْشٍ مِجْشٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَتَيْسٍ ظَبَاءِ الْحَلَبِّ الْعَدَوَانِ <sup>(٤)</sup>

ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس :

يَا مِنَّةً أُمْتَنَّا الشُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ <sup>(٥)</sup>

وكقوله ، وقد ذكرناه قبل هذا <sup>(٦)</sup> :

( ١ ) نقد الشعر ص ٤٩ وفي العمدة ٤٩/٢ والصناعتين ص ٣٠٩ وسر الفصاحة ٢٥٥ « بالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ »

( ٢ ) سورة لقمان ٣٤

( ٣ ) س ، ك : « من ألوان »

( ٤ ) ديوانه ص ١٤٥ ونقد الشعر ١١ والصناعتين ٢٩٦ وانظر اللسان ٣٢٣/١

( ٥ ) ديوانه ص ١٠١

( ٦ ) راجع ص ١٣١

ديارُ نوارٍ ما ديارُ نوارٍ كسونك شجواً هُنَّ منه عوارٍ

\*\*\*

ومن ذلك « الترصيع مع التجنيس » ، كقول ابن المعتز :

ألم تجزع على الريع المَحِيلِ وأطلالٍ وآثارٍ مُحُولِ<sup>(١)</sup>

ونظيره من القرآن كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وكقوله : ﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقد أوقع الشعراء بنحو هذا ، فأكثرُوا فيه ، ومنهم من اقتنع

(١) ديوانه ٥٩

(٢) سورة الأعراف ٢٠١ - ٢٠٢

(٣) سورة القلم ٢ - ٣

(٤) سورة العاديات ٧ - ٨

(٥) سورة الطور ١ - ٢

(٦) سورة النازعات ٣ - ٤



بالترصيع في بعض أطراف الكلام ، ومنهم من بَنَى كلامه [ كله ] <sup>(١)</sup> عليه ، كقول ابن الرومي :

أبدانهم نَّ وما كَبَسَ نَّ من الحرير معاً حريراً <sup>(٢)</sup>  
أزداًهم نَّ وما مَسَسَ نَّ من العبير معاً عبيراً <sup>(٣)</sup>

وكقوله :

فلراهنَّ أن لا يريث مكانه . ولراغب أن لا يريث نجاحه <sup>(٤)</sup>  
ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى « المضارعة » . وذلك كقول  
الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليفة م دى الطريقة قفّاع وضّرار <sup>(٥)</sup>  
جواب قاصية جزاز ناصية عقاد ألوية للخيّل جرّار <sup>(٦)</sup>

\*\*\*

ومن البديع باب « التكافؤ » . وذلك قريب من « المطابقة »

( ١ ) الزيادة من ا ، م

( ٢ ) ديوانه ص ٢٨٠ وفيه « أبشارهن وما ادرعهن »

( ٣ ) في الديوان : « ونسيمهن وما »

( ٤ ) ديوانه ٢ / ٧٨ وفي س ، ك ، ا : « ألا يريث أمانه » ( ١ )

( ٥ ) لا يوجد هذا البيت في ديوانها ، وهو لها في الصناعتين ص ٢٩٨ ،

والحقيقة : ما يحق عليه أن يحميه . وفي س : « الحقيقة »

( ٦ ) م « حوال قاصية . . . الونه » ك : « جزاز ناصية » والذي في

ديوانها :

حال ألوية هباط أودية شهاد أندية للخيّل جرّار ( ٢ )

كقول المنصور: لا تخرجوا من عز الطاعة، إلى ذل المعصية<sup>(١)</sup>. وقول  
عمر بن ذر<sup>(٢)</sup>: إنا لم نجد لك إذ عصيت الله فينا خيراً من أن نطيع  
الله فيك<sup>(٣)</sup>.

ومنه قول بشار:

إذا أيقظتك حروب العداء فنبه لها عمراً ثم نـم<sup>(٤)</sup>

[ومنه قول أعرابي يذم قومه: ألسن عامرة من الوعد، وقلوب  
خربة من العزم. وقال آخر: وساع في الهوى، وطرب في الحاجة]<sup>(٥)</sup>.

ومن البديع باب «التعطف». كقول امرئ القيس<sup>(٦)</sup>:

﴿عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ<sup>(٧)</sup>﴾

#### (١) الصناعتين ص ٢٤١

(٢) في البيان والتبيين ١ / ٢٦٠ «مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش  
المنتوف، وقد كان سفه عليه فأعرض عنه، فتعلق بثوبه ثم قال له: يا هناء إنا  
لم نجد إلخ»

(٣) قال الجاحظ: «وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب  
قال عمر... وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»

(٤) نقد الشعر ص ٥٣ وفي الأغاني ٣ / ١٩٣ «إذا دهنتك عظام  
الأمور» والبيت في مدح الجواد الشجاع عمر بن العلاء.

(٥) الزيادة من م وفي الصناعتين ص ٤١. «ووصف أعرابي غلاماً  
فقال: ساع في الهرب قطوف في الحاجة»

(٦) م «باب المعطف كقول رويه»

(٧) الصناعتين ص ٣٣٥ وفي اللسان ٤ / ٣١٧ «العود الأول: رجل  
مسن، والعود الثاني: جمل مسن، والعود الثالث: طريق قديم» وهو غير موجود  
في ديوان امرئ القيس.

وقد تقدم مثاله<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

ومن البديع « السلب والإيجاب » ، كقول القائل :  
ونكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين تقول<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ومن البديع « الكناية والتعريض » . كقول القائل :  
وأحمر كالديباج ، أما سماؤه فريّا ، وأما أرضه فحول<sup>(٣)</sup>  
ومن هذا الباب « لحن القول » .

\*\*\*

ومن ذلك « العكس والتبديل » . كقول الحسن<sup>(٤)</sup> : « إن من  
خوفك لتأمن خير من أمانك لتخاف » . وكقوله : « اللهم أغنى

(١) راجع ص ١٢٣

(٢) الصناعتين ص ٣٢٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١ / ١١٦ وشرح  
المرزوقي ١ / ١٢٠

(٣) قال ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ص ٣٣٥ « هذا البيت  
ينسب إلى طفيل الغنوي ، ولم أجده في ديوان شعره ، يصف فرساً آخر وشبهه  
بالديباج في حسن لونه وملاسه جلده ، وأراد بسمائه أعاليه ، وبأرضه : قوائمه ،  
وشبه قوائمه لقلّة لحمها بالأرض المحل التي لا نبات فيها » والبيت لطفيل في اللسان  
١٩ / ١٢٤ والحواليق ٢١١ والمعاني الكبير ١٥٥ وغير منسوب في ديوان المعاني  
٢ / ١٠٦ وأمالى المرتضى ٤ / ٧٥ وأساس البلاغة ١ / ٤٦٠

(٤) في البديع ص ٧٦ : « وقال الحسن وقد أنكر عليه الإفراط في  
تخويف الناس : إن النخ والصناعتين ص ٢٣٩

بالفقر إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك» <sup>(١)</sup> . وكقوله : « بع دنياك بأخرتك ، ترَبَّحْهُمَا جَمِيعًا ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، فتخسرهما جميعًا » <sup>(٢)</sup> .

وكقول القائل :

وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنًا <sup>(٣)</sup>  
وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ يُوجِبُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِبُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

ومن البديع « الالتفات » ، فمن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكري ، أخبرنا محمد بن يحيى <sup>(٥)</sup> الصُّولِي ، [ قال ] :  
حدثني يحيى بن علي المنجّم ، عن أبيه ، عن إسحاق بن إبراهيم ، قال :  
قال لي الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا ، فما هي ؟ قال :  
أَتَنْسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بَفِرْعَ بَشَامَةٍ ؟ سَقَى الْبَشَامَ <sup>(٦)</sup>

(١) الصناعتين ص ٢٩٣

(٢) البيان والتبيين ٣ / ١٣٢

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة كما في أمالي المرتضى ٢ / ٩١ والموشح

ص ٢٢٠ وهو غير منسوب في البيان والتبيين ١ / ١٩٥

(٤) سورة الحج ٦١

(٥) س ، ك « محمد بن عبد الله الصولي »

(٦) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ والصناعتين ص ٣١١ واللسان

١٤ / ٣١٧ والعمدة ٢ / ٤٤ والبشام. كما في اللسان ١٤ / ٣١٦ « شجر طيب

الريح والطعم يستاك به »

ومثل ذلك لجرير :

متى كان الخيام بذى طُلُوح - سُقِيتِ الغيثَ - أيتها الخيامُ؟<sup>(١)</sup>

ومعنى الالتفاتات أنه اعترض في الكلام<sup>(٢)</sup> قوله: «سُقِيتِ الغيثَ»، ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً، وكان الكلام منتظماً، وكان يقول: «متى كان الخيام بذى طلوح أيتها الخيام»؟ فتنى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يطف، كان ذلك التفاتاً.

ومثله قول النابغة الجعدي :

ألا زَعَمْتَ بنو سعدٍ بأنِّي - ألا كَذَبُوا - كبيرُ السنِّ فاني<sup>(٣)</sup>  
ومنه قول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَازِلِينَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ ، تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ<sup>(٤)</sup>  
ومثله قول أبي تمام :

(١) ديوانه ص ٥١٢ والبديع ص ١٠٧ واللسان ٦٨ / ١٩ وذو طلوح : اسم موضع .

(٢) قال ابن المعتز في البديع ص ١٠٦ «الالتفات هو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى مخاطبة . . .»

(٣) البديع ١٠٨ والصناعتين ٣١٢ والمعمرين ص ٦٤ وفيه «بنو كعب» والعمدة ٤٣ / ٢ وفي م «ألا كذبت»

(٤) ديوانه ص ١٥٠ ويروى «الباخلين . . . العطايا» وفي الصناعتين ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ والبديع ١٠٨ «ولو أن الباخلين . . . المطالا» وفي م «ولو أن الماطلين»

وَأُنْجِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِثْمَامِ دَارِكُمْ      فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْتَنِي عَلَى سَيَا كُنْفِي نُجْدًا<sup>(١)</sup>  
وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ :

طَرَبَ الْحَمَامُ بَذَى الْأَرَاكِ فَشَاقَنِي      لَا زَلَّتْ فِي غَلَلٍ وَأَيْكَ نَاضِرٍ<sup>(٢)</sup>  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ حَسَّانَ :

إِنْ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَّتْهَا      قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِمًا لَمْ تُقْتَلِ<sup>(٣)</sup>  
وَمِنْهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ :  
وَأَجَلٌ إِذَا مَا كُنْتُ لَا بُدَّ مَا نَمًا      وَقَدْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ الْفَتَى وَهُوَ مُجْمَلٌ<sup>(٤)</sup>  
وَكَقَوْلِ ابْنِ مِيَادَةَ :

فَلَا صُرْمُهُ يَبْدُو فِي الْيَأْسِ رَاحَةً      وَلَا وَصْلُهُ يَصِفُو لَنَا فَسْكَرْمَهُ<sup>(٥)</sup>  
وَنَظِيرُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ مِنْ قَوْلِهِ :  
﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

- (١) ديوانه ص ٦٣ والبلديع ١٥٧ واللسان : حياة طلمع .  
(٢) ديوانه ٣٠٤ وفيه « الأراك فهاجنى » والبلديع ص ١٠٧ والعمدة ٤٢ / ٢ والصناعتين ٣١١ .  
(٣) ديوانه ٣١١ والصناعتين ص ٣١١ وفي اللسان ٦٨ / ١٤ « وقُتِلَ الخمر قتلا : مزجها فأزال بذلك حديثها قال حسبان : إن التي عاطيتني . . . قوله قُتِلَتْ دعاء عليه ، أى قتلك الله لم مزجتها ؟ »  
(٤) نقد الشعر ٥٣ والصناعتين ص ٣١١ .  
(٥) نقد الشعر ٥٣ وفي الصناعتين ص ٣١٢ : « ولا وِدَّه يصفو . . . كأنه يقول : وفي اليأس راحة ، والنفس إلى المعنى لتقديره أن معارضاً يقول له : وما تصنع بصرمه ؟ فيقول : لأنه يؤدي إلى اليأس ، وفي اليأس راحة » ( ٦ )

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله :  
﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومثله قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَنْ نُنْجِيَنَّاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومثله قوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلَّهُ كَمَا تَلِيَ الْكَلْبُ ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ومثله قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة العنكبوت ١٦ - ١٧

(٢) آية ٢٤

(٣) سورة إبراهيم ١٩ - ٢١

(٤) سورة يونس ٢٢

(٥) سورة الأعراف ١٧٥ - ١٧٦

(٦) سورة المائدة ٣٨ - ٣٩

\* \* \*

ومنهم من لا يُعَدُّ الاعتراضَ والرجوع<sup>(١)</sup> من هذا الباب ، ومنهم  
من يفرده عنه ، كقول زهير :

قِفْ بالديار التي لم يَمُفِّها القِدَمُ      نَعَمْ ، وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ<sup>(٢)</sup>  
وكقول الأعرابي :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا      إِلَيْكَ ، وَكَلاَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ<sup>(٣)</sup>  
وكقول ابن هرمة :

لَيْتَ حَظِّي كَلْحَظَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا      وَكَثِيرُ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمَهْنُ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

ومن الرجوع قول القائل :

بِكَلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفِّ مَا بَنَا      عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ<sup>(٥)</sup>  
وقال الأعشى :

(١) في البديع ص ١٠٨ « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض  
كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود إليه فيشتممه في بيت واحد . . . ومنها  
الرجوع وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه . . . »

(٢) العمدة ٢ / ٤٤ ديوانه ص ١٤٥

(٣) البيت ليزيد بن الطرية كما في شرح حماسة أبي تمام ٢٨٩/٣ والأما

١ / ١٩٦ وغير منسوب في البديع ص ١٠٩ والصناعتين ٣١٣

(٤) الصناعتين ص ٣١٣

(٥) البيت لابن اللينة كما في ديوانه ص ٢٨ وحماسة أبي تمام ٢٥٧ / ٣



صَرَمْتُ وَلَمْ أَصْرِمْكُمْ وَكَصَارِمٍ  
أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبٌّ لِيْذَهَبًا<sup>(١)</sup>

وكقول بشار:

لِي حيلة فيمن ينمُّ مُمْ وليس في الكذاب حيلة<sup>(٢)</sup>  
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقْوَى لِي خِيَلِي فِيهِ قَلِيلَةً<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

وما بي انتصار إن عدا الدهر ظالمًا عليّ، بلى إن كان من عندك النصر<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ص ٨٩ وفي اللسان ١/١٩٩ « أب للسير : تهيأ للذهاب وتجهز ، قال الأعشى . . . أي صرمتكم في تهيشي لمفارقتكم ، ومن تهيأ للمفارقة فهو كمن صرم » وفي ٣/٤٠٧ « ويقال : طوى فلان كشحه : إذا قطعك وعاداك ، ومنه قول الأعشى : وكان طوى كشحا وأب ليذهبا »

(٢) في الكامل ١٧/٢ لبعض المحدثين ، وطبقات الشافعية ٢/٣٢٠ لأبي الحسن التميمي ، منصور بن إسماعيل ، وقد أنشدتهما القاضي ابن قريعة كما في المنتظم ٧/٩٢ ونسبهما المرزباني في معجم الشعراء ص ٥٠٢ لإبي مروان يحيى بن مروان . وفي الوشح ص ٣٥٠ عن العمولى قال : « أنشدنا أبو العباس المبرد لمحمود بن مروان بن أبي حفصة : لِي حيلة . . . قال المبرد : وقد ناقض هذا الشاعر ؛ لأنه قال : « وليس في الكذاب حيلة » ثم قال : « فحياتي فيه قليلة » ثم أنشدنا لنفسه :

إن النوم أغطى دونه خبري وليس لي حيلة في مفترى الكذب  
وهما من غير نسبة في غرر الخصائص ٤٩ والذخائر والأعلاق ١٠٦

(٣) م « يكذب » وفي المرشح ومعجم الشعراء : « يكذب ما يريد »

(٤) البيت لأبي البيداء الرياحي كما في خزانة الأدب لابن حجة الحموي

ص ٤٤٩ وفي س ، ك والصناعتين ص ٣١٤ « إن غدا الدهر ظالمى »

\* \* \*

وباب آخر من البديع يسمى «التذليل». وهو ضرب من التأكيد، وهو ضد ما قدمنا ذكره من الإشارة<sup>(١)</sup>، كقول أبي ذؤاد:

إذا ما عقد ناله ذممةً      شدّنا العنّاج وعقد الكرب<sup>(٢)</sup>  
وأخذه الحطيئة فقال:

[ قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهم

شدّوا العنّاج وشدّوا فوقه الكرباً<sup>(٣)</sup>

(١) في الصناعتين ص ٢٩٤ «فأما التذليل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من نهجه، وهو ضد الإشارة والتعريض...».

(٢) في اللسان ٣/ ١٥٤ «العنّاج: خيط أو سير يشد في أسفل الدلو، ثم يشد في عروتها أو عرقوتها، وربما شد في إحدى آذانها» والكرب كما في اللسان ٢/ ٢٠٨ «الحبل الذي يشد على الدلو بعد المنين وهو الحبل الأول، فإذا انقطع المنين بقي الكرب».

(٣) البيت في اللسان ٢/ ٢٠٩، ٣/ ١٥٤ وفي ديوان الحطيئة ص ٧ ونظام الغريب ص ١٩٩ ومبادئ اللغة ص ٢١ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٠ وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ١٩٢: «والخشبتان اللتان تعترضان على الداو كالصليب هما «العرقوتان» والسيور التي بين آذان الدلو والمارقي هي «الوذم»، «العنّاج» في الدلو الثقيلة: حبل أو بطن يشد تحتها، ثم يشد إلى العراق، فيكون عوناً للوذم؛ فإن كانت الداو خفيفة شد خيط في إحدى آذانها إلى العرقو، و«الكرب» أن يشد الحبل إلى العراق، قال الحطيئة: قوم إلخ وقال ابن السيد في الاقتضاب ص ٣٥١ «وأراد الحطيئة: أنهم إذا عقدوا عقداً أحكموه وأوثقوه كإحكام عقد الدلو إذا شد عليها العنّاج والكرب، وليس هناك عنّاج ولا كرب في الحقيقة وإنما هو مثل».

وكقول الآخر<sup>(١)</sup> :

فدعوا نزال فكنت أول نازلٍ      وعلام أركبهُ إذا لم أنزل<sup>(٢)</sup> ؟

وكقول جرير :

لقد كنتَ فيها يافرزدقُ تابِعاً      ورِيشُ الذُّنَابِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ<sup>(٣)</sup>

ومثله قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا . يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وباب من البديع يسمى « الاستطراد »<sup>(٥)</sup> . فمن ذلك ما كتب إلى الحسن بن عبد الله قال : أنشدني أبو بكر بن دُرَيْد ، قال : أنشدنا أبو حاتم ، عن أبي عُبَيْدَة ، لحسان بن ثابت ، رضى الله تعالى عنه :

(١) الزيادة من م .

(٢) البيت غير منسوب في الصناعتين ص ٢٩٥ واللسان ١٤ / ١٨١ وهو لربيعه بن مقروم الضبي كما في الأغاني ١٩ / ٩٣ وفي اللسان « وصف فرسه بحسن الطراد فقال : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه »

(٣) ديوانه ص ٥٦١

(٤) سورة القصص ٤ - ٨

(٥) في الصناعتين ص ٣١٦ « وهو أن يأخذ المتكلم في معنى ، فيبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً إليه » .

- إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثْتَنِي      فَنَجُوتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ<sup>(١)</sup>  
 تَرَكِ الْأَحْبَةَ أَنْ يِقَاتِلَ دُونَهُمْ      وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَقَوْلِ السَّمَوَالِ :  
 وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً      إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :  
 خَلِيلِي مِنْ كَمَبٍ أَعَيْنَا أَخَا كَمَا      عَلَى دَهْرِهِ ، إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَا تَبْخَلَا بِخُلٍّ ابْنِ قَرْعَةَ ، إِنَّهُ      مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينٌ  
 وَكَقَوْلِ الْآخِرِ :  
 فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانَنَا      مِنَ الْعِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه ص ٣٦٣ والصناعتين ص ٣١٦ وفي س ، ك : « كاذبة التي » ويشير حسان إلى فرار الحارث بن هشام عن أخيه أبي جهل يوم بدر  
 (٢) س ، ك « لم يقاتل دونهم وزى برأس » وفي اللسان ١٧٤ / ٦ « الطمر : الفرس الجواد ، وقيل : المستعد للعدو والأنثى طمرة »  
 (٣) الصناعتين ص ٣١٧ والبديع ص ١١٠ والعمدة ٣٧ / ٢ وشرح الحماسة للتبريزي ١ / ١١١ والمرزوقي ١ / ١١٤ وزهر الآداب ٤ / ١٦٣  
 (٤) الشعر لبشار كما في البديع لابن المعتز ص ١٠٩ والصناعتين ص ٣١٨ والعمدة ٢ / ٣٨ وفي الكامل ١ / ٢٣٣ « وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قزعة » وفي س ، ك « نراه حزين »  
 (٥) البيت لإسحق بن إبراهيم الموصلي يصف السكر ، كما في البديع لابن المعتز ص ١١١ وحماسة ابن الشجري ص ٢٥٩ وغير منسوب في الصناعتين ص ٣١٨ والبيان والتبيين ١ / ٤٠٢ وجاء في خاص الخالص ص ٦٠ : « ولما بلغ أحمد بن هشام قول إسحاق الموصلي — قال : يا أبا محمد لم هجوتني ؟ قال : لأنك قعدت على طريق القافية ! »

وكقول زهير :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ كـنّ الجوادَ على عِلاتِهِ هَرِمٌ<sup>(١)</sup>

وفيا<sup>(٢)</sup> كتب إلى الحسن بن عبد الله ، قال : أخبرني محمد بن يحيى

[ قال ] : حدثني محمد بن عليّ الأنباري<sup>(٣)</sup> ، قال : سمعت البحترى يقول : أنشدني أبو تمام لنفسه :

وسأبح هَطلَ التَّعداءِ هَتَّانِ على الجِراءِ أمينٍ غيرِ خَوَّانٍ<sup>(٤)</sup>

أَظمى الفصوص ولم تَظمأ قوائمه فَنَجَلَ عَيْنِكَ في رِيانِ ظمآنٍ<sup>(٥)</sup>

ولو تَرَاهُ مُشِيحًا والحصى فَلَقَ بين السنايك من مَثْنَى ووُحْدَانٍ<sup>(٦)</sup>

أَيَقْنَتَ - إن لم تَثَبَّتْ - أن حافره من صخر تَدْمُرُ أومن وجهه عثمان<sup>(٧)</sup>

وقال لي : ما هذا من الشعر ؟ قلت لا أدري . قال : هذا المستطرد ،

أو قال : الاستطراد ، قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُرى أنه يصف

الفرس ، ويريد هجاء عثمان<sup>(٨)</sup> .

(١) البديع ص ١١٠ والصناعتين ٣١٧ والعمدة ٢ / ٣٨ وديوانه ص ١٥٢ . على علاته : على عسره ويسره

(٢) م : « وما »

(٣) في أخبار أبي تمام ص ٦٨ « حدثني أبو الحسن علي بن محمد الأنباري »

(٤) الصناعتين ٣١٧ وأخبار أبي تمام ص ٦٨ والعمدة ٢ / ٣٨ وديوانه ص ٢٠١ وفيه « أمون » وزهر الآداب ٤ / ١٦٢ وديوان المعاني ١ / ١٩٨ ومعجم الأدباء ١٩ / ٢٥٠

(٥) س ، ك « فجل عينك »

(٦) في الديوان والصناعتين « تحت السنايك »

(٧) في الديوان « حلفت إن لم » . ويريد بعثمان : عثمان بن إدريس السامي

وقال البحترى :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوماً خلائق حمدويه الأحول<sup>(١)</sup>

قال : فقيل للبحترى : إنك أخذت هذا من أبي تمام ، فقال :  
ما يعاب على أن آخذ منه وأتبعه فيما يقول .

ومن هذا الباب قول أبي تمام :

صَبَّ الفراقُ علينا صُبَّ من كَشَبٍ عليه إسحقُ يومَ الرَّوعِ منتقماً<sup>(٢)</sup>  
ومنه قول السرى الرفاء :

نزع الوشاة لنا بسهم قطيعة يُرمى بسهم الحين من يرمى به<sup>(٣)</sup>  
ليت الزمان أصاب حبّ قلوبهم بقنا ابن عبد الله أو بحرايه  
ونظيره من القرآن : ( أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ  
ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ  
لَا يَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٤)</sup> . )

(١) ديوانه ٢ / ٢١٨ والصناعتين ٣١٨ وزهر الآداب ٤ / ١٦٢ ومعجم  
الأدباء ١٩ / ٢٥٠

(٢) ديوانه ص ٣٠٢ والصناعتين ٣٦٤ وفي سن « صب من كتب » ب  
« صبا من كتب » ويعني بإسحاق : إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، والى بغداد الذي  
كان يطلب العلماء ويمتحنهم بأمر المأمون في فتنة خلق القرآن ، ويقال : إنه  
ما كان أحد أشغف بشعر أبي تمام منه ، وكان يعطيه عطاء كثيراً . وكانت وفاة  
إسحاق في سنة ٢٣٥

(٣) ديوانه ص ٢١ وفيه : « ترمى بسهم قطيعة ترمى به »

(٤) سورة النحل ٤٨ — ٤٩

كأنه كان المراد أن يجري بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء  
يسجد لله عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص .

\*\*\*

ومن البديع عندهم « التكرار » . كقول الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتَ جَمُوعَ كُنْ دَعَا يَوْمَ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا؟<sup>(١)</sup>

وكقول الآخر :

وَكَاثَتْ فَزَارَةُ تَصَلَّى بِنَا فَأَوَّلَى فَزَارَةُ أَوَّلَى فَزَارَا<sup>(٢)</sup>

ونظيره من القرآن [ كثير ، كقوله تعالى ]<sup>(٣)</sup> : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .<sup>(٤)</sup> ﴾

والتكرار في قوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ<sup>(٥)</sup> ﴾ . وهذا فيه معنى  
زائد على التكرار ؛ لأنه يفيد الإخبار عن الغيب .

\*\*\*

ومن البديع عندهم ضرب من « الاستثناء » . كقول النابغة :

- 
- (١) البيت لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه ص ٢٨ ومختارات ابن  
الشجري ٣٩ / ٢ والصناعتين ١٤٤ وتأويل مشكل القرآن ص ١٤٣ ، ١٨٣  
(٢) البيت لعوف بن عطية بن الخرج الربابي كما في المفضليات  
٢ / ٢١٦ وفيها « فكادت فزارة » وفي م ، ك « أولى لها » وهو في الصاحبي ص  
١٩٤ وسبويه ١ / ٣٣١ وتأويل مشكل القرآن ص ١٨٣  
(٣) الزيادة من ا وفي م « ومن التكرار في القرآن كثير كقوله تعالى »  
(٤) سورة الانشراح ٥ - ٦  
(٥) سورة الكافرون : ١

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائب<sup>(١)</sup>

وكقول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فلا يُبقى من المال باقياً<sup>(٢)</sup>  
فتى تمَّ فيه ما يسرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديأ

وكقول الآخر :

حليمٌ إذا ما الحلم زينَ أهله معَ الحلم في عين العدو مهيبٌ<sup>(٣)</sup>  
وكقول أبي تمام<sup>(٤)</sup> :

تنصّل ربّها من غير جُرم إليك سوى النصيحة والودادِ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

ووجوه البديع كثيرة جداً ، فاقتصرنا على ذكر بعضها ، ونهنا بذلك على ما لم نذكر ، كراهة التطويل ، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع .

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٤ والصناعتين ص ٣٢٤ والبديع ص ١١١ والعمدة ٤٥ / ٢

(٢) الأملاني ٢ / ٢ وفيه : « كملت خيالاته » والشعر والشعراء ١ / ٢٥٢ وأملاني المرتضى ١ / ١٩٤ وشرح الحماسة للتبريزي ٣ / ١٩ والبديع ص ١١١ والصناعتين ص ٣٢٤ والعمدة ٤٦ / ٢

(٣) البيت لعريقة بن مسافع العبسي ، كما في الأصمعيات ص ١٥ والأملاني ١٤٩ / ٢

(٤) م « كقول أبي تمام »

(٥) ديوانه ص ٨١ يعتذر إلى أحمد بن أبي دؤاد والموازنة ص ٣١٥

(١١)



\* \* \*

وقد قدر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي تقلناها ، وأن ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه .

وليس كذلك عندنا ؛ لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها ، وذلك كالشعر الذي إذا عرف الإنسان طريقه صح منه العمل له وأمكنه نظمه .

والوجوه التي تقول : إن إعجاز القرآن يمكن أن يُعلم منها ؛ فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه بحال . ويبين ما قلنا : أن كثيراً من المُحدّثين<sup>(١)</sup> قد تصنع لأبواب الصنعة ، حتى حشّى جميع شعره منها ، واجتهد أن لا يفوته بيت إلا وهو يملؤه من الصنعة ، كما صنع أبو تمام في لاميته :

متى أنت عن ذهليّة الحى ذاهلٌ      وصدرك منها مدة الدهر آهلٌ<sup>(٢)</sup>  
تُطلُّ الطلولُ الدّمع في كلِّ موقفٍ      وتمثّلُ بالصبر الديار الموائلُ<sup>(٣)</sup>  
دوارسُ لم يحفُّ الرّبيعُ ربوعها      ولا مرّ في أغفاليها وهو غافلٌ<sup>(٤)</sup>

(١) م « قد تصنعوا لأبواب الصنعة حتى حشّى بعضهم شعره جميعاً منها ، واجتهد ألا يعن له بيت إلا وهو مملوء من الصنعة . . . في كلمته »

(٢) ديوانه ص ٢٥٥ وفيه « وقلبك منها » . وذهلية : منسوبة إلى قبيلة ذهل

(٣) س « تطل طلول » ب « ويمثل »

(٤) في اللسان ١٤ / ١١ « وكل ما لا علامة فيه ولا أثر عمارة من

الأرضين والطرق ونحوها : غفل ، والجمع أغفال »

- فقد سَجَبَتْ فيها السحابُ ذُيولَها      وقد أَخَمَلَتْ بالنورِ تلكَ الحمائلُ <sup>(١)</sup>
- تَعَفَّيْنِ من زَادِ العَفَاةِ إِذَا انتَحَى      على الْحَيِّ صَرْفُ الْأُزْمَةِ المتماحلِ <sup>(٢)</sup>
- لَهُمْ سَلَفٌ سُمِرُ العَوَالِي وَسَامِرُ      وفيهم جَمَالٌ لَا يَفِيضُ وَجَامِلُ <sup>(٣)</sup>
- لِيَإِلَى أَضَلَّتْ العِزَاءَ وَخَزَلَتْ      بعقلِكَ آرَامُ الخُدُورِ العقائلِ <sup>(٤)</sup>
- مِنْ الهَيْفِ لو أَنَّ الخِلَاحِلَ صَيَّرَتْ      لها وَشُحًا جَالَتْ عَلَيْهِ الخِلَاحِلُ <sup>(٥)</sup>
- مَهَى الوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانِسُ      قَنَا الخَطُّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ <sup>(٦)</sup>
- هُوَى كَانَ خَلَسَا إِنْ مِنْ أَطِيبِ الهَوَى      هُوَى جُلَّتْ فِي أَفْيَائِهِ وَهُوَ خَامِلُ <sup>(٧)</sup>
- وَمِنْ الْأَدْبَاءِ مِنْ عَابَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ وَنَحْوَهَا عَلَى مَا قَدْ تَكَلَّفَ <sup>(٨)</sup>
- فِيهَا مِنَ الْبَدِيعِ ، وَتَعَمَّلَ مِنَ الصَّنْعَةِ ، فَقَالَ : قَدْ أَذْهَبَ مَاءُ هَذَا الشَّعْرِ

(١) في الديوان « فيها السحاب ذيلها . . . منها الحمائل » وم « فيها الحمائل » .

(٢) م « من دار العفاة » والديوان : « المتحامل »

(٣) سمر العوالى : الرماح . وفي اللسان ١٣ / ١٣١ « الجامل : قطع

من الابل معها رعيانها وأربابها ، قال الخطيئة :

فإن تلك ذا مال كثير فإنهم لهم جامل ما يهدأ الليل سامره

(٤) س و ك « وخذلت » م « وحولت » ا « وجولت » .

(٥) راجع الموازنة ١ / ١٣٠ .

(٦) راجع الموازنة ١ / ١٤٠ .

(٧) م « في أثنائته » والديوان « إن من أحسن الهوى » .

(٨) م « على ما تكلف » .

وروثه وفائده ، اشتغلاً بطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه <sup>(١)</sup> .

وقد تعصب عليه أحمد بن عبيد الله بن عمار <sup>(٢)</sup> ، وأسرف حتى تجاوز إلى الغض من محاسنه .

وَلِمَا قَدْ أُولِعَ بِهِ مِنَ الصَّنْعَةِ رُبَّمَا غُطِّيَ عَلَى بَصَرِهِ حَتَّى يُبْدَعَ فِي الْقَيْحِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُبْدَعَ فِي الْحَسَنِ . كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ أُولَهَا :  
سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ      وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ <sup>(٣)</sup>  
فَقَالَ فِيهَا :

لَعَمْرِي لَقَدْ حُرِّرتْ يَوْمَ لَقِيْتَهُ      لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُيَرِّدِ <sup>(٤)</sup>  
وَكَقَوْلِهِ :

لَوْ لَمْ تَدَارِكْ مُسَنِّ الْمَجْدِ مَذْزَمَنَ      بِالْجُودِ وَالْبَاسِ كَانَ الْمَجْدُ قَدْ خَرَفَا <sup>(٥)</sup>  
فَهَذَا مِنَ الِاسْتِعَارَاتِ الْقَيْحَةِ ، وَالْبَدِيعِ الْمُقَيَّتِ <sup>(٦)</sup> !!

(١) في الموازنة ص ١٣ « روى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلكت طريقاً وعراً ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طلاوته ، ونشف ماؤه »

(٢) م « ابن عبد الله » وهو خطأ .

(٣) ديوانه ص ١٠١ وفيه « غدت تسجير »

(٤) م « لقد حردت ... لم يجرد » الموازنة ٢٥٩ الوساطة ٦٨ الموشح ٣٠٨

(٥) ديوانه ص ٢٠٤ وفيه : « لو لم تفت ... كان الجود » الوساطة ٦٩

الموشح ٣٠٨ الصناعتين ٢٣٦ الموازنة ٢٣١

(٦) م « المعيب »

وكقوله :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب<sup>(١)</sup>

وكقوله :

لوم يمت بين أطراف الرماح إذا لمت، إذ لم يمت، من شدة الحزن<sup>(٢)</sup>

وكقوله :

\* خشت عليه أخت بني خشين<sup>(٣)</sup> \*

وكقوله :

ألا لا يعدّ الدهر كفاً بسىء إلى مجتدى نصر فتقطع من الزند<sup>(٤)</sup>  
وقال في وصف المطايا :

(١) ديوانه ص ١١ والموشح ٣٠٨ ، ٣٢٢ وأخبار أبي تمام ص ٣٠

(٢) ديوانه ص ٣٨٨ والوساطة ص ٦٩ وفي الموشح ص ٣٠٩ « فكأنه لو نصر أيضاً وظفر كان يموت من الغم حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ في مثله » !!

(٣) هذا الشطر مطلع قصيدة له ، وعجزه كما في ديوانه ص ٣٢١ « وأنجح فيك قول العاذلين \* وقد ورد في الصناعتين ص ٢٦٢ والموشح ص ٣٢٤ وفي ص ٣١٠ « وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهم ، وإنما أوقعه في ذلك محبته ها هنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى ! » وفي الموازنة ص ٤٣٧ « فأما قوله : خشت عليه ، فهو لعمري من تجنيساته القبيحة ، وعهدت مجان البغداديين يقولون فيه : قليل نورة يذهب بالخشونة »

(٤) ديوانه ص ١١٥ من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور ابن بسام ، وفيه « فتقطع للزند » والبيت في الصناعتين ٢٣٦ والوساطة ٦٨ والموازنة ص ٢٢٩ والموشح ص ٣١١

لو كان كلّفها عبيد حاجةً يوماً لَزَنِي شَدَقْماً وَجَدِيلاً<sup>(١)</sup>  
وكقوله :

فَضَرَبْتَ الشَّتَاءَ فِي أَخْذَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبًا<sup>(٢)</sup>  
فهذا وما أشبهه إنما يحدث من غلوّه في محبة الصنعة ، حتى يعنيه  
عن وجه الصواب . وربما أسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع  
من الاستعارة وغيرها ، حتى استثقل نظمه ، واستوخم رصفه ، وكان  
التكلف<sup>(٣)</sup> بارداً ، والتصرف جامداً . وربما اتفق مع ذلك في كلامه  
النادر المليح ، كما يتفق البارد القبيح .

\* \* \*

وأما البحتري فإنه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام ، ويقلُّ  
التصنع له . فإذا وقع في كلامه كان في الأكثر حسناً رشيقاً ، وظريفاً  
جميلاً . وتصنعه للمطابق كثير حسن ، وتعمقه في وجوه الصنعة على  
وجه طلب السلامة ، والرغبة في السلاسة . فلذلك يخرج سليماً من  
العيب في الأكثر .

- 
- (١) ديوانه ص ٢٤٣ وفيه « لأنسى شدقماً » والوساطة ص ٦٥ وفي الموشح  
ص ٣١١ ما أحسن قوله : « لَزَنِي شَدَقْماً وَجَدِيلاً ، وما معنى تزنيته ناقة أو بهيمة ؟ »  
وفي اللسان ١٣ / ١١٢ « وجدّيل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن  
المنذر . ويشير أبو تمام إلى قول عبيد الراعي النخيري :  
شم الحوارك جنحاً أعضادها صهباً تناسب شدقماً وجدّيلاً  
(٢) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قوداً » والوساطة ص ٦٨ والصناعيتين ص  
٢٣٦ والموشح ص ٣١٣ . والقود ، والعود : البعير المسن .  
(٣) س : « واستوخم رصعه وكان التكليف » .

وأما وقوف الألفاظ به عن تمام الحُسْنَى ، وقعود العبارات عن الغاية القصوى ، فشيء لا بدّ منه ، وأمر لا محيص عنه كيف وقد وقف على من هو أجل منه وأعظم قدراً في هذه الصنعة ، وأكبر في الطبقة ، كأمريّ القيس ، وزهير ، والنابغة ، وابن هرمة<sup>(١)</sup> . ونحن نبين تميّز كلامهم ، وانحطاط درجة قولهم ، ونزول طبقة نظمهم عن بديع نظم القرآن ، في باب مفرد ، يتصوّر به ذو الصنعة ما يجب تصوره ، ويتحقّق<sup>(٢)</sup> وجه الإعجاز فيه ، بمشيئة الله وعونه .

(١) في جميع الطبقات السابقة « والنابغة وإلى يومه ونحن نبين » !! !

(٢) م « ويتيقن » .

\* \* \*

ثم رجع الكلام بنا إلى ما قدمناه ، من أنه لا سبيل إلى معرفة  
إعجاز القرآن من البديع الذي ادَّعَوْهُ في الشعر ووصفوه فيه .

وذلك : أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ، ويخرج عن  
العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له ، كقول  
الشعر ، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحدق في البلاغة . وله  
طريق يُسلك ، ووجه يُقصد ، وسُلَّم يُرتقى فيه إليه ، ومثال قد يقع  
طالبه عليه . فربَّ إنسان يتعود أن ينظم جميع كلامه شعراً ، وآخر  
يتعود<sup>(١)</sup> أن يكون جميع خطابه سجعاً ، أو صنعةً متصلةً ، لا يُسقط  
من كلامه حرفاً<sup>(٢)</sup> ، وقد يتأتَّى له لما قد تعوَّده<sup>(٣)</sup> . وأنت ترى أدباء  
زماننا يضعون<sup>(٤)</sup> المحاسن في جزء . وكذلك يؤلفون أنواع البارع ، ثم  
ينظرون فيه إذا أرادوا إنشاء قصيدة أو خطبة فيحسنون<sup>(٥)</sup> به كلامهم .  
ومن كان قد تدرَّب وتقدَّم في حفظ ذلك ، استغنى<sup>(٥)</sup> عن هذا  
التصنيف ، ولم يَحْتَجْ إلى تكلف هذا التأليف ، وكان ما أشرف عليه  
من هذا الشأن باسطاً من باع كلامه ، وموشحاً بأنواع البديع ما يحاوله  
من قوله .

( ١ ) س ، ك « شعراً أو يتعود » .

( ٢ ) س ، ك « حرف وقد يباده به ما قد » .

( ٣ ) س ، ك « يضيفون » .

( ٤ ) س ، ك « فيحشون » .

( ٥ ) س ، ك « اشتغل » .

وهذا طريق لا يتعذر ، وباب لا يمتنع ، وكل يأخذ فيه مأخذًا ،  
ويقف منه موقفًا <sup>(١)</sup> ، على قدر ما معه من المعرفة ، وبحسب ما يمدّه  
من الطبع .

فأما شأؤُ نظم القرآن ، فليس له مثال يُحتذى عليه <sup>(٢)</sup> ، ولا إمام  
يُقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقًا ، كما يتفق للشاعر البيت  
النادر ، والكلمة الشاردة ، والمعنى الفذ الغريب ، والشئ القليل  
العجيب ، وكما يلحق من كلامه <sup>(٣)</sup> بالوحشيات ، ويضاف من قوله إلى  
الأوابد . لأن ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموقع ، فإنما يتفق للشاعر  
في لمع من شعره ، وللکاتب في قليل من رسائله ، وللخطيب في يسير  
من خطبه . ولو كان كل شعره نادرًا ، ومثلاً سائرًا ، ومعنىً بديعًا ،  
ولفظاً رشيقًا ، وكلّ كلامه مملوءاً من رَوْقته ومائه ، ومحلىً <sup>(٤)</sup> بهجته  
وحسن روائه ، ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين ، والمتردّد بين  
الطرفين ، ولا البارد <sup>(٥)</sup> المستثقل ، والغثُ المستنكر — لم يَبِنْ الإعجازُ  
في الكلام ، ولم يظهر <sup>(٦)</sup> التفاوت العجيب بين النظام والنظام .

(١) س ، ك « ويقف فيه » .

(٢) س ، ك « يحتذى إليه » .

(٣) س « بكلامه بالوحشيات » .

(٤) س ، ك « ومحلى » .

(٥) م « ولا يشاركه البارد » .

(٦) س ، ك « ولم يَبِنْ » .



وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل<sup>(١)</sup> ، ومُبهمٌ قد يحتاج في بعضه إلى تفسير<sup>(٢)</sup> . وسنذكر ذلك بمشيئة الله وعونه .

ولكن قد يمكن أن يقال في البديع الذي حكيناه وأضفناه إليهم : إن ذلك باب من أبواب البراعة ، وجنسٌ من أجناس البلاغة ، وإنه لا ينفك القرآن عن فنٍّ من فنون بلاغاتهم ، ولا وجه من وجوه فصاحتهم ، وإذا<sup>(٣)</sup> أورد هذا المورد ، ووضع هذا الموضع ، كان جديراً<sup>(٤)</sup> .

وإنما لم نطلق القول إطلاقاً ، لأننا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة ، ووفقاً عليها ، ومضافاً إليها ، وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة ، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المُستبشع ، والتعمل المُستشنع .

(١) م « إلى التفصيل ومنهم من يضطر في بعضه إلى التفسير »

(٢) م « فإذا ورد . . . جديراً به »

## فصل

### في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن

قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية ، من العجم والتُّرك وغيرهم ، أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن<sup>(١)</sup> يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك ، فإذا عرفوا هذا — بأن علموا أنهم قد تُحَدُّوا إلى<sup>(٢)</sup> أن يأتوا بمثله ، وقرَّعوا على ترك الإتيان بمثله ، ولم يأتوا به — : تبينوا أنهم عاجزون عنه ، وإذا عجز أهل ذلك اللسان ، فهم عنه أعجز .

وكذلك تقول : إن من كان من أهل اللسان العربي — إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدُّونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره — فهو كالأعجمي<sup>٣</sup> : في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن ، إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان ، سواء .

فأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي ، ووقف على طرقها ومذاهبها — فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج عن الوسع ، ويتجاوز حدود القدرة —

(١) س ، ك « إلا أن » .

(٢) س ، ك « تحدوا على » .

فليس يخفى عليه إعجاز القرآن ، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر ، وكما يميز بين الشعر الجيد والردى ، والفصيح والبديع ، والنادر والبارع والغريب .

وهذا كما يميز أهل كل صناعة صنعتهم ، فيعرف الصيرفي من النقد ما يخفى على غيره ، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته ورداءته ما يخفى على غيره ، وإن كان يبتقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر ، وربما<sup>(١)</sup> اختلفوا فيه :

لأن من أهل الصناعة من يختار الكلام المتين ، والقول الرصين . ومنهم من يختار الكلام الذى يروق ماؤه ، وترُوع بهجته ورؤاؤه ، ويسلس مأخذه ، ويسلم وجهه ومنفذه ، ويكون قريب المتناول ، غير عويص اللفظ ، ولا غامض المعنى .

كما [ قد ]<sup>(٢)</sup> يختار قوم ما يغمض معناه ، ويفرُب لفظه ، ولا يختار ما سهّل على اللسان ، وسبق إلى البيان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصف زهيراً ، فقال : كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه<sup>(٣)</sup> ؛ وقال لعبد بنى الحسحاس حين أنشده :

(١) م ، « آخر ربما » .

(٢) الزيادة من م .

(٣) س « ويختار » .

(٤) راجع الأغاني ٩ / ١٤٧ والشعر والشعراء ١ / ٨٧

\* كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً<sup>(١)</sup> \* :  
 أما إنه لو قلتَ مثلَ هذا لأجزتُك عليه<sup>(٢)</sup> .  
 ورؤى أن جريراً سُئِلَ عن أحسن الشعر ؟ فقال : قوله  
 إن الشقَّ الذى فى النار منزله  
 والفوزُ فوزُ الذى ينجو من النار<sup>(٣)</sup>  
 كأنه فضله لصدق معناه .

ومنهم من يختار الغلوَّ فى قول الشعر والإفراط فيه<sup>(٤)</sup> ، حتى ربما  
 قالوا : أحسنُ الشعرُ كذبُه ؛ كقول النَّابغة :  
 يَقدُّ السُّلوقى المِضَاعَفَ نَسْجُهُ  
 ويوقِذَن الصَّفَاحَ نارَ الحُبَّاحِبِ<sup>(٥)</sup>  
 وأكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبين : فى الغلو<sup>(٦)</sup> والاقتصاد ،  
 وفى المتانة والسَّلاسة .

ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعةً ، وألطف

---

(١) صدره فى ديوان سحيم ص ١٦ \* عميرة ودَّع إن تجهزت غاديا \*  
 (٢) فى الأغاني ٣/٢٠ « لو قلت شعرك كله ... » وفى البيان  
 والتبيين ١/٧٢ « لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتكَ »  
 (٣) من أبيات جميلة أنشدتها ابن الأعرابي ، كما فى أمالى المرتضى  
 ٤٥/٢ - ٤٦ وقبله :

ما شقوة المرء بالإقتار يقتره ولا سعادته يوماً بإكثار

(٤) سقطت كلمة « فيه » من م

(٥) ديوانه ص ٤٤ والعمدة ٢/٥٩ ، ٢٨٥

(٦) س « فى اللغو »

تعملاً ؛ وأن يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافي الواقعة ،  
كمذهب البُحْثَرِي ، وعلى ما وصفه عن بعض الكتاب<sup>(١)</sup> [ في قوله ]<sup>(٢)</sup> :

فِي نِظَامٍ مِّنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ

كَ أَمْرُوهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ<sup>(٣)</sup>

وبديع كأنه الزهر الضَّأ

حَكُ فِي رَوْنَقِ الرِّيعِ الْجَدِيدِ

حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا

وَتَجَنَّبَنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وَرَكِبَنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكَ

نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ<sup>(٤)</sup>

[ كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلَلِ ]

بِيضٍ إِذَا رُحْنَ فِي الْخُطُوطِ السُّودِ<sup>(٥)</sup>

ويرون أن من تعدى هذا كان سالكا مسلكا عاميا ، ولم يروه  
شاعرا ولا مصيبا .

(١) هو محمد بن عبد الملك الزيات .

(٢) الزيادة من م

(٣) ديوانه ٢ / ٦٩٣

(٤) في ١ « ورمين اللفظ »

(٥) الزيادة من م . وفيها « فالعذارى » والتصويب من الديوان

وفيا كتب [إلى] الحسن بن عبد الله أبو<sup>(١)</sup> أحمد العسكري ؛  
قال : أخبرني محمد بن يحيى ، قال : أخبرني عبد الله بن الحسين<sup>(٢)</sup> قال :  
قال لي البحتري :

دعاني على بن الجهم ، فضيت إليه ، فأفضنا في أشعار المحدثين ،  
إلى أن ذكرنا شعر أشجع [السلمي] ؛ فقال لي : إنه يُخلى ، وأعادها  
مرّات ، ولم أفهما ؛ وأنفت أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفت  
أفكرت في الكلمة ، ونظرت في شعره ، فإذا هو ربما مرت له  
الآيات مغسولة ليس فيها بيت رائع ؛ وإذا هو يريد هذا بعينه : أن  
يعمل الآيات فلا يصيب فيها بيت نادر<sup>(٣)</sup> ؛ كما أن الراعي إذا رمى  
برشقة فلم يصب بشيء<sup>(٤)</sup> ، قيل : قد أخلى . قال<sup>(٥)</sup> : وكان علي بن  
الجهم أحسن الناس علماً بالشعر<sup>(٦)</sup> .

وقوم من أهل اللغة يميلون إلى الرّصين من الكلام ، الذي يجمع  
الغريب والمعاني ، مثل أبي عمرو بن العلاء ، وخلف الأحرار ،  
والأصمعي .

(١) م « ابن احمد » وهو خطأ .

(٢) س « ابن الحسن » وهو خطأ .

(٣) م « فيها بيتاً نادراً »

(٤) م « شيئاً »

(٥) سقطت كلمة « قال » من م

(٦) راجع أخبار أبي تمام ص ٦٣

ومنهم من يختار الوحش من الشعر ؛ كما اختار المفضل<sup>(١)</sup> للمنصور من المفضليات ؛ وقيل : إنه اختار ذلك لميله إلى ذلك الفن .

وذكر الحسن بن عبد الله : أنه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس ؛ قال : حضرت مع البحتري مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(٢)</sup> ، وقد سأل البحتري عن أبي نواس ومسلم بن الوليد : أيهما أشعر ؟ فقال البحتري : أبو نواس أشعر ؛ فقال عبيد الله : إن أبا العباس ثعلباً لا يطابقك على قولك ، ويفضل مسلماً .

فقال البحتري : ليس هذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، إنما يعلم ذلك مَنْ دَفَعَ في مَسَلِّك<sup>(٣)</sup> الشعر إلى مضايقه ، وانتهى إلى ضروراته<sup>(٤)</sup> .

فقال له عبيد<sup>(٥)</sup> الله : ورَيْتُ بك زِنَادِي يَا أَبَا عُبَادَةَ ، وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن بُرْد في جرير والفرزدق ، [ فَإِنْ دَعِبَلًا حدثني عن أبي نواس : أنه حضر بشاراً ، وقد سئل عن جرير والفرزدق ، و ]<sup>(٦)</sup> أيهما أشعر ؟ فقال : جرير أشعرهما ؛ فقل له :

( ١ ) م « اختار ذلك المفضل »

( ٢ ) كان والياً على شرطة بغداد . ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٣٠٠ راجع

ترجمته في وفيات الأعيان ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٦

( ٣ ) س « وقع في سلك » م ، « دفع في مسلك »

( ٤ ) دلائل الإعجاز ص ١٩٥

( ٥ ) س « عبد »

( ٦ ) الزيادة من م ، ا

بماذا ؟ فقال : لأن جريراً يشد ، إذا شاء ، وليس كذلك الفرزدق ،  
لأنه يشد أبداً .

ف قيل له : فإن يونس وأبا عبيدة يفضّلان الفرزدق على جرير .  
فقال : ليس هذا من عمل أولئك القوم ، إنما يعرف الشعر من  
يُضطر إلى أن يقول مثله ؛ وفي الشعر ضروب لم يحسنها الفرزدق ،  
ولقد ماتت التّوارُ امرأته ، فراح عليها بقول جرير :

لولا الحياء لعادني أستعبارٌ ولزرت قبرك والحبيب يُزار<sup>(١)</sup>  
وروى عن أبي عبيدة : أنه قال للفرزدق<sup>(٢)</sup> : مالك لا تنسب كما  
ينسب جرير ؟ فجاب حولاً ، ثم جاء فأنشد :

يا أخت ناجية بن سامة إنني أخشى عليك بنيّ إن طلبوا دمي<sup>(٣)</sup>  
والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام<sup>(٤)</sup> من الجنس الذي جمعه في  
كتاب « الحماسة » ، وما اختاره من « الوحشيات » ؛ وذلك أنه  
تنكّب<sup>(٥)</sup> المستنكر الوحشيّ ، والمبتذل العاميّ ، وأتى بالواسطة .

وهذه طريقة من يُنصف في الاختيار ، ولا يعدل به غرض<sup>(٦)</sup>

( ١ ) ديوانه ص ١٩٩ والصناعتين ص ١٧ والشعر والشعراء ١/ ٤٦٤ .

( ٢ ) م « قال قيل للفرزدق » .

( ٣ ) ديوانه ص ٧٧٨ .

( ٤ ) م « أبو تمام » .

( ٥ ) س ، ك « تنكر » .

( ٦ ) م « به إلى غرض » .



يخص . لأن الذين اختاروا الغريب فإنما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم ، وإظهار<sup>(١)</sup> التقدم في معرفته ، وعجز غيرهم عنه ؛ ولم يكن قصدُهم جيّدَ الأشعارِ لشيء يرجعُ إليها في أنفسها .  
وبيّن هذا : أن الكلامَ موضوعٌ للإبانة عن الأغراض التي في النفوس . وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على<sup>(٢)</sup> المراد ، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب ، ولم يكن مُستَكْرَهَ المَطْلَعِ على الأذن ، و [ لا ]<sup>(٣)</sup> مستنكر المورِدِ على النفس ، حتى يتأبى بفرابته<sup>(٤)</sup> في اللفظ عن الإفهام ، أو يمتنع بتعويض<sup>(٥)</sup> معناه عن الإبانة . ويجب أن يتنكب ما كان عاميَّ اللفظ<sup>(٦)</sup> ، مُبتذَلِ العبارة ، رَكِيكَ المعنى ، سَفْسَافِيَّ الوضع ، مُجْتَلَبِ التَّأْسِيسِ<sup>(٧)</sup> على غير أصلٍ ممَّهّد ، ولا طريقٍ مُوطّد .

وإنما فُضِّلَتِ العربية على غيرها ، لاعتدالها في الوضع . لذلك وضع أصلها على أن أكثرها [ هو ]<sup>(٨)</sup> بالحروف المعتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ

(١) م « في نفسه لكونه مما يشبهه على غيرهم وإظهار » .

(٢) ا « عن » .

(٣) الزيادة من م .

(٤) م « لغرابته » .

(٥) م « لعويض » .

(٦) س ، ك « ما كان عليه اللفظ » .

(٧) م « سفسافاً في الوضع مختلف التأسيس » .

(٨) الزيادة من م .

المُسْتَكْرَهة في نظمها ، وأسقطوها من كلامهم ، وجعلوا عامّة<sup>(١)</sup> لسانهم على الأعدّل . ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي ، لأنهم بدءوا بحرف وسكتوا على آخر ، وجعلوا حرفاً وُصلةً بين الحرفين ، ليتمّ الابتداء والانهاء على ذلك ، والثنائي أقل ، وكذلك الرباعي والخماسي أقل ؛ ولو كان كلّه ثنائياً لتكرّرت الحروف ؛ ولو كان كلّه رباعياً أو<sup>(٢)</sup> خماسياً لكثرت الكلمات .

وكذلك بنى أمر الحروف التي ابتدئ بها السور على هذا . فأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ، ذكر فيها ثلاثة أحرف ، وما هو أربعة أحرف سورتان ، وما ابتدئ بخمسة أحرف سورتان .

فأما ما بدى بحرف واحد فقد اختلفوا فيه :

فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً ، وإنما جعله فعلاً واسماً لشيء خاص . ومن جعل ذلك حرفاً قال : أراد أن يحقق الحروف مفرداتها ومنظوماتها .

ولضيّق ما سوى كلام العرب ، أو لخروجه عن الاعتدال ، يتكرّر<sup>(٣)</sup> في بعض الألسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً<sup>(٤)</sup> ؛ كنحو تكرّر الطاء والسين في لسان

(١) س : « فجرى لسانهم » .

(٢) م « رباعياً وخماسياً » .

(٣) س ، ك « يتكرّر » .

(٤) سقطت هذه الكلمة من م

يُونَان؛ وكنحو الحروف الكثيرة التي هي<sup>(١)</sup> اسم لشيء واحد في لسان التُّرك . ولذلك لا يمكن أن يُنظَمَ من الشعر في تلك الألسنة على الأعاريض التي تُمكنُ في اللغة العربية .

والعربية أشدها تمكناً ، وأشرفها تصرفاً وأعدلها ؛ ولذلك<sup>(٢)</sup> جعلت حليّةً لنظم القرآن ، وعَلِقَ بها الإعجازُ ، وصار دلالةً في النبوة<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس ، التي لا يمكن التوصلُ إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى ما يعبر عنها ؛ فما كان أقربَ في تصويرها ، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها ، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد ، وأشدَّ تحقيقاً في الإيضاح عن المطلب<sup>(٤)</sup> وأعجب في وضعه ، وأرْشَقَ في تصرفه ، وأبرعَ في نظمه — : كان أولى وأحقَّ بأن يكون شريفاً .

وقد شبهوا النطق بالخطِّ ، والخطُّ يحتاج مع بيانه إلى رشاقة

(١) م «الكثيرة هي» .

(٢) م «وكذلك» .

(٣) س ، ك «وصارت دلالة في النبوة» .

(٤) س «عن المطلب» .

وصحة ، [وملاحظة<sup>(١)</sup>] ولطف ، حتى يحوز الفضيلة ويجمع الكمال .  
 وشبهوا الخطَّ والنطق بالتصوير ؛ وقد أجمعوا أن من أخذق  
 المصورين ، مَنْ صَوَّرَ لك الباكي المتضاحك ، والباكي الحزين ،  
 والضاحك المتباكى ، والضاحك المستبشر . وكما أنه يحتاج إلى لطف  
 يد في تصوير هذه الأمثلة ، فكذلك يحتاج إلى لُطف في اللسان والطبع  
 في تصوير ما في النفس للغير .

وفي جملة الكلام ما تَقْصُرُ<sup>(٢)</sup> عبارته وتَفْضُلُ معانيه ؛ وفيه  
 ما تقصر معانيه<sup>(٣)</sup> وتفضل العبارات ؛ وفيه ما يقع كل واحد منهما وفقاً  
 للآخر ، ثم ينقسم ما يقع وفقاً إلى أنه قد يفيدها على [ جملة ، وقد  
 يفيدها على ]<sup>(٤)</sup> تفصيل .

وكل واحد منهما قد ينقسم إلى ما يفيدها على أن يكون كل واحد  
 منهما بديعاً شريفاً ، وغريباً لطيفاً ؛ وقد يكون كل واحد منهما مُسْتَجْلِباً  
 متكلفاً ، ومصنوعاً مُتَعَسِّفاً ؛ وقد يكون [ كل ]<sup>(٥)</sup> واحد منهما حسناً  
 رشيقياً ، وبهيجاً نضيراً<sup>(٦)</sup> ؛ وقد يتفق أحد الأمرين دون الآخر ؛ وقد

(١) الزيادة من ا ، م . ومكانها بياض في ك .

(٢) س ، ك « الكلام إلى ما تقصر » .

(٣) س ، ك « المعاني » .

(٤) الزيادة من ا ، م .

(٥) الزيادة من ا ، م ، ك .

(٦) ك ، م « نظيراً » .

يتفق أن يسلم الكلام والمعنى من غير رشاقة ولا نضارة في واحد منهما؛ [و] <sup>(١)</sup> إِنَّمَا يُمَيِّزُ مِنْ يُمَيِّزُ، ويعرفُ مَنْ يَعْرِفُ. والحكم في ذلك صعب شديد، والفصل فيه شأو بعيد. وقد قلَّ من يميز أصناف الكلام؛ فقد حكى عن طبقة أبي عبيدة وخلف الأحمر وغيرهما في زمانهما <sup>(٢)</sup>، أنهم قالوا: ذهب من يعرف نقد <sup>(٣)</sup> الشعر.

وقد يئنا قبل هذا اختلاف القوم في الاختيار، وما يجب أن يجمعوا عليه، ويرجعوا عند التحقيق إليه؛ فكلامُ المُقْتَدِرِ نَمَطٌ، وكلام المتوسط <sup>(٤)</sup> بابٌ، وكلام المطبوع له طريق، وكلام المتكلف له منهاج، والكلامُ المصنوع المطبوع له بابٌ.

ومتى تقدّم الإنسان في هذه الصنعة لم تخفَ عليه هذه الوجوه، ولم تشبه عنده هذه الطرق؛ فهو يميّز قدر كل متكلم بكلامه <sup>(٥)</sup>، وقدر كل كلام في نفسه؛ ويحلّه محلّه، ويمتقد فيه ما هو عليه، ويحكم فيه <sup>(٦)</sup> بما يستحق من الحكم.

(١) الزيادة من ك، م.

(٢) س، ك « وغيرهم في زمانهم ».

(٣) م « يعرف هذا الشعر ».

(٤) س، ك « وكلام المتوسط باب ».

(٥) سقطت هذه الكلمة من م.

(٦) م « عليه ما يستحق ».

وإن كان المتكلم يُجَوِّد في شيء دون شيء، عرف ذلك منه، وإن كان<sup>(١)</sup> يعم إحسانه، عرف<sup>(٢)</sup>.

ألا ترى أن منهم من يجوّد في المدح دون الهجو، ومنهم من يجوّد في الهجو وحده<sup>(٣)</sup>؛ ومنهم من يجوّد في المزج<sup>(٤)</sup> والسُخف؛ ومنهم من يجود في الأوصاف.

والعالم لا يشدُّ عنه [شيء من ذلك، ولا تحفى عليه]<sup>(٥)</sup> مراتب هؤلاء، ولا تذهب عليه أقدارهم؛ حتى إنه إذا عرف طريقة شاعر في قصائد معدودة، فأنشد غيرها من شعره — : لم يشكَّ أن ذلك من نسجه، ولم يرتب في أنها<sup>(٦)</sup> من نظمه؛ كما أنه إذا عرف خطَّ رجل لم يشتبه عليه خطُّه حيث رآه<sup>(٧)</sup> من بين الخطوط المختلفة، وحتى يميّز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره؛ وكذلك أمرُ الخطب.

فإن اشتبه عليه البعض، فهو لا شتباه الطريقين، وتماثل الصورتين. كما قد يشتبه شعر أبي تمام بشعر البُحْثَرِي: في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التصنع، ويقصد فيه التسهّل، ويسلك الطريقة الكتابية،

(١) م «ولو كان».

(٢) م «عرفه».

(٣) م «في الهجو دون المدح، ومنهم من يعكس».

(٤) س، ك «في المدح».

(٥) الزيادة من م.

(٦) س، ك «في أنه».

(٧) م «يراه».

ويتوجه في تقريب الألفاظ وترك تعويض المعاني ، ويتفق له مثل بهجة  
أشعار البُحْتَرِي وألفاظه .

ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سَبْكُ أَبِي نَوَاس [من سبك  
مسلم] <sup>(١)</sup> ، ولا نسجُ ابن الرومي من نسج البحتري ؛ وينبئه  
ديباجة <sup>(٢)</sup> شعر البحتري ، وكثرة مائه ، وبديع رَوْقَه ، وبهجة  
كلامه ؛ إلا فيما يسترسل فيه ، فيشتبه بشعر <sup>(٣)</sup> ابن الرومي ؛ ويحركه  
ما لشعر <sup>(٤)</sup> أبي نواس من الحلاوة والرقّة والرّشاقة والسّلاسة ، حتى  
يفرق بينه وبين شعر مُسْلِم .

وكذلك يميز بين شعر الأعشى في التصرّف ، وبين شعر امرئ  
القيس ، وبين شعر النّابغة وزُهَيْر ، وبين شعر جَرِير والأخطل ،  
والبّعيث والفرزدق . وكلّ له منهج معروف ، وطريق مألوف .

ولا يخفى عليه في زماننا الفصلُ بين رسائل عبد الحميد وطبقته ،  
وبين طبقة من بعده ؛ <sup>(٥)</sup> حتى إنه لا يشتبه عليه ما بين رسائل ابن العميد ،  
وبين رسائل أهل عصره ومَنْ بعده ممن برع في صنعة الرّسائل ،

( ١ ) الزيادة من م .

( ٢ ) ا « وتنبه » م « وشبهه » .

( ٣ ) م « فيشبهه بعفو شعر » .

( ٤ ) م « في شعر » .

( ٥ ) سقط ما بين الرقمين من م .

وتقدّم في شأوها ، حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين ، [ و ] حتى خلّص لنفسه طريقة<sup>(١)</sup> ، وأنشأ لنفسه منهاجاً ؛ فسلك تارةً طريقةً الجاحِظ ، وتارةً طريقةً السّجع ، وتارةً طريقةً الأصل ؛ وبرّع في ذلك باقتداره ، وتقدّم بحذّقه ؛ ولكنّه لا يخفى مع ذلك على أهل الصّنعَة طريقه من طريق غيره ؛ وإن كان قد يشبهه البعض ، ويدقُّ القليل ، وتغمّضُ الأطراف ، وتشذُّ النواحي .

وقد يتقارب<sup>(٢)</sup> سبْكُ نَفَرٍ من شعراء عصر ، وتتداني رسائل كتاب دهر ، حتى تشبه اشتباهاً شديداً ، وتماثل تماثلاً قريباً ؛ فيغمض الأصل<sup>(٣)</sup> .

وقد يتشاكلُ الفرع والأصل ، وذلك فيما لا يتعذر إدراك<sup>(٤)</sup> أمده ، ولا يتصعّبُ طَلابُ شأوه ، ولا يتمنع بلوغ غايته ، والوصول إلى نهايته ؛ لأنّ الذي يتفق من الفصل<sup>(٥)</sup> بين أهل الزمان إذا تفاضلوا [ في سبق<sup>(٦)</sup> ] ، وتفاوتوا في مضمار ؛ فصلٌ قريب ، وأمرٌ يسير . وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الألفاظ و [ لا ] سارق<sup>(٧)</sup>

(١) م « طريقاً » .

(٢) ١ ، م « وقد يتفاوت » .

(٣) س « الفصل » ك « الفضل » .

(٤) س « إدراك » ١ « أمره » .

(٥) م « الفضل » .

(٦) الزيادة من م ومكانها بياض في ك .

(٧) الزيادة من م .



المعاني ، ولا من يَخْتَرعها ، ولا من يُلْمُ بها ، ولا من يجاهر بالأخذ  
ممن يُكاتب به ، ولا من يَخْتَرع الكلام اختراعاً ، وَيَبْتَدِئُهُ أَبْتَدَاهاً ،  
ممن يُروى<sup>(١)</sup> فيه ، وَيُجِيلُ الفكر في تَنْقِيحِهِ ، ويصبر عليه ، حتى  
يَتَخَلَّصَ له ما يريد ، وحتى يتكرر نظره فيه .

قال أبو عبيدة : سمعت أبا عمرو يقول : زهيرٌ والحُطَيْثَةُ وأشباههما  
عبيدُ الشعرِ ؛ لأنهم نَقَّحُوهُ ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين<sup>(٢)</sup> .  
وكان زهير يسمي كُبر شعره « الحَوَلِيَّاتِ المَنْقَحَةِ » . وقال عديّ  
ابن الرِّقَاعِ :

وقصيدة قد بَتُّ أَجْمَعُ يَنْهَا      حتى أَقَوِّمَ مِيلَهَا وَسِنَادَهَا<sup>(٣)</sup>  
نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُثُوبِ قَنَاتِهِ      حتى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا  
وكقول سُويْدِ بْنِ كِرَاعٍ :

أَيَّتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِي كَأَنَّمَا

أَصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الوَحْشِ نُزْعًا<sup>(٤)</sup>

ومنهم من يُعرف بالبديهة وَحِدَّةِ الخاطر ، ونفاذِ الطبع وسرعة

(١) م « ثم يروى »

(٢) الشعر والشعراء ١ / ٢٣ ، ٩٤ والبيان والتبيين ٢ / ١٢

(٣) الموشح ص ١٣ والأغاني ٨ / ١٨٤ والشعر والشعراء ٢ / ٦٠١

(٤) الأغاني ١١ / ١٢٩ وفيه « شرباً » وهو خطأ ، والبيان والتبيين ٢ / ١٢

والشعر والشعراء ١ / ٢٣ ، ٢ / ٦١٦ والمصاداة : المداواة

النظم ؛ يَرْتَجِلُ القول ارتجالاً ، ويطبعه <sup>(١)</sup> عَفْوَاً صَفْوَاً ؛ فلا يَقْعُدُ به عن قوم قد تعبوا وكدّوا أنفسهم ، وجاهدوا خواطرهم .

وكذلك لا [ يمكن أن ] <sup>(٢)</sup> يخفى عليهم الكلام العلويّ ، واللفظ الملوكيّ ؛ كما لا يخفى عليهم الكلام العاميّ ، واللفظ السوقيّ ؛ ثم تراه يُنزلون الكلام تنزيلاً ، ويُعطونه - كيف تصرف - حُقوقه ، ويعرفون مراتبه ؛ فلا يخفى عليهم ما يختصّ به كل فاضل تقدّم في وجه من وجوه النظم ، من الوجه الذي لا يُشاركه فيه غيره ، ولا يُسَاهِمُهُ سواه .

ألا تراه وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم وأشدّهم أمرَ شعر <sup>(٣)</sup> ؛ قاله أبو عبيدة <sup>(٤)</sup> ؟

وروى أن الفرزدقَ أَتَحَلَ بيتاً من شعر جرير ، وقال : هذا يشبه شعري .

فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه إليهم من المعرفة بهذا الشأن ؛ وهذا كما يعلم البزّاز أن <sup>(٥)</sup> هذا الديباج عُمل بُسْتَر <sup>(٦)</sup> ، وهذا

(١) م « ويطبعه » .

(٢) الزيادة من م .

(٣) س « أثر » .

(٤) الشعر والشعراء ٩٣ / ١ .

(٥) س ، ك « البزّازون » .

(٦) مدينة من كور الأهواز ، فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر .

وكانت بها مصانع للثياب والعمامم ، معجم البلدان ٣٧٧ / ٢ وابن خلكان ١٥٠ / ٢ .

لم يعمل بُسْتَرٌ ؛ وأن هذا من صنعة فلان دون فلان ، ومن نسج فلان دون فلان ؛ حتى لا يخفى عليه ، وإن كان قد يخفى على غيره .

ثم إنهم يعلمون أيضاً من له سَمْتُ بنفسه ، ورَفْتُ برأسه ؛ ومن يقتدى في الألفاظ أو في المعاني أو فيهما بغيره ، ويجعل سواء قدوةً له ؛ ومن يُلم في الأحوال بمذهب غيره ، ويَطُورُ<sup>(١)</sup> في الأحيان [ يَجْنَبَاتِ كلامه ]<sup>(٢)</sup> .

وهذه أمورٌ مُمَهَّدَةٌ عند العلماء ، وأسبابٌ معروفة عند الأدباء ؛ وكما يقولون : إن البُحْتَرِيَّ يغير على أبي تمام إغارة ، ويأخذ منه صريحاً وإشارةً ؛ ويستأنس بالأخذ منه بخلاف<sup>(٣)</sup> ما يستأنس بالأخذ من غيره ، ويألف أتباعه كما لا يألف أتباع سواء ؛ وكما كان أبو تمام يُلمُّ بأبي نواس ومُسلم ؛ وكما يعلم أن بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يتحاشى ، ويؤلف ما يقوله من فرق شتى .

وما الذي نفع المُنْتَبِيَّ جُحُودُهُ الأخذَ ، وإنكارُهُ معرفة الطائيين ؛ وأهل الصنعة يدلُّون على كلِّ حرفٍ أخذه منهما جهاراً ، أو أَلَمَ بهما فيه سراراً ؟ !

(١) س ، ك « ويأتى » .

(٢) الزيادة من ا ، م ومكانها بياض في ك .

(٣) م « خلاف » .

وأما ما لم يأخذ عن الغير ، ولكن سلك النمط ، وراعى النهج ؛ فهم يعرفونه ، ويقولون : هذا أشبه به من الثمرة بالثمرة ، وأقرب إليه من الماء إلى الماء ؛ وليس بينهما إلا كما بين الليلة والليلة . فإذا تباينا وذهب أحدهما في غير مذهب صاحبه ، وسلك في غير جانب<sup>(١)</sup> ؛ قيل : بينهما ما بين السماء والأرض ، وما بين النجم والنون<sup>(٢)</sup> ، وما بين المشرق والمغرب .

\* \* \*

وإنما أطلت عليك ، ووضعتُ جميعهُ بين يديك ؛ لتعلم أن أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن وجليله ، وغامضه وجليه ، وقريبه وبعيده ، ومُعْجَزه ومستقيمه . فكيف يخفى عليهم الجنس الذى هو بين الناس مُتداول ، وهو قريب مُتناول ؛ من أمر يخرج عن أجناس كلامهم ، ويبعد عما هو فى عرفهم ، ويفوت مَوَاقِعُ قُدْرِهِمْ ؟ !

وإذا اشتبه ذلك فإنما يشتبه على ناقص فى الصنعة ، أو قاصر عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويُديرُونَه<sup>(٣)</sup> بينهم ولا يتجاوزونه ؛ فلكلامهم سُبُلٌ مضبوطة ، وطرقٌ معروفة محصورة . وهذا كما يشتبه على من يدعى الشعر — من أهل زماننا — والعلم بهذا

(١) م ، « مسلكه » .

(٢) فى اللسان ١٧ / ٣١٦ « النون الحوت ، والجمع أنوان ونيان » .

(٣) م « وسد يرونه » .

الشأن؛ فيدعى أنه أشعر من البَحْتَرى، ويتوهم أنه أدقّ مسلکاً من  
أبى نُؤاس، وأحسن طريقاً من مُسلم! وأنت تعلم أنهما متباعدان،  
وتتحقق أنهما لا يجتمعان؛ ولعل أحدهما إنما يلحظ غبار<sup>(١)</sup> صاحبه،  
ويطالع ضياء نجمه، ويراعى خُفوق<sup>(٢)</sup> جناحه، وهو راكِدٌ في موضعه.  
ولا يَضُرُّ البَحْتَرى ظَنُّه، ولا يُلْحِقُه بِشأوه وَهْمُه<sup>(٣)</sup>.

فإن اشتبه على متأدّب أو مُتَشاعر أو ناشئ أو مُرَمِّد، فصاحَةُ  
القرآن، وموقعُ بلاغته، وعجيبُ براعته — : فما عليك منه؛ إنما يخبر  
عن قصه<sup>(٤)</sup>، ويدلُّ على عجزه، ويُبَيِّن عن جهله، ويُصرِّح<sup>(٥)</sup> بسخافة  
فهمه، وركاكة عقله.

وإنما قدّمنا<sup>(٦)</sup> ما قدّمناه في هذا الفصل، لتعرف أن ما ادّعيناه  
من معرفة البليغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمهِ وبديع تأليفهِ، أمرٌ  
لا يجوز غيرُهُ، ولا يحتمل سواه، ولا يشته على ذى بصيرة،  
ولا يَخِيلُ عند<sup>(٧)</sup> أخى معرفة؛ كما يعرف الفصل بين طبائع<sup>(٨)</sup> الشعراء

(١) س : « عبارة » ا « طريقة » .

(٢) س ، ك « خفوف » .

(٣) م « وهمته » .

(٤) م « نقصانه » .

(٥) م « ويروح » .

(٦) م « وإنما قلنا » .

(٧) م « ولا يخل على » .

(٨) ك ، ا ، م « طباع » .

من أهل الجاهلية ، وبين المخضرمين ، وبين المحدثين ؛ ويميز بين من  
يجرى على شاكلة طبعه وغريزة نفسه ، وبين من يشتغل بالتكلف  
والتصنع ، وبين من يصير التكلف له كالمطبوع ، وبين من كان مطبوعه  
كالمتمعمل<sup>(١)</sup> المصنوع .

هيات هيات !! هذا أمر — وإن دق — فله قوم يقتلونه علماً ،  
وأهل يحيطون به فهماً ؛ ويُعرفونه<sup>(٢)</sup> إليك إن شئت ، ويُصورونه  
لديك إن أردت ، ويُجلّونه على خواطرك إن أحببت ، ويُعرضونه  
لفطنتك إن حاولت ؛ وقد قال القائل :

للحرب والضرب أقوامٌ لها خلُقوا      وللدّواوين كتابٌ وحُسابٌ  
ولكل عمل رجال ، ولكل صنعة ناس ، وفي كل فرقة الجاهل والعالم  
والتوسط ؛ ولكن قد قلّ من يميز في هذا الفن خاصّة ، وذهب من  
يُحصّل في هذا الشأن ، إلا قليلاً .

فإن كنت ممن هو بالصفة التي وصفناها — من التناهي في معرفة  
الفصاحات ، والتحقق<sup>(٣)</sup> بمجاري البلاغات — فإنما يكفيك التأمل ،  
ويفنيك التصوّر .

وإن كنت في الصنعة مُرمِداً ، وفي المعرفة بها متوسطاً ؛ فلا بُدَّ

(١) س ، ك « كالتعمل » .

(٢) م « ويقدمونه » .

(٣) م « والتحقق » .

لك من التقليد ، ولا غنى بك عن التسليم . إن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشاदी فيها كالبائن منها .

فإن أراد أن يقرب عليه أمراً<sup>(١)</sup> ، ويفسح له طريقاً ، ويفتح له باباً — ليعرف به إعجاز القرآن — فإننا نضع بين يديه الأمثلة ، ونعرض عليه الأساليب ، ونُصوِّر له صور<sup>(٢)</sup> كل قبيل من النظم والنثر ، ونُحْضِرُه<sup>(٣)</sup> من كل فن من القول شيئاً يتأمله حق تأمله ، ويراعيه حق رعايته<sup>(٤)</sup> ؛ فيستدل استدلال العالم ، ويستدرك استدراك<sup>(٥)</sup> الناقد ، ويقع<sup>(٦)</sup> له الفرق بين الكلام الصادر عن الربوبية ، الطالع عن الإلهية ؛ الجامع بين الحكم والحكم ، والإخبار عن الغيوب والغائبات ؛ والمتضمن لمصالح الدنيا والدين ، والمستوعب لجليّة اليقين ؛ والمعاني المخترعة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالألفاظ الشريفة ؛ على تفنُّنها وتصرفها . ونعمدُ إلى شيء من الشعر المُجمَع عليه ، فنبيّن وجه النقص فيه ، ونُدُلُّ على انحطاط رتبته ، ووقوع أبواب الخلل فيه ؛ حتى إذا تأمل ذلك ، وتأمل ما نذكره — من تفصيل إعجاز القرآن وفصاحته ، وعجيب براعته — انكشف له واتضح ، وثبت

(١) م « أمدأ » .

(٢) س « صورة » .

(٣) س « ونحضر له » .

(٤) س ، ك « مراعاته » .

(٥) م « الاستدلال » .

(٦) س « ويقطع » .

ما وصفناه لديه ووضح ؛ وليعرف حدود البلاغة ، ومواقع البيان والبراعة ، ووجهَ التقدم في الفصاحة .

وذكر الجاحِظ في كتاب البيان والتبيين<sup>(١)</sup> : أن الفارسيّ سئل ، فقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل .

وسئل اليونانيّ عنها ؟ فقال : تصحيحُ الأقسام ، واختيارُ الكلام .  
وسئل الروميّ عنها ؟ فقال : حسنُ الاقتضاب عند البداهة<sup>(٢)</sup> ، والغزارة يوم الإطالة .

وسئل الهنديّ عنها ؟ فقال : وضوحُ الدلالة ، واتبازُ الفرصة ، وحسنُ الإشارة .

وقال مرّةً<sup>(٣)</sup> : ألتماسُ حسنِ الموقع ، والمعرفةُ بساعات<sup>(٤)</sup> القول ، وقلةُ الخرق بما<sup>(٥)</sup> ، التبس من المعاني ، أو غمض وشرد من اللفظ وتعدّر ؛ وزينته<sup>(٦)</sup> أن تكون الشمائل موزونة ، والألفاظ معدّلة ، واللهجة نقيّة<sup>(٧)</sup> ؛

(١) ٨٨ / ١

(٢) م « البديهة »

(٣) في البيان والتبيين « قال : وقال مرّة : جماع البلاغة التماس . . . »

(٤) س « بساعات » م « بتباعات »

(٥) م « وقلة الحذف فيما »

(٦) في البيان ٨٩ / ١ « ثم قال : وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته

وسناؤه أن تكون الشمائل »

(٧) م « واللهجة نقيّة » وفي البيان بعد ذلك : « فإن جامع ذلك السن

والسمت والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكل كل الكمال »

(١٣)



وَأَنْ<sup>(١)</sup> لَا يَكَلِّمَ سَيِّدَ الْأَمَّةِ بِكَلَامِ الْأَمَّةِ ؛ وَيَكُونُ فِي قَوَاهِ  
فَضْلٍ<sup>(٢)</sup> التَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ؛ وَلَا يَدْقُقُ الْمَعْنَى كُلَّ التَّدْقِيقِ ،  
وَلَا يُنَقِّحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ ، وَ[ لَا ] يَصْفِيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ ، وَ[ لَا ]  
يَهْذِبُهَا بِنَايَةِ التَّهْذِيبِ<sup>(٣)</sup> .

وَأَمَّا الْبَرَاعَةُ فَهِيَ فِيمَا يَذْكُرُ<sup>(٤)</sup> أَهْلُ اللُّغَةِ : الْحَذَقُ بِطَرِيقَةِ الْكَلَامِ  
وَتَجْوِيدِهِ . وَقَدْ يوصفُ بِذَلِكَ كُلُّ مُتَقَدِّمٍ فِي قَوْلٍ أَوْ صِنَاعَةٍ .  
وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهَا :

فَنَهْمٌ مِنْ عِبَرٍ عَنْ مَعْنَاهَا بِأَنَّهُ : مَا كَانَ جَزَلَ اللَّفْظُ ، حَسَنَ الْمَعْنَى .  
وَقَدْ قِيلَ : مَعْنَاهَا : الْاِقْتِدَارُ عَلَى الْإِبَانَةِ عَنِ الْمَعْنَى الْكَامِنَةِ فِي  
النَّفُوسِ ، عَلَى عِبَارَاتٍ جَلِيَّةٍ ، وَمَعَانٍ ثَقِيَّةٍ بَهِيَّةٍ .

• • •

وَالَّذِي يَصَوِّرُ عِنْدَكَ مَا ضَمِنَتْ تَصْوِيرَهُ ، وَيَحْصُلُ لَدَيْكَ<sup>(٥)</sup> مَعْرِفَتُهُ —  
إِذَا كُنْتَ فِي صِنْعَةِ الْأَدَبِ مُتَوَسِّطًا ، وَفِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مُتَبَيِّنًا<sup>(٦)</sup> — :

( ١ ) هَذَا الْكَلَامُ مِنَ الصَّحِيفَةِ الَّتِي زَعَمَ الْجَاهِظُ أَنَّ فِيهَا الْبَلَاغَةَ عِنْدَ  
الْهِنْدِ . وَأَوَّلَهَا كَمَا ذَكَرَ فِي الْبَيَانِ ٩٢ / ١ « أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَذَلِكَ  
أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَأْشِ ، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَلِيلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرَ اللَّفْظِ  
لَا يَكَلِّمُ سَيِّدَ الْأَمَّةِ بِكَلَامِ الْأَمَّةِ ، وَلَا الْمَلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ ، وَيَكُونُ فِي قَوَاهِ ... »

( ٢ ) م : « فَصْلٌ »

( ٣ ) رَاجِعُ بَقِيَّةِ الصَّحِيفَةِ الْمَرْعُومَةِ فِي الْبَيَانِ ٩٢ / ١

( ٤ ) س ، ك : « الْبَرَاعَةُ فِقْهًا »

( ٥ ) س ، ك : « عِنْدَكَ »

( ٦ ) م : « مُشَارِكًا »

أن تنظر أولاً في نظم القرآن ، ثم في شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فتعرف الفصل بين النظمين ، والفرق بين الكلامين . فإن تبين لك الفصل ، ووقعت على جلية الأمر وحقيقة الفرق - : فقد أدركت الغرض ، وصادفت المقصد ؛ وإن لم تفهم الفرق ، ولم تقع<sup>(١)</sup> على الفصل - : فلا بد لك من التقليد ، وعلمت أنك من جملة العامة ، وأن سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان .

---

(١) ك : « الفاصلة »

### خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

روى طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ قَالَ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يخطب على منبره يقول :

« أَلَا أَيُّهَا <sup>(١)</sup> النَّاسُ ؛ تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا  
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ؛ وَصِلُوا الَّذِي يَنْتَحِلُكُمْ وَيَنْتَحِلُكُمْ  
— بكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ — : تُرْزَقُوا  
وَتُؤَجَّرُوا وَتُنْصَرُوا .

واعلموا أن الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا ،  
في عامى هذا ، في شهرى هذا ؛ إلى يوم القيامة : حياتى ومن بعد <sup>(٢)</sup>  
موتى ؛ فمن تركها وله إمامٌ : فلا جَمَعَ الله له شَمْلَهُ ، ولا بَارَكَ له في  
أمره ؛ أَلَا ولا حَجَّ له ، أَلَا ولا صَوْمَ له ، أَلَا ولا صَدَقَةَ له ، أَلَا  
ولا بَرَّ له .

أَلَا ولا يَوْمُ أَغْرَابِيٍّ مُهَاجِرٍ ، أَلَا ولا يَوْمُ فَاجِرٍ مُؤْمِنٍ ؛ إِلَّا أَنْ  
يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ .

(١) م : « أَلَا يَا أَيُّهَا »

(٢) م : « وبعد »

خطبة له صلى الله عليه وسلم

« أيها<sup>(١)</sup> الناس ؛ إن لكم مَعَالِمَ ، فاتهُوا<sup>(٢)</sup> إلى مَعَالِمِكُمْ ، وإنَّ لكم نهايةً ، فاتهُوا إلى نهايتكم .

إنَّ المؤمنَ بينَ مخافتين : بينَ أجلٍ قد مضى ، لا يَدْرِي ما الله صَانِعٌ فيه ؛ وبينَ أجلٍ قد بقي ، لا يَدْرِي ما الله تَعَالَى قَاضٍ عليه فيه . فليأخذِ العبدُ لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخِرته ؛ ومن الشَّيْبَةِ<sup>(٣)</sup> قبلَ الكِبَرِ ، ومن الحياة قبلَ الموتِ .

والذي نَفَسُ مُحَمَّدٍ يَدُهُ : ما بَعْدَ الموتِ من مُسْتَقْبَبٍ ، ولا بعد الدنيا دارٌ ، إلا الجنةُ أو النارُ » .

خطبة له صلى الله عليه وسلم

« إنَّ الحمد لله ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ؛ نَعُوذُ بالله من شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ؛ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ<sup>(٤)</sup> لَهُ .

( ١ ) في البيان والتبيين ٣٠٢/١ «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات : حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس...» . وهي في عيون الأخبار ٢٣١/٢

( ٢ ) س : « فاتهُوا »

( ٣ ) في البيان « ومن الشَّيْبَةِ قبلَ الكِبَرَةِ »

( ٤ ) من أول الخطبة إلى هنا هو صدر خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، كما في العقد الفريد ٥٧/٤ والبيان والتبيين ٣١/٢

إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ؛ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ،  
وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ  
النَّاسِ ؛ إِنَّهُ أَحْسَنُ <sup>(١)</sup> الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ .

أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكُمْ ؛ وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ  
اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ . أَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .  
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَصَدِّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ؛ وَتَحَابُّوا  
بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق

قال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَتَدْرُونَ <sup>(٢)</sup> فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنتُمْ ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنتُمْ ،  
وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنتُمْ ؟

قَالُوا : فِي يَوْمٍ حَرَامٍ ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ .  
قَالَ : أَلَا فَإِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ  
يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَهُ .  
ثُمَّ قَالَ : أَسْمِعُوا مِنِّي تَعِيشُوا ؛ أَلَا لَا تَظَالُمُوا ، أَلَا لَا تَظَالُمُوا ،  
أَلَا لَا تَظَالُمُوا .

(١) س : « إِنَّهُ أَصْدَقُ » .

(٢) س : « هَلْ تَدْرُونَ » .

ألا إنه لا يَحِلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بِطِيبِ نفسٍ منه .  
 ألا إنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْتِرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي  
 هذه ؛ ألا وإنَّ أَوَّلَ دَمٍ وَضِعَ دَمُ رَيْعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
 — كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتَهُ هُذَيْلٌ <sup>(١)</sup> — .

ألا وإنَّ كُلَّ رَبٍّ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ؛ ألا وإنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
 قَضَى أَنْ أَوَّلَ رَبٍّ يُوضَعُ : رَبَّاءُ عَمِّي الْعَبَّاسِ ؛ لَكُمْ ﴿ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ،  
 لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

ألا وإنَّ الزَّمانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ <sup>(٢)</sup> ، ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ؛ فَلَا تَظْلِمُوا  
 فِيهِ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

ألا لَا تَرْجِعُوا بَعْدَى كُفَّارًا : يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ <sup>(٣)</sup> .

---

(١) هذه الجملة التفسيرية ثابتة في النسخ كلها . وفي م : « بنو هذيل » .  
 (٢) كذا في كل النسخ وفي البيان والعقد « والأرض » . وإن عدة الشهور  
 عند الله اثني عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها  
 أربعة حرم : ثلاث متواليات ، وواحد فرد . ذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ،  
 ورجب الذي بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .  
 (٣) في العقد بعد ذلك : « فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم  
 تضلوا : كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . » وكذلك في البيان .

ألا وإنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمَصْلُونَ ، وَلَكِنْ فِي التَّخْرِيشِ يَنْتَكُمُ<sup>(١)</sup> .

اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ<sup>(٢)</sup> ، لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْفُسْنَ شَيْئًا ، وَإِنْ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ : أَنْ لَا يُؤْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنْ خِفْتُمْ نَشْوَزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ؛ وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ .

ألا وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ ، فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتِمَّ بِهِ عَلَيْهَا .

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، فَقَالَ : أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؛ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ؛ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَبْلَغُ مِنْ سَامِعٍ .

(١) فِي الْبَيَانِ وَالْعَقْدِ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ أَنْ يَعْبُدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يَطَاعَ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ »  
(٢) فِي اللَّسَانِ ١٩ / ٣٣٦ « عَوَانٌ : أَيْ أَسْرَى أَوْ كَالْأَسْرَى ، وَاحِدَةٌ الْعَوَانِ عَانِيَةٌ ، وَهِيَ الْأَسِيرَةُ ، يَقُولُ : إِنَّمَا هُنَّ عِنْدَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسْرَى . قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : وَالْعَوَانُ : النِّسَاءُ ؛ لِأَنَّهُنَّ يَظْلَمْنَ فَلَا يَنْتَصِرْنَ . وَفِي النَّهَايَةِ : « الْعَانِي : الْأَسِيرُ ، وَكُلٌّ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتِكَانٍ وَخَضَعٍ فَقَدْ عَنَا يَعْنُو ، وَهُوَ عَانٌ ، وَالْمَرْأَةُ عَانِيَةٌ ، وَجَمْعُهَا : عَوَانٌ » .

خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ، ثم قال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ صدق <sup>(١)</sup> وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

ألا كل مأثرة أودم أو مال يدعى ، فهو تحت قدمي هاتين ؛ إلا سِدانة البيت ، وسقاية الحاج .

ألا وقتل الخطايا العمد بالسوط والعصا ، فيه الدية مغلظة ، منها أربعون خلفة <sup>(٢)</sup> ، في بطونها أولادها .

يا معشر قريش ؛ إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ؛ الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب ؛ ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ <sup>(٣)</sup> 〉 .

يا معشر قريش - أو يا أهل مكة - ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ [كريم . ثم قال : فاذهبوا فأتهم الطلقاء .

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيـف

وروى زيد بن ثابت : أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب

(١) س ، ك « صدق الله »

(٢) في اللسان ٤٤٣/١٠ « الخلفة بفتح الخاء وكسر اللام : الحامل من النوق »

(٣) سورة الحجرات ١٣



بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِيَّ ، فَقَالَ <sup>(١)</sup> :

« نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَاتِي فَوَعَاها <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ أَذَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ؛  
فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهٍ لَا فِقَهَ لَهُ ؛ وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .  
ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِنَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ،  
وَالنَّصِيحَةُ لِأَوَّلَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ  
مِنْ وَرَائِهِ .

وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةُ : جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ؛  
وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .

وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا : فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛  
وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .

(١) من أول قوله وروى « زيد بن ثابت » ليس فيك ، وهو ثابت في أ ، م  
(٢) « نضر الله عبداً » يجوز في « نضر » تخفيف الضاد المفتوحة وتشديدها .  
وقد روى بالوجهين . فعلى التخفيف يكون هذا الفعل الثلاثي متعديا ، وهو في  
أصله لازم . ولكن جاز فيه الأمران ، يقال : « نَضَرَ وجه فلان » ، و « نضر  
الله وجهه » ، و « نضر » و « أنضره » أيضاً .

(٣) في اللسان ١٤ / ١٣ « قيل معنى قوله : لا يغلّ عليهن قلب مؤمن :  
أى لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق ، ولكن يكون معها الإخلاص في  
ذات الله عز وجل . وروى لا يَغِلُّ ولا يُغِلُّ ، فمن قال يغل بالفتح للياء وكسر  
الغين فإنه يجعل ذلك في الضغن والغل وهو الضغن والشحناء ، أى لا يدخله حقد  
يزيله عن الحق . ومن قال يغل بضم الياء جعله من الخيانة . . . وقال ابن الأثير :  
ويروى يَغِلُّ بالتخفيف ، من الوغول ، الدخول في الشيء : والمعنى أن هذه  
الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب ، فمن تمسك بها طهر قلبه من الدغل والخيانة  
والشر . وعليهن في موضع الحال ، تقديره لا يَغِلُّ كائناً عليهن . . . ابن الأعرابي  
في النوادر : غُلَّ بصر فلان : حاد عن الصواب ، من غل يغل ، وهو معنى  
قوله : ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئ مؤمن ، أى لا يجيد عن الصواب غاشا »

خطبة له صلى الله عليه وسلم  
رواها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

قال <sup>(١)</sup> : خَطَبَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَقَالَ :  
« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ <sup>(٢)</sup> ؛ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ،  
فَنَظَرْتُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؛ فَاتَّقُوا الدِّينَ ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ .  
أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا خَافَةُ النَّاسِ ، أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ .  
قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا مُحَرَّةٌ عَلَى  
أَطْرَافِ السَّعْفِ ؛ فَقَالَ :  
إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فَيَا مَضَى ، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا  
فَيَا مَضَى » .

كتابُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَلِكِ فَارِسَ

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ :  
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَدْعُوكَ

(١) هذه الكلمة من م فقط

(٢) في اللسان ٣٣٢/٥ « والدنيا خَضِرَةٌ مُضْرَّةٌ : أى ناعمة غضة طرية  
طيبة ، وقيل : موقنة معجبة . وفي الحديث : إن الدنيا حلوة خضرة مضرة ، فمن  
أخذها بحقها بورك له فيها » .

بدعاء الله تعالى ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَأَسْلِمَ تَسْلَمٌ . » .

كتابُ له صلى الله عليه وسلم إلى النَّجَاشِيِّ

« من محمدٍ رسولِ الله إلى النَّجَاشِيِّ ملكِ الحبشة :

سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ  
الْمُهَيِّمِينَ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى  
مَرْيَمَ الْبَتُولِ <sup>(١)</sup> الطَّيِّبَةِ ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى ، فَحَمَلْتَهُ مِنْ رُوحِهِ وَتَفَخَّهِ ؛  
كَمَا خَلَقَ آدَمَ يَدِهِ وَتَفَخَّهِ .

وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْمُؤَالَاةَ عَلَى طَاعَتِهِ ؛  
وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ؛ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛  
فَقَدْ <sup>(٢)</sup> بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحِي . وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ  
أَتْبَعَ الْهُدَى . » .

نُسخةُ عهدِ الصُّلَحِ مع <sup>(٣)</sup> قُرَيْشٍ عامِ الحُدَيْبِيَّةِ

« هذا <sup>(٤)</sup> ما صالحَ عليه محمدُ بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سُهَيْلَ

(١) قال أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ١ / ١١٤ « البتل :  
القطع ، ومنه العذراء البتل ؛ لأنها قطعت عن الرجال »

(٢) م « قد »

(٣) م « عهد الصلح بين قريش »

(٤) في إمتاع الأسماع ٢٩٧ « باسمك اللهم ، هذا ما اصطلاح »

ابن عمرو : أَصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سَنِينَ ، يَأْمَنُ فِيهَا<sup>(١)</sup> النَّاسُ ، وَيَكْفُ بِعَظْمٍ عَنْ بَعْضٍ : عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ<sup>(٢)</sup> بَغِيرَ إِذْنِ<sup>(٣)</sup> وَلِيِّهِ ، رَدَّهُ عَلَيْهِمْ . وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> ؛ وَأَنْ يَنْتَنَّا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً<sup>(٥)</sup> ؛ وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا إِغْلَالَ<sup>(٧)</sup> ؛ وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقْدِهِ

(١) س ، ك « عشرين سنة يأمن فيه » !

(٢) س ، ك « ويكف فيه بعضهم » .

(٣) قوله « من قريش » ساقط من ك ، س .

(٤) م : « بغير اذيه وانه رده »

(٥) م : « لم يرده عليه » .

(٦) في اللسان ١٢٦ / ٢ « وروى عن ابن الأعرابي أنه قال : معناه أن بيننا وبينهم في هذا الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما في الكتاب ، نقياً من الغلّ والغدر والخداع . والمكفوفة : المشرجة المعقودة . والعرب تكنى عن الصدور والقلوب التي تحتوى على الضمائر المخفاة بالعياب ، وذلك أن الرجل إنما يضع في عيبته حرّ متاعه ، وصون ثيابه ، ويكتم في صدره أخصّ أسرارهِ التي لا يحب شيوعها ، فسميت الصدور والقلوب عياباً تشبيهاً بعياب الثياب . . . وقال بعضهم : أراد به الشر بيننا مكفوف كما تكف العيبة إذا أُشْرِجَتْ . وقيل : أراد أن بينهم موادعةً ومكافاةً عن الحرب ، يجران مجرى المودة التي تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم إلى بعض »

(٧) في اللسان ١٣ / ٣٦٤ « قال أبو عمرو : الإسلال : السرقة الخفية .

قال الجوهري : وهذا يحتمل الرشوة والسرقة جميعاً . ويقال : الإسلال الغارة الظاهرة ، وقيل : سل السيوف » وفي ١٤ / ١٣ « قال أبو عبيد : الإغلال : الخيانة ، والإسلال : السرقة . وقيل : الإغلال : السرقة ، أى لا خيانة ولا سرقة : ويقال : لا رشوة » .

دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ؛  
وَأَنْتَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا ، فلا تدخلُ علينا مكة ؛ فإذا كَانَ عَامًا  
قَابِلًا خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثًا ؛ وَأَنْ مَعَكَ  
سِلَاحَ الرَّأْكِبِ ، وَالسُّيُوفَ فِي الْقُرْبِ <sup>(١)</sup> ؛ فلا تدخلها بغير هذا .

\*\*\*

وَلَا أَطَوِّلُ عَلَيْكَ ، وَأَقْتَصِرُ عَلَى مَا أَتَقَيُّهُ إِلَيْكَ <sup>(٢)</sup> ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ  
فِي الصَّنْعَةِ حِظٌّ ، أَوْ كَانَ لَكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى حِسٌّ ، أَوْ كُنْتَ تَضْرِبُ  
فِي الْأَدَبِ بِسَهْمٍ ، أَوْ فِي الْعَرِيَّةِ بِقِسْطٍ — وَإِنْ قَلَّ ذَلِكَ السَّهْمُ ،  
أَوْ تَقَصَّ ذَلِكَ النَّصِيبُ — : فَمَا أَحْسَبُ أَنَّهُ يَشْتَبَهُ عَلَيْكَ الْفَرْقُ بَيْنَ بَرَاعَةٍ  
الْقُرْآنِ ، وَبَيْنَ مَا نَسَخْنَاهُ لَكَ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
خُطْبِهِ وَرِسَائِلِهِ ؛ وَمَا عَسَاكَ تَسْمَعُهُ مِنْ كَلَامِهِ ؛ وَيَتَسَاقَطُ إِلَيْكَ  
مِنْ أَلْفَاظِهِ ؛ وَأَقْدَرُ أَنَّكَ تَرَى بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ بَوْنًا بَعِيدًا ، وَأَمْدًا  
مَدِيدًا ؛ وَمِيدَانًا وَاسِعًا ، وَمَكَانًا شَاسِعًا .

\*\*\*

فَإِنْ قُلْتَ : لِمَ أَنْ يَكُونَ كَعَمَلٍ لِلْقُرْآنِ وَتَصْنَعٍ لِنَظْمِهِ ؛ وَشَبَّهَ  
عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ مِنْ خُبْرِهِ — : فَتَثَبَّتْ فِي نَفْسِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى عَقْلِكَ ،

(١) س ، ك : « فِي الرِّكْبِ » . وَالْقُرْبُ : جَمْعُ قِرَابٍ ، وَهُوَ غَمْدُ السَّيْفِ .

كما فِي اللِّسَانِ ٣ / ١٦١

(٢) م : « عَلَيْكَ » .

واجمع لُبَّكَ ؛ وتيقنْ أن الخطبَ يُحْشَدُ لها في المواقف العظام، والمحافل الكبار، والمواسم الضخام ؛ ولا يتَجَوَّزُ فيها، ولا يُسْتَهانُ بها . والرسائلُ إلى الملوك مما يجمعُ لها الكاتبُ جَرامِيزَه<sup>(١)</sup>، ويُشَمِّرُ لها عن جدِّ واجتهاد ؛ فكيف يَقَعُ بها الإخلالُ ؟ وكيف تعرض<sup>(٢)</sup> للتفريط ؟ فستعلم ، لا محالة أنَّ نظمَ القرآن من الأمرِ الإلهي ؛ وأنَّ كلامَ النبي صلى الله عليه وسلم من الأمرِ النبوي .

فإذا أردتَ زيادةً في التَّبَيَّنِ<sup>(٣)</sup>، وتَقَدُّماً في التَّعَرُّفِ، وإِشْرافاً على الجَلِيلَةِ، وفَوْزاً بِمُحْكَمِ الْقَضِيَةِ؛ فتأملْ — هداك الله — ما تَنَسَّخَه لك من خُطب الصَّحابة والبلغاء؛ لتعلمَ أَنَّ نَسَجَهَا وَنَسَجَ ما تَقَلْنَا — من خطب النبي صلى الله عليه وسلم — واحدٌ، وَسَبَكُهَا سَبَكٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ ؛ وإنما يَقَعُ بَيْنَ كَلَامِهِ وكَلَامِ غَيْرِهِ ، ما يَقَعُ مِنَ التَّفَاوُتِ بَيْنَ كَلَامِ الْفَصِيحَيْنِ، وبين<sup>(٤)</sup> شِعْرِ الشَّاعِرَيْنِ ؛ وذلك أمرٌ له مقدارٌ معروفٌ، وحدٌ — يَنْتَهِي إِلَيْهِ — مضبوطٌ .

فإذا عرفتَ أَنَّ جَمِيعَ كَلَامِ الْأَدَمِيِّ مِنْهَاجٌ، ولجلته طريق<sup>(٥)</sup> ؛

(١) في اللسان ١٨٣/٧ « ويقال : جمع فلان لفلان جراميزه : إذا استعد له وعزم على قصده . وجراميز الرجل : جسده وأعضاؤه » . وانظر مجمع الأمثال ١/ ١٧٤

(٢) س ، ا : « وكيف يتعرض »

(٣) س : « في التبيين »

(٤) م : « وشعر »

(٥) م : « منهاجاً . . . طريقاً »

وتبينت<sup>(١)</sup> ما يمكن فيه من<sup>(٢)</sup> التفاوت —: نظرت إلى نظم القرآن  
 نظرة أخرى، وتأملته مرة ثانية؛ فترأى بُعد موقعه، وعالي محله  
 وموضعه؛ وحكمت بواجب من اليقين، وثلج<sup>(٣)</sup> الصدر  
 بأصل الدين.

(١) ١، م: «وتصورت»

(٢) سقطت من م

(٣) م: «وثلج من الصدر». وفي اللسان ٣/ ٤٥ «وثلجت نفسي  
 بالشيء ثلجاً: اشتفت به واطمأنت إليه... وثلج قلبه: تيقن»

خطبة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه

قام خطيباً حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال <sup>(١)</sup> :

« أما بعد ؛ فَإِنِى وَلَيْتُ أُمِرْتُ ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ؛ وَلَكِنْ نَزَلَ  
الْقُرْآنُ ، وَسَنَّ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَعَلَّمَنَا فَعَلِمْنَا .  
وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ الثَّقَى ، وَأَنَّ أَحَقَّ الْحَقِّ الْفُجُورُ ؛  
وَأَنَّ أَقْوَامَ عِنْدِ الضَّعِيفِ ، حَتَّى آخَذَ لَهُ بِحَقِّهِ ؛ وَأَنَّ أَضْعَفَكُمْ عِنْدِ  
الْقَوَى ، حَتَّى آخَذَ مِنْهُ الْحَقُّ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ  
فَأَعِينُونِى ؛ وَإِنْ زُغْتُ فَقَوِّمُونِى <sup>(٢)</sup> » .

عهد لأبي بكر الصديق إلى عمر رضى الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر

(١) فى عيون الأخبار ٢ / ٢٣٤ « الهيثم ، عن مجالد ، عن الشعبي ،  
قال : لما بويج أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، صعد المنبر فنزل مرقاة من  
مقعد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « والخطبة فى  
العقد ٥٩ / ٤ باختلاف .

(٢) فى عيون الأخبار بعد ذلك : « أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم  
لى ولكم »



عهدِه بالدنيا، وأوَّلَ عهدِه بالآخرة ؛ سَاعَةً يُؤْمِنُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيَتَّقِي فِيهَا الْفَاجِرُ .

إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَإِنْ بَرَّ وَعَدَلْ : فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ ، وَرَأَيْ فِيهِ ؛ وَإِنْ جَارَ وَبَدَّلَ فَلَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ ، وَالْخَيْرَ أَرَدْتُ لَكُمْ<sup>(١)</sup> ؛ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا أُكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ؛ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ :  
دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ؛ فَقُلْتُ : أُرَاكَ بَارِئًا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنِّي — عَلَى ذَلِكَ — لَشَدِيدُ الْوَجَعِ ؛ وَلَمَّا لَقِيتُ مِنْكُمْ — يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ — أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِي .

إِنِّي وَلَّيْتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي ، فَكُلُّكُمْ وَرِمَ<sup>(٣)</sup> أَنْفَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ .

وَاللَّهُ لَتَسَخِذُنَّ نَضَائِدَ<sup>(٤)</sup> الدِّيَابِجِ وَسُتُورَ الْحَرِيرِ . وَلَتَأْكُلَنَّ النَّوْمَ

(١) م : « لَكُمْ »

(٢) ورد هذا العهد في الكامل للمبرد ١ / ٨

(٣) قال المبرد ١ / ٧ « يقول : امتلأ من ذلك غضباً . وذكر أنفه دون السائر ، كما يقال : فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه . وهذا يكون من الغضب »

(٤) قال المبرد : « واحدها نضيدة ، وهي الوسادة وما ينضد من المتاع ... ويقال : نضدت المتاع ، إذا ضمت بعضه إلى بعض ، فهذا أصله » .

على الصَّوْفِ الْأَذْرَبِيِّ<sup>(١)</sup>، كما يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ<sup>(٢)</sup>؛  
والذي نفسى يده لَأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتُضْرَبَ رَقَبَتُهُ فِي غَيْرِ حَدٍّ،  
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا.

يَا هَادِيَ الطَّرِيقِ جُرْتُ<sup>(٣)</sup>؛ إِنَّمَا هُوَ — وَاللَّهِ — الْفَجْرُ أَوِ الْبَجْرُ<sup>(٤)</sup>.  
قَالَ: فَقُلْتُ: خَفِّضْ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛  
فَإِنْ هَذَا يَهِيضُكَ<sup>(٥)</sup> إِلَى مَا بَكَ؛ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ صَالِحًا مُصْلِحًا، لَا تَأْمَى  
عَلَى شَيْءٍ فَاتَكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا؛ وَلَقَدْ تَخَلَّيْتُ بِالْأَمْرِ وَحْدَكَ، فَارَأَيْتَ  
إِلَّا خَيْرًا.

\*\*\*

وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما قلنا، منها قِصَّةُ  
السَّقِيفَةِ.

(١) قال المبرد ١/ ٦ «الأذر بي منسوب إلى أذربيجان».

(٢) قال المبرد: «السعدان نبت كثير الحسك (الشوك) تأكله الإبل  
فتسمن عليه، ويغذوها غداء لا يوجد في غيره، فمن أمثال العرب: مرعى ولا  
كالسعدان، تفضيلاً له».

(٣) س، ك: «جزت»

(٤) س، ك: «البحر» قال المبرد ١/ ٧ «يقول: إن انتظرت حتى  
يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك، وإن خبطت الظلمات وركبت العشاء  
هجماً بك على المكروه. وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيرها أهلها»

(٥) قال المبرد: «يهيضك، مأخوذ من قولهم: هيص العظم:  
إذا جبر ثم أصابه شيء يعنته فأذاه، فكسره ثانية أو لم يكسره، وأكثر ما يستعمل  
في كسره ثانية».

نسخة كتاب كتبه<sup>(١)</sup> أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل  
إلى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهم :

سلام عليك ؛ فإننا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .  
أما بعد ؛ فإننا عهدناك وأمرُ نفسك لك<sup>(٢)</sup> مُهمّ ؛ فأصبحتَ وقد  
وُلّيت أمرَ هذه الأمة أحمَرها ، وأسودّها ؛ يجلسُ بين يديك الصديقُ  
والعدوُّ ، والشريف والوضيع ؛ ولكلّ حصّته من العدل ؛ فانظر كيف  
أنت — يا عمر — عند ذلك ؛ فإننا نحذركَ يوماً تَعُو فيه الوجوهُ ،  
وتَجِبُ فيه القلوبُ .

وإنّا كنّا تحدّثُ أن أمرَ هذه الأمة يَرْجِعُ<sup>(٣)</sup> فى آخر زمانها ؛  
أن يكونَ إخوانُ العلانية أعداءَ السريّة ؛ وإنّا نعوذُ بالله أن تُنزلَ  
كتابنا سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا ؛ فإنّا إنما كتبنا إليك  
نصيحةً لك ؛ والسلامُ .

فكتب إليهما :

من عمر بن الخطاب ، إلى أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل :  
سلامٌ عليكما ؛ فإنى أحمّدُ إليكما الله الذى لا إله إلا هو<sup>(٤)</sup> .

(١) س ، ك : « كتب » .

(٢) م : « إليك » .

(٣) س ، ك : « أن هذه الأمة ترجع » .

(٤) فى سيرة عمر ص ٥٥٢ « أما بعد فإنى أوصيكما بتقوى الله ، فإنه رضا  
ربكما ، وحظ أنفسكما ، وغنيمة الأكياس لأنفسهم عند تفريط العجزة ، وقد  
بلغنى كتابكما . . . »

أما بعد ؛ فقد جاءني كتابكما ، ترعمان أنه بلغكما أني وليت أمر هذه الأمة : أحمرها وأسودها ، يجلس بين يدي الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ؛ وكتبتما : أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ؟ وإنه لا حول ولا قوة لعمر — عند ذلك — إلا بالله .

وكتبتما تحذرا نى ما حذرت به الأمم قبلنا ؛ وقديما كان اختلاف الليل والنهار بأجال الناس : يُقربان كل بعيد ، ويُبيلان كل جديد ، ويأتیان بكل موعود ؛ حتى يصير الناس إلى منازلهم ، من الجنة أو النار ؛ ثم تُوفى كل نفس بما كسبت ، إن الله سريع الحساب .

وكتبتما ترعمان أن أمر هذه الأمة يرجع فى آخر زمانها : أن يكون إخوان العلانية أعداء السريّة ؛ ولستم بذلك ، وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك <sup>(١)</sup> حين تظهر الرغبة والرغبة ؛ فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ، ورغبة بعض الناس إصلاح دنياهم .

وكتبتما نعوذانى بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما ؛ وإنما كتبتما نصيحة لى ؛ وقد صدقتكما ؛ فعهدا نى منكما بكتاب ؛ ولا غنى بى عنكما <sup>(٢)</sup> .

(١) م « ولستم بذلك . . . زمان هذا » .

(٢) الرياض النضرة ٦١ / ٢

عهد من عهود عمر رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عبد الله بن قيس<sup>(١)</sup> :  
سلام عليك .

أما بعد ؛ فَإِنَّ الْقَضَاءَ : فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ؛ فَافْهَمْ  
إِذَا أَدُلِّيَ إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ .

آس<sup>(٢)</sup> بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ  
شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا يَيْئَسُ ضَعِيفٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ عَدْلِكَ .

الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ؛ وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ  
الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صَلَاحًا أَحْلَ حَرَامًا ، أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا .

وَلَا يَمْنَعَنَّكَ<sup>(٥)</sup> قَضَاءُ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ — فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلُكَ ،  
وَهُدَيْتَ لِرُشْدِكَ — : أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةٌ  
الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

(١) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني  
الصحابي المشهور ، راجع تاريخ الإسلام ٢/ ٢٥٥ - ٢٥٨ والمعارف  
ص ١١٥ وابن سعد ٦/ ٩ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١٧٨  
(٢) قال المبرد ٩/ ١ « يقول : سَوَّ بينهم ، وتقديره : اجعل بعضهم أسوة  
بعض » .

(٣) قال المبرد : « أى في ميلك معه لشرفه » .

(٤) ك : « شريف » .

(٥) س ، ك : « ولا يمنحك » .

الفَهْمَ الفَهْمَ ، فيما تَلَجَّجَ في صدرك<sup>(١)</sup> ؛ مما ليس في كتاب ولا سَنَّة ؛ ثم اعرِفِ الأَشْبَاهَ والأمثال ، وقِسِ الأمورَ عند ذلك ، وانعِمْ إلى أَشْبَهَها بالحق .

واجملْ لمن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بينةً أمدًا<sup>(٢)</sup> ينتهي إليه ؛ فإن أَحْضَرَ بينةً أخذتَ له بحقه ؛ وإلا استحللتَ عليه القضية ؛ فإنه أَنفَى للشك ، وأَجْلَى للعمى .

المسلمون عُدُولٌ بعضهم على بعض ؛ إلا مُجَلِّدًا في حَدِّ ، أو مُجَرِّبًا عليه شهادة زور ، أو ظَنِينًا في ولاءٍ أو نسب<sup>(٣)</sup> ؛ فإن الله تولى منكم السرائر ، ودَرَأَ بالإيمان والبيِّنات<sup>(٤)</sup> .

وإِيَّاكَ والغُلُقَ<sup>(٥)</sup> والضجر ، والتأذَى بالخصوم ، والتَّنَكُّرَ عند

(١) قال المبرد ١٠ / ١ « يقول : تردد ، وأصل ذلك المضغة والأكنة يرددها الماضغ في فيه ، فلا تزال تتردد إلى أن يسيحها أو يقذفها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى »  
(٢) ك : « أمرًا » .

(٣) فسَّرَ المبرد : « الظنين بأنه المتهم ، ثم قال : « وإنما قال عمر ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : ملعون ملعون من انتمى إلى غير أبيه ، أو ادعى إلى غير مواليه . فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعًا »  
(٤) قال المبرد « ودَرَأَ ، إنما هو دفع ، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادروا الحدود بالشبهات » .

(٥) س ، ك : « والغلو » وفي عيون الأخبار والبيان والتبيين : « والغلق » . قال المبرد : « وأما قوله : إِيَّاكَ والغُلُقَ والضجر فإنه ضيق الصدر وقلة الصبر ، يقال في سوء الخلق : رجل غلق . وأصل ذلك من قولهم : أُغْلِقَ عليه أمره ، إذا لم يتضح ولم ينفتح . من ذلك قولهم : غلقَ الرهنُ أى لم يوجد له تخلص ، وأغلقت الباب من هذا » .

الخصومات<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعْظَمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ،  
وَيُحْسِنُ بِهِ الذُّخْرَ ؛ فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ  
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ؛ وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ ،  
شَانَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ ، وَخَزَائِنِ  
رَحْمَتِهِ ؛ وَالسَّلَامُ .

ولعمري رضي الله عنه خطبة مشهورة مذكورة في التاريخ ، لم  
ننقلها اختصاراً .

\*\*\*

ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

خطبة له<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه

قال : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً ، وَإِنَّ لِكُلِّ نِعْمَةٍ عَاهَةً ؛ وَإِنَّ عَاهَةَ<sup>(٤)</sup>  
هَذَا الدِّينِ عِيَابُونَ ظَنَّاؤُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، وَيُسْرُونَ

( ١ ) ما هنا يوافق ما في الكامل . وفي البيان والتبيين « والتنكر للخصوم في  
مواطن الحق ، التي يوجب الله بها الأجر ، فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله  
تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس » .

( ٢ ) في البيان « ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله  
ستره ، وأبدى فعله فما ظنك »

( ٣ ) ك ، أ « خطبة لعثمان »

( ٤ ) ك : « عاهة هذا الدين » س « عاهة ، في هذا الدين »

ما تَكْرَهُونَ ، يَقُولُونَ لَكُمْ وَتَقُولُونَ ؛ طَعَامٌ <sup>(١)</sup> مِثْلُ النَّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ  
أَوَّلَ نَاعِقٍ ؛ أَحَبُّ مَوَارِدِهِمْ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ .

لقد أقررتُم لابن الخطاب بأكثر مما تَقْتُمُ عَلَى ؛ ولكنه وَقَمَّكُمْ  
وَقَمَّكُمْ ، وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ النَّعَامِ الْمُخَزَمَةِ <sup>(٢)</sup> . والله إني لأقربُ  
ناصرًا ، وأعزُّ نَفَرًا <sup>(٣)</sup> ، وَأَقْمَنُ — إِنْ قُلْتُ : هَلُمَّ — : أَنْ تُجَابَ  
دَعْوَتِي ؛ مِنْ عُمَرَ .

هل تفقدون من حقوقكم شيئًا ؟ فإلى لا أفعل في الحق ما أشاء ؟  
إِذَا فَلَمْ كُنْتُ إِمَامًا ؟ !

كتابه إلى عليّ حين حُصِرَ — رضى الله عنهما

أما بعد ؛ فقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ، وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطُّبَيِّينَ <sup>(٤)</sup> ،  
وَطَمِعَ فِي مَنْ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ . فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا : فَأَقْبِلْ إِلَيَّ ،  
عَلَى كُنْتَ أَمَّ لِي .

(١) في اللسان ٢٦١ / ١٥ « الطعام أُرْذَالُ النَّاسِ وَأَوْغَادُهُمْ . . . قال  
الأزهري : وسمعت العرب تقول للرجل الأحمق : طغامة ، والجميع الطعام »  
(٢) في اللسان ٦٤ / ١٥ « والخزَم من نعت النعام ، قيل له مخزَم لثقب  
في منقاره »

(٣) في البيان والتبيين ٣٧٧ / ١ بعد ذلك : فضل فضل من مالى ، فإلى لا  
أفعل في الفضل ما أشاء ؟ ! »

(٤) قال المبرد ١٢ / ١ « الزبية : مصيدة الأسد ، ولا تتخذ إلا في قلة أو  
رابية أو هضبة . . . وقوله : وبلغ الحزام الطبيين ، فإن السباع والخيل يقال لموضع  
الأخلاف منها : أطباء ، واحداها طبي . . . فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في  
المكروه »



فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤَلَا : فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ ؛  
وَلَا فَأَذْرِكُنِي وَلَمْ أَمْزُقِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

قال : لما قُبِضَ أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ،  
كيوم قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وجاء علي باكيًا مُسْتَرْجِعًا<sup>(٢)</sup> ،  
وهو يقول : اليوم انقطعت خلافة النبوة ، حتى وقف على باب البيت  
الذى فيه أبو بكر ؛ فقال :

رحمك<sup>(٣)</sup> الله أبا بكر ؛ كنت إلف رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأُنسَه ، وثقته وموضع سرّه ؛ كنت أوّل القوم إسلامًا ، وأخلصهم  
إيمانًا ، وأشدّهم يقينًا ؛ وأخوفهم لله ، وأعظمهم غناءً في دين الله ،  
وأخوطةهم على رسول الله<sup>(٤)</sup> ، وأثبتهم<sup>(٥)</sup> على الإسلام ، وأيمنهم على  
أصحابه ، وأحسنهم صحبة ؛ وأكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق ؛

(١) البيت للمزق العبدى من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان ابن المنذر ،  
كما فى اللسان ٢١/١٣ وطبقات فحول الشعراء ص ٢٣٢ والشعر والشعراء ١/٣٦٠  
وبقية القصيدة فى الأصمعيات ص ٤٧

(٢) م : « متوجعا »

(٣) م : « يرحمك »

(٤) س ، ك : « على رسوله »

(٥) ك : « وأيمنهم »

وأرفعهم درجةً ، وأقربهم وسيلةً ؛ وأشبههم برسول الله <sup>(١)</sup> صلى الله عليه وسلم سنناً <sup>(٢)</sup> وهدياً ، ورحمةً وفضلاً ؛ وأشرفهم منزلةً ، وأكرمهم عليه ، وأوثقهم عنده .

فجزاك <sup>(٣)</sup> الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً . كنت عنده بمنزلة السَّمْع والبَصَرِ .

صَدَّقَت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كَذَّبَ به الناسُ ، فَسَمَّاكَ في تَنْزِيلِهِ صِدِّيقاً ؛ فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ <sup>(٤)</sup> ﴾ . وَاسْتَبْتَهُ حينَ بَخِلُوا ، وَقَتَّ مَعَهُ عندَ المَكَارِهِ حينَ قَعَدُوا ؛ وَصَحِبْتَهُ في الشَّدَائِدِ أكرمَ الصُّحْبَةِ ، ثَانِي اثْنَيْنِ وصاحبه <sup>(٥)</sup> في الغارِ ، والمَنْزِلِ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ؛ وَرَفِيقَهُ في الهَجْرَةِ ، وَخَلِيفَتَهُ في دِينِ الله وفي أُمَّتِهِ - أَحْسَنَ الخُلَافَةِ - حينَ ارْتَدَّ النَّاسُ ، فَهَضَمْتَ حينَ وَهَنَ أَصْحَابُكَ ، وَبَرَزْتَ حينَ اسْتَكَاثُوا ، وَقَوَّيْتَ حينَ ضَعُفُوا ، وَقَتَّ بِالْأَمْرِ حينَ فَشَلُوا ، وَنَطَقْتَ حينَ تَتَعَمَّعُوا <sup>(٦)</sup> ؛ مَضَيْتَ بنورٍ : إِذْ وَقَفُوا ؛ وَاتَّبَعُوكَ فَهَدُّوا .

(١) س ، ك : « وأقربهم برسول الله »

(٢) م : « سمناً »

(٣) س ، ك : « جزاك »

(٤) سورة الزمر ٣٣

(٥) م : « اثنين إذا هما » .

(٦) س : « حين تبجعوا » وفي اللسان ٩ / ٣٨٤ « والتتعة في الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أوعى ، ومنه الحديث : الذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه ، أى يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه » .

وكنْتَ أَضُوبَهُمْ مَنْطِقًا ، وَأَطُولَهُمْ صَمْتًا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ،  
 وَأَكْثَرَهُمْ رَأْيًا ، وَأَشْجَعَهُمْ نَفْسًا ؛ وَأَعْرَفَهُمْ بِالْأُمُورِ ، وَأَشْرَفَهُمْ عَمَلًا .  
 كُنْتَ لِلدِّينِ يَعْسُوبًا<sup>(١)</sup> ، أَوْ لَا : حِينَ تَفَرَّعَ عَنْهُ النَّاسُ ؛ وَآخِرًا :  
 حِينَ قَفَلُوا<sup>(٢)</sup> ؛ وَكُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَبَا رَحِيمٍ ؛ إِذْ صَارُوا عَلَيْكَ عِيَالًا ؛  
 فَحَمَلْتَ أَثْقَالَ مَا ضَعُفُوا عَنْهُ<sup>(٣)</sup> ، وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا ؛ وَحَفِظْتَ  
 مَا أَضَاعُوا ؛ شَمَرْتَ إِذْ خَنَعُوا ؛ وَعَلَوْتَ إِذْ هَلَعُوا ؛ وَصَبَرْتَ إِذْ جَزَعُوا ؛  
 وَأَدْرَكْتَ أَوْ تَارَ مَا طَلَبُوا ؛ وَرَاجَعُوا رُشْدَهُمْ بِرَأْيِكَ فَظَفِرُوا ،  
 وَنَالُوا بِكَ مَا لَمْ يَخْتَسِبُوا .

وكنْتَ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيْهِ  
 فِي مُحَبَّتِكَ وَذَاتِ يَدِكَ ؛ وَكنْتَ كما قال : ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا  
 فِي أَمْرِ اللَّهِ ، مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ ، جَلِيلًا فِي أَعْيُنِ  
 النَّاسِ<sup>(٤)</sup> ، كَبِيرًا فِي أَنْفُسِهِمْ .

لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ<sup>(٥)</sup> فِيكَ مَغْمَزٌ ، وَلَا لِأَحَدٍ مَطْمَعٌ ؛ وَلَا لِلْمَخْلُوقِ  
 عِنْدَكَ هَوَادَةٌ ؛ الضَّعِيفُ الدَّلِيلُ عِنْدَكَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ، حَتَّى تَأْخُذَ لَهُ

( ١ ) فِي اللِّسَانِ ٢ / ٨٩ « الْيَعْسُوبُ : السَّيِّدُ وَالرَّئِيسُ وَالْمَقْدَّمُ ، وَأَصْلُهُ  
 أَمِيرُ النَّحْلِ وَذَكَرُهَا »

( ٢ ) س « حِينَ أَقْبَلُوا » ك : « حِينَ قَبِلُوا » وَمَعْنَى قَفَلُوا : رَجَعُوا ،  
 يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الرَّدَّةِ .

( ٣ ) سَقَطَتْ مِنْ ك ، س

( ٤ ) م « فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ »

( ٥ ) أ « لِأَحَدِهِمْ »

بِحَقِّهِ ؛ والقوى العزيزُ عندَكَ ضعيفٌ ذليلٌ ، حتى تأخذَ منه الحقَّ ؛ أقربُ والبعيدُ عندَكَ سواءٌ ؛ أقربُ الناسِ إليك أطوعُهُمُ لله .

شأنُكَ الحقُّ والصدقُ والرفقُ<sup>(١)</sup> ؛ وقولُكَ حكمٌ وحَمٌّ<sup>(٢)</sup> ، وأمرُكَ حِلْمٌ<sup>(٣)</sup> وحزمٌ ، ورأيُكَ علمٌ وعزمٌ ؛ فأبلغتَ وقد نهجَ السبيلُ ، وسهَّلَ العسيرُ ؛ وأطفأتَ النيرانَ ، واعتدلَ بك الدينُ ، وقوى الإيمانُ ، وظهرَ أمرُ الله ولو كره الكافرونُ ؛ وأتعبتَ مَنْ بعدَكَ إتماماً شديداً ، وفزتَ بالخيرِ فوزاً عظيماً<sup>(٤)</sup> ؛ فجَلَلْتَ عن البكاء ، وعَظُمْتَ رَزيَّتُكَ في السماء ؛ وهَدَّتْ مصيبتُكَ الأيامَ ؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ؛ رَضِينَا عن الله قضاءه ، وسَلَّمْنَا له أمره ؛ فوالله لن يُصابَ المسلمون بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بمثلِكَ أبداً ؛ فألحقَكَ الله بنبيه ، ولا حَرَمْنَا أجْرَكَ ، ولا أضَلْنَا بعدَكَ .

وسكتَ الناسُ حتى انقضى كلامُهُ ، ثم بكوا حتى علتْ أصواتُهُم .

\*\*\*

(١) سقطت هذه الكلمة من م .

(٢، ٣) مكان هاتين الكلمتين بياض في ك ، س

(٤) س ، ك : « بالجد فوزاً مبيناً »

## خطبة أخرى لعلّي رضى الله عنه

أما بعد ؛ فإن الدنيا قد أذبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد  
أقبلت وأشرقت باطلاع ؛ وإن المصمار اليوم ، وغدا السباق .  
ألا وإنكم فى أيام مهل ، ومن ورائه أجل ؛ فمن أخلص فى أيام  
مهله <sup>(١)</sup> فقد فاز ؛ ومن قصر فى أيام مهله <sup>(٢)</sup> ، قبل حضور أجله ،  
فقد خسر عمله ، وضره أمله .

ألا فاعملوا لله فى الرغبة ؛ كما تعملون له فى الرهبة .  
ألا وإنى لم أرَ كالجنة نام طالبيها ؛ ولا كالنار نام هاربيها .  
ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره <sup>(٣)</sup> الباطل ؛ ومن لم يستقم <sup>(٤)</sup>  
به الهدى يجر به الضلال .

ألا وإنكم قد أمرتم بالظن ، ودلّتم على <sup>(٥)</sup> الزاد .  
ألا وإنّ أخوف ما أخاف عليكم أتباع <sup>(٦)</sup> الهوى ، وطول  
الأمل <sup>(٧)</sup> .

(٢،١) س ، ك : « أمله . . أمله »

(٣) س ، ك : « يضره »

(٤) ك : « ومن لا يستقيم »

(٥) م : « عن »

(٦) سقطت من س ، ك

(٧) الخطبة فى عيون الأخبار ٢/٢٣٥ والبيان والتبيين ٢/٥٢ ونهج البلاغة ١/٦٦

\* \* \*

وخطب رضى الله عنه ، فقال بعد حمد الله :  
 أيها الناس ؛ اتقوا الله ؛ فما خُلقَ أمرؤُ عبثًا فيلهو ، ولا أهملَ سُدىً  
 فيلغو ؛ ما دُنياه التي تمسّنت إليه بخلفٍ من الآخرة التي قبجها سوء  
 النظر إليه ؛ وما الخسيسُ الذي ظفر به — من الدنيا — بأعلى همته <sup>(١)</sup> ؛  
 كالآخر الذى ذهب <sup>(٢)</sup> من الآخرة من سهمته <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وكتب على رضى الله عنه إلى عبد الله بن عباس  
 رحمة الله عليهما ، وهو بالبصرة :

أما بعد ؛ فإن المرء يُسر <sup>(٤)</sup> بدرك ما لم يكن ليُحرّمه ، ويسوءه  
 فوّت ما لم يكن ليُذكره ؛ فليكن سرورك بما قدّمت : من أجرٍ  
 أو منطلق ؛ وليكن أسفك فيما فرّطت فيه من ذلك .  
 وانظر ما فاتك من الدنيا : فلا تُكثِر عليه جزعًا ؛ وما نلتَه :  
 فلا تنعم به فرحًا ؛ وليكن همك لما بعد الموت <sup>(٥)</sup> .

(١) م : « هميه »

(٢) س ، ك : « الذى ظفر به من الآخرة »

(٣) م : « من سهمته » والسهمَةُ : النصيب كما فى اللسان ١٥ / ٢٠٠

(٤) م : « ليسر »

(٥) نهج البلاغة ٣/ ٢٣-٢٤ والأمالى لأبى على القالى ٩٤/٢ .

كلام لابن عباس رضي الله عنه

قال عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ لابن عباس : مَا مَنَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْعَثَكَ مَكَانَ أَبِي مُوسَى ، يَوْمَ الْحَكَمَيْنِ ؟  
قال : مَنَعَهُ — وَاللَّهِ — مِنْ ذَلِكَ حَاجِزُ الْقَدَرِ ، وَقِصَرُ الْمُدَّةِ ، وَمُحَنَةُ الْإِبْتِلَاءِ .

أَمَّا وَاللَّهِ ، لَوْ بَعَثَنِي مَكَانَهُ لَاعْتَرَضْتُ لَهُ فِي مَدَارِجِ نَفْسِهِ ، نَاقِضًا لِمَا أَبْرَمَ ، وَمُثْبِتًا لِمَا نَقَضَ ؛ أَسِفٌ إِذَا طَارَ ، وَأَطِيرُ إِذَا أَسَفَ ؛ وَلَكِنْ مَضَى قَدَرٌ ، وَبَقِيَ أَسَفٌ ؛ وَمَعَ يَوْمِنَا غَدٌ ؛ وَالْآخِرَةُ خَيْرُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ الْأُولَى .

\*\*\*

خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ؛ وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى ؛ خَيْرُ الْمِلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَأَحْسَنُ السُّنَنِ سُنَّةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ؛ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّاتُهَا ؛ مَا قَلَّ وَكَثِيَ ، خَيْرُهُ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى ؛ خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ؛ وَخَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ؛ الْخَيْرُ جَمَاعُ الْإِثْمِ ؛ النِّسَاءُ حِبَالَةُ<sup>(١)</sup> الشَّيْطَانِ ؛ الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ ؛ حُبُّ الْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ الْمَعْجَزَةِ . مِنْ

(١) م «حبال»

الناسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دَبْرًا ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا ؛  
 أَعْظَمُ الْخَطَايَا اللِّسَانُ الْكَذُوبُ ؛ سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ ، وَقِتَالُهُ  
 كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ ؛ مَنْ يَتَّأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ <sup>(١)</sup> ؛ مَنْ  
 يَفْقَرُ يُفْقَرُ لَهُ ؛ مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عَنِّي عَنْهُ .  
 الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ؛ الْأُمُورُ  
 بِعَوَاقِبِهَا ؛ مِلَّاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ <sup>(٢)</sup> ؛ أَشْرَفُ الْمَوْتِ الشَّهَادَةُ ؛ مَنْ  
 يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يُنْكَرُهُ .

\*\*\*

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

قال الراوى : لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِمَوْلَى لَهُ : مَنْ بِالْبَابِ ؟

فَقَالَ : نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَبَاشِرُونَ بِمَوْتِكَ !

فَقَالَ : وَيَحْكُ ، وَلَمْ ؟ ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> ؛  
 فَأَوْجَزَ ؛ ثُمَّ قَالَ :

(١) فِي اللِّسَانِ ١٨ / ٤٣ « مَنْ يَتَّأَلَّ عَلَى اللَّهِ يَكْذِبُهُ » أَيْ مِنْ حَكَمٍ عَلَيْهِ  
 وَحَلَفَ ، كَقَوْلِكَ : وَاللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ اللَّهُ فُلَانًا النَّارَ وَيَنْجِجَنَّ اللَّهُ سَعْيَ فُلَانٍ «  
 (٢) م « خَوَاتِمُهُ » وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ١ / ٥٧ بَعْدَ ذَلِكَ : « أَحْسَنُ الْهُدَى  
 هُدَى الْأَنْبِيَاءِ . أَقْبَحُ الْفَضْلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى »  
 (٣) س ، ك : « فَحَمِدَ اللَّهُ فَأَوْجَزَ »



أيها الناس ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ ؛ يُعَدُّ فِيهِ  
الْمَحْسَنُ مَسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُورًا ؛ لَا تَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ  
عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا تَخُوفٌ <sup>(١)</sup> قَارِعَةٌ حَتَّى تَحُلَّ بِنَا ؛ فَالْأَنَاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ  
أَصْنَافٍ :

مِنْهُمْ : مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفُسَادُ فِي الْأَرْضِ لَا مَهَانَةً نَفْسِهِ ، وَكِلَالَ  
حَدِّهِ ، وَنَضِيبُ <sup>(٢)</sup> وَفَرِهِ .

وَمِنْهُمْ : الْمُصْلِتُ <sup>(٣)</sup> لِسَيْفِهِ ، وَالْمُجْلِبُ بِرِجْلِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَالْمَعْلَنُ <sup>(٥)</sup> بِبَشَرِهِ ؛  
قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ <sup>(٦)</sup> ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ ؛ لِحُطَامٍ <sup>(٧)</sup> يَنْتَهَزُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ <sup>(٨)</sup>  
يَقْوُدُهُ ، أَوْ مَنِيرٍ يَفْرَعُهُ <sup>(٩)</sup> ؛ وَبِئْسَ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَاهَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ،  
وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَظًا .

(١) س ، ك : « من قارعة »

(٢) م : « وقصيص »

(٣) س ، ك : « المسلط » وفي اللسان ٢ / ٣٥٨ « وأصلت السيف :

جرد من غمده فهو مصلت »

(٤) في اللسان ١ / ٢٦٥ « وأجلب الرجلُ الرجلَ إذا توعده بشره وجمع

الجمع عليه ، وكذلك جلب يجلب جلبا ، وفي التنزيل : ( وأجلب عليهم بخيلك  
ورجلك ) أي اجمع عليهم وتوعدهم بالشر »

(٥) ك : « والمعلق بشره »

(٦) م : « قد أشرك » ، ومعنى « أشراط نفسه » : أي هياها

(٧) م : « بحطام »

(٨) وفي اللسان ٢ / ١٨٤ « المقنب بالكسر : جماعة الخيل والفرسان »

(٩) س ، ك : « يقرعه » ، ومعنى « يفرعه » : يعلوه

ومنهم : مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ؛ وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ؛ قَدْ طَافَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَرَ مِنْ ثَوْبِهِ ؛ وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ .  
ومنهم : مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ الْمُلْكِ ضُئُولُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَاتَّقَطَعَ سَبِيلُهُ ؛ فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنِ حَالٍ<sup>(١)</sup> ؛ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ الزَّهَادِ ؛ وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَقْدَى .

وَبَقِيَ رَجَالُ أَغْضٍ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْحَشَرِ ؛ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ<sup>(٢)</sup> نَادٍ ، وَخَائِفٍ مُتَّقِمٍ<sup>(٣)</sup> ، وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ<sup>(٤)</sup> ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَمُوجِعٍ تَكْلَانٍ ؛ قَدْ أَخْلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وَشَمَلَتْهُمْ الدِّلَّةُ ؛ فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ دَامِيَةٌ<sup>(٥)</sup> ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ<sup>(٦)</sup> ؛ قَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا ، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا .

(١) كَذَا فِي م وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٤ / ٨٩ وَ ١ « الْحَالُ عَلَى مَالِهِ » وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ ٢ / ٢٣٨ « عَلَى حَالِهِ » وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٢ / ٦٠ « الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ » وَفِي ك ، س « فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ »

(٢) س ، ك : « شَدِيدٌ نَادٍ » وَفِي الْعَقْدِ وَم « شَرِيدٌ بَادٍ » وَالنَّادِ : النَّافِرُ الذَّاهِبُ عَلَى وَجْهِهِ

(٣) س : « مُتَّقِمٌ » وَفِي اللِّسَانِ ١٠ / ١٦٨ « وَقَمَعَ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ وَانْقَمَعَ دَخَلُهُ مُسْتَخْفِيًا »

(٤) فِي اللِّسَانِ ١٥ / ٤٢٦ « مَكْمُومٌ : قَدْ سَدَّ الْخُوفُ فَهُ فَنَعَمَ مِنْ الْكَلَامِ »

(٥) فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ٢ / ٦٠ « ضَامِرَةٌ » وَفِي م « أَقْدَامُهُمْ دَامِيَةٌ »

(٦) س ، ك : « قَرِيحَةٌ »

فلتكن الدنيا في عيونكم أقلّ من حثّاة القرظ<sup>(١)</sup> ، وقراضة الجلم<sup>(٢)</sup> ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ؛ فارفضوها ذميمة ؛ فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم<sup>(٣)</sup> .

خطبة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

أيها الناس ، إنكم ميّتون ، ثم إنكم مبعوثون ، ثم إنكم محاسبون ؛ فلمرى : لئن كنتم صادقين ، لقد قصّرتم ؛ ولئن كنتم كاذبين ، لقد هلكتم .

يا أيها الناس ؛ إنه من يُقدّر له رزق برأس جبل ، أو بحضيض

(١) م : « حثّاة » وفي اللسان ٣٢٦/٢ « حثات كل شيء » : ما تحات منه ، أى تنأثر « وفي ١٣ / ١٥٠ » وحثالة القرظ : نفايته ، ومنه قول معاوية في خطبته : فأنا في مثل حثالة القرظ ، يعنى الزمان وأهله « (٢) في اللسان ٨٢/٩ « والقراضة : ما سقط بالقرض . وقراضات الثوب :

الفضالة التى يقطعها الخياط وينفيها الجلم » والجلم : المقص (٣) عقب الجاحظ على هذه الخطبة بقوله ٢ / ٦١ « وفي هذه الخطبة - أبقاك الله - ضروب من العجب : منها أن الكلام لا يشبه الذى من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أن هذا المذهب فى تصنيف الناس ، وفى الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف ، أشبه بكلام على رضى الله عنه ومعانيه وحاله - منه بحال معاوية . ومنها أنا لم نجد معاوية فى حال من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد . وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم » وقد قال الرضى فى نهج البلاغة ١ / ٧٦ إنها من كلام على الذى لا يشك فيه ، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١ / ١٧٢ .

أَرْضٍ - يَأْتِهِ ؛ فَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ <sup>(١)</sup> .

خطبة للحجاج بن يوسف

حَمْدُ اللَّهِ ، وَأَتْنِي عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup> ؛ ثُمَّ قَالَ :

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَيَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَمَسَاوِيَ الْأَخْلَاقِ ؛  
وَبَنِي اللَّكِيْمَةِ ، وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ بِالْقَرْقَرِ <sup>(٣)</sup> ؛  
إِنِّي سَمِعْتُ تُكْبِيرًا لَا يُرَادُّ بِهِ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُرَادُّ بِهِ الشَّيْطَانُ ؛ وَإِنَّمَا مِثْلِي  
وَمِثْلُكُمْ ، مَا قَالَهُ ابْنُ بَرَّاقَةَ الْهَمْدَانِيُّ <sup>(٤)</sup> :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ      فَهَلْ أَنَا فِي ذَا ، يَا لَهْمْدَانَ ، ظَالِمٌ  
مَتَى تَجْمَعُ الْقُلُوبَ الذِّكْيَ وَصَارِمًا      وَأَنْفًا حَمِيًّا ، تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ <sup>(٥)</sup>  
أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَقْرَعُ عَصَا عَصَا ، إِلَّا جَعَلْتُهَا <sup>(٦)</sup> كَأَمْسِ الدَّائِرِ .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨

(٢) في البيان والتبيين ١٣٧ / ٢ عن الهيثم بن عدي قال « أنبأني ابن عياش ، عن أبيه قال : خرج الحجاج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السوق فراحه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :  
(٣) في اللسان ١٠ / ١٢٦ « الفقع والفقع بالفتح والكسر : الأبيض الرخوم من الكهانة وهو أردوها . . . ويشبه به الرجل الذليل فيقال : هو فقع قرقر ، ويقال أيضاً : أذل من فقع بقرقر ؛ لأن الدواب تنجله بأرجلها » والقرقر : الأرض المنخفضة

(٤) هو عمرو ابن بريقة ، وهو ابن منبه بن شهر الهمداني ، شاعر فاتك ، جاهلي إسلامي . نُسب إلى أمه بريقة ، راجع المؤلف والمختلف للآمدی ص ٦٦ - ٦٧ والأغاني ٢١ / ١٧٥

(٥) ١ : « القلب الكمي »

(٦) ٦ : « إلا جعلها » وفي ١ ، م « كالأمس »

### خطبة لقُسّ بن ساعدة الإيادي<sup>(١)</sup>

أخبرني محمد بن عليّ الأنصاري<sup>(٢)</sup> بن محمد بن عامر ، قال : حدثنا عليّ بن إبراهيم ، حدثنا عبدُ الله بن داودَ بن عبد الرحمن العمري ؛ قال : حدثنا الأنصاريُّ عليّ بن محمد الحنظليّ — من ولد حنظلة الغسيل — حدثنا جعفر بن محمد ، عن محمد بن حسان<sup>(٣)</sup> ، عن محمد ابن حجاج اللخمي<sup>(٤)</sup> ، عن مُجالد<sup>(٥)</sup> ، عن الشَّعْبِيّ ، عن ابن عباس ؛ قال :

لما وَفَدَ وفدُ عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
أيكم يعرف قُسَّ بن ساعدة ؟

(١) م : « رضى الله عنه » !

(٢) هذه الكلمة من ك فقط

(٣) هو محمد بن حسان بن خالد السمطي ، أبو جعفر البغدادي . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين راجع خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨٣

(٤) هو أبو إبراهيم محمد بن الحجاج ، من أهل واسط ، سكن بغداد ، وحدث بها عن عبد الملك بن عمير ، ومجالد بن سعيد . وهو كذاب خبيث منكر الحديث ، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أطمعني جبريل الهريسة لتشد ظهري لقيام الليل » ؛ وقد توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . وترجمته في تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٢

(٥) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ، أبو عمرو الكوفي . ضعفه ابن معين . وقال ابن عدى : إن ما يرويه غير محفوظ . مات سنة أربع وأربعين ومائة ، كما في خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٥

قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله <sup>(١)</sup> .

قال : لست أنساه بعكاظ ، إذ وقف على بعير له أحمر ، فقال :  
أيها الناس اجتمعوا ، وإذا اجتمعتم فاسمعوا ، وإذا سمعتم فقموا ؛  
وإذا وعيتم فقولوا ، وإذا قلتم فاصدقوا ؛ من عاش مات ، ومن مات  
فات ؛ وكل ما هو آت آت .

أما بعد ، فإن في السماء خبراً ، وإن في الأرض لعبراً ؛ مهاد  
موضوع ، وسقف مرفوع ؛ ونجوم تمور ، وبحار لا تغور ؛ أقسم بالله  
قسماً حقاً ، لا كاذباً فيه ولا آثماً ، لئن كان في الأرض رضا  
ليكوننَّ سخطاً <sup>(٢)</sup> ؛ إن الله تعالى ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي  
أتم عليه ، وقد آتاكم آوانه ، ولحقكم مدته .

مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرصوا بالمقام فأقاموا ؟  
أم تركوا فناموا ؟

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم يروى شعره ؟  
فأنشدوه :

(١) حديث قس بن ساعدة طرقه كلها ضعيفة ، كما قال الحافظ  
ابن حجر في الإصابة ٥ / ٢٨٥ - ٢٨٦ وانظر ترجمته في البداية والنهاية لابن  
كثير ٢ / ٢٣٠ - ٢٣٧ وعيون الأثر لابن سيده الناس ١ / ٦٨ - ٧٢ وتاريخ  
بغداد ٢ / ٢٨٣ والأغانى ١٤ / ٤١ - ٤٣ والبيان والتبيين ١ / ٣٠٨ - ٣٠٩  
والمعمرين للسجستاني ص ٦٩ - ٧٠ وجمع الأمثال ١ / ١١٧ - ١١٨  
وخزانة الأدب ١ / ٢٦٣ - ٢٦٨ .

(٢) س : « سخط »

فِي الدَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَسْعَى الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ  
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِيَ إِلَيْنِي وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ  
أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

\*\*\*

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ <sup>(١)</sup>  
ابْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَا ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ ،  
عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ وَفْدًا مِنْ إِيَادٍ قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِ قُسٍّ بْنِ سَاعِدَةَ ، فَقَالُوا : قَالَ قُسٌّ :

يَا نَاعِي الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَثٍ  
عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا بَزَّهِمْ خِرَقُ  
دَعْوُهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُّ بِهِمْ  
كَمَا يَنْبَغُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعِقِ <sup>(٢)</sup>  
مِنْهُمْ عُرَاةٌ وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ  
مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَوْرَقُ الْخَلْقُ <sup>(٣)</sup>

(١) م : « الحسن »

(٢) في المعمرين بعد هذا البيت :

حتى يجيء بحال غير حالهم خلق مضوا ثم ماذا بعد ذلك لقوا  
(٣) في المعمرين ص ٧١ « منهم عرأة وموتى في ثيابهم »

مطر ونبات<sup>(١)</sup> ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآتٍ ، وآياتٌ في إثر آياتٍ ، وأموات بعد أموات . ضوء وظلام ، وليال وأيام ؛ وغنى وفقير ، وشقى وسعيد ، ومحسن ومسيء . أين الأربابُ الفعلة ، ليصلحن كل عامل عمله .

كلا ، بل هو الله واحد ؛ ليس بمولود ولا والد ؛ أعاد وأبدى<sup>(٢)</sup> ؛ وإليه المآب غداً .

أما بعد ، يا معشر إياد ؛ أين ثمود وعاد ؛ وأين الآباء والأجداد ؟ أين الحسن الذي لم يشكر ؟ أين الظلم الذي لم ينقم<sup>(٣)</sup> ؟ كلا ورب الكعبة ليعودنَّ ما بدا ، ولئن ذهب يوم ليعودنَّ يوم .

قال : وهو قس بن ساعدة<sup>(٤)</sup> بن حُذاق بن ذهل بن إياد بن نزار ، أوّل من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأوّل من توكأ على عصا<sup>(٥)</sup> ، وأوّل من تكلم بـ « أما بعد »<sup>(٥)</sup> .

(١) في المعمرين « قال أبو حاتم : وذكر حزم بن أبي راشد قال : أُملى على رجل من أهل خراسان من مواعظ قس : مطر . . . »

(٢) م : « وأبدأ » ك : « وأبداء »

(٣) س : « الظالم » وفي البيان والتبيين ١ / ٣٠٩ « والظلم الذي لم ينكر » .

(٤) في جهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٨ « قس بن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدى بن مالك . . . » وفي المعمرين غير ذلك فراجعه هناك ص ٦٩ .

(٥) ما بين الرقمين ساقط من ا ، م وثابت في ب و ك ، والمعمرين ص ٦٩ .



## خطبة لأبي طالب

الحمد لله الذى جعلنا من ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَزَرَعَ إِسْمَاعِيلَ ؛ وجعل لنا  
 بلدًا حَرَامًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ؛ وجعلنا الحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ .  
 وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، ابْنَ أَخِي ، لَا يُوَازِنُ<sup>(١)</sup> بِهِ قَتَى مِنْ قُرَيْشٍ  
 إِلَّا رَجَحَ بِهِ : بَرَكَةً وَفَضْلًا عَدْلًا ، وَتَجْدَادًا وَنُبْلًا ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ  
 مُقْلًا ؛ فَإِنَّ الْمَالَ عَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ؛ وَلَهُ فِي خَدِيجَةَ بِنْتِ  
 خُوَيْلِدٍ رَغْبَةٌ ، وَلَهَا فِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ ؛ وَمَا أَرَدْتُمْ مِنَ الصَّدَاقِ فَعَلَى<sup>(٢)</sup> .

(١) م : « لَا أَزِنُ »

(٢) صبح الأعشى ٢١٣/١

\* \* \*

قد نسختُ لكُ جملاً من كلام الصّدر الأوّل ومُحاوراتهم وخطبهم ، وأحيلك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنّفة في هذا الشأن . فتأمل ذلك ، وسائر ما هو مسطرّ من الأخبار الماثورة عن السلف ، وأهل البيان واللّسن ، والفصاحة والفطن ؛ والألفاظ المنثورة ، والمحاطبات الدائرة بينهم ، والأمثال المنقولة عنهم . ثم انظر بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفرّغ لبّ ، ومُجمع عقل ، في ذلك ، فسيقع لك الفضل <sup>(١)</sup> بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين ، وتعلم أن نظم القرآن يخالف نظم <sup>(٢)</sup> كلام الآدميين ، وتعلم الحدّ الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ ، والخطيب والخطيب ، والشاعر والشاعر ، وبين نظم القرآن جملةً .

فإن خيّل إليك ، أو شُبّه عليك ، وظننت أنه يحتاج أن يُوازن بين نظم الشعر والقرآن ، لأن الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل ، وأدقّ مسلکاً من جميع أصناف المحاورات — ولذلك <sup>(٣)</sup> قالوا له صلى الله عليه وسلم : هو شاعر أو ساحر — وسوّل إليك الشيطان أن الشعر أبلغ وأعجب ، وأرقّ <sup>(٤)</sup> وأبرع ، وأحسن الكلام وأبدع — فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين ، وكلام بين المحقّقين .

(١) م : « الفصل »

(٢) م : « مخالف لنظم »

(٣) م : « وكذلك »

(٤) م : « وأدق »

باب<sup>(١)</sup>

سمعت<sup>(٢)</sup> أفضلَ من رأيتُ من أهل<sup>(٣)</sup> العلم بالأدب والحِذْقِ  
بهذه الصناعة ، مع تقدّمه في الكلام — : يقول :

إن الكلام المنشور يتأتّى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتّى في  
الشعر ؛ لأن الشعر يُضَيِّقُ نطاقَ الكلام ، ويمنع القول من اتّهائه ،  
ويصدّه عن تصرفه على سنّنه .

وحضّره من يتقدم في صنعة الكلام ، فرأجعه في ذلك ، وذكر  
أنه لا يمتنع أن يكون الشعر أبلغ إذا صادف شروط الفصاحة ، وأبدع  
إذا تضمن أسباب البلاغة .

ويشهد عندي للقول الأخير : أن معظم براعة كلام العرب في  
الشعر ، ولا نجد في منشور قولهم ما نجد في منظومه ، وإن كان قد  
أحدثت البراعة في الرسائل على حدّ لم يُعهد في سالف أيام العرب ، ولم  
يُنقل في دواوينهم<sup>(٤)</sup> وأخبارهم .

وهو ، وإن ضيّق نطاق القول ، فهو يجمع حواشيه ، ويضمّ

(١) هذا العنوان من م

(٢) س : « أسمعت »

(٣) م : « من العلم بالأدب » ا : « من أهل الأدب »

(٤) س : « من دواوينهم »

أطرافه ونواحيه ، فهو إذا تهذب في بابه ، ووُفي<sup>(١)</sup> له جميع أسبابه ، لم يقاربه من كلام الأدمين كلام ، ولم يعارضه من خطابهم خطاب . وقد حُكي عن المُتَدَبِّي أنه كان ينظر في المصحف ، فدخل إليه بعض أصحابه ، فأنكر نظره فيه ، لما كان رآه<sup>(٢)</sup> عليه من سوء اعتقاده ، فقال له : هذا<sup>(٣)</sup> المكي على فصاحته كان مُفَحِّمًا .

فإن صَحَّتْ هذه الحكاية عنه في إلحاده ، عُرِفَ بها<sup>(٤)</sup> أنه كان يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر [ أمكن و ] أبلغ<sup>(٥)</sup> .

وإذا كانت الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن ، وبيِّنَّا أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ، ويتقدم في بلاغته على كل قول ؛ بما يتضح به الأمر اتِّضاحَ الشمس ، ويتبين به بيان الصبح - : وَقَفَتْ على جليّة هذا الشأن . فانظر فيما نعرضه عليك<sup>(٦)</sup> ، وتصور بفهمك ما نُصوِّره ، ليقع لك موقع عظيم شأن القرآن ، وتأمل ما نُرتِّبه ، ينكشف لك الحق .

إذا أردنا<sup>(٧)</sup> تحقيق ما ضمناه لك ، فمن سبيلنا أن نعد إلى قصيدة

(١) م : « ووفر »

(٢) م : « يراه »

(٣) ك : « هو »

(٤) ك : « عرف لها »

(٥) س ، ك : « الشعر أبلغ »

(٦) ك : « نعرضه وتصور » س : « نعرضه عليك ما نعرضه وتصور »

(٧) م : « إذا أردت »

مُتَّفَقٍ عَلَى كِبَرِ مَحَلِّهَا ، وَصَحَّةِ نَظْمِهَا ، وَجُودَةِ بِلَاغَتِهَا ، وَرِشَاقَةِ<sup>(١)</sup> مَعَانِيهَا ، وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى إِبْدَاعِ صَاحِبِهَا فِيهَا ، مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الْمُوصُوفِينَ بِالتَّقَدُّمِ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَالْمَعْرُوفِينَ بِالْحَذَقِ فِي الْبِرَاعَةِ ، فَتَقَفَكَ عَلَى مَوَاضِعِ<sup>(٢)</sup> خِلَالِهَا ، وَعَلَى تَفَاوُتِ نَظْمِهَا ، وَعَلَى اخْتِلَافِ فُصُولِهَا ، وَعَلَى كَثْرَةِ فُصُولِهَا ، وَعَلَى شِدَّةِ تَعَسُّفِهَا ، وَبَعْضِ تَكَلُّفِهَا ، وَمَا تَجَمَّعُ مِنْ كَلَامٍ رَفِيعٍ ، يُقَرَّنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلَامٍ وَضِيعٍ ، وَبَيْنَ لَفْظٍ سَوْقٍ ، يُقَرَّنُ بِلَفْظٍ مُلَوِّكٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي يَحْيِي تَفْصِيلُهَا ، وَتُبَيِّنُ تَرْتِيبُهَا وَتَنْزِيلُهَا .

\*\*\*

فَإِذَا كَلَامٌ مُسَيَّلَةٌ الْكَذَّابِ ، وَمَا زَعَمَ أَنَّهُ قُرْآنٌ ، فَهُوَ أَخْسُ مِنْ أَنْ نَشْتَغِلَ بِهِ ، وَأَسْخَفُ مِنْ أَنْ نَفَكِّرَ فِيهِ . وَإِنَّمَا تَقْلَنَّا مِنْهُ طَرَفًا لِيَتَعَجَّبَ الْقَارِئُ ، وَلِيَتَبَصَّرَ النَّاضِرُ . فَإِنَّهُ<sup>(٣)</sup> عَلَى سَخَافَتِهِ قَدْ أَضَلَّ ، وَعَلَى رِكَازِهِ قَدْ أَزَلَّ ، وَمِيدَانِ الْجَهْلِ وَاسِعٌ ! وَمَنْ نَظَرَ فِيهَا تَقْلَنَاهُ عَنْهُ ، وَفَهَمَ مَوْضِعَ جَهْلِهِ ، كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنْ فَهْمٍ ، وَأَتَاهُ مِنْ عِلْمٍ . فَمَا كَانَ يَزْعَمُ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ : « وَاللَّيْلِ الْأَطْحَمُ ، وَالذُّبِّ

( ١ ) سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ س ، ك

( ٢ ) م : « فَتَقَفَكَ عَلَى مَوَاقِعِ »

( ٣ ) م : « لِأَنَّهُ »

الأذلم، والجذع الأزلم، ما انتهكت أسيد من محرم ! وذلك قد ذكر  
في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه !

وقال أيضاً : « والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسيد  
من رطب ولا يابس » !

وكان يقول : « والشاء وألوانها، وأعجبها السّود، وألبانها، والشاء  
السوداء، واللبن الأبيض، إنه لمعجب محض، وقد حرم المذق،  
فمالك لا تجتمعون<sup>(١)</sup> » !

وكان يقول : « ضِفْدَع بنت ضِفْدَعَيْن، نَقَى ما تَنَقَّين، أعلاك في  
الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنع<sup>(٢)</sup>، ولا الماء تكدرين،  
لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشاً<sup>(٣)</sup> قوم يعتدون » !  
وكان يقول : « والمبديات<sup>(٤)</sup> زرعاً، والحاصدات حصداً،  
والذاريات قحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثارِداتِ  
ثَرْدًا، واللاقات لَقْمًا، إِهَالَةً وسمناً، لقد فضلتكم على أهل الوبر،  
وما سبقكم أهل المدَر، ريفكم فامنموه، والمُعْتَر فآووه، والباغى  
فناوئوه . » !

(١) م : « تمجعون » !

(٢) التمهيد ص ١٢٨

(٣) م : « قريش »

(٤) في التمهيد « والزراعات » م : « والمندرات » ك : « والمتبديات »

وقالت سَجَّاح بنت الحارث بن عقبان — وكانت تنبأ، فاجتمع  
مُسَيِّلَةٌ معها — فقالت له : ما أوحى إليك ؟

فقال : « ألم تر كيف فعل ربك بالجبل ، أخرج منها نسمة تسمى <sup>(١)</sup> ،  
ما بين صفاق وحشاً !

وقالت : فما بعد ذلك ؟

قال : أوحى إليّ : « إن الله خلق النساء أفواجاً ، وجعل الرجال  
لهن أزواجاً ، فنولج فيهن قَمَساً إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجاً ،  
فينتجن لنا سِحَالاً تنابجاً » ! فقالت : أشهد أنك نبي <sup>(٢)</sup> !!

ولم ننقل كل ما ذكر من سخره ، كراهية الثقليل .

وروى : أنه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواماً قدموا  
عليه من بني حنيفة ، عن هذه الألفاظ ؟ فحُكِّوا بمض ما نقلناه ،  
فقال أبو بكر : سبحان الله ! ويحكم ، إن هذا الكلام لم يخرج عن  
إليّ <sup>(٣)</sup> ، فأين كان يُذْهَبُ بكم ؟ !

ومعنى قوله : « لم يخرج عن إليّ » : أى عن رُبُوبِيَّة .

(١) ل : « تسعى بين »

(٢) انظر قصة اجتماعهما ، وبقية حوارهما ، وما قاله الأغلب العجلى في  
قصة زواجهما ، في كتاب الأغاني ١٨ / ١٦٥ - ١١٦ وطبقات فحول الشعراء  
ص ٥٧٣ - ٥٧٥

(٣) س : « عن آل »

ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخفُ هذا الكلام<sup>(١)</sup> !

• • •

فترجع الآن إلى ما ضَمِنَاهُ من الكلام على الأشعار المتَّفَق على جَوْدِهَا وتقدّم أصحابها في صناعتهم ، ليتبين لك تفاوتُ أنواع الخطاب ، وتباعدُ مواقع أنواع<sup>(٢)</sup> البلاغة ، وتستدلّ على مواضع البراعة . وأنت<sup>(٣)</sup> لا تشك في جودة شعر امرئ القيس ، ولا ترتاب في براعته ، ولا تتوقف في فصاحته ، وتعلم أنه قد<sup>(٤)</sup> أبدع في طرق الشعر أموراً اتبع فيها ، من ذكر الديار والوقوف عليها ، إلى ما يتصل بذلك : من البديع الذي أبدعه ، والتشبيه الذي أحدثه ، والمليح الذي تجدد في شعره<sup>(٥)</sup> ، والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله ، والوجوه التي

---

(١) قال المؤلف في كتاب التمهيد ص ١٢٨ « هذا الكلام دال على جهل مورده ، وضعف عقله ورأيه ، وما يوجب السخرية منه والهزء به ، وليس هو مع ذلك خارجاً عن وزن ركيك السجع وبخيفه . وعلى أنه لو كان معجزاً لتعلقت العرب وأهل الردة به ، ولعرف أتباع النبي صلى الله عليه أنه عرض له ، ولوقع لهم العلم اليقين بأنه قد قوبل . وفي عدم ذلك دليل على جهل مدعى ذلك ، وعلى أن مسيلمة لم يدع هذا الكلام معجزاً ، ولا تحدّث العرب بمثله فعجزوا عنه ، بل كان في نفسه ونفس كل سامع له أخفّ وأخف وأذل من أن يتعلق به . ولذلك لا نجد له نبأ ولا أحداً من العرب تعلق به »

(٢) هذه الكلمة من م

(٣) م : « إنك »

(٤) سقطت من م

(٥) هكذا في الأصول الخطية ، وفي س : « والتلميح الذي يوجد في

شعره »



ينقسم إليها كلامه : من صناعة وطبع ، وسلاسة وعفو<sup>(١)</sup> ، ومثانة ورقة ، وأسباب تَحْمَد ، وأمور تُؤَثَّر وتمدح . وقد تَرَى الأدباء أَوَّلًا<sup>(٢)</sup> يوازنون بشعره فلانًا وفلانًا ، ويضمون أشعارهم إلى شعره ، حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره في أشياء لطيفة ، وأمور بدیعة ، وربما فضَّلُوهم عليه ، أو سَوَّوْا بينهم وبينه ، أو قَرَّبوا موضع تقدمه عليهم<sup>(٣)</sup> ، وبرَّرُوهُ بين أيديهم .

ولما اختاروا قصيدته في السَّبْعِيَّات<sup>(٤)</sup> ، أضافوا إليها أمثالها ، وقرنوا بها نظائرَها ، ثم تراهم يقولون : لفلان لامية مثلها ، ثم ترى أنفُس الشعراء تتشوق إلى معارضته ، وتساويه في طريقتة ، وربما غَبَرَتْ في وجهه في أشياء كثيرة<sup>(٥)</sup> ، وتقدمت عليه في أسباب عجيبة .

وإذا جاءوا إلى تعداد محاسن شعره ، كان أمرًا محصورًا ، وشيئًا معروفًا . أنت تجد من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره ، وتشاهد مثل ذلك البارِع في كلام سواه ، وتنظر إلى المُحَدِّثين كيف توغَّلوا إلى حِيازَةِ المحاسن ، منهم من جمع رَصَانَةَ الكلام إلى سَلَاسَتِهِ ،

(١) كذلك في سائر الأصول ، ولكنها غيرت في س أيضًا إلى « وعلو » !

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) س ، لك : « تقدمهم عليه » وم : « موقع تقدمه »

(٤) يريد « المعلقات السبع » .

(٥) كذا في الأصول ، ولكنها غيرت في س إلى « وربما عثرت في وجهه

على أشياء كثيرة » !!

وَمَتَانَتَهُ إِلَى عَذُوبَتِهِ ، وَالْإِصَابَةَ فِي مَمْنَاهُ إِلَى تَحْسِينِ بَهْجَتِهِ ؛ حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ قَصَّرَ عَنْهُ فِي بَعْضٍ ، تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فِي بَعْضٍ ، [ وَإِنْ وَقَفَ دُونَهُ فِي حَالٍ ، سَبَقَهُ فِي أَحْوَالٍ ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي أَمْرٍ ، سَاوَاهُ فِي أُمُورٍ <sup>(١)</sup> ] ؛ لِأَنَّ الْجِنْسَ الَّذِي يَرْمُونَهُ إِلَيْهِ ، وَالْفَرْضَ الَّذِي يَتَوَارَدُونَ عَلَيْهِ ، هُوَ <sup>(٢)</sup> مِمَّا لِلْأَدَمِيِّ فِيهِ مَجَالٌ ، وَلِلْبَشَرِيِّ فِيهِ مِثَالٌ ؛ فَكُلٌّ يُضْرَبُ فِيهِ بِسَهْمٍ ، وَيَفُوزُ فِيهِ بِقِدْحٍ ، ثُمَّ قَدْ تَفَاوَتَ السَّهَامُ <sup>(٣)</sup> تَفَاوُتًا ، وَتَبَايَنَ تَبَايُنًا ، وَقَدْ تَقَارَبَ تَقَارُبًا ، عَلَى حَسَبِ مِشَارِكَتِهِمْ فِي الصَّنَائِعِ ، وَمَسَاهَمَتِهِمْ فِي الْحِرَفِ .

وَنَظْمُ الْقُرْآنِ جِنْسٌ مُتَمَيِّزٌ <sup>(٤)</sup> ، وَأَسْلُوبُ الْمُتَخَصِّصِ ، وَقَبِيلٌ عَنِ النَّظِيرِ <sup>(٥)</sup> مُتَخَلِّصٌ ؛ فَإِذَا شُئْتَ أَنْ تَعْرِفَ عِظَمَ شَأْنِهِ ، فَتَأْمَلْ مَا تَقُولُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ لَامَرِي الْقَيْسَ فِي أَجُودِ أَشْعَارِهِ ، وَمَا نَبِئْتُ لَكَ مِنْ عَوَارِهِ ، عَلَى التَّفْصِيلِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

فَقَفَا تَبَكُّ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بَسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتَوَضَّحَ فَالْمَقْرَأَةِ لَمْ يَمْفُ رَشْمُهَا

لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

(١) الزيادة من ا ، م

(٢) هذه الكلمة سقطت من س ، ك

(٣) م : « بالسهام »

(٤) ك ، م : « مميز »

(٥) ك : « عن النظم »

الذين يتعصبون له ويدَّعون<sup>(١)</sup> محاسنَ الشعر، يقولون : هذا من  
البدیع ، لأنه وقَف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر العهدَ  
والمنزل والحبيب ، وتوجَّع واسترجع ، كلُّه في بيتٍ ؛ ونحو ذلك .  
وإنما يتنا هذا لئلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ، إن كانت ،  
ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة ، إن وُجدت .

تأملْ — أرشدك الله ، وانظر — هداك الله : أنت تعلم أنه ليس  
في البيتين شيء قد سبقَ في ميدانه شاعراً ، ولا تقدَّم به صانعاً . وفي  
لفظه ومعناه خلل :

فأولُ ذلك : أنه استوقف من يَبْكِي لذكر الحبيب<sup>(٢)</sup> ، وذكره  
لا تقتضى بكاء الخَلِيٍّ ، وإنما يصحَّ طلب الإِسْعَادِ في مثل هذا ، على أن  
يَبْكِي لبكائه ، ويرقَّ لصديقه في<sup>(٣)</sup> شدة بُرَحَانِهِ ؛ فأما أن يبكي  
على حبيب صديقه ، وعشيق رفيقه ، فأمرٌ محال .

فإن كان المطلوب وقوفه وبكاؤه أيضاً عاشقاً ، صحَّ الكلام [ من  
وجه<sup>(٤)</sup> ] ، وفسد المعنى من وجهٍ آخر لأنه من السَّخْفِ أن لا يفار  
على حبيبه ، وأن يدعو غيره إلى التَّغَاوُلِ عليه ، والتَّوَاجُدِ معه فيه !

(١) س ، ك : « أو »

(٢) ك : « استوقف ثم يبكي »

(٣) م : « من شدة »

(٤) الزيادة من م

ثم في البيتين ما لا يفيد، من ذكر هذه المواضع، وتسمية هذه الأماكن : من « الدَّخُول » و « حَوْمِل » و « تُوضِح » و « المِقْرَاة » و « سِقْطِ اللَّوْى »، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا . وهذا التطويل إذا لم يُفدْ كان ضرباً من العي !

ثم إن قوله : « لَمْ يَغْفُ رَشْمُهَا »، ذكر الأصمعيّ من محاسنه : أَنَّهُ باقٍ فنحنُ نحزنُ على مشاهدته ، فَلَوْ عَفَا لاسترحنا .

وهذا بأن يكون من مَسَاوِيهِ أُولَى ؛ لأنه إن كان صادق الودِّ ، فلا يزيدُه عَفَاءُ الرُّسُومِ إِلَّا جِدَّةَ عَهْدٍ ، وَشِدَّةَ وَجْدٍ . وإنما فَرَعَ الأصمعيّ<sup>(١)</sup> إلى إفادته هذه الفائدة ، خشية أن يُعَاب عليه ، فيقال : أَيْ فائدة لَأَن يُعْرَفْنَا أَنَّهُ لَمْ يَغْفُ رَشْمُ مَنَازِلِ حَبِيبِهِ ؟ وَأَيُّ مَعْنَى لِهَذَا الْحِشْوِ ؟ فَذَكَرَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَذَكَرَ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَخْلُصْهُ — بَاتِّصَارِهِ لَهُ — مِنْ الْخَلَلِ .

ثم في هذه الكلمة خلل آخر ، لأنه عَقَّبَ البيت بأن قال<sup>(٢)</sup> :

• فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ! •

فذكر أبو عبيدة : أَنَّهُ رَجَعَ فَأَكْذَبَ نَفْسَهُ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

(١) س : « وَإِنَّمَا قَرَعَ لَهُ الْأَصْمَعِيُّ » !

(٢) ١ : « بَأَن قَالَ بَعْدَهُ »

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمُ نَعَمْ، وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ<sup>(١)</sup>  
وقال غيره: أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كله، وبالثاني  
أنه ذهب بعضه، حتى لا يَتَنَاقُضَ الْكَلَامَانِ.

وليس في هذا انتصار، لأن معنى «عفا» و«دَرَسَ» واحد،  
فإذا قال: «لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا» ثم قال: «قَدْ عَفَا»، فهو تناقض  
لا محالة!

واعتذارُ أَبِي عُمَيْدَةَ أَقْرَبُ لَوْ صَحَّ، ولكن لم يرد هذا القول  
مَوْرِدَ الاستدراك كما قاله<sup>(٢)</sup> زهير، فهو إلى الخلل أقرب.

وقوله: «لِمَا نَسَجَتْهَا»، كان ينبغي أن يقول: «لِمَا نَسَجَهَا»  
ولكنه تَمَسَّفَ فجعل «ما» في تأويل تأنيث<sup>(٣)</sup>، لأنها في معنى  
الرَّيْحِ، والأولى التذكير دون التأنيث، وضرورة الشعر قد قادتَه  
إلى<sup>(٤)</sup> هذا التمسُّف.

وقوله: «لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا»، كان الأولى أن يقول: «لَمْ يَعْفُ  
رَسْمُهُ»؛ لأنه ذَكَرَ المنزل؛ فإن كان ردَّ ذلك إلى هذه البقاع والأماكن

(١) ديوانه ص ١٤٥ وفيه «بلى وغيرها» والأرواح: جمع ريح. والديم  
جمع ديمة، والديمعة مطر يلوم في سكون بلا رعد أو برق، وقال ثعلب في شرح  
هذا البيت: «قال أبو زياد: عفا بعضها ولم يعف بعض. وقال أبو عبيدة:  
أكذب نفسه. لم يعفها: لم يدرسها، ثم رجع فقال: بلى، ومثله قول الطهوى:  
فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب بلى إن من زار القبور ليبعدا

(٢) م: «لو صح. ولم يكن يورد هذا القول... على ما قاله»

(٣) كذا في م، ا، ك، وفي س: «التأنيث»

(٤) س، ك: «قد دلته على هذا»

التي المنزل واقعٌ بينها ، فذلك خلل ؛ لأنه إنما يريد صفة المنزل الذي  
نزله حبيبه ، بِعَفَائِهِ ، أو بَأَنَّهُ لم يَئِفْ دون ما جاوره .  
وإن أراد بالمنزل الدارَ حتى أنت ، فذلك أيضاً خلل .  
ولو سلمَ من هذا كِلَهُ ومما نَكَّرَهُ ذَكَرَهُ كراهيةً التّطويل — :  
لم نَشْكُ في أن شعر أهل زماننا لا يَقْصُرُ عن البيتين ؛ بل يزيد  
عليهما وَيَفْضُلُهُما .

\* \* \*

ثم قال :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَحْمَلْ<sup>(١)</sup>  
وإن شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ  
وليس في البيتين أيضاً معنىً بديع ، ولا لفظٌ حسن كالأولَين .  
والبيت الأول منهما متعلق بقوله : « قفا نبك » ، فكأنه قال :  
قفا وقوفَ صَحبِي بِهَا عَلَى مَطِيَّهِمْ ، أو : قفا حالَ وقوفِ صَحبِي . وقوله  
« بها » : متأخر في المعنى وإن تقدم في اللفظ . ففي ذلك تكلفٌ  
وخروجٌ عن<sup>(٢)</sup> اعتدال الكلام .

والبيت الثاني مُخْتَلٌّ من جهة أنه قد جعل الدمعَ في اعتقاده شافياً

( ١ ) جاء في م بعد هذا البيت قوله :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل

( ٢ ) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها غيرت في س إلى « من »

كافياً ، فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة<sup>(١)</sup> أخرى ، وتحمّل ومُعَوِّل  
عند الرُّسُوم ؟

ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدُلَّ<sup>(٢)</sup> على أن الدع  
لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ، ثم<sup>(٣)</sup> يسائل : هل عند الربيع من  
حيلة أخرى ؟

• • •

وقوله :

كَدَّأَبِكَ مِنْ أَمْرِ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا      وَجَارَتِهَا أَمْرَ الرَّبَابِ بِمَا سَلِ  
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا      نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرَئِفُ

أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ، ليس له مع ذلك  
بهجة ، فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ ، وإن كان منزوع المعنى !  
وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله :

• إذا قامتا تَضَوَّعَ المسك منهما •

ولو أراد أن يجوّد أفاد أن بهما طيباً على كل حال ، فأما في حال  
القيام فقط ، فذلك تقصير ! !

ثم فيه خلل آخر : لأنه بعد أن شبه عَرَفَهَا بالمسك ، شبه ذلك  
بنسيم القَرَئِفُ ، وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص .

(١) م : « طلب حاجة »

(٢) هي كذلك في ا ، م ، ك ولكنها في س « أن يدخل » !

(٣) م : « ثم أقبل يسائل »

وقوله : « نَسِيمَ الصَّبَا » ، في تقدير المنقطع عن الصراع الأول ،  
لم يصله به وصل مثله .

\* \* \*

وقوله :

فَقَاصَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي  
الْأَرْبَ يَوْمَ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيَّامَ يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلُجُلٍ<sup>(١)</sup>  
قوله : « فَقَاصَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ » ، ثم استعانت به بقوله : « مِنِّي »  
استعانةً ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة ، وهو حشو غير مليح  
ولا بديع .

وقوله : « عَلَى النَّحْرِ » ، حشو آخر ، لأن قوله : « بَلَ دَمْعِي  
مَحْمَلِي »<sup>(٢)</sup> يعني عنه ويدل عليه ، وليس بحشو حسن . ثم قوله :  
« حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي »<sup>(٣)</sup> إعادة ذكره الدمع حشو آخر ، وكان  
يكفيه أن يقول : حتى بليت<sup>(٣)</sup> محملي ، فاحتاج لإقامة الوزن إلى هذا كله .  
ثم تقديره أنه<sup>(٤)</sup> قد أفرط في إفاضة الدمع حتى بَلَ مَحْمَلَهُ ، تفريط  
منه وتقصير ، ولو كان أَبْدَعَ لكان يقول : حتى بَلَ دَمْعِي مَعَانِيَهُمْ  
وَعِرَاصَهُمْ . ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية : لأن<sup>(٥)</sup>

(١) م : « يوم صالح لك منهما »

(٢) ما بين الرقمين ثابت في ا ، م ، ك

(٣) م : « بل »

(٤) سقطت هذه الكلمة من م

(٥) س : « إذا » بدل « لأن » .



الدمعَ يَبْعُدُ أَنْ يَبْلُغَ الْحِمْلَ ، وَإِنَّمَا يَقْطُرُ مِنَ الْوَاقِفِ وَالْقَاعِدِ عَلَى  
الْأَرْضِ أَوْ عَلَى الذَّلِيلِ !! وَإِنْ بَلَّهَ فَلَقِلَّتْهُ وَأَنَّهُ لَا يَقْطُرُ .

وَأَنْتَ تَجِدُ فِي شَعْرِ الْخُبَزَرُزِيِّ<sup>(١)</sup> مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ  
وَأَمْتَنُ<sup>(٢)</sup> وَأَعْجَبُ مِنْهُ .

وَالْبَيْتُ الثَّانِي خَالٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالْبَدِيعِ ، خَاوٍ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْمَعْنَى ،  
وَلَيْسَ لَهُ لَفْظٌ يَرُوقُ ، وَلَا مَعْنَى يَرُوعُ ، مِنْ طِبَاعِ<sup>(٤)</sup> السُّوقَةِ !  
فَلَا يَرْعَكَ تَهْوِيلُهُ بِاسْمِ مَوْضِعٍ غَرِيبٍ .

\* \* \*

وَقَالَ :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي      فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ  
فُظِّلَ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا      وَشَخِمَ كَهْدَابِ الدِّمْقَسِ الْمُفْتَلِ

(١) فِي ضَبْطِهَا سِتْ لُغَاتٍ . فَانْظُرْهَا فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٨/٥ وَهُوَ  
أَبُو الْقَاسِمِ نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ ، أَصْلُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَنَزَلَ بِبَغْدَادٍ وَأَقَامَ بِهَا دَهْرًا  
طَوِيلًا . وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ . وَهُوَ شَاعِرٌ أُمِّيٌّ مُجِيدٌ ، كَانَ لَا  
يَتَهَجَّى وَلَا يَكْتُبُ ، وَكَانَ خُبَازًا يُخْبِزُ خُبْزَ الْأَرْضِ بِدُكَّانٍ لَهُ فِي مَرْبِدِ الْبَصْرَةِ ،  
فَكَانَ يُخْبِزُ وَهُوَ يَنْشُدُ مَا يَقُولُهُ مِنَ الشَّعْرِ ، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَزْدَحُمُونَ عَلَيْهِ ،  
لِاسْتِمَاعِ شَعْرِهِ وَمِلْحِهِ ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ إِجَادَتِهِ فِي مِثْلِ حَالِهِ وَحِرْفَتِهِ . رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ  
فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ١٣ / ٢٩٦ - ٢٩٩ وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٥ / ١٢ - ١٨ وَمُعْجَمِ  
الْأَدْبَاءِ ١٩ / ٢١٨ - ٢٢٢ وَبَيْتِ الدَّهْرِ ٢ / ٣٣٧ - ٣٤٠

(٢) م : « وَأَمِيرٌ »

(٣) س : « خَلُو » م « فَارِغٌ »

(٤) س : « طِبَائِعُ »

تقديره : اذْ كُرْ يومَ عَقَرْتُ مطيقي ، أو يَرُدُّه<sup>(١)</sup> على قوله :  
« يومَ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ » ، وليس في المصراع الأول من هذا البيت  
إلا سفاوته<sup>(٢)</sup> ١١

قال بعض الأدباء : قوله « يا عَجَبًا » يُعَجِّبُهُم من سفهه في شبابه :  
من نحره ناقته لهن<sup>(٣)</sup> . وإنما أراد أن لا يكون الكلام من هذا المصراع  
منقطعاً عن الأول ، وأراد أن يكون الكلام ملائماً له .

وهذا الذي ذكره بعيد . وهو منقطع عن الأول ، وظاهره أنه  
يتعجب من تحمل العذاري رَحْلَهُ ! وليس في هذا تعجب كبير ، ولا  
في نَحْرِ الناقة لهن تعجب !

وإن كان يعنى به أنهم حملن رحله ، وأن بعضهن حملته<sup>(٤)</sup> ، فعبّر  
عن نفسه برحله ، فهذا قليلاً يشبه أن يكون عجباً ، لكن الكلام  
لا يدلّ عليه ، ويتجافى عنه .

ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب<sup>(٥)</sup> ، ولا معنى  
بديع ، أكثر من سفاوته<sup>(٦)</sup> ، مع قلة معناه ، وتقارب أمره ،  
ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا !

(١) م : « أو يجريه »

(٢) ا ، م ، ك : « إلا سلامته »

(٣) م ، ك : « لهم »

(٤) م : « حملة »

(٥) سقطت هذه الكلمة من ا

(٦) ا ، م ، ك : « من سلامته »

وإلى هذا الموضع لم يمرَّ له بيتٌ رائعٌ ، وكلامٌ رائعٌ .  
 وأما البيت الثاني فيعدونه حسناً ، ويمدون التشبيه مليحاً واقعاً .  
 وفيه شيء : وذلك أنه عرَّفَ اللحم ونَكَرَ الشَّحْمَ ، فلا يعلم<sup>(١)</sup> أنه  
 وصف شحمها ، وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع [ للعامة ، ويجرى  
 على ألسنتهم ]<sup>(٢)</sup> ! وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فرَّتْ مُرْسَلَةً !  
 وهذا نقصٌ في الصَّنعة ، وعجزٌ عن إعطاء الكلام حقّه .

وفيه شيء آخر من جهة<sup>(٣)</sup> المعنى : وهو : أنه وصف طعامه الذي  
 أطعم من أضاف بالجودة ، وهذا قد يعاب . وقد يقال : إن العرب تفتخر  
 بذلك ولا يروونه عيباً ، وإنما الفرس هم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً .  
 وأما تشبيه الشحم بالدمِّ مقس ، فشيء يقع للعامة ويجرى على  
 ألسنتهم ، فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما زاد « المُفْتَل » للقافية ،  
 وهذا<sup>(٤)</sup> مفيد ، ومع ذلك فاست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ، ولم  
 يمدَّ أهل الصنعة ذلك من البديع ، ورأوه قريباً .

وفيه شيء آخر [ من جهة المعنى<sup>(٥)</sup> ] : وهو : أن تَبَجَّحَهُ بما أطعمَ  
 للأجباب مذموم ، وإن سَوَّغَ التَّبَجُّحَ بما أطعمَ للأضياف ، إلا أن

( ١ ) م : « فلا يعرف »

( ٢ ) الزيادة من ا

( ٣ ) م : « من طريق »

( ٤ ) م : « وهو »

( ٥ ) الزيادة من ا

يوردَ الكلامَ موردَ المَجُونِ ، وعلى طريق<sup>(١)</sup> أبي نُؤاسِ في  
المزاح والمداعبة !

\* \* \*

وقوله :

ويومَ دخلتُ الحِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةٍ      فقالت: لك الويلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي  
تَقولُ وقد مالَ الغَيْطُ بنا معاً :      عَقَرْتُ بَعِيرِي يا امرأَ القَيْسِ فَأَنْزِلِ  
قوله : « دخلتُ الحِدرَ خِدرَ عُنَيْزَةٍ » ، ذكره تَكَريراً<sup>(٢)</sup> لإقامة  
الوزن ، لا فائدة فيه غيره ، ولا ملاحاة له ولا رونق !

وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت : « فقالت لك الويلاتُ  
إنَّكَ مُرْجِلِي » ، كلامٌ مؤنَّثٌ من كلام النساء ، نقله من جهته إلى  
شعره ! وليس فيه غير هذا !!

وتكريره بعد ذلك : « تقول وقد مال الغَيْطُ » ، يعني قَتَبَ  
الهَوْدَجَ ، بعد قوله : « فقالت لك الويلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي » : لا فائدة  
فيه غير تقدير<sup>(٣)</sup> الوزن ! وإلا فخاكة قولها الأول كافٍ ، وهو في  
النظم قبيح ؛ لأنه ذكر مرة : « فقالت » ، ومرة : « تقول » ، في  
معنى واحد ، وفَصْلٌ خفيف !

وفي مصراع الثاني أيضاً تأنيثٌ من كلامهن .

(١) : « طرائق »

(٢) م : « ذكر تكريره »

(٣) م : « غير تقديم »

وذكر أبو عبيدة أنه قال : « عَقَرَتَ بَعِيرِي » ، ولم يقل ناقتي ،  
لأنهم يحملون النساء على ذكور الإبل ، لأنها أقوى .  
وفي ذلك <sup>(١)</sup> نظر ، لأن الأظهر أن البعير اسم للذكر والأنثى ،  
واحتماج إلى ذكر البعير لإقامة الوزن .

...

وقوله :

فَقَلْتُ لَهَا : سِيرِي وَأَرْضِي زِمَامَهُ      وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ  
فِي ثَلَاثِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرَضِعٍ      فَالْتَمَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُخَوِّلِ <sup>(٢)</sup>  
البيت الأول قريب النسيج ، ليس له معنى بديع ، ولا لفظ  
شريف ، كأنه من عبارات المنحطين في الصنعة .

وقوله : « فثلكِ حبلَى قَدْ طَرَقْتُ » ، عابه عليه أهل العربية .  
ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام : فرب مثلكِ حبلَى قَدْ طَرَقْتُ ،  
وتقديره أنه زيرُ نِسَاءٍ ، وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حَبْلِهِنَّ  
ورضاعِهِنَّ ، لأنَّ الْحُبْلَى وَالْمُرَضِعَةَ أَبْعَدُ مِنَ الْغَزْلِ وَطَلَبِ الرِّجَالِ !  
والبيت الثاني في الاعتذار والاستهتار <sup>(٣)</sup> والتَّهْنِئَامِ ، وغير منتظم  
مع المعنى الذي قدّمه في البيت الأول ؛ لأنَّ تقديره : لا تبعديني عن  
نفسك فإنّي أغلب النساء ، وأخدعن عن رأيهن ، وأفسدهن

(١) س ، ك : « وفيه »

(٢) س ، ك : « مغيل » ا « مغول »

(٣) ك : « والاستهتار » !

بِالتَّغَاوُلِ ! وَكَوْنُهُ مَفْسَدَةٌ لَهُنَّ لَا يُوْجِبُ لَهُ وَصْلَهُنَّ وَتَرْكُ إِنَّمَادِهِنَّ  
إِيَّاهُ ، بَلْ يُوْجِبُ هَجْرَهُ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ ، لِسُخْفِهِ وَدُخُولِهِ كُلَّ  
مَدْخَلٍ فَاحِشٍ ، وَرُكُوبِهِ كُلِّ مَرْكَبٍ فَاسِدٍ !  
وَفِيهِ مِنَ الْفَحْشِ وَالتَّفَحُّشِ مَا يَسْتَنَكِفُ الْكَرِيمُ مِنْ <sup>(١)</sup> مِثْلِهِ ،  
وَيَأْنِفُ مِنْ ذِكْرِهِ !!

• • •

وقوله :

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشَقٍّ وَتَحْتَى شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ <sup>(٢)</sup>  
وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكُتَيْبِ تَعَذَّرَتْ عَلَىَّ وَآلَتْ حِلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ  
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ غَايَةٌ فِي الْفَحْشِ ، وَنَهَايَةٌ فِي السُّخْفِ ، وَأَيُّ فَائِدَةٍ  
لِذِكْرِهِ لِعَشِيقَتِهِ كَيْفَ كَانَ يَرْكَبُ هَذِهِ الْقَبَائِحَ ، وَيَذْهَبُ هَذِهِ  
الْمَذَاهِبَ ، وَيَرِدُ هَذِهِ الْمَوَارِدَ ؟ ! إِنَّ هَذَا لِيَبْغُضَهُ [ إِلَى ] <sup>(٣)</sup> كُلِّ مَنْ  
سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَيُوجِبُ لَهُ الْمَقْتَ ! وَهُوَ - لَوْ صَدَقَ - لَكَانَ قَبِيحًا ،  
فَكَيْفَ : وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا ؟ !

ثم ليس في البيت لفظ بدیع ، ولا معنى حسن .  
وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله ، من ذكر المَرْضِعِ التي لها  
ولد مُحَوَّلٌ .

(١) م : « عن »

(٢) أ : « بشق وشق عندنا لم يحول »

(٣) الزيادة من أ ، ك ، م

فَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَيَوْمًا » ، يَتَمَجَّبُ مِنْهُ بِأَنَّهَا<sup>(١)</sup>  
تَشَدَّدَتْ وَتَعَسَّرَتْ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ وَحَلَفَتْ عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَلَامٌ رَدِيءٌ النَّسْجِ ،  
لَا فَائِدَةَ لَذِكْرِهِ لَنَا أَنَّ حَبِيبَتَهُ تَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ يَسْمِيهِ وَيَصِفُهُ !  
وَأَنْتَ تَجِدُ فِي شَعْرِ الْمُحَدَّثِينَ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ فِي التَّغْزَلِ مَا يَذُوبُ  
مَعَهُ اللَّبُّ ، وَتَطْرِبُ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> النَّفْسُ . وَهَذَا مِمَّا تَسْتَنْكِرُهُ النَّفْسُ ،  
وَيَشْمُزُّ مِنْهُ الْقَلْبُ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْحَسَنِ !!

• • •

وقوله :

أَفَاطَمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ      وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صُرْمِي فَأَجِبِي  
أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حَبَّكَ قَاتِلِي      وَأَنْتِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ  
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِيهِ رَكَاكَةٌ جَدًّا ، وَتَأْنِيثٌ وَرَقَّةٌ ، وَلَكِنْ  
فِيهَا تَخْنِيثٌ !

وَلَعَلَّ قَائِلًا [ أَنْ ]<sup>(٤)</sup> يَقُولُ : إِنَّ كَلَامَ النِّسَاءِ بِمَا يَلَائِمُهُنَّ مِنَ الطَّبَعِ  
أَوْقَعُ وَأَغْزَلُ ؟  
وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّكَ تَجِدُ الشُّعْرَاءَ فِي الشُّعْرِ الْمُؤَنَّثِ لَمْ يَعْدِلُوا عَنْ  
رِصَانَةِ قَوْلِهِمْ .

(١) ١ : « مِنْهُ أَنَّهَا » ك ، س « مِنْهُ وَإِنَّمَا »

(٢) ٢ : « وَتَعَسَّرَتْ »

(٣) ٣ : « لَهُ »

(٤) ٤ : الزِّيَادَةُ مِنْ أ ، م ، ك

والمصراع الثانى منقطع عن الأول ، لا يلائمه ولا يوافقه . وهذا  
يبين لك إذا عرضت<sup>(١)</sup> معه البيت الذى تقدمه .

وكيف يُنكر عليها تدللها ، والمتغزل يطرب على دلال  
الحبيب وتدلله ؟

والبيت الثانى قد عيب عليه<sup>(٢)</sup> ، لأنه قد أخبر أن من سبيلها أن  
لا تغتر<sup>(٣)</sup> بما يريها من أن حبها يقتله ، وأنها تملك قلبه فما أمرته فَعَلَهُ ،  
والمحب إذا أخبر عن مثل هذا صدق .

وإن كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه ، وإنما ذهب مذهباً  
آخر ، وهو : أنه أراد أن يظهر التجلّد : — فهذا خلاف ما أظهر من  
نفسه فيما تقدم من الآيات ، من الحب والبكاء على الأحبة ، فقد  
دخل فى وجه آخر من المناقضة والإحالة فى الكلام .

ثم قوله : « تأمرى القلب يفعل » ، معناه<sup>(٤)</sup> تأمرينى ، والقلب  
لا يؤمر ، والاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة<sup>(٥)</sup> .

(١) كذا فى م ، ك . وفى س : « اعترضت »

(٢) راجع الموشح ص ٣٦

(٣) م : « ألا تعيره »

(٤) م : « تقديره »

(٥) قال أبو حيان التوحيدي فى كتاب البصائر والذخائر ٢٦/١

« وقال محمد بن راشد : كنا يوماً مع إسحاق بن إبراهيم الطاهرى نتحدث ونخوض  
فى ضروب الآداب ، فأقبل علينا فقال : ما أراد امرؤ القيس بقوله :

أغرك منى أن حبك قاتلى وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل ؟

فكل قال بما حضره ، فقال : لم يرد هذا . قلنا : فما أراد ؟ قال : أراد أنك

(١٧)



\* \* \*

وقوله :

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءَ تَكَمِّنِي خَلِيقَةٌ      فَسَلِّ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ  
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي      بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ

البيت الأول قد قيل في تأويله : إنه ذكر الثوب وأراد البدن ،  
مثل قول الله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾<sup>(١)</sup> . وقال أبو عبيدة : هذا مثل  
للهجَر ، وتَنَسَّلُ : تبين .

وهو بيت قليل المعنى ، ركيكه ووضعيه ، وكلّ ما أضاف إلى نفسه  
ووصف به نفسه سُقوطٌ وسفه وسخف ، يوجب<sup>(٢)</sup> قطعه . فلم لم  
يَحْكُم على نفسه بذلك ، ولكن يورده مورد أن ليست له خليفة  
توجب هِجْرَانَهُ والتَفَصُّي<sup>(٣)</sup> من وصله ، وأنه مهذب الأخلاق ،  
شريف الشمائل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله .

والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب ، وإن  
كانت غريبة<sup>(٤)</sup> .

---

تملكين قلبك فإن أردت صرمت قدرت عليه ، وإن أردت صلتى قدرت عليها ،  
وأما أنا فلا أملك من قلبي إلا صلتك » ومعنى . أغرك : أى جرأك على » وانظر  
الشعر والشعراء ١ / ٨٤

(١) سورة المدثر ٤

(٢) كذا في ك ، م

(٣) م : « والتقصي »

(٤) م : « غريبة »

وأما البيت الثانى فمعدود من محاسن القصيدة <sup>(١)</sup> وبدائلها .  
ومعناه : ما بكيت إلا لتَجْرَحِي قلباً معشراً — أى مكسراً — من  
قولهم : « بُرْمَةٌ أعشار » إذا كانت قِطْعاً <sup>(٢)</sup> . هذا تأويل ذكره  
الأصمى <sup>(٣)</sup> ، وهو أشبه عند أكثرهم .

وقال غيره : وهذا مثل للأعشار التى تقسم الجزور عليها ، ويعنى  
بسهميك : المَعْلَى ، وله سبعة أنصباء ، والرَّقِيبَ ، وله ثلاثة أنصباء .  
فأراد أنك ذهبت بقلبي أجمع .  
ويعنى بقوله : مَقْتَلٌ : مَذَلٌّ <sup>(٤)</sup> .

وأنت تعلم أنه على ما يعنى به فهو غير موافق للآيات المتقدمة ،  
لما فيها من التناقض الذى يبيناً .

ويشبه أن يكون مَنْ قال بالتأويل الثانى ، فزع إليه لأنه رأى  
اللفظ مستكرهاً على المعنى الأول ، لأن القائل إذا قال : « ضَرَبَ

( ١ ) م : « هذه القصيدة »

( ٢ ) أراد أن قلبه كسر ثم شعب كما تشعب القدر

( ٣ ) س ، ك : « رضى الله عنه » !

( ٤ ) فى اللسان ٦ / ٢٤٩ « قال الأزهري : وفيه قول آخر ، وهو أعجب

إلى . قال أبو العباس أحمد بن يحيى : أراد بقوله : "بسهميك" ها هنا سهمى  
قдах الميسر ، وهما : المعلى والرقيب ، فللمعلى سبعة أنصباء ، والرقيب ثلاثة ،  
فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها ، ولم يطمع غيره فى شيء  
منها ، وهى تقسم على عشرة أجزاء . فالمعنى : أنها ضربت بسهامها على قلبه  
فخرج لها السهمان ، فغلبته على قلبه كله ، وفنته فلكته . ويقال : أراد بسهميها  
عينها . . . قال : وهذا التفسير فى هذا البيت هو الصحيح . ومقتل : مذل

فلان بسهمه في الهدف» ، بمعنى أصابه ، كان كلاماً ساقطاً مردولاً .  
وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها كالسهمين النافذين في إصابة  
قلبه المجروح ، فلما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين في قلبه .  
ولكن مَنْ حمل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ ،  
ولكنه يفسد المعنى ويختل<sup>(١)</sup> ، لأنه إن كان مُجَبَّأً<sup>(٢)</sup> — على ما وصف  
به نفسه من الصباية — فَقَلْبُهُ كُلُّهُ لَهَا ، فكيف يكون بكاءها هو  
الذي يُخَلِّصُ قلبه لها ؟ !

واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الأول ، ولا متصل به  
في المعنى ، وهو منقطع عنه ، لأنه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ، ولا  
سبب يوجب ذلك ، فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال .  
ثم لو<sup>(٣)</sup> سلم له بيت من عشرين بيتاً ، وكان بديعاً ولا عيب فيه ،  
فليس بمجيب ، لأنه لا يُدَّعى على مثله أن كلامه كله متناقض ، ونظمه  
كله متباين .

وإنما يكفي أن نبين أن ما سبق من كلامه إلى هذا البيت ، مما  
لا يمكن أن يقال إنه يتقدم فيه أحداً من المتأخرين ، فضلاً  
عن المتقدمين .

(١) كذا في م ، وفي س ، ك « ولكنه إذا حمل على الثاني فسد المعنى  
واختل »

(٢) س : « كان محتاجاً » !

(٣) م : « ثم إن »

وإنما قُدِّمَ في شعره لآيات قد برع فيها، وبأن حِذْقَهُ بها .  
وإنما أنكرنا أن يكون شعره مُتَنَاسِباً في الجودة ، ومتشابهاً في  
صحة المعنى واللفظ ، وقلنا : إنه يتصرَّفُ بين وحشيٍّ غريب  
مُسْتَنَكِر ، وعريّة كالهُمَلِ مُسْتَكْرَهَةٍ<sup>(١)</sup> ، وبين كلام سليم  
متوسط ، وبين عاميٍّ سوقيٍّ في اللفظ والمعنى ، وبين حكمة حسنة ،  
وبين سخف مُسْتَشَنَع . ولهذا قال الله عزَّ اسمه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ  
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

فأما قوله :

وَيَيْضَةُ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا      تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ  
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا وَأَهْوََالَ مَعْشَرٍ      عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُسْرِثُونَ مَقْتَلِي<sup>(٣)</sup>  
فقد قالوا : غنى بذلك أنها كبيضة خِذْرٍ في صفائها ورقتها ، وهذه  
كلمة حسنة ، ولكن لم يَسْبِقْ إليها ، بل هي دائرةٌ في أفواه العرب ،  
وتشبيهٌ سائرٌ .

ويعنى بقوله : « غير مُعْجَلٍ » : أنه ليس ذلك مما يتفق قليلاً  
وأحياناً ، بل يتكرر له الاستمتاع بها ، وقد يحمله<sup>(٤)</sup> غيره على أنه

(١) كذا في م ، ك ، وفي س : « كالمهل مستنكرة » !

(٢) سورة النساء ٨٢

(٣) كذا في م ، ك ، وفي س والمعلقات :

« أحراساً إليها ومعشر على حراصا »

(٤) م : « حمله »

رابط الجأش ، فلا<sup>(١)</sup> يستعجل إذا دخلها خوف حصانتها<sup>(٢)</sup> ومنعتها .  
 وليس في البيت كبير فائدة ؛ لأن<sup>(٣)</sup> الذي حكى في سائر أبياته  
 قد تضمن مطاولته في المغازلة واشتغاله بها ، فتكريره في هذا  
 البيت مثل ذلك قليل المعنى ، إلا الزيادة التي ذكر من منعتها ، وهو  
 — مع ذلك — بيت سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني .  
 والبيت الثاني ضعيف .

وقوله : « لويُسِرُون مَقْتَلِي » ، أراد أن يقول : لو أسروا ، فإذا نقله  
 إلى هذا ضمف ووقع في مضمار الضرورة ، والاختلال على نظمه بين ،  
 حتى إن المتأخر ليحترز<sup>(٤)</sup> من مثله .

\* \* \*

وقوله :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصل<sup>(٥)</sup>  
 قد أنكر عليه قوم قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرّضت » ،  
 وقالوا : الثريا لا تعرّض<sup>(٦)</sup> ، حتى قال بعضهم : سمى الثريا وإنما أراد  
 الجوزاء ، لأنها تعرض ، والعرب تفعل ذلك ، كما قال زهير : « كأخمر

(١) م : « ولا »

(٢) م : « حصانتها وعفتها ومنعتها » (٣) س : « لأنه »

(٤) س ، ك « المحترز يحترز »

(٥) التشبيهات لابن أبي عون ص ٤

(٦) الموشح ص ٣٦ والوساطة ص ١٢ ، وفي م « لا تعرض »

عَادٍ<sup>(١)</sup> ، وإِنَّمَا هُوَ أَحْمَرُ ثَمُودَ<sup>(٢)</sup> .

وقال بعضهم في تصحيح قوله [ إِنَّمَا ] تَعْرِضُ : أَوَّلَ مَا تَطَّلِعُ [ وحين تغرب<sup>(٣)</sup> ] ، كما أن الوِشَاحَ إِذَا طُرِحَ يَلْقَاكَ بِعُرْضِهِ ، وهو ناحيته<sup>(٤)</sup> . وهذا كقول الشاعر<sup>(٥)</sup> :

تَعَرَّضْتُ لِي بِمَجَازٍ خَلٍّ      تَعْرِضُ الْمُهْرَةَ فِي الطَّوْلِ<sup>(٦)</sup>  
يقول : تُرِيكَ عَرْضَهَا وَهِيَ فِي الرَّسَنِ .

( ١ ) يقصد قوله في معلقته :

فَتَنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلْهِمْ      كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم  
قال الأعلام الشنتمري : « قوله : كأحمر عاد : أى كلهم في الشؤم كأحمر عاد ، وأراد أحمر ثمود ، فغلط . وقال بعضهم : لم يغلط ولكنه جعل عاداً مكان ثمود اتساعاً ومجازاً ، إذ قد عرف المعنى مع تقارب ما بين عاد و ثمود في الزمن والأخلاق » راجع ديوانه ص ٢٠ وشرح المعلقات للزوزنى ص ٨٣

( ٢ ) هو عاقر ناقة صالح .

( ٣ ) الزيادة من م .

( ٤ ) في اللسان ٣١ / ٩ « أى لم تستقم في سيرها ، ومالت كالوشاح المعوج أثناؤه على جارية توشحت به » .

( ٥ ) م : « الشاعر زهير » وهو خطأ . وفي اللسان ٤٣٩ / ١٣ « الطَّوْلُ : الحبل الذي يطول به للدابة فترعى فيه . . . وقد شدد الراجز الطَّوْلَ للضرورة ، فقال منظور بن مَرْثَدٍ الأَسَدِي :

تَعَرَّضْتُ لِي . بِمَكَانٍ حَلٍّ      تعرضا لم تأل عن قَتْلِي  
تعرض المهره في الطول

ويروى : عن قتلاً لِي ، على الحكاية ، أى عن قولها قتلاً له . وفي ١٣٠ / ٩ « وقال : تعرّضت لم تأل عن قتل لي »

( ٦ ) كذا في م ، ك ، وفي تاج العروس « حل » وفي س « بمجان خل » وفي الصحاح . . . بمكان حل »

وانظر التشبيهات لابن أبي عون ص ٤ .

وقال أبو عمرو : يعني إذا أخذت الثريا في وسط السماء ، كما يأخذ  
الوشاح وسط المرأة .

والأشبه عندنا<sup>(١)</sup> : أن البيت غير معيب من حيث عابوه به ، وأنه  
من محاسن هذه القصيدة ، ولولا أبيات عدة فيه لقابله ما شئت من  
شعر غيره ، ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشأو ويستولى على الأمد :  
أنت تعلم أنه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين في وصف شيء من  
النجوم مثل ما في وصف الثريا ، وكل قد أبدع فيه وأحسن ، فإما أن  
يكون قد عارضه أو زاد<sup>(٢)</sup> عليه .

فمن ذلك قول ذي الرمة :

وَرَدْتُ اغْتِسَافًا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا  
عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ حَلَقٍ<sup>(٣)</sup>

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وَتَرَى الثَّرِيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا  
بَيضَاتُ أُدْحَى يَلْحَنُ بِفَذْفَذٍ<sup>(٤)</sup>

وكقوله :

كَأَنَّ الثَّرِيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا  
تَفْتَحُ نَوْرٍ أَوْ لُجَامٍ مَفْضُضٍ<sup>(٥)</sup>

وقوله أيضا :

فَنَاوَلْنِيهَا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا  
جَنَى نَرْجِسٍ حَيٍّ النَّدَامَى بِهِ السَّاقِي<sup>(٦)</sup>

( ١ ) نقل هذا عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ٤ / ٤١٦ .

( ٢ ) م : « وزاد »

( ٣ ) ديوانه ص ٤٠١ وديوان المعاني ١ / ٣٣٤ ونثار الأزهار ص ١٠٩

والتشبيهات ص ٥

( ٤ ) ديوانه ص ٣٣ « بيض بأدحى »

( ٥ ) ديوان المعاني ١ / ٣٣٦ وزهر الآداب ١ / ٣١٠ والتشبيهات ص ٥

( ٦ ) ديوانه ص ٢٣٩ وديوان المعاني ١ / ٣٣٥

وقول الأشهب بن رُمَيْلَةَ :

ولاحَتْ لِسَارِيهَا الثَّرِيًّا كَأَنَّهَا لَدَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلْسَلٌ<sup>(١)</sup>

ولابن المعتز :

وقد هَوَى النَجْمُ وَالْجَوْزَاءُ تَتَبَعُهُ كَذَاتِ قُرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدَسَقَطَا<sup>(٢)</sup>

أخذه من ابن الرُّومِيّ في قوله :

طَيْبٌ رِيْقُهُ إِذَا ذُقْتَ فَاهُ وَالثَّرِيًّا بِجَانِبِ الْغَرْبِ قُرْطٌ<sup>(٣)</sup>

ولابن المُعْتَزِّ :

قَدْ سَقَانِي الْمُدَامَ وَالضُّصْبُ بِاللَّيْلِ مُؤْتَزَّرُ

وَالثَّرِيًّا كَنُورٍ غُضْنِي عَلَى الْأَرْضِ قَدْ تُثَرُّ<sup>(٤)</sup>

وقوله :

وَتَرُومُ الثَّرِيًّا فِي السَّمَاءِ مَرَامًا<sup>(٥)</sup>

كَانْكِابِ طِمْرِ كَادَ يُبْلِقِي لِحَامًا

ولابن الطَّطَرِيَّةِ :

إِذَا مَا الثَّرِيًّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا جُمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ فَتَبَدَّدَا<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان المعاني ١ / ٣٣٥ والتشبيهات ص ٥

(٢) التشبيهات ص ٩ وديوان المعاني ١ / ٣٣٧

(٣) التشبيهات ص ٥ وديوان المعاني ١ / ٣٣٥

(٤) ديوانه ص ٢٢٢ « والليل بالصبح » وكذلك التشبيهات ص ١٠ وفي م

« على الغرب »

(٥) ديوانه ص ٢٤٥ وأسرار البلاغة ص ٧٥

(٦) ديوان المعاني ١ / ٣٣٤ وحاسة ابن الشجري ص ٢١٤



ولو<sup>(١)</sup> نسختُ لك كلَّ ما قالوا من البديع في وصف الثريا لطال عليك الكتاب ، وخرج<sup>(٢)</sup> عن الغرض ، وإنما نريد أن نبين لك أن الإبداع في نحو هذا أمر قريب<sup>(٣)</sup> ، وليس فيه شيء غريب .

وفي جملة ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه<sup>(٤)</sup> في الحسن ، أو يساويه ، أو يقاربه<sup>(٥)</sup> . فقد علمت أن ما خلق<sup>(٦)</sup> فيه ، وقدّر المتعصب له أنه بلغ النهاية فيه ، أمرٌ مشترك ، وشرعية مؤزودة ، وبابٌ واسع ، وطريقٌ مسلوكة . وإذا كان هذا بيت القصيدة ، ودرة القلادة ، وواسطة العقد ، وهذا محله<sup>(٧)</sup> ، فكيف بما تعدّاه ؟ !

ثم فيه ضربٌ من التكلف ، لأنه قال « إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرض أثناء الوشاح » ، فقله : « تعرّضت » : من الكلام الذي يُستغنى عنه ، لأنه يُشبهه أثناء الوشاح [بالثريا]<sup>(٨)</sup> ، سواء كان في وسط السماء ، أو عند الطلوع والمغيب ، فالتحويل بالتعرض ، والتطويل بهذه الألفاظ ، لا معنى له .

وفيه : أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل ، فلا معنى لقوله « تعرّض أثناء الوشاح » ، وإنما أراد أن يقول : تعرّض قطعة من

(١) م : « قال : ولو نسخت »

(٢) م : « ونخرج »

(٣) م : « في مثل هذا نحو قريب »

(٤) م : « يشبهه »

(٥) م : « يقاربه ويدانيه »

(٦) ك : « ما خلق » م « ما خلق إليه ، وقدّر المتعصب أنه »

(٧) م : « وهذا محطه »

(٨) (٨) الزيادة من خزانة الأدب ٤ / ١٧٤

أثناء الوشاح ، فلم يستقم له اللفظ ، حتى شبه ما هو كالشيء الواحد بالجمع <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وقوله :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا      لَدَى السَّتْرِ إِلَّا لِنِسَةِ الْمُتَفَضِّلِ  
فَقَالَتْ : يَمِينَ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً      وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي <sup>(٢)</sup>

انظر إلى البيت الأول والأيات التي قبله ، كيف خلط في النظم ؛ وفرط في التأليف ! فذكر التمتع بها ، وذكر الوقت والحال والحرّاس ، ثم ذكر <sup>(٣)</sup> كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها ، من نزعتها ثيابها إلا ثوباً واحداً . والمتفضل : الذي في ثوب واحد ، وهو الفضل ، فما كان من سبيله أن يقدمه إنما ذكره مؤخرًا .

وقوله : « لدى السّتر » : حشو ، وليس بحسن ولا بديع ، وليس في البيت حسن ، ولا شيء يفضل لأجله .

وأما البيت الثاني ففيه تعليق <sup>(٤)</sup> واختلال ، ذكر الأصمعي أن معنى قوله « مالك حيلة » ، أى ليست لك جهة تجيء فيها والناس أحوالي <sup>(٥)</sup> .

(١) آخر ما نقله البغدادى في خزانة الأدب ٤/ ٤١٧ .

(٢) س ، ك « العاية »

(٣) س ، ك « ثم يذكر »

(٤) م : « تغليق » ا « تغليق »

(٥) كذا في ك وفي م : « جهة تجيء إليها والناس حولي »

والكلام في المصراع الثاني منقطع عن الأول ، ونظمه إليه فيه  
ضرب من التفاوت .

\* \* \*

وقوله :

فَقَمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا      عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَجَّلٍ  
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَتَّحَى      بِنَابِطِنَ خَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ<sup>(١)</sup>

البيت الأول [ يذكر من محاسنه ]<sup>(٢)</sup> : من مساعدتها إياه ، حتى  
قامت معه ليخلوا ، وأنها<sup>(٣)</sup> كانت تجر على الإثر أذيال مِرْطٍ مُرَجَّلٍ ،  
والمُرَجَّل : ضرب من البرود ، يقال لَوْشِيهِ<sup>(٤)</sup> : الترجيل ، وفيه تكلف ،  
لأنه قال « وراءنا على إثرنا » ، ولو قال « على إثرنا » كان كافياً ،  
والذيلُ إنما يجرح<sup>(٥)</sup> وراء الماشي . فلا فائدة لذكره « وراءنا » ، وتقدير  
القول : فقامت أمشي بها ، وهذا أيضاً ضرب من التكلف .

وقوله « أذيال مرط » ، كان من سبيله أن يقول : ذيل مرط .

على أنه لو سلم من ذلك كان قريباً ليس مما يَفُوتُ بمثله غيره ، ولا  
يتقدّم به سواه . وقول ابن المعتز أحسن منه :

(١) ك : « ذى قفاف » م : « ذى ركام »

(٢) س ، ك : « الأول من مساعدتها »

(٣) س ، ك : « وإنّما »

(٤) م : « يقال أوشيه »

(٥) م : « إنما ينجر »

فَبِتْ أَفْرَشُ خَدَى فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَكْامِي عَلَى الْأَمْرِ<sup>(١)</sup>  
 وأما البيت الثاني فقولُه « أَجَزْنَا » بمعنى « قَطَعْنَا » ، و « النَجَبْتُ » :  
 بطن من الأرض ، و « الْحَقَفْتُ » : رمل منمرج ، و « الْعَقَنْقَلُ » :  
 المنعقد من الرمل الداخل بعمقه في بعض .

وهذا بيت متفاوت<sup>(٢)</sup> مع الأبيات المتقدمة ؛ لأن فيها ما هو  
 سلس<sup>(٣)</sup> قريب ، يُشَبِّه كلام المولدين وكلام البذلة ، وهذا قد أغرب فيه ،  
 وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة ، وليس في ذكرها والتفضيل  
 بإلحاقها بكلامه<sup>(٤)</sup> فائدة .

والكلامُ الغريب واللفظةُ الشديدة المَبَايِنَةُ<sup>(٥)</sup> لِنَسِجِ الكلامِ قد  
 تُحَمَّدُ إِذَا وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْحَاجَةِ فِي وَصْفِ مَا يَلَانِمُهَا ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي  
 وَصْفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾<sup>(٦)</sup> . فَأَمَّا إِذَا وَقَعَتْ فِي غَيْرِ  
 هَذَا الْمَوْقِعِ ، فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ مَذْمُومَةٌ ، بِحَسَبِ مَا تَحْمَدُ فِي مَوْضِعِهَا .

وَرَوَى أَنَّ جَرِيرًا أَنْشَدَ بَعْضَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ قَصِيدَتَهُ<sup>(٧)</sup> :  
 بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ قَوَدَّعُوا أَوْكُلَمَا جَدُّوَا لِبَيْنِ تَجَزَّعُ ؟

(١) كذا في م ، ك ، ا ، وفي س : « أذبالى »

(٢) كذا في م ، وفي ك : « متقارب »

(٣) ك : « سلس القياد قريب »

(٤) س ، ك : « كلامها »

(٥) سورة الإنسان : ١٠

(٦) م : « الشريدة المتباينة »

(٧) الخبر في الشعر والشعراء ١ / ١٥

كَيْفَ الْعِزَاءِ وَلَمْ أَجِدْ مُذْ بَنَيْتُمْ قَلْبًا يَقِرُّ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ<sup>(١)</sup>  
 قال : وكان يزحف من حسن هذا الشعر ، حتى بلغ قوله :  
 وَتَقُولُ بَوَزَعُ قَدْ دَبَيْتَ عَلَى الْعَصَا هَلَّا هَزَيْتَ بَغِيرِنَا يَا بَوَزَعُ  
 فقال : أفسدت شعرك بهذا الاسم !!

\* \* \*

وأما قوله :

هَصَرْتُ بَغْضَى دَوْحَةٍ قَمَائِلَتْ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحَرِيَّاءِ الْمُخْلَلِ<sup>(٢)</sup>  
 مُهْفَهَفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ  
 فمعنى قوله « هَصَرْتُ » : جَذَبْتُ وَثْنَيْتُ .

وقوله « بَغْضَى دَوْحَةٍ » ، تعسف ، ولم يكن من سبيله أن  
 يجعلهما اثنتين .

والمصراع الثانى أصح ، وليس فيه شيء إلا ما يتكرر على ألسنة  
 الناس من هاتين الصفتين . وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ،  
 ولكنه مع تكرره على الألسن صالح .

وأما معنى قوله « مُهْفَهَفَةٌ » : أنها مخففة ليست مثقلة .

و « المُفَاضَةُ » : التى اضطرب طولها .

والبيت — مع مخالفته فى الطبع الأبيات المتقدمة ، ونزوعه فيه<sup>(٣)</sup>

(١) ١ : « ولم أفد » ك : « ولا شراب »

(٢) كذا فى م ، ك ، وفى المعلقات ص ١٨ « هصرت بفوضى رأسها »

وفى شرحها « ويروى : بغضنى دومة »

(٣) م : « فيها »

إلى الألفاظ المستكرهة ، وما فيه من الخلل ، من تخصيص الترائب بالضوء ، بعد ذكر جميعها بالبياض — فليس بطائل ، ولكنه قريب متوسط .

\* \* \*

وقوله :

تَصَدُّ وَتُبْدَى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي      بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلٍ  
وَجِيدٍ كَجِيدِ الرَّيِّمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ      إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ  
معنى قوله « عَنْ أَسِيلٍ » : أى بأسيل ، وإنما يريد خذاً ليس بكز .

وقوله « تَتَّقِي » ، يقال : اتقاء بحقه<sup>(١)</sup> أى جملة بينه وبينه .

وقوله : « تَصَدُّ وَتُبْدَى عَنْ أَسِيلٍ » : متفاوت ، لأن الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد .

وقوله : « تَتَّقِي بِنَاطِرَةٍ » : لفظة مليحة ، ولكن أضافها إلى ما نظم به<sup>(٢)</sup> كلامه ، وهو مختل ، وهو قوله : « مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ » ا وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا ، كان من سبيله أن يضيف إلى عيون الأطباء أو المَهْمَا دون إطلاقِ الوَحْشِ ، ففهم ما تستنكر عيونها .

(١) كذا في م ، ك ، وفي س « بترسه »

(٢) م : « بها »

وقوله : « مُطْفِلٌ » فَتَرَوْهُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَبِيَّةٍ ، وَأَنَّهَا قَدْ اسْتَحْكَمَتْ ، وَهَذَا اعْتِدَارُ مَتَعَسَفٍ . وَقَوْلُهُ « مَطْفَلٌ » : زِيَادَةٌ لَا فَائِدَةٌ فِيهَا عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ . وَلَكِنْ قَدْ يَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنْ يُفِيدَ <sup>(١)</sup> غَيْرَ هَذِهِ الْفَائِدَةِ ، فَيَقَالُ : إِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مَطْفَلًا لَحِظْتَ أَطْفَالَهَا بِعَيْنِ رَقَّةٍ ، فَنِي نَظَرَ هَذِهِ رَقَّةَ نَظَرِ الْمَوْدَةِ ، وَيَقَعُ الْكَلَامُ مَمْلَقًا تَمْلِيْقًا مَتَوَسِّطًا .

وَأَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِي فَمَعْنَى قَوْلِهِ : « لَيْسَ بِفَاحِشٍ » : أَيْ لَيْسَ بِفَاحِشٍ الطَّوْلُ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « نَصَّتُهُ » : رَفَعْتُهُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « لَيْسَ بِفَاحِشٍ » — فِي مَدْحِ الْأَعْنَاقِ — كَلَامٌ فَاحِشٌ مُوَضَّوعٌ مِنْهُ ! وَإِذَا نَظَرْتَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ رَأَيْتَ فِي وَصْفِ الْأَعْنَاقِ مَا يَشْبَهُ السَّحْرَ ، فَكَيْفَ وَقَعَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَدُفِعَ إِلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ ؟ وَهَلَا قَالَ كَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

مِثْلُ الطَّبَاءِ سَمَتْ إِلَى رَوْضِ صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرٍ <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وَلَسْتُ أَطَوِّلُ عَلَيْكَ فَتَسْتَنْقِلُ ، وَلَا أَكْثَرُ الْقَوْلِ فِي ذِمَّةٍ فَتَسْتَوْحِشُ .

(١) « يَفَادُ »

(٢) دِيَوَانُهُ ص ١٩٢

وَأَكِلْكَ الآنَ إِلَى جَمَلَةٍ مِنَ الْقَوْلِ ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّنْعَةِ  
فَطُنْتَ وَاكْتَفَيْتَ ، وَعَرَفْتَ مَا رَمِينَا إِلَيْهِ وَاسْتَغْنَيْتَ .  
وإن كنت عن الطبقة خارجاً ، وعن<sup>(١)</sup> الإتقان بهذا الشأن خالياً ،  
فلا يكفيك البيان وإن<sup>(٢)</sup> استقرينا جميع شعره ، وتتبعنا عامة ألفاظه ،  
ودلنا<sup>(٣)</sup> على ما في كل حرف منه .

\* \* \*

اعلم أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مُبْتَذَلَةٍ ،  
وأبيات متوسطة ، وأبيات ضعيفة مرذولة ؛ وأبيات وحشية غامضة  
مستكرهة ، وأبيات معدودة بديعة .

وقد دلنا<sup>(٤)</sup> على المبتذل منها ، ولا يشبهه عليك الوَحْشِيُّ المستنكر ،  
الذي يَرُوعُ السَّمْعَ ، وَيَهْوِلُ الْقَلْبَ ، وَيَكْذِبُ اللِّسَانَ ، وَيَعْبَسُ مَعْنَاهُ  
فِي وَجْهِ كُلِّ خَاطِرٍ ، وَيَكْفَهُرُ مَطْلَعُهُ عَلَى كُلِّ مُتأملٍ أَوْ نَاطِلٍ ،  
وَلَا يَقَعُ بِمِثْلِهِ التَّمْدِحُ<sup>(٥)</sup> وَالتَّفَاضُّحُ . وَهُوَ مَجَانِبٌ لِمَا وُضِعَ لَهُ أَصْلُ  
الْإِفْهَامِ ، وَمُخَالَفٌ لِمَا بُنِيَ عَلَيْهِ التَّفَاهُمُ بِالْكَلَامِ . فَيَجِبُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْ  
الْفَرَضِ الْمَقْصُودِ ، وَيَلْحَقَ بِاللَّغْزِ وَالْإِشَارَاتِ الْمُسْتَبْهَمَةِ .

(١) م : « ومن »

(٢) م : « ولو »

(٣) م : « لفظه ودلناك »

(٤) م : « دلناك »

(٥) م : « المدح »



\* \* \*

فأما الذى زعموا أنه من بديع هذا الشعر ، فهو قوله :  
 وَيُضْحِي فَنَيْتُ الْمَسْكَ فَوْقَ فِرَاشِهَا  
 نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ  
 والمصراع الأخير عندهم بديع ، ومعنى ذلك : أنها مُتَرَفَةٌ متعمة ،  
 لها من يكفيتها .

ومعنى قوله : « لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ » ، يقول : لَمْ تَنْتَطِقْ وَهِيَ  
 فَضْلٌ<sup>(١)</sup> ، و « عَنْ » هِيَ بِمَعْنَى « بَعْدَ » . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : لَمْ تَنْتَطِقْ  
 فَتَعْمَلْ ، وَلَكِنْهَا تَتَفَضَّلُ .

\* \* \*

ومما يمدونه من محاسنها :  
 وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ  
 عَلَى أَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَنْتَلِي<sup>(٢)</sup>

(١) فى اللسان ١٤١/١٤ - ١٤٢ « والفضلة : الثياب التى تبذل للنوم ،  
 لأنها فضلت عن ثياب التصرف . . . وفى حديث امرأة أبي حذيفة : قالت  
 يا رسول الله ، إن سالما مولأى حذيفة يراى فُضْلاً : أى مبتذلة فى ثياب مهنتى ،  
 يقال : تفضلت المرأة : إذا لبست ثياب مهنتها أو كانت فى ثوب واحد ، فهى فَضْلٌ ،  
 والرجل فَضْلٌ أيضاً » .

(٢) س ، ك « بأنواع الغموم » وانظر رأى الأستاذ محمود محمد شاكر  
 فى معنى هذا البيت ونقصه لآراء الشراح السابقين فى طبقات فحول الشعراء ص ٧١

فقلتُ لهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ  
 وَأَرْذَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ :  
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَّا أَنْجَلِ  
 بِصَبْحٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمَثَلٍ <sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَعَارِضُ هَذَا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :  
 كَلِّينِي لِهِمٍّ يَا أُمِيمَةَ نَاصِبٍ  
 وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بِطَيِّءِ الْكَوَاكِبِ <sup>(٢)</sup>  
 وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمٍّ  
 تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ  
 وَلَيْسَ الَّذِي يَتْلُو النُّجُومَ بِأَيِّ <sup>(٣)</sup>

وَقَدْ جَرَى ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضُ <sup>(٤)</sup> الْخُلَفَاءِ ، فَقُدِّمَتْ أَيْيَاتُ  
 أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَاسْتَحْسَنْتَ اسْتِعَارَتَهَا <sup>(٥)</sup> ، وَقَدْ جَعَلَ لِلَّيْلِ صَدْرًا  
 يَثْقُلُ تَنْحِيَهُ ، وَيُطِئُ تَقْضِيَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ أَرْدَافًا كَثِيرَةً ، وَجَعَلَ لَهُ  
 صُلْبًا يَتَدُّ وَيَتَطَاوَلُ ، وَرَأَوْا هَذَا بِخِلَافِ مَا يَسْتَعِيرُهُ أَبُو تَمَّامٍ مِنْ

(١) ك ، م « فَيْكَ » س « مِنْكَ »

(٢) « الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ »

(٣) م : « ذَلِكَ بِمَجْلِسِ بَعْضٍ »

(٤) س ، ك « وَاسْتَحْسَنْتَ » وَانْظُرِ الْمُوشِحَ ص ٣١ - ٣٣

الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة<sup>(١)</sup>، ورأوا أن الألفاظ جميلة .  
واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال إنه متناهِ  
عجيب ، وفيه إلمام بالتكلف ، ودخول في التعمُّل .

\* \* \*

وقد خرَّجوا له في البديع من القصيدة قوله :  
وقد أَغْتَدَى والطيرُ في وَكُنَاتِهَا  
بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْسَكِ  
مِكْرٍ مَقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَعَا  
كَجُلُودِ صَخْرِ حَطَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ<sup>(٢)</sup>  
وقوله أيضاً :

له أَيْطَلَا ظِيَّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفُلٍ<sup>(٣)</sup>  
فأما قوله « قَيْدُ الْأَوَابِدِ » ، فهو مليح ، ومثله في كلام الشعراء  
وأهل الفصاحة كثير ، والتَّعْمَلُ بِمِثْلِهِ<sup>(٤)</sup> ممكن .  
وأهلُ زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفاً ، ويؤلّفون المحاسن  
تأليفاً ، ثم يُوشِّحُونَ به كلامهم . والذين كانوا من قبل — لغزائهم<sup>(٥)</sup>

(١) سقطت من م

(٢) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٦٩

(٣) انظر شرحه في طبقات فحول الشعراء ص ٧٠

(٤) م : « والتعمل لمثله . . . زماننا اليوم »

(٥) م : « لغزائهم » ك : « لغزائهم »

وتمكنهم — لم يكونوا يتصنعون لذلك ، إنما كان يتفق لهم اتفاقاً ،  
ويطرّد في كلامهم أطراداً .

وأما قوله في وصفه : « مَكْرٍ مَفَرٍ » ، فقد جمع فيه طباقاً وتشبيهاً .  
وفي سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف

وكذلك في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد : —  
صنعة ، ولكن قد عورِض فيه وزُوح [ عليه <sup>(١)</sup> ] ، والتوصل إليه  
يسير ، وتطلبه <sup>(٢)</sup> سهل قريب .

وقد بينّا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أياتها فتفاوتاً بيناً  
في الجودة والرداءة ، والسلاسة والانعقاد ، والسلامة والانحلال ، والتمكن  
[ والاستصعاب <sup>(٣)</sup> ] والتسهّل والاسترسال ، والتوحش والاستكراه ،  
وله شركاء في نظائرها ، ومنازعون في محاسنها ، ومعارضون في بدائعها .  
ولا سواء كلامٌ يُنَحْتُ من الصخر تارةً ، ويذوب تارةً ، وتلَوْن  
تلَوْن الحَرْبَاء ، ويختلف اختلاف الأهواء ، ويكثر في تصرفه اضطرابه ،  
وتتقاذف <sup>(٤)</sup> به أسبابه ، وبين قول يجري في سبّكه على نظام ، وفي  
رصفه على منهاج ، وفي وضعه على حدٍ ، وفي صفائه على باب ، وفي

(١) الزيادة من م

(٢) م : « والتطلب له »

(٣) الزيادة من م

(٤) م : « وتتقاذف »

بِهَجْتِهِ ورونته على طريق ، مُخْتَلِفُهُ مُؤْتَلَفٌ ، وَمُؤْتَلَفُهُ مُتَّحِدٌ ،  
وَمُتَّبَعُهُ مُتْقَارِبٌ ، وَشَارِدُهُ مُطِيعٌ ، وَمُطِيعُهُ شَارِدٌ . وهو على  
مُتَصَرِّفَاتِهِ وَاحِدٌ ، لَا يُسْتَصْعَبُ فِي حَالٍ ، وَلَا يَتَعَقَّدُ فِي شَأْنٍ .

\* \* \*

وَكُنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ فِي قِصَائِدِ مَشْهُورَةٍ ، فَتَكَلَّمْ عَلَيْهَا ، وَنَدَلَّ  
عَلَى مَعَانِيهَا وَمَحَاسِنِهَا ، وَنَذْكُرَ لَكَ مِنْ فَضَائِلِهَا وَتَقَائِصِهَا ، وَنَبْسُطَ  
لَكَ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْجِنْسِ ، وَنَفْتَحَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْمَنْهَجِ <sup>(١)</sup> .

ثُمَّ رَأَيْنَا هَذَا خَارِجًا عَنْ غَرَضِ كِتَابِنَا ، وَالْكَلَامُ فِيهِ يَتَصَلُّ بِنَقْدِ  
الشَّعْرِ وَعِيَارِهِ ، وَوِزْنِهِ بِمِيزَانِهِ <sup>(٢)</sup> وَمَعْيَارِهِ ، وَلِذَلِكَ كُتِبَ وَإِنْ لَمْ  
تَكُنْ مُسْتَوْفَاهُ ، وَتَصَانِيفُهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُسْتَقْصَاهُ .

وَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِي فِي كِتَابِنَا ، وَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نَنْسَخَ <sup>(٣)</sup> لَكَ مَا سَطَّرَهُ  
الْأَدَبَاءُ فِي خَطَأِ أَمْرِ الْقَيْسِ فِي الْعُرُوضِ وَالنَّحْوِ وَالْمَعَانِي ، وَمَا عَابَوْهُ  
عَلَيْهِ <sup>(٤)</sup> فِي أَشْعَارِهِ ، وَتَكَلَّمُوا بِهِ عَلَى دِيْوَانِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا خَارِجٌ  
عَنْ غَرَضِ كِتَابِنَا ، وَمُجَانِبٌ لِمَقْصُودِهِ .

وَإِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نَبَيِّنَ الْجُمْلَةَ <sup>(٥)</sup> الَّتِي يَتَّبِعُهَا ، لِنَعْرِفَ أَنَّ طَرِيقَةَ الشَّعْرِ

(١) م : « وَنَفْسَحَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْمَنْهَجِ »

(٢) سقطت هذه الكلمة من م

(٣) م : « أَحَبُّ أَنْ أُنْسخَ »

(٤) م : « بِهِ »

(٥) م : « نَبَيِّنُ الْحِكْمَةَ »

شَرِيعَةٌ مُؤَرَّدَةٌ، وَمَنْزِلَةٌ مَشْهُودَةٌ، يَأْخُذُ مِنْهَا أَصْحَابُهَا عَلَى مَقَادِيرِ  
أَسْبَابِهِمْ، وَيَتَنَاوَلُ مِنْهَا ذُؤُوهَا عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ.

وَأَنْتَ تَجِدُ لِلْمَتَقَدِّمِ مَعْنَى قَدْ طَمَسَهُ الْمَتَأَخِّرُ بِمَا أَبْرَّ عَلَيْهِ فِيهِ، وَتَجِدُ  
لِلْمَتَأَخِّرِ مَعْنَى قَدْ أَغْفَلَ الْمَتَقَدِّمَ، وَتَجِدُ مَعْنَى قَدْ تَوَافَدَا عَلَيْهِ، وَتَوَافَيَا  
إِلَيْهِ، فَهُمَا فِيهِ شَرِيكََا عَنَانٍ، وَكَأَنَّهَا فِيهِ <sup>(١)</sup> رَضِيْعَا لَبَّانٍ، وَاللَّهُ يُؤْتِي  
فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ.

\* \* \*

فَأَمَّا <sup>(٢)</sup> نَهْجُ الْقُرْآنِ وَنَظْمُهُ، وَتَأْلِيفُهُ وَرِصْفُهُ، فَإِنَّ الْعُقُولَ تَتِيهِ  
فِي جِهَتِهِ، وَتَحَارُ فِي بَحْرِهِ <sup>(٣)</sup>، وَتَضِلُّ دُونَ وَصْفِهِ.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ لَكَ فِي تَفْصِيلِ هَذَا مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْغَرَضِ،  
وَتَسْتَوِلِي بِهِ عَلَى الْأَمْدِ، وَتَصِلُ بِهِ إِلَى الْمَقْصِدِ، وَتَتَصَوَّرُ إِعْجَازَهُ  
كَمَا تَتَصَوَّرُ الشَّمْسَ، وَتَتَيَقِنُ تَنَآهِىَ بَلَاجَتِهِ كَمَا تَتَيَقِنُ الْفَجْرَ،  
وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ الْغَامِضَ، وَأَسْهَلَ لَكَ الْعَسِيرَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا عِلْمُ شَرِيفِ الْمَحَلِّ، عَظِيمِ الْمَكَانِ؛ قَلِيلِ الطَّلَابِ،  
ضَعِيفِ الْأَصْحَابِ؛ لَيْسَتْ لَهُ عَشِيرَةٌ تُحَمِّيهِ، وَلَا أَهْلُ عِصْمَةٍ تَقْطُنُ

(١) م : « وكلاهما فيه »

(٢) م : « وأما »

(٣) ك : « وتحار في فكره »

لما فيه . وهو أدقّ من السحر ، وأهول من البحر ، وأعجب من الشعر .

وكيف لا يكون كذلك : وأنت تحسب أن وضع « الصبح » في موضع « الفجر » يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً ؟ وليس كذلك ؛ فإن إحدى اللفظتين قد تنفّر في موضع ، وتزلّ عن مكان لا تزلّ عنه اللفظة الأخرى ، بل تتمكن فيه ، وتضرب يجرانها ، وتراها في مظانها ، وتجدها فيه غير مُنازعةٍ إلى أوطانها ، وتجد الأخرى — لو وضعت موضعها — في محل نفارٍ ، ومزىٍ شرادٍ ، ونابيةٍ عن استقرار<sup>(١)</sup> .

ولا أكثر عليك المثال ، ولا أضرب لك فيه الأمثال ، وأزجّع بك إلى ما وعدتك<sup>(٢)</sup> من الدلالة ، وضمنت لك من تقريب المقالة .

فإن كنت لا تعرف الفصل الذى يبتأ بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ، ومُتصرّفات مجارى النّظام ، لم تستفد مما نُقرّ به عليك شيئاً ، وكان التقليد أولى بك ، والاتباع أوجب عليك . ولكل شيء سبب ، ولكل علم طريق ؛ ولا سبيل إلى الوصول إلى الشيء من غير طريقه ، ولا بلوغ غايته من غير سبيله .

\* \* \*

(١) م : « وبانية عن اسفرار »

(٢) ك : « ما وعدتك به »

خذ الآن - هداك الله - في تفرغ<sup>(١)</sup> الفكر ، وتخليّة البال ؛ وانظر فيما نعرض عليك ، ونهديه إليك ؛ متوكلاً على الله ، ومعتصماً به ، ومستعيذاً به من الشيطان الرجيم ؛ حتى تقف على إعجاز القرآن العظيم .

سماه الله عز ذكره « حكيماً » و « عظيماً » و « مجيداً » .

وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

وقال : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ <sup>(٣)</sup> ﴾ .  
وقال : ﴿ وَلَوْ أَن قُرْآنَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ، بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً <sup>(٤)</sup> ﴾ .

وقال : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً <sup>(٥)</sup> ﴾ .

وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني ، حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان ، حدثنا أبو يوسف الصيّد لاني ، حدثنا محمد بن سلمة ،

(١) م : « مع تفرغ »

(٢) سورة فصلت : ٤٢

(٣) سورة الحشر : ٢١

(٤) سورة الرعد : ٣١

(٥) سورة الإسراء : ٨٨



عن أبي سنان، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي البختري الطائي ، عن الحارث الأعور ، عن عليّ رضي الله عنه ؛ قال :

قيل : يا رسول الله ، إن أمتك ستفتتن من بعدك ؛ فسأل أو سئل : ما المخرج من ذلك ؟

فقال : « بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ؛ من ابتغى العلم في غيره أضله الله ، ومن وليّ هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله ؛ وهو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم . فيه خبر من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ؛ وهو فصل ، ليس بالهزل . وهو الذي [ لما ] سمعته الجن قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾<sup>(١)</sup> . لا يخلق على طول الرّد ، ولا تنقض عبْرهُ ، ولا تقضى عجائبه<sup>(٢)</sup> .

وأخبرني أحمد بن عليّ بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيّب بن شريك ، عن عبيدة<sup>(٣)</sup> ، عن أسامة بن أبي عطاء<sup>(٤)</sup> ؛ قال : أرسل النبي صلى الله

(١) سورة الجن : ٢

(٢) انظر عيون الأخبار ٢ - ١٣٣

(٣) « عبيدة » بضم العين المهملة ، وهو ابن الأسود بن سعيد الهمداني

الكوفي ، راجع ترجمته في التهذيب ٧ / ٨٦

(٤) أسامة بن أبي عطاء هذا : تابعي ، يروى عن علي بن أبي طالب ،

ترجمه البخاري في التاريخ الكبير ج ١ ق ١ ص ٢٣ ، وابن أبي حاتم في

الجرح والتعديل ج ١ ق ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه في ليلةٍ ، فذكر نحو ذلك في المعنى ، وفي بعض ألفاظه اختلاف .

وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن ، أخبرنا أبي ، أخبرنا بشر بن عبد الوهاب ، أخبرنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا المسيب بن شريك ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ ثلث القرآن أُعطي ثلث النبوة ، ومن قرأ نصف القرآن أُعطي نصف النبوة ، ومن قرأ القرآن كله أُعطي النبوة كلها ؛ غير أنه لا يُوحى إليه » . وذكر الحديث <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ولولم يكن من عظم شأنه إلا أنه طبق الأرض أنوارُه ، وجلَّل الآفاق ضياؤه ، ونفذ في العالم حكمه ، وقبَل في الدنيا رسمه ؛ وطَمَس ظلام الكفر بعد أن كان مَضْرُوبَ الرِّواق ، ممدودَ الأطناب ، مبسوط الباع ، مرفوعَ العِماد ؛ ليس على الأرض من يعرف الله حق معرفته ،

(١) سألت الشيخ أحمد محمد شاكر عن هذا الحديث فكتب يقول : « هذا الحديث مكذوب لا أصل له ، وكفى أن يكون في إسناده « بشر بن نمير القشيري البصري » قال يحيى بن سعيد القطان في شأنه : « كان ركناً من أركان الكذب » . وقال أحمد بن حنبل : « يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث ، وبشر بن نمير أسوأ حالا منه » . وبشر هذا يروى عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة أحاديث في نسخة له ، قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ١٥١/١ - ١٥٢ بعد أن ذكر الحديث الذي هنا : « وبشر عن القاسم نسخة كبيرة ساقطة » . وقال شعبة بن الحجاج : « كان بشر بن نمير لوقيلاً له : ما شاء الله - لقال : القاسم عن أبي أمامة » ! ! يعني جرأته على الكذب والاختراع » .

أو يعبد حقه عبادته ، أو يدين بمظلمته ، أو يعلم علو جلالته ، أو يتفكر في حكمته . فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره ، من أنه نور ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ <sup>(١)</sup> 》 .

فانظر — إن شئت — إلى شريف هذا النظم ، وبديع هذا التأليف ، وعظيم هذا الرصف ؛ \* كل كلمة من هذه الآية تامة ، وكل لفظ بديع واقع .

قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا 》 : يدل على صدور من الرؤوبية ، ويبين عن وروده عن الإلهية . وهذه الكلمة بمنفردا وأخواتها <sup>(٢)</sup> ، كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير — تميز عن جميعه ، وكان واسطة عقده ، وفاتحة عقده ؛ وغرة شهره ، وعين دهره .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا 》 ، فجعله روحاً ، لأنه يحيي <sup>(٣)</sup> الخلق ، فله فضل الأرواح في الأجساد وجعله نوراً لأنه يضيئ ضياء الشمس في الآفاق . ثم أضاف وقوع

(١) سورة الشورى ٥٢ .

(\*) م : « على أن كل » .

(٢) س : « وأخواتها » .

(٣) م : « يحيي به » .

الهداية به إلى مشيئته ، وَوَقَفَ وَقُوعٌ <sup>(١)</sup> الاسترشاد به على إرادته ؛  
 وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِ إِلَيْهِ لَوْلَا تَوْفِيقُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَعْلَمْ مَا فِي الْكِتَابِ  
 وَلَا الْإِيمَانَ لَوْلَا تَعْلِيمُهُ ؛ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِ — فَكَيْفَ كَانَ يَهْدِي —  
 لَوْلَاهُ ، فَقَدْ صَارَ <sup>(٢)</sup> يَهْدِي ، وَلَمْ يَكُنْ <sup>(٣)</sup> مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ لِيَهْتَدِ <sup>(٤)</sup> ، فَقَالَ :  
 ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ <sup>(٥)</sup> 》 .

فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث : فالكلمتان الأوليانِ مُؤْتَلِفَتَانِ .  
 وقوله : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ 》 ، كلمةٌ منفصلةٌ مباينةٌ  
 للأولى ، قد صيرَها شريفُ النظمِ أشدَّ اتِّلَافًا من الكلامِ المؤالفِ ،  
 وألطفَ انتظامًا من الحديثِ الملائمِ .

وبهذا يبين فضل الكلام ، وتظهر فصاحته وبلاغته .

الأمر أظهر ؛ والحمد لله ، والحال أبين من أن يحتاج إلى كشف .

تأمل قوله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ، وَالشَّمْسَ  
 وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ <sup>(٥)</sup> 》 .

(١) كذا في م وفي س ، ك : « وقف » .

(٢) ما بين الرقمين مكانه بياض في ك .

(٣) م : « يهدي » .

(٤) سورة الشورى ٥٣ .

(٥) سورة الأنعام ٩٦ .

انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي أُلِّفَ بينها ، واحتج بها على ظهور قدرته ، ونفاذ أمره ، أليس كل كلمةٍ منها في نفسها غُرّة ؟ وبمفردها <sup>(١)</sup> درّة ؟

وهو — مع ذلك — يبين أنه يصدر عن علو الأمر ، ونفاذ القهر ؛ ويتجلى في بهجة القدرة ، ويتحلّى بمخالصة العزّة ؛ ويجمع السّلاسة إلى الرّصانة ، والسّلامة إلى المتانة ؛ والرونق الصّافي ، والبهاء الضّافي .  
ولست أقول : إنه شمل الإطباق المليح ، والإيجاز اللطيف ؛ والتعديل والتّمثيل ، والتقريب والتّشكيل — وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه — لأنّ العجيب ما يبتأ من انفراد كل كلمةٍ بنفسها ، حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة ، أو وجّه قصيدة أو فقرة .  
فإذا ألقت ازدادت [به] حسناً [وإحساناً] <sup>(٢)</sup> ، وزادت — إذا تأملت — معرفةً وإيماناً .

\* \* \*

ثم تأمل قوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ <sup>(٣)</sup> — هل تجد

(١) كذا في م ، كوفي س « وبمفردها » .

(٢) الزيادة من م .

(٣) سورة يس ٣٧ — ٣٩ .

كلّ لفظة ، وهل تعلم كلّ كلمة ، تستقل بالاشتغال على نهاية البديع ، وتتضمن شرط القول البليغ ؟

فإذا كانت الآية تنتظم من البديع ، وتتألف من البلاغات ، فكيف لا تفوت حدّ المهود ، ولا تجوّز<sup>(١)</sup> شأؤ المألوف ؟ وكيف<sup>(٢)</sup> لا تحوز قَصَبَ السَّبْقِ ، ولا تتعالى عن كلام الخلق ؟

ثم اقصِدْ إلى سورة تامّة ، فتصرّف في معرفة قصصها ، وراع ما فيها من براهينها وقصصها .

تأمل السورة التي يُذكر فيها النمل ، وانظر في كلمة كلمة ، وفصل فصل :

بدأ بذكر السورة ، إلى أن يبيّن أن القرآن من عنده ، فقال : ﴿وإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> . ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام ، وأنه رأى نارًا ، فقال لأهله امكثوا : ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال في سورة طه في هذه القصة : ﴿لَعَلَّ آتِيَكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ

(١) كذا في م ، ك وفي س « ولا تحوز » .

(٢) ب س « فكيف » .

(٣) سورة النمل ٦

(٤) سورة النمل ٨

أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى<sup>(١)</sup> . وفي موضع : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ  
أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ<sup>(٢)</sup> ﴾ .

قد<sup>(٣)</sup> تصرف في وجوه ، وأتى بذكر القصة على ضروب ، ليعلمهم  
عجزهم عن جميع طرق ذلك . ولهذا قال : ﴿ فليأتوا بحديث مثله<sup>(٤)</sup> ﴾ ،  
ليكون أبلغ في تعجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم .

وكل كلمة من هذه الكلمات ، وإن أنبأت عن قصة ، فهي بليغة  
بنفسها ، تامة في معناها .

ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ  
حَوْلَهَا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(٥)</sup> ﴾ .

فانظر إلى ما أجرى له<sup>(٦)</sup> الكلام ، من علو أمر هذا النداء ، وعظم  
شأن هذا الثناء<sup>(٧)</sup> ، وكيف انتظم مع الكلام الأول ، وكيف اتصل  
بتلك المقدمة ، وكيف وصل بها ما بعدها من الإخبار عن الرُّبُوبِيَّةِ ،  
وما دلَّ به عليها من قلب العصا حية ، وجعلها دليلاً يدلُّه عليه ، ومعجزة  
تهديه إليه ؟

(١) سورة طه ١٠

(٢) سورة القصص ٢٩

(٣) م : « فقد »

(٤) سورة الطور ٣٤

(٥) سورة النمل ٨

(٦) م : « إليه »

(٧) « شأن هذه النبا »

وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن ، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ، ثم ما شفعَ به هذه الآية ، وقرَنَ به هذه الدلالة : من اليدِ البيضاء — عن نور البرهان — من غير سوء

ثم انظر في آية آية ، وكلمة كلمة : هل تجدها كما وصفنا : من عجيب النظم ، وبديع الرصف ؟ فكل كلمة لو أُفردت كانت في الجمال <sup>(١)</sup> غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامتها ذواتها : [ مما ] <sup>(٢)</sup> تجري في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها ؟

ثم من قصة إلى قصة ، ومن باب إلى باب ، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل ، وحتى يُصور <sup>(٣)</sup> لك الفصل وصلاً ، يبدع <sup>(٤)</sup> التأليف ، وبلغ التنزيل .

\* \* \*

وإن أردت أن تتبين ما قلناه فضل تبين ، وتحقق بما ادعينا زيادة تحقق — فإن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة من هذه القصص ، وحديث من هذه الأحاديث ، فمبرعنه بعبارة من جهتك ، وأخبر عنه بألفاظ من عندك ، حتى ترى فيما جئت به <sup>(٥)</sup> النقص الظاهر ، وتتبين في نظم القرآن الدليل الباهر .

(١) « في الكلام غاية »

(٢) الزيادة من م

(٣) م : « وحتى يتصور »

(٤) م : « لبدع »

(٥) م : « به من »



ولذلك<sup>(١)</sup> أعاد قصة موسى في سُور ، وعلى طرق شتى ، وفواصل مختلفة ، مع اتفاق المعنى . فلعلك ترجع إلى عقلك ، وتستتر<sup>(٢)</sup> ما عندك ، إن غلطت في أمرك ، أو ذهبت في مذاهب وهمك ، أو سلطت على نفسك وجه ظنك .

متى تهباً لبليغ أن يتصرّف في قدر<sup>(٣)</sup> آية في أشياء مختلفة ، فيجعلها مؤتلفة ، من غير أن يبين على كلامه إعياء الخروج والتنقل ، أو يظهر على خطابه آثار التكلف<sup>(٤)</sup> والتعمّل ؟

وأحسب أنه لا يسلم من هذا — ومحال أن يسلم منه — متى<sup>(٥)</sup> يظفر بمثل تلك الكلمات الأفراد ، والألفاظ الأعلام ، حتى يجمع بينها ، فيجاول<sup>(٦)</sup> فيها فقرة من كلامه ، وقطعة من قوله . ولو اتفق له في أحرف معدودة ، وأسطر قليلة ، فتي يتفق له في قدر ما تقول : إنه<sup>(٧)</sup> من القرآن معجز ؟

هيهات هيهات ! إن الصبح يطمسُ النجوم وإن كانت زاهرة ، والبحر يغمر الأنهار وإن كانت زاهرة .

(١) م : « وكذلك »

(٢) م : « إلى نفسك وتسبر »

(٣) م : « في صدر »

(٤) م : « التكليف »

(٥) م : « حتى »

(٦) م : « فيخلو »

(٧) م : « آية من القرآن معجزة »

متى<sup>(١)</sup> تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام، بعد ذكر العنوان والتسمية، هذه الكلمة الشريفة العالية: ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير، واشتغلت به من المشورة، ومن تعظيمها أمر المستشار، ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها<sup>(٣)</sup>، بتلك الألفاظ البديعة، والكلمات العجيبة البليغة.

ثم كلامها بعد ذلك، [ألا] تعلم<sup>(٤)</sup> تمكّن قولها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي، مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾<sup>(٥)</sup>. وذكر قولهم: ﴿قَالُوا: نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ، فَاُنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، لا تجد في صفتهم أنفسهم أبرع<sup>(٧)</sup> مما وصفهم به.

وقوله: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، تعلم براعته بنفسه، وعجيب معناه، وموضع اتفاقه في هذا الكلام، وتمكّن الفاصلة<sup>(٨)</sup>، وملاءمته لما قبله، وذلك قوله: ﴿فَاُنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

(١) م : «فتى»

(٢) سورة النمل ٣١

(٣) م : «وطاعتهم لها»

(٤) س : «بعد ذلك لتعلم»

(٥) سورة النمل ٣٢

(٦) سورة النمل ٣٤

(٧) س : «أبدع»

(٨) م : «تمكّن ألفاظه»

ثم إلى هذا الاختصار ، وإلى البيان مع الإيجاز . فإن الكلام قد يفسده الاختصار ، ويعميه التخفيف منه والإيجاز ، وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً ، لتمكّنه ووقوعه موقعه ، ويتضمن الإيجازُ منه تصرفاً يتجاوزُ محله وموضعه .

وكم جئت إلى كلام مبسوط يضيقُ عن الأفهام ، ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من<sup>(١)</sup> التمام ، ثم لو وقع على الأفهام [ والتمام ، أخل بما<sup>(٢)</sup> ] يجب فيه من شروط الأحكام ، أو بمعاني القصة وما تقتضى من الإعظام .

ثم لو ظفرت بذلك كله ، رأيته ناقصاً في وجه الحكمة ، أو مدخولاً في باب السياسة ، أو مضعوفاً<sup>(٣)</sup> في طريق السيادة ، أو مشترك عبارات إن كان مستجود المعنى ، [ أو مستجود العبارة مشترك المعنى<sup>(٤)</sup> ] ، أو جيد البلاغة مُستجلب<sup>(٥)</sup> المعنى ، أو مستجلب البلاغة جيد المعنى ، أو مستنكر اللفظ وحشى العبارة ، أو مستبهم الجانب مستكره الوضع .

وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بُسِطَ أفاد ، وإذا اختصرَ كمل في بابهِ وجاد ؛ وإذا سرحَ الحكيمُ في جوانبه طرف

(١) م : « على »

(٢) الزيادة من م ومكانها بياض في ك

(٣) س ، ك : « أو مضعوفاً » !

(٤) الزيادة من م

(٥) م : « مستحيل المعنى أو مستحيل »

خاطره <sup>(١)</sup> ، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه ، لَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى محاسن تتوالى ، وبدائع تَتَرَى <sup>(٢)</sup> .

ثم فكَرُّ بعد ذلك في آية آية ، أو كلمة كلمة ، في قوله : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

هذه الكلمات الثلاث ، كل واحدة منها كالنجم في علوه ونوره ، وكالياقوت يتلألًا بين سُذُورِهِ . ثم تأملْ تمكُنْ الفاصلة — وهى الكلمة الثالثة — وحسن موقعها ، وعجيب حكمتها <sup>(٤)</sup> ، وبارع معناها .

وإن شرحتُ لك مافى كل آية طال عليك الأمر ، ولكنى قد بَيَّنْتُ بما فسرْتُ ، وقرَّرت بما فصَّلْتُ — الوجه الذى سلكتُ ، والنحو الذى قصدتُ ، والغرض الذى إليه رميتُ ، والسَّمْتُ الذى إليه دعوتُ .

ثم فكَرُّ بعد ذلك فى شىء أدلُّك عليه :

وهو تعادُلُ هذا النظم فى الإعجاز ، فى مواقع الآيات القصيرة ، والطويلة ، والمتوسطة .

(١) م : « أو »

(٢) هذا الاستعمال من الباقلانى يكاد يوهى القارئ أن كلمة « تترى » فعل مضارع ، إذ جعلها مزاملة لكلمة « تتوالى » ! و « تترى » اسم ، بمعنى : متواترين ، ولذلك يجوز تنوينها . ففى اللسان ١٣٧/٧ — ١٣٨ « وجاءوا تترى وتتراً ، أى متواترين . التاء مبدلة من الواو . قال ابن سيدة : وليس هذا البديل قياساً ، إنما هو فى أشياء معلومة »

(٣) سورة النمل ٣٤

(٤) س : « حكمها »

فَأَجَلِ الرَّأْيَ فِي سُورَةِ سُورَةِ ، وَآيَةِ آيَةِ ، وَفَاصِلَةِ فَاصِلَةِ ، وَتَدَبَّرِ  
الْخَوَاتِمَ ، وَالْفَوَاتِحَ ، وَالْبَوَادِي<sup>(١)</sup> ، وَالْمَقَاطِعَ ، وَمَوَاضِعَ الْفَصْلِ  
وَالْوَصْلِ ، وَمَوَاضِعَ التَّنْقِيلِ وَالتَّحْوِيلِ ، ثُمَّ اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ .

وَإِنْ طَالَ عَلَيْكَ تَأَمُّلُ الْجَمِيعِ ، فَاقْتَصِرْ عَلَى سُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ عَلَى  
بَعْضِ سُورَةٍ<sup>(٢)</sup> .

مَا رَأَيْتُكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا  
شِيْعًا ، يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ،  
إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ<sup>(٣)</sup> 》 ؟

هَذِهِ تَشْتَمِلُ عَلَى سِتِّ كَلِمَاتٍ ، سَنَاوُهَا وَضِياوُهَا عَلَى مَا تَرَى ،  
وَسَلَاسَتِهَا وَمَاوُهَا عَلَى مَا تَشَاهِدُ ، وَرَوَتْقُهَا عَلَى مَا تَعَايِنُ ، وَفَصَاحَتِهَا  
عَلَى مَا تَعْرِفُ .

وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى جُمْلَةٍ وَتَفْصِيلٍ ، [ وَجَامِعَةٍ<sup>(٤)</sup> ] وَتَفْسِيرٍ : ذَكَرَ  
الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ بِاسْتِضْعَافِ الْخَلْقِ بِذَبْحِ الْوِلْدَانِ وَسَبْيِ<sup>(٥)</sup> النِّسَاءِ ، وَإِذَا  
تَحَكَّمْ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ فَمَا ظَنُّكَ بِمَا دُونَهُمَا ؟ ! لِأَنَّ النِّفْسَ لَا تَطْمَئِنُّ  
عَلَى هَذَا الظُّلْمِ ، وَالْقُلُوبَ لَا تَقَرُّ عَلَى هَذَا الْجَوْرِ .

(١) م : « والمبادئ »

(٢) س : « سور » م « أو بعض »

(٣) سورة القصص ٤

(٤) الزيادة من م

(٥) م : « لذبح الولدان ، واستحياء »

ثم ذكرَ الفاصلةَ التي أوغلت في التأكيد ، وكفّت في التظليم ، وردّت آخرَ الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره .

ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ <sup>(١)</sup> 〉 . وهذا من التأليف بين المؤتلف ، والجمع بين المستأنس .

كما أن قوله : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ <sup>(٢)</sup> 〉 .

وهي خمس كلمات ، متباعدة في المواقع ، نائية المطارح ، قد جعلها النظم البديع أشدّ تألفاً <sup>(٣)</sup> من الشيء المؤتلف في الأصل ، وأحسن توافقاً من المتطابق في أول الوضع .

ومثل هذه الآية قوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ <sup>(٤)</sup> 〉 .

ومثلها : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ <sup>(٥)</sup> 〉 .

( ١ ) سورة النمل ٥

( ٢ ) سورة القصص ٧٧

( ٣ ) م : « تأليفا »

( ٤ ) سورة القصص ٦٨

( ٥ ) سورة القصص ٥٨

ومن المؤلف قوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وهذه ثلاث كلمات ، كل كلمة منها أعز من الكبريت الأحمر .  
ومن الباب الآخر<sup>(٢)</sup> قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو تكلفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها ، لم تستوف ما استوفته . ثم تجد فيما تنظم ثقل النظم ، وفُور الطبع ، وشراد<sup>(٤)</sup> الكلام ، وتهافت القول ، وتمنع جانبه ، وقصورك في الإيضاح عن واجبه . ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة ، وفصل إلى فصل ، حتى تتبين<sup>(٥)</sup> عليك مواضع الوصل ، وتستصعب عليك أما كن الفصل . ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة ، وأمثالا سائرة ، وحكما جليلة ، وأدلة على التوحيد بينة ، وكلمات في التنزيه والتحميد<sup>(٦)</sup> شريفة .

(١) سورة القصص ٨١

(٢) كذا في ك ، س وفي م : « ومن الباب قوله »

(٣) سورة القصص ٨٨

(٤) م : « وشرود »

(٥) كذا في س ، ك . وفي م : « حتى تتعثر » ا « حتى تتبتر »

(٦) م : « والتمجيد »

وإن أردت أن تتحقق ما وصفتُ لك ، فتأملْ شعرَ مَنْ شئتَ من الشعراءِ المُفْلِقِينَ ، هل تجد كلامه في المديح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص ؟

إنك لتراه إذا جاء إلى وصف وقعة<sup>(١)</sup> ، أو ثقل خبر ، عاينَ الكلامَ ، سُوقَ الخطاب ، مسترسلاً في أمره ، متساهلاً في كلامه ، عادلاً عن المؤلف من طبعه ، وناكباً عن المهود من سجيته . فإن اتفق له في قصة كلامٌ جيد ، كان قدر ثنتين أو ثلاثة ، وكان ما زاد عليها حشواً ، وما تجاوزها لغواً . ولا أقول : إنها تخرج من عادته عفواً ، لأنه يقصر عن العفو ، ويقف دون ، العُرف ، ويتعرض للركاكة .

فإن لم تنفع بما قلتُ لك من الآيات<sup>(٢)</sup> ، فتأملْ غير ذلك من السور<sup>(٣)</sup> ، هل تجد الجميع على ما وصفت لك ؟

لو لم تكن إلا سورة واحدة لكفت في الإعجاز ؛ فكيف بالقرآن العظيم ؟

ولو لم يكن إلا حديث من سورة لكفى ، وأقنع وشفى .

ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء<sup>(٤)</sup> ، لما طلبتَ يئناً سواها .

بل قصة من قصصه ، وهي قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ، إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ

(١) س : « واقعة » (٢) كذا في م . وفي س ، ك : « من الآيات »

(٣) ١ : « من الشعر » (٤) سورة الشعراء ٥٢



وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ<sup>(١)</sup> ﴿ حَتَّى قَالَ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ، فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ<sup>(٢)</sup> 》 .

ثم قصة إبراهيم عليه السلام .

ثم لم تكن إلا الآيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن ، وهي قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ<sup>(٣)</sup> 》 .

وهذه كلمات مفردةٌ بفواصلها ، منها ما يتضمن فاتحةً وفاصلةً ، ومنها ما هي فاتحةٌ وواسطةٌ وفاصلةٌ ، ومنها كلمةٌ بفاصلتها تامةٌ .

دل على أنه نَزَلَهُ على قلبه ليكون نذيراً ، وَيَبَيِّنُ أَنَّهُ آيَةٌ لَكُونَهُ نَبِيًّا ، ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْضَعْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٤)</sup> 》 .

فتأمل آيةً آيةً ، لتعرف الإعجاز ، وتبين التصرف البديع ، والتنقل في الفصول إلى آخر السورة .

ثم راعِ المقطع العجيب ، وهو قوله : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ<sup>(٥)</sup> 》 .

( ١ ) سورة الشعراء ٥٧ — ٦٠

( ٢ ) سورة الشعراء ٦٣

( ٣ ) سورة الشعراء ١٩٢ — ١٩٥

( ٤ ) سورة الشعراء ٢١٤ — ٢١٥

( ٥ ) سورة الشعراء ٢٢٧

هل يُحسِّن [أحد<sup>(١)</sup>] أن يأتي بمثل هذا الوعيد ، وأن ينظم<sup>(٢)</sup> مثل هذا النظم ، وأن يجد مثل هذه النظائر السابقة ، ويصادف<sup>(٣)</sup> مثل هذه الكلمات المتقدمة ؟

ولولا كراهة الإملال ، لجئت إلى كل فصل ، فاستقرت على الترتيب كلماته ، وبينت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ، وعجيب<sup>(٤)</sup> البلاغة .

ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده ، وتستضيء بنوره ، وتهتدي بهداه .

ونحن نذكر آياتٍ آخر ، لتزداد استبصاراً ، وتتيقن<sup>(٥)</sup> تيقناً :  
تأمل من الكلام المؤتلف قوله : ﴿ حَمَّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ  
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي  
الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ<sup>(٦)</sup> 》 .

أنت قد تدرّبت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته ، فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر ، وما يجمع ما تجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة .

(١) الزيادة من م

(٢) س ، ك : « وأن تنظم . . . وأن تجد . . . وتصادف »

(٣) م : « السايغة . . . مثل الكلمات »

(٤) س ، ك : « ومن عجيب »

(٥) كذا في م . وفي س « وتتقدم » وك : « ويتقدم »

(٦) سورة غافر ١ - ٣

ثم اتل<sup>(١)</sup> ما بعدها من الآي ، واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء : من احتجاج إلى وعيد ، ومن إغذارٍ إلى إنذار ، ومن فنون من الأمر شتى ، مختلفة تأتلف بشريف النظم ، ومتباعدة تتقارب<sup>(٢)</sup> بعلى الضم .

ثم جاء إلى قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ، وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

الآية الأولى أربعة فصول ، والثانية فصلان .

وجه الوقوف على شرف<sup>(٤)</sup> الكلام : أن تتأمل موقع قوله : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ ، وهل تقع في الحسن موقع قوله : « ليأخذوه » كلمة ؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة ؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكتة ؟ لو وضع موضع ذلك « ليقتلوه » ، أو « ليرجموه » ، أو « لينفوه » ، أو « ليطردوه » ، أو « ليهلكوه » ، أو « ليدلوه » ، ونحو هذا ، ما كان ذلك بديعاً<sup>(٥)</sup> ولا بارعاً ، ولا عجباً ولا بالماً .

(١) س ، ك : « واتل »

(٢) كذا في س ، ك . وفي م : « تتقارب بعلى الكلام »

(٣) سورة غافر ٥ - ٦

(٤) م : « على شريف »

(٥) كذا في م . وفي س ، ك : « بعيداً »

فانقد موضع هذه الكلمة ، وتعلم بها ما تذهب إليه من تخير<sup>(١)</sup> الكلام ، [ وانتقاء<sup>(٢)</sup> ] الألفاظ ، والاهتداء للمعاني .

فإن كنت تقدر أن شيئاً من هذه الكلمات التي عددناها<sup>(٣)</sup> عليك أو غيرها ، [ يقوم مقام هذه اللفظة ، لم تقف<sup>(٤)</sup> ] على غرضنا من هذا الكتاب ، فلا سبيل لك إلى الوقوف على تصاريح الخطاب ، فافزع إلى التقليد ، واكف نفسك مؤونة التفكير .

وإن فطنت فانظر إلى ما قال من ردّ عجز الخطاب إلى صدره ، بقوله : ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ثم ذكر عقيبها العذاب في الآخرة ، وأتلاها تلو العذاب في الدنيا ، على الأحكام الذي رأيت<sup>(٥)</sup> .

ثم ذكر المؤمنين بالقرآن ، بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، إلى أن ذكر ثلاث آيات .

(١) س ، ك : « من نخب »

(٢) الزيادة من م ، ومكانها بياض في ك

(٣) مكان هذه الكلمة بياض في ك

(٤) الزيادة من م ، وفي س ، ك « عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا »

(٥) م : « على الأحكام التي رادت »

(٦) سورة غافر ٧

وهذا كلام مفصول، تعلم<sup>(١)</sup> عجيب اتصاله بما سبق ومضى، وانتسابه إلى ما تقدم واتقضى، وعظم موقعه<sup>(٢)</sup> في معناه، ورفيع ما يتضمن من تحميدهم وتسبيحهم، وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

هل تعرفُ شرفَ هذه الكلمة لفظاً ومعنى، ولطيفَ هذه الحكاية، وتلاوُمَ هذا الكلام، وتشاكُلَ هذا النظام؟ فكيف<sup>(٤)</sup> يهتدى إلى وضع هذه المعاني بشرى، وإلى تركيب ما يلائمها من الألفاظ إنسى؟.

ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى.

ثم نبّه على أمر القرآن، وأنه من آياته، بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وإنما ذكر هذين الأمرين اللذين يختص بالقدره عليهما، لتناسبهما في أنهما من تنزيله من السماء، ولأن الرزاق الذي لو لم<sup>(٦)</sup> يرزق لم يمكن بقاء النفس، تجب طاعته والنظر في آياته.

(١) ك : « يعلم »

(٢) س ، ك : « وتقضى وعظم موضعه »

(٣) سورة غافر ٧

(٤) س ، ك : « وكيف »

(٥) سورة غافر ١٣

(٦) م : « الذي لم »

ثم قال : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ،  
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ، يُبْلِغُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ ، لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ  
مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ <sup>(١)</sup> 》 .

قف على هذه الدلالة <sup>(٢)</sup> ، وفكر فيها ، وراجع نفسك في مراعاة  
معاني هذه الصفات العالية ، والكلمات السامية ، والحكم البالغة ،  
والمعاني الشريفة — : تَعْلَمُ وُرُودَهَا عَنِ الْإِلَهِيَّةِ ، ودلالاتها على الربوبية ،  
وتتحقق أنَّ الخُطْبَ المنقولة عنهم ، والأخبار الماثورة في كلماتهم  
الفصيحة ، من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية ، وما تحوم عليه  
الأفكار الآدمية ، وتعرف مَبَايِنَهَا لهذا الضرب من القول .

أىُّ خاطر يتشوّف إلى أن يقول : ﴿ يُبْلِغُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى  
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ 》 ؟  
وأىُّ لفظ يدرك هذا المضمار ؟ وأىُّ حكيم يهتدى إلى ما لهذا من  
الغور ؟ وأىُّ فصيح يهتدى إلى هذا النظم ؟

ثم استقرئ الآية إلى آخرها ، واعتبر كلماتها ، وراجع بعدها  
قوله : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ  
سَرِيعُ الْحِسَابِ <sup>(٣)</sup> 》 .

(١) سورة غافر ١٤ - ١٦

(٢) م : « الآية »

(٣) سورة غافر ١٧

مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَأْلِيفِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ ، عَلَى قَرْبِهَا ، وَعَلَى خَفَتِهَا فِي النِّظْمِ ، وَمَوْقِعِهَا مِنَ الْقَلْبِ ؟

مِمَّ تَأْمَلُ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>(١)</sup> .

كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا قَدْ وَصَفْتُهَا<sup>(٢)</sup> : مِنْ أَنَّهُ إِذَا رَأَاهَا الْإِنْسَانُ فِي رِسَالَةٍ كَانَتْ عَيْنَهَا ، أَوْ فِي خُطْبَةٍ كَانَتْ وَجْهَهَا ، أَوْ قَصِيدَةٍ كَانَتْ<sup>(٣)</sup> غُرَّةَ غُرَّتِهَا ، وَبَيْتَ قَصِيدَتِهَا ، كَالْيَاقُوتَةِ الَّتِي تَكُونُ فَرِيدَةً الْعَقْدِ ، وَعَيْنَ الْقِلَادَةِ ، وَدُرَّةَ الشَّذَرِ ، إِذَا وَقَعَ بَيْنَ كَلَامٍ وَشَحْحِهِ ، وَإِذَا ضَمَّنَ<sup>(٤)</sup> فِي نِظَامٍ زِينَتَهُ ، وَإِذَا اعْتَرَضَ فِي خُطَابٍ تَمَيَّزَ عَنْهُ ، وَبَانَ بِحُسْنِهِ مِنْهُ .

وَلَسْتُ أَقُولُ هَذَا لَكَ فِي آيَةٍ دُونَ آيَةٍ ، وَسُورَةٍ دُونَ سُورَةٍ ، وَفَصْلِ دُونَ فَصْلٍ ، وَقِصَّةٍ دُونَ قِصَّةٍ ، وَمَعْنَى دُونَ مَعْنَى ؛ لِأَنِّي قَدْ شَرَحْتُ لَكَ أَنَّ الْكَلَامَ فِي حِكَايَةِ الْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ ، وَفِي الشَّرَائِعِ

(١) سُورَةُ غَافِرٍ ١٨ - ٢٠

(٢) م : « عَلَى قَدَرِ مَا وَصَفْتُهَا »

(٣) م : « كَانَتْ غُرَّتِهَا »

(٤) م : « وَإِذَا نَظَّمَ »

والأحكام، وفي الديانة والتوحيد، وفي الضجيج والتثيت، هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور.

ألا ترى أن الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزهد قصر، والأديب إذا تكلم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام، لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره.

ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء، ولا يتباين في أمر، ولا يحتل في حال؛ بل له المثل الأعلى، والفضل الأسنى. وفيما شرحناه لك كفاية، وفيما بيناه بلاغ.

\* \* \*

ونذكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر:

منها قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ؟ قُلْ: أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ، تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ، وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ<sup>(١)</sup>﴾.

أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب، والنظم البارع [الغريب]<sup>(٢)</sup>، ما يدلك - إن شئت - على الإعجاز، مع هذا الاختيار والإيجاز، فكيف إذا بلغ ذلك آيات<sup>(٣)</sup>، أو كانت سورة؟ ونحو هذه الآية قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي

(١) سورة المائدة ٤

(٢) الزيادة من م

(٣) س، ك: «وكانت»



يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ،  
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ  
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُواهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ <sup>(١)</sup> .

وكالآية التي بعدها في التوحيد وإثبات النبوة ، وكالآيات الثلاث  
في التواريث

أى بارع يقدر على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ؟  
ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم <sup>(٢)</sup> ؟

وإن جئت إلى آيات الاحتجاج ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا  
إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ،  
لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ <sup>(٣)</sup> ﴾

وكالآيات في التوحيد ، كقوله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ  
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٤)</sup> ﴾ .

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ  
نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ

( ١ ) سورة الأعراف ١٥٧

( ٢ ) م : « على مثل ما فيها من بليغ النظام »

( ٣ ) سورة الأنبياء ٢٢ - ٢٣

( ٤ ) سورة غافر ٦٥

لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا<sup>(١)</sup> .  
 وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٢)</sup> ﴾ ،  
 إلى آخرها .

وكقوله : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ،  
 إِنَّ إِلَهُكُمُ لَوَاحِدٌ ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ  
 الْمَشَارِقِ ، إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيقًا الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِنْ  
 كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ  
 جَانِبٍ دُخُورًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ  
 شِهَابٌ ثَاقِبٌ<sup>(٣)</sup> ﴾ .

هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ  
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
 رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ  
 يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ<sup>(٤)</sup> ﴾ .

[ ارفع طرف قلبك ]<sup>(٥)</sup> ، وانظر بعين عقلك ، وراجع جليلة  
 بصيرتك ، إذا تفكرت في كلمة كلمة مما تقلناه إليك ، وعرضناه

(١) سورة الفرقان ١ - ٢

(٢) سورة الملك ١

(٣) سورة الصافات ١ - ١٠

(٤) سورة الزمر ٨

(٥) الزيادة من م

عليك ، ثم فيما ينتظم من الكلمات ، ثم إلى أن يتكامل فصلاً وقصةً ،  
أو يَتِمَّ حديثاً وسورة .

لا ، بل فَكَّرْ في جميع القرآن على هذا الترتيب ، وتدبره على نحو  
هذا التنزيل ، فلم ندَّعِ ما ادعينا له بعضه ، ولم نَصِفْ ما وصفنا <sup>(١)</sup> إلا  
في كله ، وإن كانت الدلالة في البعض أَبْنَى وأظهر ، والآية  
أَكْشَفَ وأبهر .

وإذا تأملت على ما هديناك إليه ، ووقفناك عليه ، فانظر هل  
تجد وَقْعَ <sup>(٢)</sup> هذا النور في قلبك ، واشتمالَه على لُبِّك ، وسريانه في  
حسِّك ، ونفوذه في عروقك ، وامتلائك به إيقاناً وإحاطة ، واهتدائك به  
إيماناً وبصيرةً ؟ أم هل تجد الرُّعبَ يأخذ منك مأخذه من وجه ،  
والهَيَزةَ تعمل في جوانبك <sup>(٣)</sup> من لون ، والأرْيَحِيَّةَ تستولى عليك  
من باب ؟ .

وهل تجد الطرب يستفزُّكَ لِلطَّيْفِ ما فَطِنْتَ له ، والسرور  
يحركك من عجب ما وقفتَ عليه ، وتجدُّ في نفسك من المعرفة التي  
حدثت لك عِزَّةً ، وفي أعطافك ارتياحاً وهِزَّةً ، وترى لك في الفضل  
تقدماً وتَبَرُّزاً ، وفي اليقين سَبْقاً وتحقيقاً ، وترى مطارِحَ الجَهَالِ تحت

(١) س : « ما وصفناه »

(٢) كذا في ا ، م ، وفي س ، ك : « هل ترى »

(٣) م : « في جوارحك »

أقدام الغفلة ، ومهاويهم في ظلال<sup>(١)</sup> القلة والذلة ، وأقدارهم بالعين التي يجب أن تلحظ بها ، ومراتبهم بحيث يجب<sup>(٢)</sup> أن ترتبها ؟ .

هذا كله في تأمل الكلام ونظامه ، وعجيب معانيه وأحكامه .

فإن جئت إلى ما انبسط في العالم من برّكته وأنواره ، وتمكن في الآفاق من يمينه وأضوائه ، وثبتت في القلوب من إكباره وإعظامه ، وتقرر في النفوس من حتم أمره ونهيه ، ومضى في الدماء<sup>(٣)</sup> من مفروض حكمه ، وإلى أنه جيل عماد<sup>(٤)</sup> الصلاة التي هي تلو الإيمان في التأکید ، وثانية التوحيد في الوجوب . وفرض<sup>(٥)</sup> حفظه ، ووكل الصغار والكبار بتلاوته ، وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه ، من قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه ، فهل يدلك هذا على عظيم شأنه ، وراجح ميزانه ، وعالي مكانه .

ومجلة الأمر أن نقد الكلام شديد ، وتمييزه صعب .

ومما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكري : [ قال ]<sup>(٧)</sup> أخبرني

(١) كذا في س ، ك ، وفي م : « في أطلال »

(٢) م : « بحيث يحق »

(٣) م : « في الدنيا »

(٤) م : « أعماد »

(٥) م : « وفروض »

(٦) سورة النحل ٩٨

(٧) الزيادة من م

أبو بكر بن دُرَيْدٍ قال : سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الأُصمعى يقول :  
فرسانُ الشعر <sup>(١)</sup> أقلُّ من فرسان الحرب .

وقال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : العلماء بالشعر أعزُّ من  
الكبريت الأحمر .

وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس ، يشقُّ تمييزُهُ ،  
ويصعب تقدُّه ، ويذهب عن محاسنه الكثير <sup>(٢)</sup> ، وينظرون إلى كثير  
من قبيحه بعين الحسن ، وكثير من حسنه بعين القبح ، ثم يختلفون في  
الأحسن منه اختلافاً كثيراً ، وتباين آراؤهم في تفضيل ما يفضل منه ،  
فكيف لا يتحIRON فيما لا يحيط به علمهم ، ولا يتأتَّى في مقدورهم ، ولا  
يُمَثَّلُ بخواطرم ؟ وقد حَيَّرَ القومَ الذين لم يكن أحدٌ أفصحَ منهم ، ولا  
أتمَّ بلاغةً ، ولا أحسنَ براعةً ، حتى دُهِشوا حين ورد عليهم ،  
وَوَلَّهتْ عقولهم ، ولم يكن عندهم فيه جوابٌ غير ضربِ الأمثال ،  
والتَّخَرُّصِ <sup>(٣)</sup> عليه ، والتوهم فيه ، وتقسيمة أقساماً ، وجعله عِضِينَ .

وكيف لا يكون أحسن الكلام ، وقد قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ  
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ

(١) كذا في م ، وفي س ، ك : « الشعراء »

(٢) ك : « يذهب . . . الكبير »

(٣) كذا في ك ، وفي م ، س : « والتخرص »

يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ <sup>(١)</sup> .

استغنم فهم هذه الآية ، وكفاك ، استفد علم هذه الكلمات ، وقد أغناك ، فليس يُوقَفُ على حسن الكلام بطوله ، ولا تُعرف براعته بكثرة فصوله ، إن القليل يدل على الكثير ، والقريب قد يهجم بك على البعيد .

ثم إنه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة ، وكبر محلها <sup>(٢)</sup> ، وزهاها على أقوام — ذكر في آخر هذه الآية ما ذكر ، وَبَيَّنَّ مَا بَيَّنَّ ، فقال : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . فلا تعلم <sup>(٣)</sup> ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد . وقال : ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا <sup>(٤)</sup> ﴾ .

وقد بسطنا لك القول رجاء إفهامك .

وهذا المنهاج الذي رأيته ، إن سلكته يأخذ بيدك ، ويدلك على رشدك ، ويعينك عن <sup>(٥)</sup> ذكر براعة <sup>(٦)</sup> آية آية لك .

واعلم أننا لم نقصد فيما سطرناه من الآيات ، وسميناه من السور

( ١ ) سورة الزمر ٢٣

( ٢ ) م : « وكبر محلها »

( ٣ ) س ، ك : « فلا يعلم »

( ٤ ) سورة البقرة ٢٦

( ٥ ) م : « ويعينك على »

( ٦ ) س : « براعته »

والدلالات، ذَكَرَ الأحسن<sup>(١)</sup> والأَكشَفِ والأَظْهَرِ؛ لأننا نعتقد في كل سورة ذكرناها أو<sup>(٢)</sup> أضربنا عن ذكرها اعتقاداً واحداً في الدلالة على الإعجاز، والكفاية في التمتع والبرهان، ولكن لم يكن بُدٌّ من ذكر بعض، فذكرنا ما تيسر، وقلنا فيما اتجه في الحال وخطر، وإن كنا نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر، وفي بعضه<sup>(٣)</sup> أدقُّ وأعمُّض، والكلام في هذا الفصل يحىء بعد هذا.

فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا، والسيرُ بعد ذلك في التفصيل إليك. وحصل ما أعطيناك من العلامة، ثم النظر عليك.

\* \* \*

قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : ما يتمُّ بنفسه، أو بنفسه وفصلته، فيُنِيرُ في الكلام إنارة النّحم في الظلام.

والثاني : ما يشتمل على كلمتين أو كلمات، إذا تأملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية البراعة وغاية البلاغة.

وإنما يبين ذلك بأن تتصور هذه الكلمة مُضمَّنةً بين أضعاف كلام كثير، أو خطاب طويل، فتراها ما بينها<sup>(٤)</sup> تدلّ على نفسها،

(١) م : « ذكر الأعجز »

(٢) س، ك : « وضربنا »

(٣) س : « وفي بعض »

(٤) م : « ما بينهما »

وتعلو على ما قرُن بها<sup>(١)</sup> لعلو جنسها ، فإذا ضُمَّت إلى أخواتها ، وجاءت في ذواتها ، أَرَتَكَ الْقَلَائِدَ منظومة ، كما كانت تُرِيكَ عند تأمل الأفراد منها اليواقيتَ مَنشُورَةً ، والجواهر مَبْثُوثَةً<sup>(٢)</sup> .

ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشعر لأنشدتك ألفاظاً وقعت مُضمَّنة ، لتعلم كيف تلوح<sup>(٣)</sup> عليه ، وكيف ترى بهجتها في أثنائه ، وكيف تمتاز منه ، حتى إنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبيَّن أنه أجنبي من الكلام الذي تضمنه ، والباب الذي توسطه ، وأنكر مكانه ، واستكبر موضعه .

ثم تناسبها في البلاغة والإبداع ، وتماثلها في السلاسة والإغراب ، ثم انفردا بذلك الأسلوب ، وتخصصها بذلك الترتيب ، ثم سائر ما قدمنا ذكره ، مما نكره إعادته .

وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ، ويختل تصرفه في معانيه ، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقة ، ويضيق به النطاق في مذهبه ، ويرتبك<sup>(٤)</sup> في أطرافه وجوانبه ، ويسامه للتكلف<sup>(٥)</sup> الوحش كثرة تصرفه ، ويحيله على التصنع الظاهر مواردٍ تنقله وتخلصه .

(١) كذا في ١ ، م . وفي س ، ك : « على ما قد قرن منها »

(٢) م : « مَبْثُوثَةٌ منشورة »

(٣) م : « يلوح »

(٤) م : « ويريبك »

(٥) م : « ويسلبه التكلف الوحش كثير »



ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه ، وفي فصله ووصله ، واقتضاه واختتامه ، وفي كل نهج يسلكه ، وطريق يأخذه فيه ، وباب يتهجم عليه ، ووجه يؤمّه ، على ما وصفه الله تعالى به — : لا يتفاوت ، كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> . ولا يخرج عن تشابهه وتماثله ، كما قال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وكما قال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ <sup>(٣)</sup> . ولا يخرج عن إباته ، كما قال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وغيره من الكلام كثير اللون ، دائم التغير ، [ والتنكر ] <sup>(٥)</sup> ، يقف بك على بديع مستحسن ، ويعقبه بقبیح <sup>(٦)</sup> مستهجن ، ويطلع عليك بوجه الحسناء ، ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ، ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللآلئ الزهراء .

وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهيم ، وقد يقع إليك منه الكلام المشبّع <sup>(٧)</sup> ، والنظم المشوش ، والحديث المشوّه . وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ، ولا يتألف ولا يتماثل .

( ١ ) سورة النساء ٨٢

( ٢ ) سورة الزمر ٢٨

( ٣ ) سورة الزمر ٢٣

( ٤ ) سورة الشعراء ١٩٥

( ٥ ) الزيادة من م

( ٦ ) س « قبیح »

( ٧ ) في اللسان ٤٣/ ٣ « التبجج : اضطراب الكلام »

وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى :

وشِعْرٍ كَبَعْرٍ الكَبْشِ فَرَّقَ يَنَّهُ

لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلٍ<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

وبعضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ

يَكْدُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ<sup>(٢)</sup>

فإن قال قائل : فقد نجد في آيات [ من ]<sup>(٣)</sup> القرآن ما يكون نظمُه بخلاف ما وصفتَ ، ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة ، وإنما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة ، وحدّ يتجاوز حدّ الألفاظ المستندة ، وإن كان الأكثر على ما وصفته به ؟

(١) في البيان والتبيين ٦٦/١ « قال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي : وشعر إلخ . . . وأما قوله : ”كبعر الكبش“ فإنما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاوز . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية ، سلسلة النظام ، خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد . »

(٢) البيت لخلف الأحمر . قال الجاحظ في البيان والتبيين ٦٦/١ « أما قول خلف \* وبعض قريض القوم أولاد علة \* فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرها ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقاً ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة »

(٣) الزيادة من م

قيل له : نحن نعلم أن قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ  
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ ، إلى آخر الآية —  
ليس من القبيل الذي يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة الفصاحة [عليه]<sup>(١)</sup>  
وذلك يجري عندنا مجرى ما يحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب ،  
فلا يمكن إظهار البلاغة<sup>(٢)</sup> فيه ، فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة .  
بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب ، وظهور الحكمة في  
الترتيب والمعنى ، وذلك حاصل في هذه الآية — إن تأملت .

ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم ، لعظم حرمتها ، وإدلائها بنفسها ،  
ومكان بعضيتها ، فهي أصل لكل من يدلى بنفسه منها ، ولأنه<sup>(٣)</sup> ليس  
في ذوات الأنساب أقرب منها .

ولما جاء إلى ذوات الأسباب ، ألحق بها<sup>(٤)</sup> حُكْمَ الأم من الرضاع ؛  
لأن اللحم ينشره اللبن بما يغذوه ، فيتحصل بذلك أيضاً لها حكم  
البعضية ، فنشر<sup>(٥)</sup> الحرمة بهذا المعنى ، وألحقها بالوالدة .

وذكر الأخوات من الرضاة ، فنبه بها على كل من يدلى بغيرها ،  
وجعلها تلو الأم من الرضاع .

(١) الزيادة من م

(٢) م : « البراعة »

(٣) س ، ك : « لأنه »

(٤) س ، ك : « لها »

(٥) م : « فتنتشر »

والكلام في إظهار حِجَم هذه الآية وفوائدها يطول، ولم نضع كتابنا لهذا، وسبيل هذا أن نذكره في كتاب "معاني القرآن" إن سهل الله لنا إملأه وجمعه .

فلم تنفك هذه الآية من الحكم التي تَخْلُفُ حكمة الإعجاز في النظم والتأليف، والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه التَرْصِيفِ .

فقد علم السائل أنه لم يأت بشيء، ولم يهتد للأغراض<sup>(١)</sup> في دلالات الكلام، وفوائده ومتصرفاته، وفنونه ومتوجهاته .  
وقد يتفق في الشعر ذكر الأسماء فيحسن موقعه، كقول أبي دُوَادٍ الأَسَدِيَّ<sup>(٢)</sup>

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ  
بُعْتَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ<sup>(٣)</sup>  
بَأَشَدِّهِمْ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِ  
وَأَعَزَّهُمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ<sup>(٤)</sup>  
وقد يتفق ذكر الأسماء فيفسد النظم، ويقبح الوزن .

(١) م : « للاعتراض » ، ك : « للأغراض »

(٢) في العقد الفريد ٢٤٩/٥ الشعر لربيعة الأشتر ، والد ذؤاب بن ربيعة ، قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب

(٣) في العقد : « فقد هتكت بيوتهم »

(٤) في العقد : « بأحبهم فقداً إلى أعدائه \* وأشدهم فقداً »

والآيات الأحكاميات التي لا بد فيها من أمر<sup>(١)</sup> البلاغة ، يُعتبر فيها من الألفاظ<sup>(٢)</sup> ما يعتبر في غيرها ، وقد يمكن فيها ، وكل موضع أمكن ذلك فقد وُجد في القرآن في بابه ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم . ثم في جملة الآيات ما إن لم تراع البديع البليغ في الكلمات الأفراد والألفاظ الآحاد ، فقد تجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ، ويطرّد ذلك في الابتداء ، والخروج ، والفواصل ، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة ، أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك — ما يخلف الإبداع في أفراد الكلمات ، وإن كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه .

وإذا عرف ما يجري إليه الكلام ، وينهى إليه الخطاب ، ويقف عليه الأسلوب ، ويختص به القليل ، بأن عند أهل الصنعة تميز بابه ، وانفراد سبيله ، ولم يشكّ البليغ في اتمائه إلى الجهة التي ينتمى إليها ، ولم يرتب الأديب البارع في انتسابه إلى ما عرف من نهجه .

وهذا كما يعرف طريقة مترسّل في رسالته ، فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه ، فكأنه يرى<sup>(٣)</sup> أنه يعد عليه مجارى حرركاته وأنقاسه .

(١) م : « من ذكر »

(٢) م : « من اللفظ »

(٣) م : « يراه »

وكذلك في الشعر<sup>(١)</sup> واختلاف ضروبه ، يعرف المتحقق به طبع كل أحد ، وسبيل كل شاعر .

وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها ، وتقصيها يطول ، وعجائبها لا تنقضي ، فمنها الكلام [المغلق]<sup>(٢)</sup> والإشارات .

وإذا بلغ الكلام من هذا القليل مبلغاً ربما زاد الإفهام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ، مع استيفائه شروطه — كان النهاية في معناه .

وذلك كقوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>. فصول هذه الآية وكللتها على ما شرحناه من قبل<sup>(٤)</sup> البلاغة واللفظ في التقدم ، وفي تضمن هذا الأمر العظيم ، والمقام الكريم .

ويتلو هذه قوله : ﴿وَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(٥)</sup>. هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في

(١) م : « في الشعر مع اختلاف »

(٢) الزيادة من م ، ومكانها بياض في ك

(٣) سورة الإسراء ١

(٤) م : « من قبيل »

(٥) سورة الإسراء ٢

صورة المنقطع ، وقد تمثل في هذ النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول<sup>(١)</sup> .

وقد يتبرأ الكلام المتصلُ بعضه من بعض ، ويظهر عليه التثبيج<sup>(٢)</sup> والتبائن ، للخلل الواقع في النظم .

وقد تصوّر هذا الفصلُ للطفه وصلّا ، ولم يبن عليه تميزُ الخروج . ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب إلى ذكر نُوح ، وكيف أثنى عليه ؟

وكيف تليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها ، مع خروجها مخرج البرؤوس من الكلام الأول ، إلى ذكره ، وإجرائه إلى مدحه بشكره ، وكونهم من ذريته يُوجبُ عليهم أن يسيروا بسيرته ، وأن يستنوا بسنته ، في أن يشكروا كشكره ، ولا يتخذوا من دون الله وكيلًا ، وأن يعتقدوا تعظيمَ تخليصه إياهم من الطوفان ، كما<sup>(٣)</sup> حملهم عليه ونجّاهم فيه ، حين أهلك من عادهم به ، وقد عرفهم أنه إنما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم ، فيما سلّطَ عليهم من قبلهم وعاقبهم ، ثم عاد عليهم بالإفضال والإحسان ، حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولد لهم وهم من ذريته ، فلما عادوا إلى جهالتهم ، وتمردوا في طغيانهم ، عاد عليهم بالعذيب .

(١) م : « وموقع لا ينفك »

(٢) م : « عليه القبح »

(٣) م : « بما » ، ا : « وبما »

ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم ، بكلمات قليلة في العدد ، كثيرة الفوائد ، لا يمكن شرحها إلا بالتفصيل الكثير ، والكلام الطويل .

ثم لم يخل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة ، على أعجب تدريج ، وأبدع تأريخ<sup>(١)</sup> ، بقوله : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا<sup>(٢)</sup> 》 .

ولم ينقطع بذلك [ نظام<sup>(٣)</sup> ] الكلام ، وأنت ترى الكلام يتبدد مع اتصاله ، وينتشر مع انتظامه ، فكيف بإلقاء ما ليس منه في أمثاله ، وطرح ما يعدوه<sup>(٤)</sup> في أدراجهم ؟

إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ 》 . وإنْ عُدْتُمْ عِدْنَا<sup>(٥)</sup> 》 . يعني : إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو .

ثم خرج خروجاً آخر إلى ذكر القرآن .

وعلى هذا فقس بحثك عن<sup>(٥)</sup> شرف الكلام ، وما له من علو الشأن ، لا يطلب مطلباً إلا انفتح ، ولا يسلك قلباً إلا انشرح ، ولا

(١) كذا في م ، ك ، وفي س : « تاريخ » . والتأريخ : التهييج ، كما في اللسان ٢٩/٣

(٢) سورة الإسراء ٧

(٣) الزيادة من م . ومكانها بياض في ك

(٤) سورة الإسراء ٨

(٥) كذا في م . وفي س ، ك : « ما بعده »

(٦) م : « على »



ينهب مذهباً إلا استنار وأضاء ، ولا يضرب مضرباً إلا بلغ فيه السماء ، لا تقع منه على فائدة فقدّرت أنها أقصى فوائدها إلا قصّرت ، ولا تظفر بحكمة فظننت أنها زُبْدٌ حكمها إلا وقد أخلت .

\* \* \*

إنّ الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لأضلّ من حمارٍ باهلة<sup>(١)</sup> ، وأحقّ من هبنقة<sup>(٢)</sup> .

لو كان شعره كله كالأبيات المختارة التي قدّمناها ، لأوجب البراءة منه<sup>(٣)</sup> قوله :

وسنّ كسنيقٍ سناءً وسنماً ذعرتُ بمدلاجٍ الهجيز نهوض<sup>(٤)</sup>  
قال الأصمعي : لا أدري ما السنّ ، ولا السنيق ، ولا السنم ؟ !  
وقال بعضهم : السنيق : أكمة .

(١) كذا في م . وفي س ، ك : « من حمار أهله » . وكذلك ورد في الحيوان ٢٥٧/٢ ولست أعرف وجه الصواب فيهما .

(٢) هو ذو الودعات : يزيد بن ثروان ، أحد بني قيس بن ثعلبة . راجع مجمع الأمثال ٢٢٧/١

(٣) كذا في م ، ك ، ولكنها غيرت في س إلى « من قوله » !

(٤) ديوانه ص ٨٢ وفي اللسان ٣١/١٢ « لم يفسر أبو عمرو قول امرئ القيس . . . ويروى : سناما وسنما . وفسره غيره فقال هو : جبل . التهذيب : وسنيق : اسم أكمة معروفة وأورد بيت امرئ القيس . شمر : سنيق : جمع سنيقات وسنانيق ، وهي الأكام . وقال ابن الأعرابي : لا أدري ما سنيق . » : وقال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٧٧٣/٢ « لم يعرفه الأصمعي . وقال غيره : سن : ثور ، وسنيق جبل . سناء : ارتفاعاً . وسنم : بقرة ، مدلاج : من دلج ، إذا مشى ، وليس هو من أدلج لا أدلج ، وكيف يدلج في الهجير أو يدلج ؟ » . وفي م : « بمدلاج الهدير » . والهير : الحمار الوحشي

وقال فيها :

له قُصْرِيَا عَيْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ  
كفَحَلِ الهِجَانِ القَيْسَرِيَّ العَضُوضِ<sup>(١)</sup>

وقوله :

عَصَافِيرُ وَذِبَابٌ وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مُجَلِّحَةِ الذُّبَابِ<sup>(٢)</sup>

وزاد في تقييح ذلك وقوعه في أبيات فيها :

فقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رُضيتُ من الغنيمة بالإيابِ  
وكلُّ مكارمِ الأخلاقِ صارتُ إليه هِمَّتِي وبها اكتسابي<sup>(٣)</sup>

وكقوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط :

أزْمَانٌ فُوهَا كُلَّمَا نَبَهْتَهَا كالمسكِ فَاحَ وظل في الفدَامِ<sup>(٤)</sup>  
أفلا ترى أظْعَانَهُنَّ بَوَاكِراً كالنَّخْلِ من شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ<sup>(٥)</sup>

(١) قبل هذا البيت في الديوان :

وقد أغتدى والطير في مكانها بمنجرد عبل اليدين قبيض  
والقصري ، والقصيري : الضلع التي تلى الشاكلة بين الجنب والبطن .  
وفي س ، ك : « الهجان القيصري »

(٢) كذا في م والديوان ص ٢٨ ، وفي ك : « من مجلجلة الذباب »  
ولكن الكلمة الأخيرة غيرت في س إلى « الذباب » ! ! وفي اللسان ٢٤٩/٣  
« وذئب مجلج : جرى والأنثى بهاء ، قال امرؤ القيس . . . »

(٣) س ، ك : « سارت إليه همتي ونما اكتسابي » . وفي الديوان « وبه  
اكتسابي »

(٤) في الديوان ص ١٣٦ « وظل فيه الفدام »

(٥) في الديوان « أو ما ترى » ، وفي م ، ا « أظعانهن بعقل » . والصرام :  
« قطع الثمرة واجتثاثها من النخلة » كما في اللسان ٢٢٨/١٥

وَكَاَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ يُخَالِطُ جِسْمَهُ بِسِقَامٍ<sup>(١)</sup>  
وكقوله :

لَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَ آلِ حَنْظَلَةٍ إِنْهُمْ جَعِرَ بِسْمَا اثْتَمَرُوا<sup>(٢)</sup>  
لَا خَيْرِي وَفِي وَلَا عُدْسٍ وَلَا أَسْتُ عَيْرٍ يَحْكُمُهَا الثَّرَفُ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ بَنَى عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَبًا ضَيْعَةُ الدُّخْلُونِ<sup>(٤)</sup> إِذْ غَدَرُوا

(١) الموم : المرض . وفي م « يخالط خبله » وهي رواية أخرى . وبين هذا البيت وسابقه هنا ثلاثة أبيات في الديوان

(٢) بنو حنظلة ، هم الذين خذلوا شرحبيل عم امرئ القيس . وجير معناها : حقاً كما في اللسان ٢٢٨ / ٥ وفي م « إنهم خير »

(٣) حميرى وعدس : رجلان من بني حنظلة تولوا الغلر بعمه شرحبيل . والثرف : السير الذى فى مؤخر السرج ويجعل تحت ذنب الدابة ، كما فى اللسان ١٧٣ / ٥

(٤) هذا البيت الذى أخره المؤلف عن موضعه ، هو أول الأبيات التى مدح بها الشاعر عوير بن شجنة العوفى ، وبعده فى الديوان ص ٦٤ :  
أدوا إلى جأهم خفارتهم ولم يضع بالمغيب إذ نصروا

وبنو عوف : هم قبيلة عوير ، الذى أجار هند بنت حجر ، أخت امرئ القيس ، ثم ردها سالمة مع ما أودعه من مال . وفي م ، س « ضيعة الداخلون » والداخلون هنا : الخاصة ، وهذه الكلمة من الأضداد ، قال أبو عبيدة : يقال للصدى والخليل دخل ، ويقال للحشو ومن يدخل نفسه فى قوم ليس منهم : دخل ، قال امرؤ القيس . . . ويقال : فلان دخل فلان : أى من خاصته ، ويقال : بينهم دخل ودخل ، أى إغواء ومودة ، وهو مأخوذ فى هذا المعنى من الدخيل والمداخل « راجع الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٤

وكقوله :

أبلغ شهاباً [بل] وأبلغ عاصماً [ومالكاً] هل أذاك الخبرُ مالٍ<sup>(١)</sup>  
 أَنَّا تركنا منكم قتلى بخونعى وسُبِيّاً كالسَّعَالِي<sup>(٢)</sup>  
 يَمَشِينَ بَيْنَ رِحَالِنَا مُتَرَفَاتٍ بِجُوعٍ وهزال

\*\*\*

ولم يقع مثل ذلك له وحده ، فقد قال الأعشى :

فأدخلك الله بَرْدَ الْجَنَابِ نِ جَذْلَانِ فِي مَدْخَلٍ طَيِّبٍ<sup>(٣)</sup>  
 وقال أيضاً :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا<sup>(٤)</sup>  
 وقال في فرسه :

وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِقَتِّ وَتَعْلِيقٍ فَقَدْ كَادَ يَسْتَقُ<sup>(٥)</sup>

(١) الزيادة من ديوانه المخطوط ، رواية الطوسي . والخبر : العلم ،

ومال : مرخم مالك

(٢) خوعى : اسم موضع . وسبى : جمع سبي . والسعالى : الغيلان

ومعنى معترفات : مصطبرت ، والعارف : الصابر

(٣) ديوانه ص ٢٨

(٤) ديوانه ص ٢٩ والموشح ص ٥٣

(٥) اليعحوم : الفرس ، وفى اللسان ٣١/١٢ » السنق : البشم ...

سنق الحمار وكل دابة سنقاً : إذا أكل من الرطب حتى أصابه كالبشم ، والفصيل

إذا أكثر من اللبن يكاد يمرض ؛ قال الأعشى ...

وقال :

شَاوٍ مِشَلٍّ شُلُولٌ شُلْشُلٌ شَوْلٌ<sup>(١)</sup>

وهذه الألفاظ في معنى واحد .

وقد وقع لزهير نحوه كقوله :

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى وَمَا سَحِفَتُ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ<sup>(٢)</sup>

كيف يقول<sup>(٣)</sup> هذا في قصيدة يقول فيها :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ<sup>(٤)</sup>

(١) في اللسان ٣٨٥/١٣ « ورجل مشل وشلول، وشلل ، وشُلُلٌ » :

خفيف سريع قال الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول

وقال أبو بكر في بيت الأعشى : الشاوى : الذى شوى ، والشلول :

الخفيف ، والمشل : المطرد ، والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ،

والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة « وانظر المعانى الكبير لابن

قتيبة ٣٧٩/١

(٢) كذا في ديوانه ص ٩٩ . وفى م ، ك ، س : « وما سفحت » . س ،

ك : « المقادم » . وقال ثعلب في شرحه : « سحفت ، : حلقت . والمنازل : حيث

يتزل الناس من منى . والمقاديم : مقادير الرؤوس ، والقمل : يريد الشعر الذى

فيه القمل ، كما قال عز وجل ( واسأل القرية ) »

(٣) س ، ك : « يقال »

(٤) ديوانه ص ١١٥ وقال ثعلب في شرحه : « الخطى : الرماح ، نسبها

إلى الخط ، وهى جزيرة ترسى إليها سفن الرماح . يقول : لا تنبت القناة

إلا القناة . والوشيج : القنا ، واحدها وشيجة ، والوشوج : دخول الشئ

بعضه فى بعض . يعنى أنهم كرام ولا يولد الكرام إلا فى موضع كريم »

وكقول الطرمّاح :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَيْسَ سَبْتًا      ةً أَمَّارَتُ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكَرَاضِ<sup>(١)</sup>  
السَّبْتَاءُ : الناقة الصلبة . والكَرَاضُ : ماء الفحل ، أسالت ماء  
الفحل مع البول ، فلم تعقد عليه ، ولم تحمل ، فتضعف . والمائر : السائل .

\* \* \*

فإن قال قائل : أجدك تحاملت على امرئ القيس ، ورأيت أن  
شعره يتفاوت بين اللين والشراسة ، وبين اللطف والشناسة ، وبين  
التوحش والاستئناس ، والتقارب والتباعد ، ورأيت الكلام الأعدل  
أفضل ، والنظام المستوثق<sup>(٢)</sup> أكمل ، وأنت تجد البُحْرِيَّ يسبق<sup>(٣)</sup>  
في هذا الميدان ، ويفوت الغاية في هذا الشأن ، وأنت ترى<sup>(٤)</sup> الكتاب  
يُفَضِّلون كلامه على كل كلام ، ويقدمون رأيه في البلاغة على كل  
رأى ، وكذلك تجد<sup>(٥)</sup> لأبي نُوَاسٍ من بهجة اللفظ ، ودقيق المعنى

(١) في اللسان ٩٣ / ٩ « قال ابن برى : الكراض في شعر الطرمّاح :  
ماء الفحل ، فيكون على هذا القول من باب إضافة الشيء إلى نفسه . . .  
وصف هذه الناقة بالقوة ، لأنها إذا لم تحمل كان أقوى لها . . . وقال ابن  
الأعرابي : الكراض : ماء الفحل في رحم الناقة . وقال الجوهري : الكراض  
ماء الفحل تلفظه الناقة من رحمها بعد ما قبلته ، وقد كرضت الناقة إذا لفظته »  
وانظر هناك تفصيل الخلاف في ذلك بين العلماء . والكامل للمبرد ٩٧ / ١

(٢) ك : « المستوثق »

(٣) م : « سبق في هذا الميدان نوب »

(٤) م : « سترى »

(٥) سقطت من م

ما يتحير فيه أهل الفضل<sup>(١)</sup> ، ويقدمه الشُّطَّار والظُّرَّافُ على كل شاعر ، ويرون لنظمه روعةً لا يرون لنظم غيره ، وزبرجاً لا يتفقُ لسواه ؛ فكيف يعرف فضل ما سواه عليه ؟

فالجواب : أن الكلام في أن الشعر لا يجوز أن<sup>(٢)</sup> يوازن به القرآن

قد تقدم .

وإذ كنا قد بينا أن شعر امرئ القيس — وهو كبيرهم الذي يُقْرَوْنَ بتقدمه ، وشيخهم الذي يعترفون بفضله ، وقائدهم الذي يأتئون به<sup>(٣)</sup> ، وإمامهم الذي يرجعون إليه — كيف سبيله ، وكيف<sup>(٤)</sup> طريق [سقوط]<sup>(٥)</sup> منزلته عن منزلة نظم القرآن ، وأنه لا يلحظ<sup>(٦)</sup> بشعره غبارَ ذلك النظم ، وهو إذا لحظَ ذلك كان كما قال<sup>(٧)</sup> :

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ  
مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْجَازِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ<sup>(٨)</sup>

(١) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « أهل اللفظ »

(٢) م : « الشعر لا يوازن به »

(٣) م : « يعترفون بفضله ، وإمامهم »

(٤) م : « طريقة »

(٥) الزيادة من م

(٦) كذا في ا ، م . وفي س ، ك : « لا يخلط بشعره »

(٧) نسبه في اللسان ١٢٩ / ٢ لقيس بن الملوح ، ثم قال : وقد نسب

المبرد هذا البيت إلى « أبي حية النخري » لكنه في الكامل ١٧٢ / ١ لقيس

(٨) في اللسان « في أعقاب نجم » . والمغرب : الذي يأخذ في ناحية

المغرب

وكما قال أيضاً :

رَاحَتْ مُشْرِقَةً وَرُحْتُ مُغْرَبًا فَتَى التَّقَاءِ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ  
وَإِذَا كُنَّا قَدْ أَبْنَأَ فِي الْقَاعِدَةِ مَا عَلِمْتُ ، وَفَصَّلْنَا لَكَ فِي شَعْرِهِ  
مَا عَرَفْتُ ، لَمْ نَحْتَجْ إِلَى أَنْ نَتَكَلَّمَ عَلَى شَعْرِ [ كُل ] <sup>(١)</sup> شَاعِرٍ ، وَكَلَامٍ  
بَلِيغٍ ، وَالْقَلِيلُ يُدِلُّ عَلَى الْكَثِيرِ .

وقد بينّا — في الجملة — مُبَايَنَةَ أَسْلُوبِ نَظْمِ الْقُرْآنِ جَمِيعَ  
الْأَسَالِيبِ ، وَمَزِيَّتِهِ عَلَيْهَا فِي النِّظْمِ وَالتَّرْتِيبِ ، وَتَقَدُّمِهِ عَلَيْهَا فِي <sup>(٢)</sup> كُلِّ  
حِكْمَةٍ وَبَرَاةٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمْنَا عَلَى التَّفْصِيلِ — عَلَى مَا شَاهَدْتُ <sup>(٣)</sup> — فَلَا  
يَبْقَى عَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَوْأَلٌ .

ثم نقول : أنت تعلم أن من يقول بتقدم البُحْتَرِيِّ في الصنعة ، به  
من الشغل في تفضيله على ابن الرومي أو تسوية ما بينهما ما لا يطمع  
معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته .

كذلك أبو نؤاس ، إنما يُعَدُّ شَعْرُهُ بِشَعْرِ أَشْكَالِهِ ، وَيُقَابَلُ كَلَامُهُ  
بِكَلَامِ أَضْرَابِهِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَإِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا التَّبَايُنُ الْيَسِيرُ ،  
وَالْتَفَاوُتُ الْقَلِيلُ .

فَأَمَّا أَنْ يَظُنَّ ظَانٌّ ، أَوْ يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ ، أَنَّ جِنْسَ الشَّعْرِ مُعَارِضٌ

( ١ ) الزيادة من م

( ٢ ) م : « ومزيتة عليها في كل حكمة »

( ٣ ) كذا في م ، ك ، وفي س : « التفضيل على ما شهدت ولا »



لنظم<sup>(١)</sup> القرآن ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ  
الرَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وإنما هي خواطر يُغَيِّرُ بعضها على بعض ، ويقتدى فيها بعض  
ببعض . والغرض الذي يرمى إليه ، ويصحح<sup>(٣)</sup> التَّوَانِي عليه ، في الجملة ،  
فهو قَبِيلٌ متداول ، وجنس مُتَنَازِع ، وشريعة مُؤَرَّوْدَةٌ ، وطريقة  
مسلوكة .

ألا ترى إلى ما رَوَى عن الحسين بن الضَّحَّاكِ ؛ قال : أنشدت  
أبا نُؤَاسَ قصيدتي التي فيها :

وَشَاطِرِيَّ اللِّسَانَ مُخْتَلِقِ التَّكْرِيبِ شَابَ الْمُجُونِ بِالنُّسْكِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّهُ - نَصَبَ كَأْسِهِ - قَرُّهُ يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ<sup>(٥)</sup>  
قال : فأنشدني أبو نُؤَاسَ بعد أيام قصيدته التي يقول فيها :

(١) م : « يعارض بنظم »

(٢) سورة الحج ٢١

(٣) م : « ترمي إليه يصح »

(٤) كذا في ١ ، م والأغاني ٦ / ١٧٥ . وفي س ، ك : « زان المجون »

(٥) م : « كأما » وقد ورد هذا البيت في الأغاني بروايتين : الأولى :

وتخالها نصب كأسه قمرأ يكرع في بعض أنجم الفلك  
والثانية :

كأما نصب كأسه قمر حاسده بعض أنجم الفلك

وفي العمدة بعد ذلك : « فنفر نفرة منكرا ، فقلت : مالك فقد أفرعتني ؟

فقال : هذا معني ، مليح ، وأنا أحق به ، وسترى لمن يروى . . . » إلخ

أَعَاذَلْ أَعْتَبْتُ الْإِمَامَ وَأَعْتَبَا  
وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَأَعْرَبَا<sup>(١)</sup>  
وَقُلْتُ لَسَاقِيهَا : أَجْزَاهَا فَلَمْ أَكُنْ  
لِيَأْبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا<sup>(٢)</sup>  
فَجَوَزَهَا عَنِّي عُقَارًا تَرَى لَهَا  
إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعًا مُطْنَبَا  
إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ  
يُقَبِّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

قال : فقلت له : يا أبا علي ، هذه مُصَالَتَةٌ<sup>(٣)</sup> . فقال : أَتَظُنُّ أَنَّهُ  
يُرْوَى<sup>(٤)</sup> لَكَ مَعْنَى وَأَنَا حَيٌّ ؟

فَتَأْمَلُ هَذَا الْأَخْذَ ، وَهَذَا الْوَضْعَ ، وَهَذَا الْإِتْبَاعَ<sup>(٥)</sup> .  
أَمَّا الْخَلِيعُ فَقَدْ رَأَى الْإِبْدَاعَ فِي الْمَعْنَى ، فَأَمَّا الْعِبَارَاتُ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ  
عَلَى مَا ظَنَّنَهُ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : « يَكْرَعُ » لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَفِيهِ ثَقُلَ يَتْنٌ

( ١ ) ديوانه ص ٢٤٤ والإمام : يقصد به الأمين

( ٢ ) ك : « لساقينا »

( ٣ ) كذا في م ، ك وفي الأغاني « مصالبه »

( ٤ ) س : « يرى »

( ٥ ) في الأغاني عن ابن مَهْرُويَه « قال : لما أنشدت إبراهيم بن المدبر  
قول حسين بن الضحاك . . . قال لي : إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس  
سرق منه هذا المعنى ، فإن كان سرقه منه فهو أحق به ، لأنه قد برز عليه ،  
وإن كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه »

وتفاوت ، وفيه إحالة ، لأن القمر لا يصح تصوُّراً<sup>(١)</sup> أن يكرع في نجم .

وأما قول أبي نواس : « إذا عبَّ فيها » ، فكلمة قد قصد فيها المتانة ، وكان سبيله أن يختار سواها من ألفاظ الشرب<sup>(٢)</sup> ، ولو فعل ذلك كان أملح .

وقوله : « « شاربُ القوم » ، فيه ضرب من التكلف الذي لا بد له منه أو من مثله ، لإقامة الوزن .

ثم قوله : « خِلْتَهُ يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبًا » ، تشبيه بحالة واحدة من أحواله ، وهي أن يشرب حيث لا ضوء هناك ، وإنما يتناوله ليلاً ، فليس بتشبيه مُستوفٍ ، على ما فيه من الوقوع والملاحاة [والصنعة]<sup>(٣)</sup> .

وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع :

وَمُهَفَّفٌ تَمَّتْ حَاسِنُهُ      حَتَّى تَجَاوَزَ مُنْيَةَ النَّفْسِ<sup>(٤)</sup>  
تَصْبُو الْكُتُوسُ إِلَى مَرَاشِفِهِ      وَتَحْنُ فِي يَدِهِ إِلَى الْحَبْسِ  
أَبْصَرَتْهُ وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ      مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْ أَمْلِ خَمْسِ  
وَكَأْنَهَا وَكَأَن شَارِبَهَا      قَرُّ يُقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ<sup>(٥)</sup>

(١) م : « يصح أن يتصور » . س « لا يصح تصور »

(٢) س « الشراب »

(٣) الزيادة من م

(٤) ديوانه ص ٢٤٤ والعمدة ١٧٣/٢

(٥) م : « فكأنها »

ولا شك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب<sup>(١)</sup>، إلا أنه [لم] يتمكن من إirاده [إلا] في<sup>(٢)</sup> بيتين، وهما — مع سبقهما إلى المعنى — أتيا به في بيت واحد.

\*\*\*

وإنما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة<sup>(٣)</sup>، يقع فيها التنافس والتعارض، والأطماع تتعلق<sup>(٤)</sup> بها، والهمم تسمو إليها، وهي إلف طباعنا، وطوع مداركنا، ومجانس<sup>(٥)</sup> لكلامنا. وإعجاب قوم بنحو هذا وما يجري مجراه، وإيثار أقوام لشعر البحري على أبي تمام وعبد الصمد وابن الرومي، وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه، وذهاب قوم عن المعرفة — ليس بأمر يضر بنا، ولا سبب<sup>(٦)</sup> يعترض على أفهامنا.

\*\*\*

ونحن نعمد إلى بعض قصائد البحري فتتكم عليها<sup>(٧)</sup>، كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس، ليزداد الناظر في كتابنا بصيرةً، ويستخلص

(١) وفي العمدة ١٧٣/٢: «وقد أرى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله: أبصرته... وكأنها... ولكن بيت أبي نواس أملاً للفم والسمع، وأعظم هية في النفس والصدر، ولذلك كان أسير»

(٢) س، ك: «إلا أنه يتمكن من إirاده في بيتين»

(٣) م: «هذه الأمور المتقاربة»

(٤) س: «معلقة»

(٥) م: «وهي إلف طباعها، وطوع مداركها، ومجانس لكلامنا»

(٦) م: «يضرنا، ولا بسبب»

(٧) م: «عليه»

من سرّ المعرفة سريرةً ، ويعلم كيف تكون الموازنة ، وكيف تقع  
المشابهة والمقاربة .

ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره .

سمعت الصّاحب إسماعيل بن عبّاد يقول : سمعت أبا الفضل بن  
العميد يقول : سمعت أبا مسلم الرّثمّي يقول : سمعت البحترى  
يذكر<sup>(١)</sup> أن أجود شعره قاله :

\* أهلاً بذكّم الخيالِ المقبلِ \*

قال : وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول : أجود شعره هو قوله :

\* في الشيب زجرٌ له لو كان ينزجر<sup>(٢)</sup> \*

قال : وسئلت عن ذلك ؟ فقلت : البحترى أعرف بشعر نفسه

من غيره .

فنحن الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا :

(١) م : « يقول إن »

(٢) في س وضع قوله : « زجر له لو كان ينزجر » في سطر وحده ،

على أنه شطرييت ! وقد جاء في ديوانه ٦٧٣/٢ وقال يمدح على بن مر  
الأرمي :

في الشيب زجر له لو كان ينزجرُ وبالغ منه لولا أنه حجر

وهي قصيدة جيدة ؛ عدد أبياتها ٤١ بيتاً . ومنها البتيان المشهوران :

إذا محاسن اللأى أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

على نحت القوافي من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر

قوله<sup>(١)</sup> :

أَمَلَا بِذَلِكَ خَيَالِ الْمُقْبِلِ  
فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ  
بَرَقَ سَرَى فِي بَطْنِ وَجْرة فَاهْتَدَتْ  
بِسَنَاهُ أَغْنَاكَ الرَّكَّابِ الضَّلَّلِ<sup>(٢)</sup>

البيت الأول ، في قوله : « ذلكم الخيال » ، ثقل روح ، وتطويل وحشو ، وغيره أصلح له<sup>(٣)</sup> . وأخف منه قول الصنوبري :

أَهْلًا بِذَلِكَ الزَّوْرِ مِنْ زَوْرِ شَمْسٍ بَدَتْ فِي فَلَكَ الدَّوْرِ  
وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف ، فيصير إلى الكَرَازَةِ ، وتعود ملاحظته بذلك مُلوحة ، وفصاحته عِيًا ، وبراعته تكلفًا ، وسلاسته تعسفًا ، وملاسته تلويًا وتعقدًا ، فهذا فصل .

وفيه شيء آخر ، وهو : أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به الخيال حال إقباله ، فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلفت على هذه العبادة ففيه عُهْدَةٌ ، وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عُقْدَةٌ<sup>(٤)</sup> ، وهو

(١) مدح البحترى بهذه القصيدة محمد بن علي بن عيسى القمي ، الكاتب ، وهي في ديوانه ٧٣٠/٢ - ٧٣٤ ( طبع بيروت سنة ١٩١١ م )

(٢) م : « فاهتدت بسراه »

(٣) م ، أ : « أملح له »

(٤) كذا في ك . وفي م : « على هذه العبارة ففيه عهدة ، ومن ركب الكلام غير هذا المعنى عقده »

— لبراعته وحذقه في هذه الصنعة — يَعلقُ<sup>(١)</sup> نحوَ هذا الكلام ، ولا ينظر في عواقبه ، لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه نحوَ هذه الأمور .

ثم قوله : « فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَل » ، ليست بكلمة رشيقة ، ولا لفظة ظريفة ، وإن كانت كسائر الكلام .

فأما بيته الثاني ، فهو عظيم الموقع في البهجة ، وبديع المأخذ<sup>(٢)</sup> ، حسن الرِواء ، أنيقُ المنظر والسمع ، يملأ القلب والفهم ، ويفرح الخاطر ، وتسرى<sup>(٣)</sup> بشاشته في العروق .

وكان البُخْتَرِيُّ يسمي نحو هذه الأبيات : « عُرُوقَ الذهب » ، وفي نحوه ما يدل على براعته في الصناعة ، وحذقه<sup>(٤)</sup> في البلاغة .

ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل ، مع الديباجة الحسنة والرواق المليح .

وذلك : أنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه ، كما يقال : إنه يسرى<sup>(٥)</sup> كنسيم الصبّا ، فيطيب ما مرّ به ، كذلك يضيء ما مرّ حوله ، وينور ما مرّ به . وهذا غلو في الصناعة ، إلا أن ذكره « بطن

( ١ ) ك : « تعلق » . م : « يعلم بنحو »

( ٢ ) م ، ا : « وباديع الماء »

( ٣ ) كذا في ك ، م ، ا . وفي س : « وتري »

( ٤ ) م : « وفي نحو ما يدل على البراعة في الصناعة ، وحذق » . ك :

« وفي نحوه من الخلل مع الديباجة الحسنة »

( ٥ ) م : « يقال سرى كنسيم »

وجرة « حشو ، وفي ذكره خلل ؛ لأن النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمان منها ، بخلاف ما يؤثر في غيرها ، فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة .

وتحديده المكان — على الحشو — أحمد من تحديد امرئ القيس من ذكر « سقط اللوى بين الدخول فومل ، فتوضح فالمقراة » ، لم يقنع بذكر حد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل فيخشي — إن أخل بمحد — أن يكون يبعه فاسداً أو شرطه باطلاً !! فهذا باب . ثم إنما يذكر<sup>(١)</sup> الخيال بخفاء الأثر ، ودقة المطلب ، ولطف المسلك . وهذا الذي ذكر يضاد هذا الوجه ، ويخالف ما وضع<sup>(٢)</sup> عليه أصل الباب .

ولا يجوز أن يقدّر مقدّر أن البحترى قطع الكلام الأول ، وابتدأ بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة ؛ لأن هذا القطع إن كان فعلاً كان خارجاً به عن النظم المحمود ، ولم يكن مبدعاً ، ثم كان<sup>(٣)</sup> لا تكون فيه فائدة ؛ لأن كل برق شعل<sup>(٤)</sup> وتكرر<sup>(٥)</sup> وقع الاهتداء به في الظلام ، وكان<sup>(٦)</sup> لا يكون بما نظمه مفيداً ولا متقدماً .

(١) م : « ثم إنا نذكر »

(٢) س ، ك : « ما يوضع »

(٣) ا : « ثم كان لا يكون بما نظمه مفيداً . . . »

(٤) م : « سمل »

(٥) ب : « وتكوى »

(٦) م : « فكان »



وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود، ومعنى مُسْتَجَلَبٌ<sup>(١)</sup> غير مقصود، ويعلم بمثله أنه طلب العبارات، وتعليق القول بالإشارات. وهذا من الشعر الحسن<sup>(٢)</sup>، الذي يحلو لفظه، وتقل فوائده، كقول القائل<sup>(٣)</sup>:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ  
وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا  
وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الذِي هُوَ رَاحٌ<sup>(٤)</sup>

(١) كذا في م، ا. وفي س: «مستحب». ك: «مستلجب»

(٢) كذا في م، ا وفي س، ك: «من الشعر الجنبس الذي»

(٣) هو كثير كما في ديوانه ص ٧٩ وزهر الآداب ٦٦/٢ وقد ورد في أمالي الشريف المرتضى ١١٠/٢ «أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابي للمضرب، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمة: ... فلما قضينا من منى...» وانظر معاهد التنصيص ١٣٤/٢ وقد ورد هذا الشعر غير منسوب في نقد الشعر ص ١٠ والخصائص ص ٢٦، ٢٢٥ ونوادر القالي ص ١٦٦ والصناعتين ص ٤٢ ومصارع العشاق ص ٣٦٩ وأسرار البلاغة ص ١٦ - ١٨ والشعر والشعراء ١١/١ ومعجم البلدان ١٥٩/٨ ونظام الغريب ص ١٣٦

(٤) في م: «فلا ينظر». وفي نقد الشعر وأسرار البلاغة «على دهم المهاري .... ولم ينظر» وفي اللسان ٩٩/٥ «فرس أدهم: أسود، والعرب تقول: ملوك الخليل دهمها»

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَنْنَا

وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْعِطَى الْأَبَاطِحُ<sup>(١)</sup>

هذه ألفاظ بديعة<sup>(٢)</sup> المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني<sup>(٣)</sup> والمواقع ، قليلة المعاني والفوائد<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

فأما قول البحترى بعد ذلك :

مِنْ غَادَةٍ مُنَعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ  
كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخَيَّلٍ ، وَالْفُضْنِ غَيْرَ مُمَيَّلٍ ، وَالِدَّعْصِ غَيْرَ مُهَيَّلٍ<sup>(٥)</sup>

فالبيت الأول — على ما تكلف فيه من المطابقة ، وتَجَشَّم الصَّنْعَة —  
ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد

(١) قال القائل في النوادر ص ١٦٦ : « أطراف الأحاديث : ما يستطرف

منها ويؤثر »

(٢) س ، ك : « بعيدة »

(٣) م : « المجارى »

(٤) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ١١ « وضرب منه حسن لفظه

وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، كقول القائل : ولما قضينا  
إلخ . . . هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإن  
نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان ،  
وعالينا إبلنا الأنضاء ؛ ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ، ابتدأنا في الحديث ،  
وسارت المطى في الأبطح »

(٥) غير مخيل : غير محبوب بغير . وفي س ، ك : « غير مخيل » والتصحيح

من الديوان . والدعص : الكثيب من الرمل

وضَعُ العبارات في مثله ! ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام وتهويله . ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان .

وأما البيت الثاني ، فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدَّعْصِ ، أمرٌ منقول متداول<sup>(١)</sup> ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو<sup>(٢)</sup> ذلك . وإنما يبق تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضاً قريب ؛ لأن المعنى مكرر .

ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو تعمله للتّريض في البيت كله ، إلا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير مُعَوِّج ، كان ذلك من باب التكلف خللاً ، وكان ذلك زيادةً يُستغنى عنها .

وكذلك قوله : « كالدَّعْصِ غير مُهَيَّل » ؛ لأنه إذا انهدم خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .

\* \* \*

وأما قوله :

ما الحُسْنُ عندك يا سَعَادُ بِمُحْسِنٍ      فيما آتاهُ ولا الجَمالُ بِمُجَمِّلٍ<sup>(٣)</sup>

(١) في م : « متداول بين ضعفاء الشعراء »

(٢) م : « بمثل »

(٣) في ديوانه « عندك يا إمام بمحسن »

عُذِلَ الْمَشُوقُ وَإِنَّ مِنْ سِيَمَا الْهُوَى فِي حَيْثُ يَجْهَلُهُ لَجَاجُ الْعُذْلِ<sup>(١)</sup>  
قوله في البيت الأول : « عِنْدَكَ » ، حشو ، وليس بواقع  
ولا بديع ، وفيه كُلفَةٌ .

والمعنى الذى قصده ، أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء .  
وفيه شيء آخر ، لأنه يذكر أن حسنهما لم يُحَسِّنْ فى تهيج وجده  
وتهيم قلبه ، وضد هذا المعنى هو الذى يميل إليه أهل الهوى والحب .  
وَيَنْتَ كُشَاجِمِ<sup>(٢)</sup> أسلم من هذا ، وأبعد من الخلل ، وهو قوله :  
بِحَيَاةِ حُسْنِكَ أَحْسَنِي ، وبحقٍّ مَنْ .

جَعَلَ الْجَمَالَ عَلَيْكَ وَقَفًّا أَجْمَلِي

وأما البيت الثانى فَإِنَّ قوله : « فى حيث » ، حشا بقوله فى كلامه ،  
ووقع ذلك مستنكراً وحشياً ، نافرّاً عن طبعه ، جافياً فى وضعه ، فهو  
كرقة من جلد فى ديباج حسن ! فهو يحو حسنه ، ويأتى على جماله .  
ثم فى المعنى شيء ، لأن لَجَاجَ الْعُذْلِ لا يدل على هوى مجهول ،  
ولو كان مجهولاً لم يهتدوا للعذل عليه . فعلم أن المقصد استجلابُ العبارات  
دون المعانى .

( ١ ) فى ديوانه « وإن من سيمى الهوى » ، س ، ك « تجهله »  
( ٢ ) لقب الشاعر محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك ، طباح  
سيف الدولة . وهو الذى لقب نفسه بهذا اللقب ، فسئل عن ذلك فقال :  
الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ،  
والميم من منجم  
( ٣ ) فى ديوانه ١٤٣ « حسنك أقصرى »

ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن في البيت معنى بديع ، ولا شيء يفوت قول الشعراء في العذل ، فإنّ ذلك جملهم الذلّول ، وقولهم المكرّر [المقول<sup>(١)</sup>] .

\* \* \*

وأما قوله :

ماذا عليك من انتظارٍ مُتِمِّمٍ  
بل ما يضرُّك وقفةٌ في منزلٍ  
إن سِيلَ عَيَّ عن الجواب فلم يُطقْ  
رجعاً ، فكيف يكون إن لم يُسألْ

لست أنكر حسن البيتين وظرفهما ، ورشاقتهما ولطفهما ، وماءهما وبهجتهم ، إلا أنّ البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضرباً من الانقطاع ؛ لأنّه لم يجر لمشافهة العاذل ذكرٌ ، وإنما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلاعه<sup>(٢)</sup> .

ثم الذي ذكره من الانتظار — وإن كان مليحاً في اللفظ — فهو في المعنى متكلف ؛ لأن الواقف في الدار لا ينتظر أمراً ، وإنما يقف تحسراً وتلذّداً<sup>(٣)</sup> وتحيراً .

(١) الزيادة من ا ، ب ، م

(٢) س : « ولا يلائم »

(٣) س : « وتدلّلا » . وفي اللسان ٣٩٥/٤ « وتلدّد : تلفت يمينا وشمالا

وتحير متلداً »

والشطر الأخير من البيت واقع ، والأول مُسْتَجَلَبٌ ؛ وفيه تعليق على أمر لم يَجْرِ له ذكر ؛ لأن وضع البيت يقتضى تَقَدُّمَ عَذْلٍ على الوقوف ، ولم يحصل ذلك مذكوراً في شعره من قبل .

وأما البيت الثانى ، فإنه معلق بالأول ، لا يستقل إلا به ؛ وهم يعميرون وقوف البيت على غيره ، ويرون أن البيت التام هو المحمود ، والمصراع التام بنفسه — بحيث لا يقف على المصراع الآخر — أفضل وأتم وأحسن .

وقوله : « فكيف يكون إن لم يسأل » ، مليح جداً ، ولا تستمر<sup>(١)</sup> ملاحظة ما قبله عليه ، ولا يطرد فيه الماء اطرادة فيه . وفيه شيء آخر ، لأنه لا يصح<sup>(٢)</sup> أن يكون السؤال سبباً لأن يُعيَا عن الجواب ، وظاهر القول يقتضيه .

\* \* \*

فأما قوله :

لَا تَكْلَفَنَّ لِي الدَّمُوعَ فَإِنَّ لِي

دَمْعًا يَنْمُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يُفْضَلِ<sup>(٣)</sup>

ولقد سَكَنْتُ إِلَى الصَّدُودِ مِنَ النَّوَى

وَالشَّرَى أَرَى عِنْدَ كُلِّ حَنْظَلٍ<sup>(٤)</sup>

(١) م : « ولا تستمر »

(٢) كذا في ا ، م . وفي ب ، ك ، س : « لا يصلح »

(٣) كذا في س ، ك . وفي الديوان : « يتم عليه » . وفي م : « يعم عليه »

(٤) في اللسان ١٥٩/١٩ « والشَّرَى بالتسكين الحنظل » . وفي ٢٩/١٨

وكذاك طَرْفَةً حِينَ أُوجِسَ ضَرْبَةً

فِي الرَّأْسِ هَانَ عَلَيْهِ فَصَدُّ الْأَكْحَلِ<sup>(١)</sup>

فالبيت الأول مخالف لما عليه مذهبهم ، في طلب الإستعداد<sup>(٢)</sup> بالدموع ، والإسعاف بالبكاء ، ومُخَالَفٌ لِأَوَّلِ كَلَامِهِ ؛ لَأَنَّهُ يَفِيدُ مخاطبة المَذَلِّ ، وهذا يفيد مخاطبة الرفيق .

وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيعها ، دون ضبط المعاني وترتيبها ، ولذلك<sup>(٣)</sup> قال الله عز وجل : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا

= « والأرى : العسل » . وفي س ، ك « عند طعم » . وفي ا . « عند أكل » وم « عند أهل »

( ١ ) يشير إلى قصة مقتل طرفة بن العبد ، وهم يذكرون أن الربيع بن حوثة سقاه الخمر حتى أثمله ، ثم فصد أكحله . والأكحل — كما في اللسان ١٠٥/١٤ « عرق في اليد يفصد ، وفصده : شقه وقطعه » . وفي م ، ا « قطع الأكحل » . وقال أبو العلاء المعري في عبث الوليد ص ١٨٥ « سكن راء طرفة متبعاً لأبي تمام في قوله : والأعشين وطرفة ولييدا . وذلك ليس يحسن . . . وتغيير الاسم بالتصغير أحسن من هذا التسكين . وبعض الناس ينشد : " وكذا عبيد حين أوجس ضربة " وبعضهم يقول " وكذا طريفة " ولم يضعه البحرى إلا على أن طرفة الذي قد خاف القتل فاخترار قطع الأكحل . ومن رواه " وكذا عبيد " حمله على أنه عبيد بن الأبرص ، قتله بعض ملوك الحيرة ، قيل ، عمرو بن هند ، وقيل : النعمان في يوم بؤسائه ، فكانه لما أشرف على القتل هان عليه مالاقي طرفة ، أي ذلك يسير عند ما فعل به »

( ٢ ) : « الإسعاف »

( ٣ ) م : « وكذلك »

يَفْعَلُونَ<sup>(١)</sup> . فأخبر سبحانه أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم ، واللفظ كيف أطاعهم ، والمعاني كيف تتبع ألفاظهم . وذلك خلاف ما وُضع عليه الإبانة عن المقاصد بالخطاب ، ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن ، فصار بهذا أبلغ خطابهم .

ثم لو أن هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا ، لم يكن في ذلك شيء يفوت شعر شاعر ، أو كلام متكلم .

وأما قوله : « والشرى أرى » ، فإنه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ، ومن جهة التجنيس المقارب ، فهي كلمة ثقيلة على اللسان ، وهم يذمون نحو هذا ، كما عابوا على أبي تمام قوله :

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى معى ، ومتى ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي<sup>(٢)</sup>  
ذكر لى صاحب [ إسماعيل ]<sup>(٣)</sup> بن عباد : أنه جارى أبا الفضل بن العميد فى محاسن [ هذه ]<sup>(٣)</sup> القصيدة ، حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له أن قوله : « أمدحهُ أمدحهُ » معيب ، لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا فى هذه النكتة ، فعلمت أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف .

( ١ ) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٦

( ٢ ) ديوانه ص ١٢٩ من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافقى

( ٣ ) الزيادة من ١ ، م



ثم إن قوله : « عند أكل الحنظل » ، ليس بحسن ولا واقع .  
وأما البيت الثالث ، فهو أجنبي من كلامه ، غريب في طباعه ،  
نافر من جملة شعره ، وفيه كَرَازَةٌ وَفَجَاجَةٌ ، وإن كان المعنى صالحاً .

\* \* \*

فأما قوله :

وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُجَلِّلٍ      قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرِّ مُجَلِّلٍ<sup>(١)</sup>  
كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ      فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلٍ  
فاليبيت الأول لم يتفق له فيه خروجٌ حسن ، بل هو مقطوع عما  
سلف من الكلام .

وعامةُ خروجه نحو هذا ، وهو غير بارع في هذا الباب ، وهذا  
مذموم معيب منه ، لأن<sup>(٢)</sup> من كان صناعته الشعر ، وهو يأكل به ،  
وتغافل عما يدفع<sup>(٣)</sup> إليه في كل قصيدة ، واستهان بإحكامه وتجويده ،  
مع تتبعه لأن<sup>(٤)</sup> يكون عامة ما يُصَدَّرُ به أشعاره من النسيب عشرة  
أبيات ، وتتبعه للصنعة الكثيرة ، وتركيب العبارات ، وتنقيح  
الألفاظ وتزويرها — كان ذلك أدخل في عيبه ، وأدل على تقصيره  
أو قصوره ، وإنما<sup>(٥)</sup> يقع له الخروج [ الحسن في مواضع يسيرة .

(١) ابن أبي الحديد ٢ — ٢٤٤

(٢) م : « لأن كل من »

(٣) كذا في م ، ا : وفي س ، ك : « يرفع »

(٤) م : « بأن »

(٥) س : « وأنه لا يقع »

وأبو تمام أشدَّ تَتَبُعًا لتحسين الخروج<sup>(١)</sup> [ منه .

وأما قوله : « وأغر في الزمن البهيم محجل » ، فإن ذكر التَّحْجِيل في المدوح قريب ، وليس بالجيد ، وقد يمكن أن يقال : إنه إذا قُرِنَ بالأغر حَسُنَ ، وجَرَى مجراه ، وانخرط في سِلْكه ، وأَهْوَى إلى مِضْمَارِهِ ، ولم يُنْكَرْ لمكانه من جِوَارِهِ . فهذا عذر ، والمدول عنه أحسن .

وإنما أراد أن يَرُدَّ العَجْزَ على الصِّدْر ، ويأتى بوجه [ في<sup>(٢)</sup> ] التجنيس .

وفيه شيء ، لأن ظاهر كلامه يوم أنه قد صار ممتطياً<sup>(٣)</sup> الأغر الأول ورائحاً عليه .

ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقويل الناس . فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ، وردّه عجز البيت عليه ، وظنّه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئاً ، حتى كررها ، فهي كلمة فيها ثقل ، ونحن نجد إذا أرادوا أن يصفوا بنحو<sup>(٤)</sup> هذا قالوا : « ما هو إلا صورة » ، و « ما هو إلا تمثال » ، و « ما هو إلا دُمِيّة » ، و « ما هو إلا ظبية » ، ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان .

(١) الزيادة من ا ، ب ، م

(٢) الزيادة من م ، ك ، ا

(٣) س ، ك : « ممتطى »

(٤) كذا في ا ، م ، ك وفي س : « يصنعوا بنحو »

وقد استدرك<sup>(١)</sup> هو أيضاً على نفسه ، فذكر أنه كصورة في هيكل ،  
ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل ، كان أولى وأجل .  
ولو أن هذه الكلمة كررها أصحابُ العزائم على الشياطين ، لرأعوم  
بها ، وأفزعوم بذكرها ! وذلك من كلامهم ، وشبيهُ بصناعتهم<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وأما قوله :

وَإِى الضُّلُوعِ يَشْدُ عَقْدَ حَزَامِهِ      يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مَخُولِ  
أَخْوَالُهُ لِلرُّشْتَمِينَ بِفَارِسِ      وَجُدُودُهُ لِلتَّبَعِينَ بِمَوْكَلِ  
نُبُلُ الْمَحْزَمِ مِمَّا يَدْحُ بِهِ الْخَيْلِ ، فهو لم يأت فيه ببديع .

وقوله : « يشد عقد حزامه » ، داخل في التكلف والتعسف ،  
لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتبعُ الألفاظ وينقدها نقداً  
شديداً ، فهلا قال : « يشد<sup>(٣)</sup> حزامه » ، أو يأتى بحشو آخر سوى  
العقد ؟ فقد عقدَ هذا البيت بذكر العقد .

ثم قوله : « يوم اللقاء » ، حشو آخر لا يحتاج إليه .  
وأما البيت الثانى فعناه أصلح من ألفاظه ، لأنها غير مجانسة لطباعه ،  
وفيها غلظ ونفاز .

\* \* \*

( ١ ) م : « استدركه أيضاً »

( ٢ ) م : « بفضاعتهم »

( ٣ ) م : « شد »

وأما قوله :

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ

صَيْدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الْأَجْدَلِ<sup>(١)</sup>

مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا

تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٌ<sup>(٢)</sup>

مَا إِنْ يَمَافُ قَدَّى ، وَلَوْ أوردته

يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ<sup>(٣)</sup>

البيت الأول صالح ، وقد قاله الناس ولم يسبق إليه ، ولم يقل مالم يقولوه ، بل هو منقول . وفي سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا بأبدعها ، وقد يقولون : « يفوت الطَّرف » ، و « يسبق الريح » ، و « يجارى الوهم » و « يكدّ<sup>(٤)</sup> النظر » . ولولا أن الإتيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب ، لنقلت<sup>(٥)</sup> لك جملة

(١) كذا في الديوان و م ١ . وفي س ، ك ، ب « وينقض انقضااض الأجدل »

(٢) في اللسان ١٤٠/٨ « والتوجس : التسمع إلى الصوت الخفي » برقيقتين : أى بأذنين

(٣) في ابن أبي الحديد ٢ / ٢٤٤ « ألا تراه كيف استطرد بذكر حمدويه الأحول الكاتب ، وكأنه لم يقصد ذلك ولا أراد ، وإنما جرت القافية ، ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس ، ولو أقسم إنسان أنه ما بنى القصيدة منذ افتتاحها إلا على ذكره ، ولذلك أتى بها على روى اللام — لكان صادقا »

(٤) س ، ك : « ويكر »

(٥) م : « نقلت »

مما ذهبوا إليه في هذا المعنى . فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها بما يحل عن الوصف ، أو يفوت منتهى الحد .

على أن الهوى يذكر عند الاقتضاض خاصة ، وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة ، إلا أن يشبه حدّه<sup>(١)</sup> في العدو بحالة اقتضاض البازي والعقاب ، وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها .

وأما البيت الثاني ، فقله : إن الأذنين كأنهما من ورق موصل ، وإنما أراد بذلك حدتهما ، وسرعة حركتهما ، وإحساسهما بالصوت ، كما يحس الورق بحفيف الريح . وظاهر التشبيه غير واقع ، وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسناً ، ولكن لا يدل عليه اللفظ ، وإنما يجري مجرى المضمن .

وليس هذا البيت برائق اللفظ ، ولا مشاكل فيه لطبعه ، غير<sup>(٢)</sup> قوله : « مُتَوَجِّسٌ برقيقتين » ، فإن هذا القدر هو حسن<sup>(٣)</sup> .

وأما البيت الثالث ، فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد<sup>(٤)</sup> ، ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره ، وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى .

(١) م : « حدته »

(٢) م : « ثم قوله »

(٣) م : « الحسن »

(٤) راجع ص ١٢٩

والذى وقع للبحترى فى هذا البيت عندى<sup>(١)</sup> ليس بجيد فى لفظ  
ولا معنى ، وهو بيت وحشٌ جداً ، قد صار قذًى فى عين هذه القصيدة ،  
بل وخزاً فيها ووبالاً عليها ، قد كدّر صفاءها ، وأذهب بهاءها وماءها ،  
وطمس بظلمته سناءها .

وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قذًى من المياه إذا وردّها ؟ !  
كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار فى قوله :

\* ولا يشربُ الماءَ إلا بدمٍ<sup>(٢)</sup> \*

وإذا كان لهذا الباب مجانباً ، وعن هذا السمت بعيداً ، فهلاً وصفها  
بعزة الشرب ؟ كما وصفها المتنبي فى قوله :

وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ

فلو كان قرنُ الشمسِ ماءً لَأُورِدَا<sup>(٣)</sup>

وهلّا<sup>(٤)</sup> سلك فيه مسلك القائل :

وإني للماء الذى شابههُ القذى إذا كثرتْ ورَّادُهُ لَعِيفٌ ؟<sup>(٥)</sup>

ثم قوله : « ولو أوردته يوماً » ، حشو بارد !!

ثم قوله : « حمدّويه الأحول » ، وحشٌ جداً ، فما أمّقت هذا

(١) سقطت هذه الكلمة من م

(٢) صدره : « فتى لا يبيت على دمنة »

(٣) ديوانه ١٨٧/١ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

(٤) م : « وهذا »

(٥) غير منسوب فى زهر الآداب ١٩٤/٢ وفيه : « للماء المخالط للقذى » .

البيتَ وأبغضه ، وما أثقله وأسخفه ! وإنما غطى على عينه عيبه ، وزين له إرادته طمعه في الاستطراد<sup>(١)</sup> ، وهلا طمع فيه على وجه لا يفض من بهجة كلامه ، ولا معنى<sup>(٢)</sup> ألفاظه ؟! فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر .

\* \* \*

فأما قوله :

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ      عُرْفٍ وَعُرْفٍ كَالْقِنَاعِ الْمُسَبِّلِ  
تَوَهَّمُ الْجَوَازَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ      وَالْبَدْرَ فَوْقَ جِيْنِهِ الْمُتَهَلِّلِ  
فأليت الأول وحشُ الابتداء ، منقطع عما سبق من الكلام . وقد ذكرنا أنه لا يهتدى لوصل الكلام ، ونظام بعضه إلى بعض ، وإنما يتصنع لغير هذا الوجه .

وكان يحتاج أن يقول: ذنب كالرداء ، فقد حذف<sup>(٣)</sup> ، [و] الوصل<sup>(٣)</sup> غير متسق ولا مليح ، وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ، ولا يذهب عن مثله .

ثم قوله : « كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ » ، قبيح في تحقيق التشبيه ، وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة ، إلا على إضمار أنه ذنب يسحبه كما يُسَحَّبُ الرِّدَاءُ !

(١) انظر معجم الأدباء ٢٥٠/١٩

(٢) م : « ولا يعنى »

(٣) س ، ك : « حذف الوصل »

وقوله : « يَذْبُ عَنْ عُرْفٍ » ، ليس بحسن ولا صادق . والمحمود ما ذكره امرؤ القيس ، وهو قوله :

فُؤَيْقُ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلٍ <sup>(١)</sup>

وأما قوله : « تتوهم الجوزاء في أَرْسَاغِهِ » ، فهو تشبيه مليح ، ولكنه لم يَسْبِقْ إليه ، ولا انفرد به .

ولو نسختُ لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرّة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الأمور ، وتشبيه الحجول — : لتعجبتَ من بدائعٍ قد وقعوا عليها ، وأمورٍ مليحةٍ قد ذهبوا إليها ؛ وليس ذلك موضع كلامنا ، فتنبع ذلك في أشعارهم ، تعلم ما وصفتُ لك .  
واعلم أنّنا تركنا بقية كلامه في وصف الفرس ، لأنه ذكر عشرين بيتاً في ذلك .

والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ، ولا يعدو <sup>(٢)</sup>  
ما تركناه أن يكون [ حسناً مقولاً ، وبديعاً منقولاً ؛ أو يكون ] <sup>(٣)</sup>  
متوسطاً إلى حدٍّ لا يفوت طريقة الشعراء .

( ١ ) في المعاني الكبير لابن قتيبة ١٤٩/١

ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل  
ضاف : سابغ . سد فرجه : أى فرج ما بين فخذه ، يريد كثرة الذنب .  
والعزل : أن يعزل ذنبه في أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقه »

( ٢ ) ك : « ولا بعده ما تركناه »

( ٣ ) . الزيادة من م



ولو تتبعت أقاويل الشعراء في وصف الخيل ، علمت أنه وإن جمع فأوعى ، وحشرفنادى ، ففيهم من سبقه في ميدانه ، ومنهم من ساواه في شأوه ، ومنهم من دانه . فالقييل واحد ، والنسيج متشا كل . ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم في ذلك ، لتقف على ما قلت . فتجاوزنا إلى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة .

\* \* \*

قال :

لمحمد بن علي الشرف الذي لا يلاحظ الجوزاء إلا من عل  
وسحابة لو لا تتابع مزيها فينا لراح المزن غير مبخل<sup>(١)</sup>  
والجود يعذله عليه حاتم سرفاً ولا جود لمن لم يعذل  
الييت الأول منقطع عما قبله ، على ما وصفنا به شعره : من قطعه<sup>(٢)</sup>

(١) كذا في الأصول ، وفي ديوانه ، « وسماحة لولا . . . غير منخل » وفي عبث الوليد ص ١٨٨ « وسماحة » قال المعري : « الرواية غير ، بالراء ، وهو المعنى المتعارف الذي يتردد في الشعر ، أى أنه جاد جوداً غزيراً بخل معه الغمام ، إذا كان قد يمسك في بعض الأعوام ، وطالما هلكت السائمة والأنيس لفقد المطر . وهذا الممدوح ليس كذلك إذ كان يجود في كل الأوقات والسنين . وإن رويت « عين مبخل » فله معنى يصح على بعد ، وذلك أنه يراد أنه عين المزن بجوده ، فلا نحفل أصاب فينا المطر أم حقب ، فهذا وجه . ويحتمل أنه لما جاد فأحسبنا بالنائل كرهنا أن يبخل الغمام ، إذ كان نسبة جوده في بعض الأحيان فكأنه شفع إلينا في ترك تبخيله . ومعنى حقب - بكسر ففتح - : احتبس . وأحسبنا : أى أعطانا حتى قلنا له : حسبنا

(٢) م : « في قطعه »

المعاني، وفصله بينها، وقلة تأتية لتجويد الخروج والوصل، وذلك<sup>(١)</sup>  
تقصان في الصناعة، وتخلف في البراعة، وهذا إذا وقع في مواضع قليلة  
عُذِرَ فيها، وأما إذا كان بناءً الغالب من كلامه على هذا، فلا عُذْرَ له.  
وأما المعنى الذي ذكره، فليس بشيء مما سبق إليه، وهو شيء  
مشارك فيه، وقد قالوا في نحوه: إن مجده سماء السماء، وقالوا في نحوه  
الكثير الذي يصعب نقل جميعه، وكما قال المتنبي:

وَعَزَمَهُ بَعَثَهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ الثَّرْبِ مِنْ زُحَلٍ<sup>(٢)</sup>

وحدثني إسماعيل بن عباد: أنه رأى<sup>(٣)</sup> أبا الفضل بن العميد قام  
لرجل، ثم قال لمن حضره: أتدرى من هذا؟ هذا<sup>(٤)</sup> الذي قال في أبيه  
البحترى:

\* لمحمد بن علي الشرف الذي \*

فذلك يدل على استعظامه للميت<sup>(٥)</sup>، بما مدح به من البيت.

(١) س، ك: «ذلك»

(٢) في ديوانه ٣٨/٢ من قصيدة مدح بها سيف الدولة. وقبلة:  
مثل الأمير بغى أمراً فقربه طولُ الرماح وأيدى الخيل والإبل  
يقول: وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل - الكوكب المعروف -  
بقدر علو زحل عن التراب.

(٣) م: «أنه روى»

(٤) ك: «قال: هذا» س: «هو الذي»

(٥) س: «لمحمد بن القاسم الشرف»!

(٦) ١، ك، م: «للبيت» م: «البيت»

والبيت الثانى فى تشبيه جوده بالسحاب قريب ، وهو حديث مكرر ، ليس ينفك مديح شاعر منه ، وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة إبداع ، كما قد يقع لهم فى نحو هذا ، ولكنه لم يتصنع له ، وأرسله إرسالاً .

وقد وقع فى المصراع الثانى ضربٌ من الخلل ، وذلك : أن المزن إنما يُخَلُّ إذا منع نيله ، وذلك <sup>(١)</sup> موجود فى كل نيل ممنوح ، وكلاهما محمود مع الإسعاف ، فإن أسعف أحدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه ، وإن كان إنما شبه غالب [ حال <sup>(٢)</sup> ] أحدهما بالآخر ، وذكر قصور أحدهما عن صاحبه ، حتى إنه قد يخل فى وقت والآخر لا يخل بحال — : فهذا جيد ، وليس فى حمل الألفاظ على الإشارة إلى هذا شئ .

والبيت الثالث ، وإن كان معناه مكرراً ، فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم ، يشبه ألفاظ المبتدئين .

وأما قوله :

فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ وَمَا أَخَذَ الْمَدَى      بَعْدَ الْمَدَى كَالْفَاضِلِ الْمُتَفَضِّلِ  
سَارٍ إِذَا ادَّلَجَ الْعَفَاةُ إِلَى النَّدَى      لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعَجَّلِ  
فالبيت الأول منقطع عما قبله ، وليس فيه شئ غير التجنيس الذى ليس يبدع ، لتكرره على كل لسان .

(١) س ، ك : « فذلك »

(٢) الزيادة من م

وقوله: « مَا أَخَذَ الْمَدَى [بعد المدى] <sup>(١)</sup> » ، فإنه لفظ مليح ، وهو كقول القائل :

\* قَدْ أَرَكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَةِ <sup>(٢)</sup> \*

ورؤى <sup>(٣)</sup> : « الحالة بعد الحالة » . وكقول امرئ القيس :

\* سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ <sup>(٤)</sup> \*

ولكنها طريقة مذلة ، فهو فيها تابع .

وأما البيت الثانى فقريب فى اللفظ والمعنى .

وقوله : « لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ » ، ليس بلفظ محمود .

وأما قوله :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْحَسُودِ كَأَنَّمَا جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَحْبَلٍ <sup>(٥)</sup>  
أَوْ مَأْ رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَتَقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ  
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مُنْكَرٌ جَدًّا فِي جَرِّ النُّجُومِ بِالْأَرْسَانِ <sup>(٦)</sup> [من] <sup>(٧)</sup>

(١) الزيادة من ا ، ب ، م

(٢) فى اللسان ٤١/١٣ : « والآلة : الحالة ، والجمع الآل ، يقال : هو

بآلة سوء ، قال الراجز :

قَدْ أَرَكَبُ الْآلَةَ بَعْدَ الْآلَةِ وَاتْرَكَ الْعَاجِزَ بِالْجُدَالَةِ

(٣) م : « وأروى »

(٤) صدره كما فى ديوانه ص ١٠٨ \* سموت إليها بعد ما نام أهلها \*

(٥) فى الديوان : « نظر العيون » .

(٦) م : « بالانسان » .

(٧) الزيادة من م ، ك .

موضعه إلى العلو ! والتكلف فيه واقع .  
والبيت الثاني أجنبي عنه ، بعيد منه ، وافتتاحه ردىء . وما وجه  
الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوقيف ؟

والبيتان أجنبيان من كلامه ، غريبان في قصيدته .  
ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد .  
ألا ترى أنه قال بعد ذلك :

نفسى فداؤك يا محمد من فتى      يؤف على ظلم الخطوب فتنجلى<sup>(١)</sup>  
إني أريد أبا سعيد ، والعدى      يئني وبين سحابه المتهلل  
كأن هذا ليس<sup>(٢)</sup> من طبعه ولا من سبكه .

وقوله :

مُضَرُّ الجزيرة كلها وريعة الخابور      تُوعِدُنِي وَأَزِدُّ الْمَوْصِلِ  
قد جُدتَ بالطرفِ الجوادِ فثنَّه      لأخيك من أددٍ أليك بمُصِّلِ  
البيت الأول حسن المعنى ، وإن كانت ألفاظه بذكر الأماكن  
لا يتأتى فيه التحسين .

وهذا المعنى قد يمكن إirاده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه  
وأرق منه ، كقوله :

(١) قبله في الديوان :

ضيف لهم يقرى الضيوف ونازل متكفل فيهم بير النزل

(٢) م : « كأن هذا شيء ليس » .

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ رَأَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا<sup>(١)</sup>  
والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه  
يلطف<sup>(٢)</sup> ، وهو قبيح اللفظ ، حيث يقول فيه : « فَشَنَّهُ لِأَخِيكَ مِنْ  
أَدْرِ أَيْيِكَ » ، ومن أخذه بهذا التعرض<sup>(٣)</sup> لهذا السجع ، وذكر هذا  
النسب ، حتى أفسد به شعره !

وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف ، يقول :

يَتَنَاوَلُ الرُّوحَ الْبَعِيدَ مَنَالُهَا عَفَوًا وَيَفْتَحُ فِي الْقَضَاءِ الْمُقْفَلَ  
يَابَانَةً فِي كُلِّ حَتَفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةً فِي كُلِّ نَفْسٍ مَجْهَلٍ<sup>(٤)</sup>  
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطْلٍ وَمَصْقُولٍ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ<sup>(٥)</sup>  
ليس لفظ البيت الأول بمضاهٍ لديباجة شعره ، ولا له بهجة نظمه ،  
لظهور أثر التكلف عليه ، وتبين ثقل فيه .

وأما « الْقَضَاءُ الْمُقْفَلُ » وفتح ، فكلام غير محمود ولا مرضى !  
واستعارة لو لم يستعرها كان<sup>(٦)</sup> أولى به ! وهلا عيب عليه كما عيب على  
أبي تمام قوله :

(١) البيت لجرير ، يهجو به العباس بن يزيد الكندي ، كما في معجم  
الشعراء ص ٢٦٤

(٢) م : « تلطف » .

(٣) م : « ومن أخذه بالتعرض » .

(٤) في الديوان : « يابانة في كل » .

(٥) س : « يمضه » .

(٦) س ، ك : « كانت » .

فَضَرَبْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبًا<sup>(١)</sup>  
 وقالوا: يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه ! وقد أتبعه  
 البُحْتُريّ في استعارة الأخدع، ولوعاً باتباعه، فقال في الفتح بن خاقان:  
 وإني وإنّ أبلّغتني شرفَ العُلا  
 وأعتقت من ذلّ المطامع أخدعي<sup>(٢)</sup>

إنّ شيطانه حيث زبّن له هذه الكلمة، [و] تابعه حين حسن  
 عنده<sup>(٣)</sup> هذه اللفظة، فليثّ ماردٌ، ورديّ معانيد، أراد أن يطلق  
 أعنة الذم فيه، ويسرّح جيوش العتب إليه ! ولم يقنع بقفل القضاء؛  
 حتى جعل للحتف ظامة تجلّ بالسيف، وجعل السيف هادياً في النفس  
 المجهل الذي لا يهتدى إليه ! وليس في هذا مع تحسين<sup>(٤)</sup> اللفظ  
 وتنميته شيء، لأن السلاح وإن كان معيباً، فإنه يهتدى إلى النفس .

وكان يجب أن يبدع في هذا إبداع المتنبّي في قوله :

كأنّ الهامّ في الهيّجاً عيُونٌ وقد طُبعتْ سيوفُك من رُقَادٍ<sup>(٥)</sup>  
 وقد صُغتْ الأسنة من همومٍ فما يخطرُن إلا في فؤادٍ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ص ٢٧ وفيه « غادرته قودا » ، والقود والعود : الحمل .  
 والأخدعان : عرقان في جانبي العنق ، كما في اللسان ١٩/٩٤

(٢) كذا في الديوان ، وفي ك ، س ، م « وإني وقد بلغتني الشرف  
 العلا »

(٣) من قوله : « إن شيطانه » إلى هنا — سقط من م . والزيادة من ا ، ك

(٤) م : « تحيس »

(٥) ديوانه ١/٢٢٨ من قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي

(٦) س : « في الفؤاد »

فالاhtداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن .

وفي البيت الأول شيء آخر: وذلك أن قوله: « ويفتح في القضاء »، في هذا الموضع حشو رديء ، يلحق بصاحبه اللكنة ، ويلزمه الهجنة .

وأما البيت الثالث ، فإنه أصلح<sup>(١)</sup> هذه الأبيات ، وإن كان ذكر الفارس حشواً ، وتكلفاً ولنوعاً ، لأنَّ هذا لا يتغير بالفارس والراجل . على أنه ليس فيه بديع .  
وأما قوله :

يَغْشَى الْوَعَى وَالتَّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ  
مِنْ حَدِّهِ وَالذَّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلٍ<sup>(٢)</sup>

مُصْنَعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى ، فَإِذَا مَضَى  
لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَمْدِلْ

مُتَوَقِّدٌ يَبْرَى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ  
مَا أَذْرَكَتْ ، وَلَوْ أَنَّهَا فِي يَدْبِلٍ<sup>(٣)</sup>

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه ، وهي طريقته

(١) م : « فإنه أملح »

(٢) في الديوان : « فالترس »

(٣) في الديوان : « متألق يفرى » . ويذبل : اسم جبل في بلاد نجد .



التي يَجْتَنِبُهَا<sup>(١)</sup> ، وذلك من السَّبْكِ الْكِتَابِي وَالْكَلَامِ الْمُعْتَدِلِ ، إلا أنه لم يبدع فيهما<sup>(٢)</sup> بشيء ، وقد زيد عليه فيهما .

ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف ، فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة ، وأمور مذكورة ، وسيله أن يُقَرَّبَ ويُبدع ، كما أبدع المتنبي في قوله :

سَلَّهَ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ      فَتَصَدَّى لِلغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ<sup>(٣)</sup>  
هذا في باب صِقَالِهِ وَأَصْوَانِهِ وكثرة مائه ، وكقوله :

رِيَّانُ لَوْ قَذَفَ الذِي أَسْقَيْتَهُ

لَجَرَى مِنَ الْمُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ<sup>(٤)</sup>

وقوله : « مُصْنِعٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى » — إن تأملته — مقلوب ، كان ينبغي أن يقول : يصنع الردي إلى حكمه ، كما قال الآخر :

فَالسَّيْفُ يَأْمُرُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ<sup>(٥)</sup> .

(١) كذا في أ ، ب . وفي س ، ك : « طريقه الذي يجتنبها » . وفي م « طريقته التي لم يبدع فيهما بشيء »

(٢) س : « فيها . . . فيها »

(٣) ديوانه ٣٧٤/١ من قصيدة يمدح بها علي بن صالح الروذباري الكاتب .

(٤) ديوانه ٢١٥/١ من قصيدة يمدح بها شجاع بن محمد الطائي المنبجي .

(٥) ذكر الطبري ٨٦/١٠ في مقتل أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة سنة ١٨٧ أن شاعراً قال :

تلمظ السيف من شوق إلى أنس      فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

وقوله : « وإذا قضى لم يعدل » ، متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة ، في نفس هذا المعنى .

والبيت الثالث سليم ، وهو كالأولين في خلوه عن البديع .  
فأما <sup>(١)</sup> قوله :

فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ      وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلٍ  
وَكَأَنَّمَا سُودُ النِّمَالِ وَحُمْرُهَا      دَبَّتْ بِأَيْدٍ فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ  
البيت الأول يقصد بمثله صنعة <sup>(٢)</sup> اللفظ ، وهو في المعنى متفاوت ،  
لأن المضرب قد لا يكون مقتلاً ، وقد يطلق الشعراء ذلك ، ويرون  
أن هذا أبدع من قول المتنبي ، وأنه بضده <sup>(٣)</sup> :

الْقَاتِلِ السِّيفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ  
وَالسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالٌ <sup>(٤)</sup>

وهذه طريقة لهم يتمدحون بها في قصف الرمح طعناً ، وتقطيع  
السيف ضرباً .

وأنشده أبو تمام في الوحشيات لبعض بني ثعل ، وقبله  
أظله منك حتف قد تجلله      حتى يؤامر فيه رأيك القدر  
أمضى من السيف إلا عند قدرته      وليس للسيف عفو حين يقتدر  
والأبيات في عيون الأخبار ١ / ١٣٠ غير منسوبة ، والعقد الفريد  
٢ / ١٨١ لمسلم بن الوليد في قصة طويلة .

( ١ ) م : « وأما »

( ٢ ) كذا في ا ، ب ، م . وفي س ، ك « يقصه به صنعة » .

( ٣ ) م : « وإنه لضده »

( ٤ ) كذا في الديوان . وفي م : « ويقتل » . وس ، ك : « يقتل »

وفي قوله : « وَإِذَا أُصِيبَ فَالَهُ مِنْ مَقْتَلٍ » ، تعسفٌ ، لأنه يريد بذلك أنه لا ينكسر ، فالتعبير بما عبّر به عن المعنى الذي ذكرناه يتضمن التكلف وضرباً من المحال ، وليس بالنادر ، والذي عليه الجملة ما حكيناه عن غيره .

ونحوه قال بعض أهل الزمان :

يُقَصِّفُ فِي الْفَارِسِ السَّمْهَرِيَّ وَصَدَرَ الْحُسَامِ فَرِيقًا فَرِيقًا<sup>(١)</sup>  
والبيت الثاني أيضاً هو معنى<sup>(٢)</sup> مكرر على ألسنة الشعراء .  
وأما تصنيعُهُ بسود<sup>(٣)</sup> النَّمَالِ وَحُمْرِهَا ، فليس بشيء ، ولعله أراد بالحر الذرّ ، والتفصيل بارد ! والإغرابُ به مُنْكَرٌ ! وهو — كما حكي عن بعضهم أنه قال — : كان كذا حين كانت الثريا بِحِذَاءِ رَأْسِي عَلَى سَوَاءٍ ، أو منحرفاً قَدَرُ شِبْرٍ ، أو نصف شبر ، أو إصبعاً ، أو ما يقارب ذلك !  
فقليل له : هذا من الورع الذي يبغضه الله ، ويمقتّه الناس !!  
ورُبَّ زيادةٍ كانت تقصاناً .

وصفة النمل بالسواد والحمرة في هذا من ذلك الجنس ، وعليه خرج بقية البيت في قوله :

\* دَبَّتْ بِأَيْدِي فِي قَرَاهُ وَأَرْجُلِ \*

وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي .

(١) م : « ويقصف » .

(٢) م : « هو بيت » .

(٣) م : « وأما تصريفه سود » .

ووصف<sup>(١)</sup> الفرند بمذبّ النمل شيء لا يشدّ عن أحد منهم<sup>(٢)</sup> .  
وأما قوله :

وَكأنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَضَوَى بِهِ الزَّ      حَفَانِ يَعْصِي بِالسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ<sup>(٣)</sup>  
حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً      مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

البيت الأول منهما فيه ضرب من التكلف ، وهو منقول من  
أشعارهم وألفاظهم ، وإنما يقول :

[وترأه في ظلم الوعى فتخاله      قرأ يشد على الرجال بكوكب]<sup>(٤)</sup>  
فجعل ذلك الكوكب السماء ، واحتاج إلى أن يجعله أعزل ، للقافية !  
ولو لم يحتاج إلى ذلك كان خيراً له ؛ لأن هذه الصفة<sup>(٥)</sup> في هذا الموضع

(١) م : « ويصف »

(٢) في ديوان المعاني ٥٧/٢ « ويشبه الفرند بمذبّ الذر ، فن قديم  
ما قيل فيه قول امرئ القيس :

متوسداً عضباً مضاربه      في متنه كمدبة النمل

(٣) كذا في النسخ ، وفي الديوان :

وَكأنَّ شَاهِرَهُ إِذَا اسْتَعْصَى بِهِ      فِي الرُّوعِ يَعْصِي بِالسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ  
وَفِي اللِّسَانِ ٢٩٤/١٩ « وعصى بسيفه وعصابه يعصو عصاً : أخذه أخذ  
العصا ، أو ضرب به ضربه بها » .

وَفِي اللِّسَانِ ٣٢٨/١٢ « والسماكان : نجمان نيران ، أحدهما السماء  
الأعزل ، والآخر السماء الرامح . . . وسمى أعزل لأنه لا شيء بين يديه من  
الكواكب ، كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال : سمي أعزل لأنه إذا طلع  
لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها » .

(٤) الزيادة من م . وفي س ، ك : « وإنما يقول : قمر يشد على الرجال  
بكوكب » .

(٥) م : « هذه القصة » .

تفرض من الموصوف<sup>(١)</sup> ، وموضع<sup>(٢)</sup> التكلف الذى ادّعيناه ، الحشو الذى ذكره من قوله : « إذا استَضَوَى به الزَّخْفَان » . وكان يكفى أن يقول : كَأَنَّ صاحبه يَعِصَى بالسَّمَاءِ ، وهذا ، وإن كان قد تعمل فيه للفظ ، فهو لغو<sup>(٣)</sup> ، على ما بينا .

وأما البيت الثانى ففيه لغو من جهة قوله : [ « حائله القديمة » ، ولا يوصف السيف بأن ]<sup>(٤)</sup> حائله قديمة ، ولا فضيلة له فى ذلك . ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة ، والكلام الرذل النَّذْلُ ، لأن العامة<sup>(٥)</sup> قد يتفق منها تشبيه واقعٌ حَسَنٌ . ثم انظر إلى هذا المقطع الذى هو بالعِىِّ أَشْبَهُ منه بالفصاحة ، وإلى اللُّكْنَةِ أقربُ منه إلى البراعة .

وقد بينا أن مُراعاة الفواتح والخواتم ، والمطالع والمقاطع ، والفصل والوصل ، بعد صحة الكلام ، ووجود الفصاحة فيه — مما لا بدّ منه ، وأن الإخلال بذلك يُخِلُّ بالنظم ، ويذهبُ روثقه ، ويحيل بهجته ، ويأخذ ماءه وبهاءه<sup>(٦)</sup> .

\* \* \*

(١) م : « نقص » س : « تفضه » .

(٢) س ، ك : « من الموضع » .

(٣) م : « فيه بلفظ فهو لغو » .

(٤) الزيادة من م .

(٥) م : « تشبيهاً العامة البذل ، لأن العامة » .

(٦) سقطت هذه الكلمة من م .

وقد أطلت عليك فيما نقلت ، وتكلفت ما سطرت ؛ لأن هذا القليل قليل موضوع ، متعمّل مصنوع .

وأصل الباب في الشعر على أن ينظر إلى جملة القصة ، ثم يتعمّل الألفاظ ، ولا ينظر بعد ذلك إلى مواقعها ، ولا يتأمل مطارحها . وقد يقصد تارة إلى تحقيق الأغراض ، وتصوير المعاني التي في النفوس ، ولكنه يلحق بأصل بابه ، ويميل بك إلى موضوعه<sup>(١)</sup> ، وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها<sup>(٢)</sup> التفاضل .

وإن أردت أن تعرف أوصاف الفرس ، فقد ذكرت لك أن الشعراء قد تصرّفوا في ذلك بما يقع إليك — إن كنت من أهل الصنعة — مما يطول على نقله ، وكذلك في السيف .

وذكر لي بعض أهل الأدب : أن أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري<sup>(٣)</sup> :

(١) س ، لك : « إلى موضعه » .

(٢) م : « فيه » .

(٣) اسمه عامر بن عبد الرحمن ، مدح المهدي والهادي والرشيد والأمين . وكان خبيث اللسان ، هجا خلقاً كثيراً ، منهم : جعفر بن يحيى البرمكي . راجع تاريخ بغداد ٢٣٧/١٢ — ٢٣٨ وفي ديوان المعاني ٥٢/٢ « ومن بليغ ما قيل في وصف السيف قول ابن يامين . قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الإياسى القاضي ، عن الهيثم بن عدى قال : لما صار سيف عمرو بن معدى كرب — الذي يسمى : الصمصامة — إلى الهادي ، وكان عمرو وهبه لسعيد ابن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي ، فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل ، وكان موسى من أوسع بني العباس خلقاً وأكثرهم عطاء للمال . قال : فجرده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكمل فيه دنائير فقال :

حَازَ صَمَصَامَةَ الزُّيْدِيَّ مِنْ يَمِينِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ<sup>(١)</sup>  
 سَيْفُ عَمْرٍو وَكَانَ - فِيمَا سَمِعْنَا - خَيْرَ مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ الْجُفُونُ<sup>(٢)</sup>  
 أَخْضَرَ اللَّوْنَ بَيْنَ بُرْدِيهِ حَدٌّ مِنْ دُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ الْمَنُونُ<sup>(٣)</sup>  
 أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا ثُمَّ شَابَتْ لَهُ الدُّعَافُ الْقُيُونُ<sup>(٤)</sup>  
 فَإِذَا مَا شَهَرَتْهُ بَهَرَ الشَّمْسُ ضِيَاءً فَلَمْ تَكْذُبْ تَسْتَبِينُ<sup>(٥)</sup>  
 يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارَ كَالْقَبَسِ الْمُشْعَلِ لَا تَسْتَقِيمُ فِيهِ الْعَيُونُ<sup>(٦)</sup>

قولوا في هذه السيف، فبدرهم ابن يامين فقال: حاز، إلخ. وكذلك نسب هذا الشعر لابن يامين البصري في وفيات الأعيان ١٥٩/٥ ومروج الذهب ٢٤٥/٣ وهو لأبي الهول الحميري في الحيوان ٨٧/٥ وقد ذكر المعاني بن زكريا في الجليس والأنيس أن موسى الهادي أمر بإحضار الشعراء فكان بالباب منهم: أبو الهول، وأبو الغول التميمي، وسلم الخاسر... فأما أبو الهول فلم يصف شيئاً، وأما سلم فلم يرض ما قال، وأما أبو الغول فوصف فأحسن وأخذ الصلة: عشرة آلاف درهم والحملان والخلع وانصرف. وأمر لأبي الهول وسلم الخاسر بخمسة آلاف خمسة آلاف وانصرفا، فكان الشعر لأبي الغول حيث يقول: حاز، إلخ. وانظر كتاب التشبيهات لابن أبي عون ص ١٤٢ - ١٤٣.

(١) في اللسان ٢٤٠/١٥ «الصَّمَصَامُ والصَّمَصَامَةُ: السيف الذي لا ينثني، والصمصامة: سيف عمرو بن معدى كرب».

(٢) كذا في الحيوان. وفي الجليس والأنيس، وديوان المعاني، ومروج الذهب، ووفيات الأعيان «خير ما أغمدت».

(٣) في وفيات الأعيان «بين حديه برد من ذباح تيمس».

(٤) في وفيات الأعيان «شابت فيه». وديوان المعاني «شابت به». وفي الحيوان «ثم ساطت به الزعاف المنون». والذعاف: سم ساعة، كما في اللسان

٨/١١

(٥) في م، ا، ب ووفيات الأعيان وديوان المعاني «فإذا ما سللته».

(٦) في ديوان المعاني ووفيات الأعيان «ما تستقر».

وَكأنَّ الفَرِندَ والرَّوْنَقَ الجَا رَى فِي صفحتيه ماءً مَعِينٌ<sup>(١)</sup>  
 نَعَمْ مَخْرَاقُ ذِي الحَفِيفَةِ فِي الهَيَّ جَاءَ يَعِصِي بِهِ ، وَنَعَمْ القَرِينُ<sup>(٢)</sup>  
 مَا يُبَالِي إِذَا انتَحَاهُ بِضَرْبِ أَشْمَالٍ سَطَّتْ بِهِ أَمَّ يَمِينُ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

وَإِنَّمَا يُوزَانُ شعر البُحْتَرِيِّ بشعر شاعر من طبقتة ، ومن أهل عصره ، ومن هو في مضماره أَوْفَى منزلته .

ومعرفة أَجْناس الكلام ، والوقوف على أسرارهِ ، والوقوف على مقداره ، شَيْءٌ - وإن كان عزيزاً ، وأَمْرٌ - وإن كان بعيداً - : فهو سهل على أهله ، مستجيب لأصحابه ، مطيع لأربابه ، ينقدون الحروف ، ويعرفون الصُرُوفَ .

وَإِنَّمَا تَبْقَى الشَّبْهَةُ فِي ترتيب الحال بين البُحْتَرِيِّ ، وأَبِي تَمَّامٍ ، وابن الرومي ، وغيره .

ونحن وإن كنا نُفَضِّلُ البُحْتَرِيَّ بديباجة شعره ، على ابن الرومي

( ١ ) في المرجعين السابقين : « والجوهر الجاري » . وفي م : « على صفحته » .  
 وس « في صفحته » . وفي اللسان ٣/ ٣٤٤ « وصَفَحُ السيف وصفحه : عَرَضَهُ ،  
 والجمع : أَصْفَاح . وصفحتا السيف : وجهاه » .

( ٢ ) م : « يقضى به » . وفي ديوان المعاني : « في الهيجا بعضاتها » .

( ٣ ) في ديوان المعاني : « إذا انتضاه » . وبعده فيه :

وَكأنَّ المنون نِيطَتْ إِلَيْهِ فهو من كل جانبهِ منون  
 أَخَذَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الأَبْيَاتِ تشبيهُه السيف بالشمس ثم بالقبس ؛ لأنه قد حطه  
 درجات » .



وغيره من أهل زمانه — : تقدّمه بحسن عبارته ، وسلاسة كلامه<sup>(١)</sup> ،  
وعذوبة ألفاظه ، وقلة تعقّد قوله .

والشعرُ قَبِيلٌ مُلْتَمَسٌ مستدرِكٌ ، وأمر ممكن مُطِيع<sup>(٢)</sup> .  
ونظم القرآن عالٍ عن أن يعلّق به الوهم ، أو يسمو إليه الفكر ، أو  
يطمع فيه طامع ، أو يطلبه طالب : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكنْتُ قد ذكرتُ لك قبل هذا : أنك إن كنت بصنعة علم  
اللسان مُتَدَرِّبًا ، وفيه متوجهًا متقدمًا ، أمكنك الوقوفُ على ما ذكرنا ،  
والنفوذُ فيما وصفنا ، وإلا فاجلس في مجلس المقلّدين ، وارضَ بمواقف  
المتحيرين .

ونصحتُ لك حيثُ قلتُ : انظر ، هل تعرفُ عُروقَ الذهب ،  
ومحاسنَ الجوهر ، وبدائعَ الياقوت ، ودقائقَ<sup>(٤)</sup> السحر ، من غير معرفة  
بأسباب هذه الأمور ومقدماتها ؟ وهل يُقطعُ سَمْتُ البلاد من غير  
اهتداء فيها ؟

ولكل شيء طريقٌ يُتَوَصَّلُ إليه به ، وبابٌ يؤخذ نحوه فيه ،  
ووجهٌ يؤتَى منه .

(١) م : « عبارته ، وعذوبة ألفاظه » .

(٢) س : « منطبع » .

(٣) سورة فصلت ٤٢ .

(٤) س : « ودقائق » .

ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت <sup>(١)</sup> لك ؛ وأغمض وأدق وألطف .

وتصوير ما في النفس ، وتشكيل ما في القلب ، حتى تعلمه وكأنك مشاهده ، وإن كان قد يقع بالإشارة ، ويحصل بالدلالة والأمانة ، كما يحصل بالنطق الصريح ، والقول الفصيح . فللاشارات أيضاً مراتب ، واللسان <sup>(٢)</sup> منازل . ورب وصف يُصور لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه ، ورب وصف يبر <sup>(٣)</sup> عليه <sup>(٤)</sup> ويتعداه ، ورب وصف يقصر عنه .

ثم إذا صدق الوصف ، انقسم إلى صحة وإتقان ، وحسن وإحسان ، وإلى إجمال وشرح ، وإلى استيفاء وتقريب ، وإلى غير ذلك من الوجوه .

ولكل مذهب وطريق ، وله <sup>(٥)</sup> باب وسبيل :  
فوصف الجملة الواقعة ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ اِطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ <sup>(٦)</sup> .  
والتفسير كقوله : ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً

(١) م : « ما ذكرت » .

(٢) ا ، ب : « ومنازل » .

(٣) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س : « يربو » .

(٤) م : « علته » ! .

(٥) س : « وكل مذهب وطريق له باب » .

(٦) سورة الكهف ١٨ .

وَحَشَرَنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا<sup>(١)</sup> ﴿ إلى آخر الآيات في هذا المعنى .  
 وكنحو قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ  
 شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ  
 كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ،  
 وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ<sup>(٢)</sup> 》 .

هذا مما يصور الشيء على جهته ، ويمثل أهوال ذلك اليوم .  
 ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة ، كقوله حكايةً عن  
 السَّحَرَةِ لَمَّا تَوَعَّدَهُمْ فرعون بما توعدهم به حين آمنوا : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ،  
 إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ، إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنَّ كُنَّا  
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٣)</sup> 》 .

وقال في موضع آخر : ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ، وَمَا نَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا  
 أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا  
 مُسْلِمِينَ<sup>(٤)</sup> 》 .

وهذا يُنبئ عن كلام الحزين لِمَا ناله ، الجازع لما مَسَّهُ .  
 ومن باب التسخير والتكوين ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ  
 شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<sup>(٥)</sup> 》 .

(١) سورة الكهف ٤٧

(٢) سورة الحج ١ - ٢

(٣) سورة الشعراء ٥١ - ٥٢

(٤) سورة الأعراف ١٢٥ - ١٢٦

(٥) سورة يس ٨٢

وقوله : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ <sup>(١)</sup> ۝ ﴾ .  
 وكقوله : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ  
 فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ <sup>(٢)</sup> ۝ ﴾ .  
 وتقصى أقسام ذلك مما يطول ، ولم أقصد استيفاء ذلك ، وإنما  
 ضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل ، وأشرت إليك بما أشرت  
 لتأمل .

\* \* \*

وإنما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحترى ، لأن الكتاب يفضلونه  
 على أهل دهره ، ويقدمونه على من فى عصره ؛ ومنهم من يدعى له  
 الإعجاز علواً ، ويزعم أنه يناغى النجم فى قوله علواً ؛ والمُلحِدة  
 تستظهر بشعره ، وتكثر بقوله ، وترى <sup>(٣)</sup> كلامه من شبهاتهم ،  
 وعباراته مضافة <sup>(٤)</sup> إلى ما عندهم من ترهاتهم . فبيننا قدر درجته ،  
 وموضع رتبته ، وحد كلامه .

وهيات أن يكون المظموع فيه كالمايوس منه <sup>(٥)</sup> ، وأن يكون الليل  
 كالنهار ، والباطل كالحق ، وكلام رب العالمين ككلام البشر <sup>(٦)</sup> .

(١) سورة البقرة ٦٥

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(٣) كذا فى م ، ك وفى س « وتدعى » .

(٤) س : « مضافاً » .

(٥) م : « كالمعجوز عنه » .

(٦) م : « ككلام الآدميين » .

\* \* \*

فإن قال قائل : فقد قدَحَ الملحد في نظم القرآن ، وادَّعى عليه الخلل في البيان ؛ وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ ، [ وزعم ما زعم <sup>(١)</sup> ] ، وقال ما قال ؛ فهل من فصلٍ ؟

قيل : الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سُبِقنا إليه ، وصنَّفَ أهلُ الأدب في بعضه ، فَكَفَوْا ، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم ، فشفَّوْا ؛ ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا .

وأما الغرض الذي صنَّفنا فيه في التفصيل والكشف عن إعجاز القرآن <sup>(٢)</sup> ، فلم نجدَه على التقريب الذي قصدنا ، وقد رجونا أن يكون ذلك مُغْنِيًا ووَافِيًا .

وإن سهَّلَ الله لنا ما نؤيناه : من إملاء « معاني القرآن <sup>(٣)</sup> » ، ذكرنا في ذلك ما يشتبه من الجنس الذي ذكرناه ؛ لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه ، فإنما يقع على جهل القوم بالمعاني ، أو بطريقة كلام العرب .

وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا ، وقد قال النبي صلى الله عليه

---

( ١ ) الزيادة من ا ، ب ، م

( ٢ ) ما بين الرقمين ساقط من م

وسلم: « فضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه <sup>(١)</sup> ». .  
 وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ، ومهدنا الطريق ، فمن كمل طبعه  
 للوقوع <sup>(٢)</sup> على فضل أجناس الكلام استدرك ما يئنا ، ومن تعذر عليه  
 الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل ، والحكم بين فضل زهير  
 والنابغة ، أو الفضل <sup>(٣)</sup> بين البحترى وأصحابه ، ولم يعرف سُخْف <sup>(٤)</sup>  
 مُسَيْلَمَةَ في نظمه ، ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويُسخَرُ منه ،  
 كشعر أبي العنْبَس <sup>(٥)</sup> في جملة الشعر ، وشعر علي بن صلاة <sup>(٦)</sup> — :  
 فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا ، والحكم على ما يئنا ؟ !

\* \* \*

(١) يقول الشيخ أحمد محمد شاكر في تخريجه لهذا الحديث : رواه  
 الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى ، ( ٤ : ٥٧ من شرح المباركفورى ) ،  
 ضمن حديث ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » وكذلك رواه  
 الدارمى في سننه ( ٢ : ٤٤١ طبعة دمشق ) . ونقله الحافظ ابن حجر في فتح  
 البارى ( ٩ : ٥٨-٥٩ ) عن الترمذى ، وقال : « رجاله ثقات لإعطية العوفى ،  
 فقيه ضعيف » .

(٢) كذا في م ، ك . وفي س « للوقوف »

(٣) م : « والفصل »

(٤) م : « فضل مسيلمة » ! !

(٥) كذا في م ، ك . وفي ا : « أبي العنْبَس » . وس : « أبي العيس » . وأبو

العنْبَس : هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنْبَس بن المغيرة بن ماهان ،  
 أحد الأدباء الملحاة ، كان خبيث اللسان ، هاجى أكثر شعراء زمانه ، ونادم  
 المتوكل ، وله مع البحترى خبر مشهور ، توفى سنة خمس وسبعين ومائتين .  
 راجع تاريخ بغداد ٢٣٨/١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٢ والأغاني ١٧٣/١٨-١٧٥  
 (٦) كذا في ا . وفي م « على بن صلابه » . وس ، ك « على بن صلاة »

فإن قال <sup>(١)</sup> قائل : فاذا ذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الأشعر والأبلغ .

قيل له : هذا أيضاً خارج عن غرض هذا الكتاب ، وقد تكلم فيه الأدباء . ويحتاج أن يجرد <sup>(٢)</sup> لنحو هذا كتاب <sup>(٣)</sup> ، ويفرد له باب ؛ وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل .

وليس لقائل أن يقول : قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ، ويبلغ أمده <sup>(٤)</sup> في الفصاحة والنظم العجيب ؛ ولا يبلغ عندكم حد المعجز ؛ فلم قضيتم بما قضيتم به في القرآن دون غيره من الكلام ؟

وإنما لم يصح <sup>(٥)</sup> هذا السؤال ، وما نذكر فيه من أشعار في نهاية الحسن ، وخطب ورسائل في غاية الفضل — : لأننا قد بينا أن هذه الأجناس قد وقع التنازع <sup>(٦)</sup> فيها ، والمساماة عليها ، والتنافس في طرقها ، والتنافر في بابها ؛ وكان البون بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريباً ، والتفاوت خفيفاً ، وذلك القدر من السبق إن ذهب عنه <sup>(٧)</sup>

(١) ا ، ب « قال لنا »

(٢) كذا في م ، ب . وفي ا « يهود » . و س ، ك « يحد »

(٣) ا : « كتابا »

(٤) م : « أمره »

(٥) م : « يصحح »

(٦) س : « النزاع »

(٧) س : « عن »

الواحد، لم يئأس منه الباقون، ولم ينقطع الطمع في مثله.

وليس كذلك سَمْتُ القرآن، لأنه قد عُرِفَ أَنَّ الوَهْمَ ينقطع دون مُجَارَاتِهِ، والطَّمَعُ يرتفع عن مُبَارَاتِهِ وَمُسَامَاتِهِ؛ وَأَنَّ الْكُلَّ في المعجز عنه على حَدِّ واحد.

وكذلك قد يزعم زاعمون<sup>(١)</sup>: أَنَّ كَلامَ الْجَاحِظِ مِنَ السَّمْتِ الَّذِي لَا يُؤْخَذُ<sup>(٢)</sup> فِيهِ، وَالْبَابِ الَّذِي لَا يُذْهَبُ<sup>(٣)</sup> عَنْهُ؛ وَأَنْتَ تَجِدُ قَوْمًا يَرَوْنَ كَلَامَهُ قَرِيبًا، وَمِنْهَاجَهُ مَعِيًّا، وَنَطَاقَ قَوْلِهِ ضَيِّقًا، حَتَّى يَسْتَعِينُ بِكَلامٍ غَيْرِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى مَا يُوشِحُ بِهِ كَلَامَهُ: مِنْ بَيْتٍ سَائِرٍ، وَمِثْلٍ<sup>(٤)</sup> نَادِرٍ، وَحِكْمَةٍ مُمَهَّدَةٍ مَنْقُولَةٍ، وَقِصَّةٍ عَجِيبَةٍ مَأْثُورَةٍ. وَأَمَّا كَلَامُهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ فَسُطُورٌ قَلِيلَةٌ، وَأَلْفَاظٌ يَسِيرَةٌ، فَإِذَا أُخْرِجَ إِلَى تَطْوِيلِ الْكَلَامِ خَالِيًا عَنْ شَيْءٍ يَسْتَعِينُ بِهِ — فَيَخْطُطُ بِقَوْلِهِ مِنْ قَوْلٍ غَيْرِهِ — كَانَ كَلَامًا<sup>(٥)</sup> كَكَلَامِ غَيْرِهِ.

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحَقِّقَ هَذَا، فَانْظُرْ فِي كِتَابِهِ فِي «نَظْمِ الْقُرْآنِ» وَفِي «الرَّدِّ عَلَى النَّصَّارِيِّ» وَفِي «خَبَرِ الْوَاحِدِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي

(١) م: «زاعم»

(٢) م: «لا يوجد»

(٣) كذا في ب، ك. وفي م: «الذي يذهب عنه»

(٤) كذا في أ، ب، م. وفي س: «ومتصل». و ك: «ومثل بيت نادر»

(٥) سقطت هذه الكلمة من م.



هذا المجرى ، هل تجد في ذلك كله ورقة [ واحدة <sup>(١)</sup> ] تشتمل على نظمٍ بديع ، أو كلام مليح ؟

على أنَّ متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقتة ، وجاذبوه على منهجه ، فمنهم من ساواه حين ساماه ، ومنهم من أبرَّ عليه إذ باراه .

هذا « أبو الفضل بن العميد » قد سلك مسلكه <sup>(٢)</sup> ، وأخذ طريقه ، فلم يُقَصِّرْ عنه ، ولعله قد بانَ تَقَدُّمُه عليه ، لأنَّه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ، ويكملها على شروط صنعتته ، ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه ، كما ترى الجاحظ يفعل في كتبه ، متى ذَكَرَ مِنْ كلامه سطرًا أتبعه من كلام الناس <sup>(٣)</sup> أوراقًا ؛ وإذا ذَكَرَ منه صفحةً بنى عليه من قول غيره كتابًا .

وهذا يدلُّك على أنَّ الشيء إذا استُحْسِنَ اتَّبِعَ ، وإذا استُملِحَ قُصِدَ له وتُعَمِّدُ <sup>(٤)</sup> . وهذا الشيء يرجع إلى الأخذ بالفضل ، والتنافس في التقدم .

فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده ، لكثرت المعارضات ، ودامت المنافسات .

فكيف وهناك دواعٍ لا انتهاء لها ، وجوالبٌ لا حدَّ لكثرتها ،

(١) الزيادة من ا ، م ، ب .

(٢) م ، ا ، ب : « سلك مذهبه » .

(٣) م : « من كلام غيره » .

(٤) م : « وتعمل » .

لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه ، ثم إلى قطع المحامين دونه عنه ، أو تنفيرهم عليه ، وإدخال الشبهات <sup>(١)</sup> على قلوبهم ، وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ، ونصب الأرواح ، والإخطار بالأموال والذرائع ، في وجه عداوته ، ويستغنون بكلام — هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم — عن محاربته ، وطول مناقشته <sup>(٢)</sup> ومجادبته . وهذا الذي عرضناه على [ عقلك ، وجلوناه على <sup>(٣)</sup> ] قلبك ، يكفي إن هُديت لرشدك ، ويشفي إن دُللت على قصدك .

ونسأل الله حسن التوفيق ، والعصمة والتسديد ؛ إنه لا معرفة إلا بهدأته ، ولا عصمة إلا بكفايته ؛ وهو على ما يشاء قدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) م : « أو بقلبهم عليه بإدخال الشبه »

(٢) س ، ك : « منافسته »

(٣) الزيادة من ا ، م وفيها « لقلبك »

## فصل

فإن<sup>(١)</sup> قال قائل : قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وإن كان من بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا ؟

قيل : هذا سؤال معروف ، وقد أجيب عنه بوجوه ، منها ما هو صواب ، ومنها ما فيه<sup>(٢)</sup> خلل :

لأن من كان يجيب عنه : بأنهم<sup>(٣)</sup> لا يقدرّون على معارضته في الإخبار عن الغيوب إن قدروا على مثل نظمه — فقد سلّم المسألة ؛ لأننا ذكرنا أن نظمه معجز لا يُقدر عليه ، فإذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل على مراده .

والوجه أن يقال : فيه طرق :

منها : أنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ، فمن بعدهم أعجز ؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفنون<sup>(٤)</sup> فيه من القول ، مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم ،

(١) : « إن »

(٢) م : « ما هو »

(٣) م : « لأنهم »

(٤) م : « يتفنون »

وأحسن<sup>(١)</sup> أحوالهم أن يُقَارَبُوهم أو يُسَاوُوهم ، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم ، فلا .

ومنها : أننا قد علمنا عجزَ سائرِ أهلِ الأعصارِ كعلمنا بعجزِ أهلِ العصرِ الأولِ ، والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد ، لأنَّ التحدّي في الكلِّ على جهة واحدة ، والتنافس<sup>(٢)</sup> في الطباع على حدٍّ [ واحد<sup>(٣)</sup> ] ، والتكليف<sup>(٤)</sup> على منهاج لا يختلف . ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا<sup>(٥)</sup> ﴾ .

(١) م : « من بعدهم ، فإذا أحسن »

(٢) س : « والتنافس »

(٣) الزيادة من م

(٤) كذا في ا ، م ، ب وفي س ، ك « والتكليف »

(٥) سورة الإسراء ٨٨

## فصل

### ﴿ في التحدّي ﴾

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن :  
يَدْعُوا فيها أنها من دلائلهم وآياتهم ؛ لأنه لا يصح بعثة النبي من غير  
أن يؤتى دلالة ، ويؤيد بآية ، لأن النبي لا يتميز من الكاذب  
بصورته <sup>(١)</sup> ، ولا بقول نفسه ، ولا بشيء آخر ، سوى البرهان الذي  
يظهر عليه ، فيستدل به على صدقه .

فإذا ذكر لهم أن هذه آيتي ، وكانوا عاجزين عنها ، صح له  
ما ادّعاه .

ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهاناً له .  
وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله ، فإذا تحداهم  
وَبَانَ عَجْزُهُمْ صار ذلك معجزاً .

وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدّي ، لأن من الناس من  
لا يعرف كونه معجزاً ، فإنما يُعرف أولاً إعجازه بطريق <sup>(٢)</sup> ، لأن  
الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه <sup>(٣)</sup> وصورته ، وإنما يحتاجُ  
إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً .

(١) م : « في صورته »

(٢) س : « بطريقة »

(٣) م : « من صورته »

فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه ، فيجب أن يعرف هذا ، حتى يمكنه أن يستدل به .

ومتى وأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم ، مع التحدى إليه ، والتقريع به ، والتمكين<sup>(١)</sup> منه — صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء ، واتقلاب العصي ثعباناً تتلَقَّفُ ما يَأْفِكُون .

وأما من كان من أهل صنعة العريية ، والتقدم في البلاغة ، ومعرفة فنون<sup>(٢)</sup> القول ، ووجوه المنطق ، فإنه يعرف — حين يسمعه — عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعرف أيضاً أهل عصره ، ممن هو في طبقتهم أو يدانيه في صناعته ، عجزهم عنه ، فلا يحتاج إلى التحدى حتى يعلم به كونه مُعْجِزاً .

ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما يتنا لا يعرفون كونه معجزاً حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه ، لم يجوز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدى إليه ، وإذا عرَفَ عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهي إلى التحدى إلى أقصاهم ، وحتى يعرف عجز مُسَيِّلِمَةَ الكذاب عنه ، ثم يعرف حينئذ كونه مُعْجِزاً .

وهذا القول — إن قيل — أخش ما يكون من الخطأ !!

(١) أ: « والتمكن »

(٢) م: « والمعرفة بفنون »

فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة إعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفلق البحر ، بأن ذلك معجز . وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة ، يعرف بها كونه معجزاً ، فيساوى حينئذ أهل الصنعة ، فيكون استدلالهما في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواء<sup>(١)</sup> ، إذا ادّعاها — دلالة على نبوته ، وبرهاناً على صدقه .

فأما من قدر أن القرآن لا يصير معجزاً إلا بالتحدى إليه ، فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التحدى إليها والحض عليها ، ثم يقع العجز عنها ، فيعلم حينئذ أنها معجزات<sup>(٢)</sup> .

وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغنى عن الإعادة .

ويبين ما ذكرناه في غير البليغ : أن الأعجمي الآن لا يعرف إعجاز القرآن إلا بأمور زائدة على الأعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهداً له ، لأن من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجزوا عنه ، وإنما يعلم عجزهم عنه بنقل الناقلة إليه أن<sup>(٣)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدّى العرب إليه فعجزوا عنه ، ويحتاج في النقل إلى شروط ، وليس يصير القرآن بهذا النقل معجزاً ، كذلك لا يصير معجزاً بأن

(١) س : « سواء »

(٢) م : « معجزة »

(٣) م : « لأن »

يعلم العربي الذي ليس يبلغ أنهم قد عجّزوا عنه بأجمعهم<sup>(١)</sup> ، بل هو معجز في نفسه ، وإنما طريق معرفة هذا<sup>(٢)</sup> وقوفهم على العلم بعجزهم عنه .

---

(١) س : « بأبلغهم »

(٢) م : « طريق المعرفة بهذا »



## فصل

﴿ في قدر المعجز من القرآن ﴾

الذى ذهب إليه عامة أصحابنا — وهو قول [ الشيخ ] <sup>(١)</sup> أبى الحسن الأشعرى فى كتبه — : أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة ، أو ما كان بقدرها .  
قال : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة <sup>(٢)</sup> ، وإن كانت سورة الكوثر ، فذلك معجز .

قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر .  
وذهبت <sup>(٣)</sup> المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فى معجزة .  
وقد حكى عنهم نحو قولنا ، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ، بل شرط الآيات الكثيرة .  
وقد علمنا أنه تخدام تحدياً إلى السور كلها ، ولم يخص . ولم يأتوا لشيء منها بمثل ، فعلم أن جميع ذلك معجز .  
وأما قوله عز وجل : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فليس بمخالف

( ١ ) الزيادة من م .

( ٢ ) س : « السورة » .

( ٣ ) س : « وذهب » .

( ٤ ) سورة الطور ٥٢ .

لهذا ؛ لأنَّ الحديث التَّام لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة .

وهذا يؤكد ما ذهب إليه أصحابنا ويؤيده ، وإن كان قد يتأول قوله : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ﴾ على أن يكون راجعاً إلى القَبِيل دون التفصيل .

وكذلك يُحْمَلُ قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، على القبيل ، لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعه من أوله إلى آخره .

فإن قيل : هل تعرفون إعجاز السُّور القصَّار بما تعرفون به إعجاز السُّور الطُّوال ؟ وهل تعرفون إعجاز كل قَدْرٍ من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها ؟

فالجواب : أن [ شيخنا ] <sup>(٢)</sup> أبا الحسن الأشعري ، رحمه الله <sup>(٣)</sup> ، أجاب عن ذلك : بأن كلَّ سورة قد عُلِمَ كونُها مُعْجَزةً بمعجز العرب عنها .

وسمعت بعضَ الكبراء من أهل هذا الشأن ، يقول : إن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفاً .

والطريقة الأولى أسدُّ . وليس هذا الذي ذكرناه أخيراً بِنَافٍ له ،

( ١ ) سورة الإسراء ٨٨

( ٢ ) الزيادة من م

( ٣ ) م : « رحمة الله عليه »

لأنَّه لا يمتنع أن يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتوَّافى عليه وتجتمع فيه .  
واعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضرباً من الفائدة .  
لأنَّ الطريقة الأولى تبين أن ما علم به كون جميع القرآن معجزاً  
موجوداً في كل سورة ، صغرت أو كبرت ، فيجب أن يكون الحكم  
في الكل واحداً .

والطريقة الأخيرة تتضمن تعذراً معرفة إعجاز القرآن بالطريقة التي  
سلكناها في كتابنا<sup>(١)</sup> من التفصيل الذي يتنا ، فيما تعرف به في الكلام  
الفصاحة ، وتبين به<sup>(٢)</sup> البلاغة ، حتى يعلم ذلك بوجه<sup>(٣)</sup> آخر ، فيستوى  
في هذا القدر البليغ وغيره ، في أن لا يعلمه معجزاً حتى يستدلَّ به  
من وجه آخر سوى ما يعلمه البلاء من التقدم في الصنعة ، وهذا  
غير ممتنع .

ألا ترى أن الإعجاز في بعض السور والآيات أظهر ، وفي بعضها  
أغمض [ وأدق ؟ فلا يفتقر البليغ<sup>(٤)</sup> ] في النظر في حال بعضها إلى تأمل  
كثير ، ولا بحث شديد ، حتى يتبين له الإعجاز .  
ويفتقر في بعضها إلى نظر دقيق وبحث لطيف ، حتى يقع على  
الجليَّة ، ويصل إلى المطلب .

( ١ ) س : « في بناء من التفصيل » .

( ٢ ) س ، ك : « فيه » .

( ٣ ) م : « توجه » .

( ٤ ) الزيادة من ا ، ب ، م ، ك وفي س « أغمض وقد لا يحتاج في النظر » .

ولا<sup>(١)</sup> يمتنع أن يذهب عليه الوجه في بعض السور، فيحتاج أن يفرع فيه إلى إجماع أو توقيف، أو ما علمه من عجز العرب قاطبة عنه. فإن ادعى ملحد، أو زعم زنديق، أنه لا يقع العجز عن الإتيان بمثل السور القصار أو الآيات بهذا المقدار! قلنا له: إن الإعجاز قد حصل بما بيناه، وعُرف بما وقفنا عليه<sup>(٢)</sup> من عجز العرب عنه.

ثم فيه شيء آخر، وهو: أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد<sup>(٣)</sup>، لأنه يزعم أنه ليس في القرآن كله إعجاز، فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله<sup>(٤)</sup>؟ !

وإذا ثبت لنا معه إعجازه في السور الطوال، قامت الحجة عليه، وثبتت المعجزة، ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات. ونحن نعلم أن<sup>(٥)</sup> إعجاز البعض بما بيناه، والبعض الآخر بأنه<sup>(٦)</sup> إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا؛ لأننا عرفنا في البعض<sup>(٧)</sup> الإعجاز بما بينا، ثم عرفنا في الباقي بالتوقيف، ونحو ذلك.

(١) م: « فلا »

(٢) م: « بما وصفناه من »

(٣) م: « للملحدة »

(٤) م: « على تفصيله »

(٥) م: « نعلم إعجاز »

(٦) م: « لأنه »

(٧) م: « في بعض »

وليس بمتع اختلاف حال الكلام ، حتى يكون الإعجاز على بعضه أظهر ، وفي بعضه أغمض ؛ ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموماً ، على ما قال الله تعالى : ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ .<sup>(١)</sup> وقال : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . فظاهره عند بعض أهل التأويل كالدليل على أن الشفاء<sup>(٣)</sup> ببعضه أوقع ، وإن كنا نقول : إنه يدل على أن الشفاء<sup>(٣)</sup> في جميعه .

واعلم أن الكلام يقع فيه الأبلغ والبليغ ، ولذلك كانوا يسمون الكلمة : « يتيمة » ، ويسمون البيت الواحد : « يتيماً »<sup>(٤)</sup> .  
سمعتُ إسماعيل بن عباد<sup>(٥)</sup> يقول : سمعت أبا بكر بن مقسم<sup>(٦)</sup> يقول : سمعت ثعلباً يقول : [ سمعت سلمة<sup>(٧)</sup> يقول ] :<sup>(٨)</sup> سمعت الفراء

(١) سورة البقرة ٨٥

(٢) سورة الإسراء ٨٢

(٣) ما بين الرقمين ساقط من م

(٤) م : « بيتاً »

(٥) س : « عبادة » وقد توفي صاحب إسماعيل بن عباد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، كما في وفيات الأعيان ٢٠٩/١

(٦) اسمه محمد بن الحسن بن يعقوب ، ولد سنة ٢٦٥ ومات سنة ٣٥٤ راجع ترجمته في معجم الأدباء ١٨/١٥٠ - ١٥٤ وبغية الوعاة ص ٣٦ وتاريخ بغداد ٢٠٦/٢ - ٢٠٨

(٧) هو سلمة بن عاصم النحوي ، وراق الفراء ، راجع ترجمته في بغية الوعاة ص ٢٦٠ ومعجم الأدباء ١١/٢٤٢ - ٢٤٣ وتاريخ بغداد ٩/١٣٤

(٨) الزيادة من ا ، ب ، م . وفي س ، ك « ثعلباً يقول سمعت الفراء » وهو خطأ فإن الفراء مات سنة سبع ومائتين ، عن سبع وستين سنة ، وقد ولد

يقول : العرب تسمى البيت الواحد يتياً ، وكذلك يقال <sup>(١)</sup> : « الدرة اليتيمة » ، لانفرادها ، فإذا بلغ البيتين والثلاثة فهي « نتفة » ، وإلى العشرة تسمى « قطعة » ، وإذا بلغ العشرين استحقَّ أن يسمى « قصيداً » ، وذلك مأخوذ من المخَّ القصيد ، وهو المَتْرَاكِمُ بَعْضُهُ على بعض ، وهو ضد الرَّارِ <sup>(٢)</sup> ، ومثله الرَّيْدُ <sup>(٣)</sup> .  
انتهت الحكاية ، ثم استشهد بقول ليبي <sup>(٤)</sup> :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلًا رَيْدًا بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ <sup>(٥)</sup>

ثعلب سنة مائتين ، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين . كما في بغية الوعاة ص ٤١١ ، ١٧٣

(١) م : « تقول »

(٢) في اللسان ٣٥٤/٤ « وأصله من القصيد وهو المخ السمين الذي يتقصّد ، أى يتكسر لسمنه ، وضده الرير والرار ، وهو المخ السائل الذائب الذى يميع كالماء ولا يتقصّد »

(٣) س : « الرئيد »

(٤) في اللسان ١٥٢/٤ « وقال ثعلبة بن صُعبير المازني - وذكر الظليم والنعامة ، وأنهما تذكرا بيضهما فى أدحيمها فأسرعا إليه - فتذكرا ثَقَلًا إلخ والرئد بالتحريك : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض ، والمتاع رئيد ومرثود ونسبه لثعلبة أيضاً فى ٤٦٣/٦ ، كما نسبه له أيضاً ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ٢٤٣/١ وهو لثعلبة من قصيدة فى المفضليات ص ١٣٠ »

(٥) س : « رئيدا » م : « فى كفار » وفى اللسان ٤٦٣/٦ « وذكاء : اسم للشمس . أَلْقَتْ يَمِينَهَا فى كافر : أى بدأت للمغيب . قال الجوهري : ويحتمل أن يكون أراد الليل ، وذكر ابن السكيت أن ليبياً سرق هذا المعنى فقال : حتى إذا أَلْقَتْ يَدًا فى كافر وأجن عَوْرَاتِ الثغور ظلامها »

وانظر الشعر والشعراء ٢٤٣/١

يريد بيض النعام ، لأنه ينضد بعضه على بعض .

وكذلك يقع في الكلام البيتُ الوَحْشِيُّ والنَّادِرُ ، والمثل السائر ؛ والمعنى الغريب ، والشئ الذى لو اجتهد له لم يقع عليه ، فيتفق له ويصادفه .

قال لى بعضُ علماء هذه الصنعة — وجاريتهُ في ذلك — : إنَّ هذا مما لا سبب له يخصه ، وإنما سببه الغزارة<sup>(١)</sup> فى أصل الصنعة ، والتقدم فى عيون<sup>(٢)</sup> المعرفة ؛ فإذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حساب ، وما يشذ عن تفصيل الحساب .

فأما ما قلنا : مِنْ أَنْ ما بَلَغَ قَدْرَ السُّورَةِ مُعْجَزٌ ، فَإِنَّ ذلك صحيح .

(١) كذا فى ا ، ك ، م ، ب وفى س « القراءة »

(٢) كذا فى س ، ك وفى ا ، ب ، م « فى عنوان »

## فصل

﴿ في أنه هل يُعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ ﴾

ذهب [ الشيخ ] <sup>(١)</sup> أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك عن <sup>(٢)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم يُعلم ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم باستدلال <sup>(٣)</sup> . وهذا المذهب محكى عن المخالفين .

والذى تقوله فى هذا : أن الأعجمى لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك من لم يكن بليغاً .

فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة ، فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الإتيان بمثله ، ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه ؛ كما أنه إذا علم الواحد منّا أنه لا يقدر على ذلك ، فهو <sup>(٤)</sup> يعلم عجز غيره استدلالاً .

(١) الزيادة من م

(٢) س ، ك : « على »

(٣) م : « بالاستدلال »

(٤) م : « فقد » . ك : « وهو » . ا : « وقد »



## فصل

﴿ فيما يتعلق به الإعجاز ﴾

إن قال قائل : يئنوا لنا ما الذى وقع التحدى إليه ؟ : أهو الحروف المنظومة ؟ أو الكلام القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟

قيل : الذى تحدّاهم به : أن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن ، منظومةً كنظمها ، متتابعةً كتتابعها ، مُطَرِّدَةً كاطّرادها ؛ ولم يتحدّهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذى لا مثل له .

وإن كان كذلك فالتحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة ، التى هى عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها ، وهى حكاية لكلامه ، ودلالات عليه ، وأمارات<sup>(١)</sup> له ، على أن يكونوا مستأنفين لذلك ، لا حاكين بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم .

ولا يجب أن يُقدَّرَ مقدر أو يظنَّ ظانُّ أنّا حين قلنا : إن القرآن معجز ، وإنه<sup>(٢)</sup> تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله — أردنا غير ما فسرناه ، من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات .

وقد بينّا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزاً ، لكونه عبارة عن

(١) م : « ودلالة . . . وأماراة »

(٢) س : « فإنه »

الكلام<sup>(١)</sup> القديم، لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام<sup>(٢)</sup> القديم .  
وليس ذلك بمعجز في النظم والتأليف ، وكذلك ما دون الآية  
— كاللفظة — عبارة عن كلامه ، وليست بمنفردتها بمعجزة .

وقد جوّز بعض أصحابنا : أن يتحداهم إلى مثل كلامه القديم القائم  
بنفسه !

والذى عول عليه مشايخنا ما قدّمنا ذكره ، وعلى ذلك أكثر  
مذاهب الناس .

ولم نُحِبَّ أن نفسّر ونذكر مُوجِبَ هذا المذهب الذى حكيناه وما  
يتصل به ، لأنه خارج عن غرض كتابنا ، لأن الإعجاز واقع<sup>(٣)</sup> فى نظم  
الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه ، وإلى مثل هذا النظم  
وقع التحدى ، فبيّنا وجه ذلك ، وكيفية ما يتصور<sup>(٤)</sup> القول فيه ، وأزلنا  
تَوَهُّمَ مَنْ يَتَوَهُّمُ<sup>(٥)</sup> أن الكلام القديم حروف منظومة ، أو حروف  
غير منظومة ، أو شئ مؤلف<sup>(٦)</sup> أو غير ذلك ، مما يصح أن يتوَهُّمَ ،  
على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى .

(١) م ، ك : « كلام »

(٢) ك ، م : « كلام »

(٣) س : « وقع »

(٤) س ، ك : « ما يتصور »

(٥) س ، ك : « من يتوهم »

(٦) ١ ، م : « مؤلف أو نحو »

## فصل

﴿ في وصف وجوه من البلاغة ﴾

ذكر بعضُ أهل الأدب والكلام<sup>(١)</sup> : أن البلاغة على عشرة أقسام<sup>(٢)</sup> :

الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ،  
والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان<sup>(٣)</sup> .

فأما الإيجاز فإنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى ، فيأتي باللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة .

وذلك ينقسم إلى حذف ، وقصر :

( ١ ) هذا البعض الذي لم يشأ المؤلف أن يصرح باسمه هو معاصره أبو الحسن على بن عيسى الروماني ، المعتزلي ( ٢٩٦ - ٣٨٤ هـ ) صاحب كتاب النكت في إعجاز القرآن ، الذي نقل عنه المؤلف هذا الفصل الطويل . راجع ترجمة الروماني في ابن خلكان ٤٦١/٢ ، وبغية الوعاة ٣٤٤ والإمتاع والمؤانسة ١٣٣/١ ومعجم الأدباء ٧٣/١٤ - ٧٨ وفهرست ابن النديم ص ١٤ ، ٧٣ ، ٧٨ ونزهة الألبا ص ٣٨٩ - ٣٩٢ .

( ٢ ) النكت ص ١

( ٣ ) قال الروماني بعد ذلك : « ونحن نفسرها باباً باباً : الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة فالألفاظ القليلة إيجاز . والإيجاز على وجهين : حذف وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للأجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام . والقصر : بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف » .

فالحذف : الإسقاط للتخفيف ، كقوله : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾<sup>(١)</sup> .  
 وقوله : ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 وحذف الجواب كقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ  
 قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّمَّ بِهِ الْمَوْتَى﴾<sup>(٣)</sup> . كأنه قيل : لكان هذا  
 القرآن .

والحذف أبلغ من الذكر ، لأن النفس تنهب كل مذهب في القصد  
 من الجواب<sup>(٤)</sup> .

والإيجاز بالقصر<sup>(٥)</sup> كقوله : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(٦)</sup> .  
 وقوله : ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو﴾<sup>(٧)</sup> .  
 وقوله : ﴿إِنَّمَا بُغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> .  
 وقوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٩)</sup> .

(١) سورة يوسف ٨٢

(٢) سورة محمد ٢١

(٣) سورة الرعد ٣١

(٤) في النكت بعد ذلك : « ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي  
 تضمنه البيان » .

(٥) قال الرماني ص ٢ : « وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض  
 من الحذف ، وإن كان الحذف غامضاً للحاجة إلى العلم بالمواضع التي تصلح من  
 المواضع التي لا تصلح »

(٦) سورة البقرة ١٧٩

(٧) سورة المنافقون ٤

(٨) سورة يونس ٢٣

(٩) سورة فاطر ٤٣ . وقال الرماني بعد استشهاده بالآيات السابقة :

## والإطناب<sup>(١)</sup> فيه بلاغة ، فأما التطويل ففيه عي<sup>(٢)</sup> .

« وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير . وقد استحسن الناس من الإيجاز قولهم : القتل أننى للقتل . وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز . وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة ، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة . أما الكثرة في الفائدة ففيه كل ما في قولهم : القتل أننى للقتل ، وزيادة معان حسنة : منها إبانة العدل لذكره القصاص ، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به ، وأما الإيجاز في العبارة ، فإن الذى هو نظير : القتل أننى للقتل — قوله تعالى « القصاص حياة » والأول أربعة عشر حرفاً ، والثاني عشرة حروف . وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذى فيه على النفس مشقة ، فإن في قولهم : القتل أننى للقتل — تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة . وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس ، وموجود في اللفظ ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة ؛ لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام . فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن ، وإن كان الأول بليغاً حسناً » .

( ١ ) س : « وإطناب »

( ٢ ) قال الرماني ص ٣ : « والإيجاز بلاغة والتقصير عي ، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عي . والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ، لأنه لا بد فيه من الإخلال . فأما الأطناب فلأنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل . . . فأما التطويل فعييب وعي ، لأنه تكلف الكثير فيما يكفي فيه القليل ، فكان كالمسالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب . وأما الإطناب فليس كذلك ؛ لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من التزهة الكثيرة والفوائد العظيمة ، فيحصل له في الطريق إلى غرضه من الفائدة نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب » .

وأما التشبيه، فهو العقد<sup>(١)</sup> على أن أحد الشئين يسدُّ مسدَّ الآخر في حس أو عقل، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾<sup>(٢)</sup>.  
 وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 وقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) س، ك: «التشبيه بالعقد». والتصحيح من م والنكت ص ٥  
 (٢) سورة النور ٣٩. وقال الرماني بعد ذكره لهذه الآية ص ٦: «وهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمعا في بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة. ولو قيل: يحسبه الرائي ماء، ثم يظهر أنه على خلاف ما قد رأى لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمان أشد حرصاً عليه، وتعلق قلب به. ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار، نعوذ بالله من هذه الحال. وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة».

(٣) سورة إبراهيم ١٨. وقال الرماني ص ٧: «فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة. فقد اجتمع المشبه والمشبّه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات؛ وفي ذلك الحسرة العظيمة، والموعظة البليغة».

(٤) سورة الأعراف ١٧١. وقال الرماني ص ٧: «وهذا بيان قد أخرج ما لم تجرب به عادة إلى ما قد جرت به العادة، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة. وفيه أعظم الآية لمن فكر في مقدورات الله تعالى عند مشاهدته لذلك أو علمه به، ليطلب الفوز من قبله، ونيل المنافع بطاعته».

وقوله : ﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَهْلُهَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۝ <sup>(١)</sup> ۝

وقوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ، تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ۝ <sup>(٢)</sup> ۝

وقوله : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝ <sup>(٣)</sup> ۝

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

( ١ ) سورة يونس ٢٤ . وقال الرماني ص ٧ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة . وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ، ثم الهلاك بعده . وفي ذلك العبرة لمن اعتبر ، والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طال مدتة ، وصغير وإن كبر قدره » .

( ٢ ) سورة القمر ١٩ ، ٢٠ . وقال الرماني ص ٨ : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة . وقد اجتمعا في قلع الريح لهما ، وإهلاكهما إياهما . وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة ، والتخويف من تعجيل العقوبة » .

( ٣ ) سورة الرحمن ٣٧ . وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في الحمرة وفي لين الجواهر السيالة ، وفي ذلك الدلالة على عظيم الشأن ونفوذ السلطان ، لتنصرف الهمم إلى ما هنالك بالأمل » .

نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۝<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۝<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۝<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ۝<sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ

( ١ ) سورة الحديد ٢٠ وقال الرماني ص ٨ : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به . وقد اجتمعا في شدة الإعجاب ، ثم في التغير بالانقلاب . وفي ذلك الاحتقار للدنيا ، والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها »  
( ٢ ) سورة الحديد ٢١ وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة . وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور ، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة » .

( ٣ ) سورة الجمعة ٤ وقال الرماني ص ٨ : « وهذا تشبيه قد أخرج فيه ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة . وقد اجتمعا في الجهل بما حملا . وفي ذلك العيب لطريقة من ضييع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية » .

( ٤ ) سورة الأعراف ١٧٦ وقال الرماني ص ٧ : « فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه . وقد اجتمعا في ترك الطاعة على كل وجه من وجوه التدبير ، وفي التخصيس ، فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته . وكذلك الكافر لا يطيعك بالإيمان على رفق ولا عنف . وهذا يدل على حكمة الله سبحانه في أنه لا يجمع اللطف » .

( ٥ ) سورة الحاقة ٧ وقال الرماني ص ٩ : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة . وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح . وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل » .



اتَّخَذَتْ يَتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ <sup>(١)</sup> .  
 وقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ <sup>(٢)</sup> ﴾ .  
 وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ <sup>(٣)</sup> ﴾ . ونحو ذلك .

\* \* \*

ومن ذلك : باب الاستعارة ، وذلك يُبين <sup>(٤)</sup> التشبيه .  
 كقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً  
 مَنْثُورًا <sup>(٥)</sup> ﴾ .

( ١ ) سورة العنكبوت ٤١ وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم  
 بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة . وقد اجتمعا في ضعف المعتمد ووهي المستند .  
 وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين ، مع الشعور  
 بما فيه من التوهين » .

( ٢ ) سورة الرحمن ٢٤ وقال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له  
 في الصفة إلى ما له القوة فيها . وقد اجتمعا في العظم ، إلا أن الجبال أعظم . وفي ذلك  
 العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها ، وما في ذلك من  
 الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها » .

( ٣ ) سورة الرحمن ١٤ وقال الرماني : « وهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له  
 في الصفة إلى ما له القوة . وقد اجتمعا في الرخاوة والحناف ، وإن كان أحدهما  
 بالنار والآخر بالرياح » .

( ٤ ) كذا في ١ ، م . وفي ك ، س : « الاستعارة وهو بيان التشبيه »

( ٥ ) سورة الفرقان ٢٣ وقال الرماني ص ١٠ : « حقيقة ” قدمنا “ هنا :  
 عمدنا . وقدمنا أبلغ منه ، لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر لأنه من  
 أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرأهم على خلاف ما أمرهم . وفي  
 هذا تحذير من الاغترار بالإمهال . والمعنى الذي يجمعهما العدل ؛ لأن العمد  
 إلى إبطال الفاسد عدل . والقدم أبلغ لما بينا . وأما هباء منثوراً فبيان قد أخرج  
 ما لا تقع عليه حاسة إلى ما تقع عليه حاسة » .

- وكقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> .
- وكقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .
- وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .
- وكقوله : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ <sup>(٤)</sup> .
- وقوله : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> .
- فالدمغ والقذف مستعار .

( ١ ) سورة الحجر ٩٤ وقال الرماني ص ١١ : « حقيقته بلغ ما تؤمر به . والاستعارة أبلغ من الحقيقة ، لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج . والتبليغ قد يضعف حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع . والمعنى الذي يجمعهما الإيصال ، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج أبلغ » .

( ٢ ) سورة الحاقة ١١ وقال الرماني ص ١١ : « حقيقته علا . والاستعارة أبلغ ، لأن طغى علا قاهراً . وهو مبالغة في عظم الحال » .

( ٣ ) سورة الأعراف ١٥٤ وقال الرماني ص ١٢ : « حقيقته انتفاء الغضب . والاستعارة بسكت أبلغ ؛ لأنه انتفى انتفاء مراصد بالعود ، فهو كالسكوت على مراصدة الكلام بما توجه الحكمة في الحال ، فانتفاء الغضب بالسكوت عما يكره . والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره » .

( ٤ ) سورة الإسراء ١١ وقال الرماني ص ١٢ : « فبصرة ها هنا استعارة . وحقيقتها : مضیئة . وهي أبلغ من مضیئة ؛ لأنه أدل على موقع النعمة ، لأنه يكشف عن وجه المنفعة . وقيل هو بمعنى ذات إبصار ، وعلى هذا يكون حقيقة » .

( ٥ ) سورة الأنبياء ١٢ وقال الرماني ص ١٣ : « القذف والدمغ ها هنا مستعار . وهو أبلغ ، لأن في القذف دليلاً على القهر ، لأنك إذا قلت : قذف به إليه ، فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر . فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار لا على جهة الشك والارتياب . ويدمغه أبلغ من يذهبه ، لما في يدمغه من التأثير فيه ، فهو أظهر في النكأة وأعلى في تأثير القوة » .

- وقوله : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ <sup>(١)</sup> .
- وقوله : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup> .
- وقوله : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ <sup>(٣)</sup> .
- وقوله : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ <sup>(٤)</sup> .
- وقوله : ﴿وَالصَّبِيحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ <sup>(٥)</sup> .
- وقوله : ﴿مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) سورة يس ٣٧ وقال الرماني : « نسلخ مستعار ، وحقيقته : نخرج . والاستعارة أبلغ ، لأن السلخ إخراج الشيء مما لا يسهو وعسر انتزاعه منه لالتحامه به ، فكذلك قياس الليل » .

(٢) سورة الأنفال ٧ وقال الرماني ص ١٣ : « اللفظ ها هنا بالشوكة مستعار ، وهو أبلغ . وحقيقته : السلاح ، فذكر الحد الذي به تقع المخافة واعتمد على الإيماء إلى النكته ، إذ كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد ، فشوكة السلاح هي التي تبقى » .

(٣) سورة فصلت ٥١ وقال الرماني : « عريض ها هنا مستعار . وحقيقته : كثير . والاستعارة فيه أبلغ ، لأنه أظهر بوقوع الحاسة عليه ، وليس كذلك كل كثرة . وقيل : عريض لأن العرض أدل على الطول » .

(٤) سورة محمد ٤ وقال الرماني ص ١٤ : « وهذا مستعار . وحقيقته : حتى يضع أهل الحرب أثقالها ، فجعل وضع أهلها الأثقال وضعاً لها على جهة التفتيح لثقلها » .

(٥) سورة التكوين ١٨ وقال الرماني ص ١١ : « وتنفس ها هنا مستعار . وحقيقته : إذا بدأ انتشاره . وتنفس أبلغ منه . ومعنى الابتداء فيهما ، إلا أنه في النفس أبلغ ، لما فيه من الترويح عن النفس » .

(٦) سورة البقرة ٢١٤ وقال الرماني ص ١٤ : « هذا مستعار . وزلزلوا أبلغ من كل لفظ كان يعبر به عن غلظ ما نالهم . ومعنى حركة الإزعاج فيهما ، إلا أن الزلزلة أبلغ وأشد » .

وقوله : ﴿ فَبَنَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) سورة آل عمران ١٧٨ وقال الرماني : « حقيقته : تعرضوا للغفلة عنه . والاستعارة أبلغ ؛ لما فيه من الإحالة على ما يتصور » .

( ٢ ) سورة يونس ٢٤ وقال الرماني ص ١٦ : « أصل الحصيد للنبات . وحقيقته : مهلكة . والاستعارة أبلغ ؛ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر » .

( ٣ ) سورة الأنبياء ١٥ وقال الرماني : « أصل الخمود للنار ، وحقيقته : هادئين . والاستعارة أبلغ ؛ لأن خمود النار أقوى في الدلالة على الهلاك ، على حد قولهم : طفيء فلان كما يطفأ السراج » .

( ٤ ) سورة الشعراء ٢٢٥ وقال الرماني ص ١٦ : « واد ها هنا مستعار . وكذلك الهيمان . وهو من أحسن البيان ، وحقيقته : يخلطون فيما يقولون ، لأنهم ليسوا على قصد الطريق الحق . والاستعارة أبلغ ، لما فيه من البيان بالإخراج إلى ما يقع عليه الإدراك من تخليط الإنسان بالهيمان في كل واد يعن له فيه الذهاب » .

( ٥ ) سورة الأحزاب ٤٦ وقال الرماني ص ١٦ : « السراج ها هنا مستعار ، وحقيقته : مبيناً ، والاستعارة أبلغ ، للإحالة على ما يظهر بالحاسة » .

( ٦ ) سورة الإسراء ٢٩ وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : لا تتمتع نائلك كل المنع . والاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد إلى العنق ، وذلك مما يحس الحال ، والتشبيه فيه بالمنع فيهما ، إلا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره » .

وقوله : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . يريد : أن لا إحساس بآذانهم من غير صمم .

وقوله : ( وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ <sup>(٣)</sup> ) .

وهذا أوقع من اللفظ الظاهر ، وأبلغ من الكلام الموضوع [ له ] <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

( ١ ) سورة السجدة ٢١ وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : لنعذبهم . والاستعارة أبلغ ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام » .  
( ٢ ) سورة الكهف ١١ وقال الرماني ص ١٧ : « حقيقته : منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم . والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس . وإنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان قد يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك رأساً ، وذلك بتغميض الأجفان ، وليس كذلك منع السماع من غير صمم في الآذان ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك ، ولأن الأذن لما كان طريقاً إلى الانتباه ثم ضرب عليها لم يكن سبيل إليه » .

( ٣ ) سورة الاعراف ١٤٩ وقال الرماني ص ١٧ : « هذا مستعار . وحقيقته : ندموا لما رأوا من أسباب الندم . إلا أن الاستعارة أبلغ للإحالة فيه على الإحساس لما يوجب الندم بما سقط في اليد ، فكانت حاله أكشف في سوء الاختيار لما يوجب الوبال » .

( ٤ ) ( الزيادة من ا ، ك ، م )

وأما التلاؤم، فهو: تعديل الحروف في التأليف . وهو تقيض التنافر، [الذى هو] <sup>(١)</sup> كقول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ <sup>(٢)</sup>  
قالوا: هو من شعر الجن ! وحروفه متنافرة ، لا يمكن إنشاده إلاَّ بِتَتَعْتَعٍ فيه! <sup>(٣)</sup> . والتلاؤم على ضربين :

أحدهما في الطبقة الوسطى ، كقوله <sup>(٤)</sup> :

رَمَيْتُ وَسِترُ اللَّهِ يَنْبِي وَيَنْهَى عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِناسِ رَمِيمٌ <sup>(٥)</sup>  
رَمِيمٌ التى قالت لجاراتِ يَنْتَهَا: ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ <sup>(٦)</sup>

(١) الزيادة من م .

(٢) البيت مجهول النسبة ، بل نسب إلى الجن ، وحرب : هو حرب بن أمية بن عبد شمس ، والد أبي سفيان بن حرب . راجع البيان والتبيين ١ / ٦٥ والحيوان ٢٠٧ / ٦ وشرح شواهد الشافية ص ٤٨٧ ونهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى ص ٢٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٢ / ٢٧٧

(٣) نص عبارة الرماني ص ١٨ : « وذكروا أن هذا من أشعار الجن ، لأنه لا يتهاى لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتفع . وإنما السبب فى ذلك ما ذكرناه من تنافر الحروف » .

(٤) هو أبو حية النخري كما فى الكامل للمبرد ص ١٩ وأمالى الشريف ١٠٢ / ٢ وحماسة ابن الشجرى ص ١٥٣ وأمالى القالى ٢٨٠ / ٢

(٥) فى الكامل ص ١٩ : « قيل فى ستر الله : الإسلام ، وقيل إنه الشيب ، وقيل ما حرّم الله » . وفى الأمالى : « عشية أحجار الكناس » وكذلك فى اللسان ١٥٨ / ١٥ وفيه : « أراد بأحجار الكناس : رمل الكناس » والكناس الموضع الذى تأوى إليه الظباء ورميم اسم جارية ، مأخوذ من العظام الرميم ، وهى البالية ، كما قال الأخفش فى زياداته على الكامل ص ١٩ وفى اللسان : « ورميم من أسماء الصبا وبه سميت المرأة ، ثم أنشد البيت شاهداً على ذلك » .

(٦) سقط هذا البيت من ١ ، م

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَيْتُنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ<sup>(١)</sup>  
 قالوا<sup>(٢)</sup> : والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله ، وإن كان بعضُ  
 الناس أحسنَ إحساساً له من بعض ، كما أن بعضهم يفتن للموزون  
 بخلاف بعض .

والتلاؤم<sup>(٣)</sup> : حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ،  
 ووقع المعنى في القلب . وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي ، والمتنافر

( ١ ) قال أبو العباس المبرد : « يقول رمتني بطرفها وأصابتنى بمحاسنها ،  
 ولو كنت شاباً لرميت كما رُميت ، وفستنت كما فُتنت ، ولكن قد تطاول عهدي  
 بالشباب »

( ٢ ) نص عبارة الرماني بعد الأبيات : « والمتلائم في الطبقة العليا القرآن  
 كله ، وذلك بين لمن تأمله ، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف ،  
 على نحو الفرق بين المتلائم والمتنافر في الطبقة الوسطى . وبعض الناس أشد  
 إحساساً بذلك وفطنة له من بعض ، كما أن بعضهم أشد إحساساً بتمييز الموزون  
 في الشعر من المكسور ، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم  
 في الصور والأخلاق . والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، فكلما  
 كان أعدل كان أشد تلاؤماً »

( ٣ ) قال الرماني ص ١٨ : « والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع ،  
 وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من أحسن الصورة  
 وطريق الدلالة . ومثل ذلك مثل قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط  
 والظرف ، وقراءته في أقبح ما يكون من الظرف والخط ، فذلك متفاوت في  
 الصورة وإن كانت المعاني واحدة . . . والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد  
 أو قرب شديد ، وذلك يظهر بسهولته على اللسان ، وحسنه في الأسماع ، وتقبله  
 في الطباع . فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات  
 ظهر الإعجاز للجيد الطباع ، البصير بجواهر الكلام ، كما يظهر له أعلى  
 طبقات الشعر من أدناها إذا تفاوت ما بينهما »

كالخط القبيح ، فإذا أنضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ، ظهر الإعجاز لمن كان جيّد الطبع ، وبصيراً بجواهر<sup>(١)</sup> الكلام ، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر .

والمتنفر<sup>(٢)</sup> ، ذهب الخليل إلى أنه من بُعد شديد ، أو قرب شديد ؛ فإذا بُعد فهو كالظفر<sup>(٣)</sup> . وإذا قرب جداً كان بمنزلة مشى المقيد . ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها .

\* \* \*

وأما الفواصل : فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني ، وفيها بلاغة . والأسجاع عيبٌ ، لأن السجع يتبعه<sup>(٤)</sup> المعنى ، والفواصل تابعة للمعاني<sup>(٥)</sup> . والسجع كقول مُسَيِّمَة .

( ١ ) س ، ك : « بجودة الكلام »

( ٢ ) قال الرماني ص ١٨ : « وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد ، أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الظفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما معيب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال » .

( ٣ ) س ، ك : « كالظفر » .

( ٤ ) س ، ك : « يتبع » .

( ٥ ) قال الرماني ص ١٩ : « والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجه به الحكمة في الدلالة ، إذا كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلته إليه فهو بلاغة ، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة ، لأنه تكلف من غير الوجه الذي



ثم الفواصلُ قد تقع على حروف متجانسة ، كما قد تقع على حروف متقاربة ؛ ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل ، لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة ، لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي وإقامة الوزن<sup>(١)</sup> .

وأما التَّجَانُسُ ، فهو : بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد .

وهو على وجهين : مُزَاوَجَةٌ ، ومناسبة .

فالمُزَاوَجَةُ كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

توجيه الحكمة ، ومثله مثل من رضع تاجاً ثم ألبسه زنجياً ساقطاً ، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلباً ! وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدنى فهم . . . وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق إلى أظهار المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها .

(١) قال الرماني ص ٢٠ : « وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة . وأما القوافي فلا تحتل ذلك ؛ لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي ، فلو بطل أحد الشئين خرج عن ذلك المنهاج ، وبطل ذلك الحسن الذي له في الأسماع ، ونقصت رتبته في الأفهام . والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها بالتشاكل ، وإبدائها في الآي بالنظائر . »

(٢) سورة البقرة ١٩٤ وقال الرماني ص ٢١ : « فالمزوجة تقع في الجزء كقوله تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه " أي جازوه بما يستحق على طريق العدل ، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار ، فجاء على مزوجة الكلام بحسن البيان . »

وقوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرَ اللَّهُ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وكقول عمرو بن كلثوم <sup>(٢)</sup> :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

وَأَمَّا الْمُنَاسِبَةُ ، فهي كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

( ١ ) سورة آل عمران ٥٤ وقال الرماني ص ٢١ : « أي جازاهم على مكرهم ، فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ويختص بهم » .

( ٢ ) من معلقته ، وهو في شرح القصائد العشر ص ٢٣٨ وأمالى المرتضى ٨ / ٢ والصاحبي ص ١٩٦ وما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم للمبرد ص ١٤ وأساس البلاغة ١ / ١٤٥ ومجمع البيان ١ / ٥٢ .

( ٣ ) قال الرماني ص ٢٢ : « فهذا حسن في البلاغة ولكنه دون بلاغة القرآن ، لأنه لا يؤذن بالعدل كما آذنت بلاغة القرآن ، وإنما فيه الإيذان براجع الوبال فقط . . . » .

( ٤ ) سورة التوبة ١٢٧ وقال الرماني ص ٢٢ : « الثاني من التجانس وهو المناسبة ، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد ، فن ذلك قوله « ثم انصرفوا . . . فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير . والأصل فيه واحد ، وهو الذهاب عن الشيء ؛ أما هم فذهبوا عن الذكر ، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير » .

( ٥ ) سورة النور ٣٧ وقال الرماني : « فجونس بالقلوب التقلب . والأصل واحد فالقلوب تتقلب بالخواطر ، والأبصار تتقلب في المناظر . والأصل التصرف » .

وأما التَّصْرِيفُ<sup>(١)</sup>، فهو : تصريف الكلام في المعاني ، كتصريفه في الدلالات المختلفة<sup>(٢)</sup> ؛ كتصريف « الملك » في معاني الصفات ، فَصَّرَفَ في معنى «مالك» و «ملك» و «ذى الملكوت» و «المليك»، وفي معنى « التملك » و « والتملك » و «الإملاك» ؛ وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة ، كما كرر من قصة موسى في مواضع<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

وأما التَّضْمِينُ ، فهو : حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفةٍ هي عبارةٌ عنه<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) بقية كلام الرماني بعد ذلك: « وهو عقدها به على جهة التعاقب . فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة ، وهو عقدها به على جهة المعاقبة كتصريف الملك » إلخ .

( ٢ ) قال الرماني ص ٢٣: « . . . وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه »

( ٣ ) قال الرماني ص ٢٣: « أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة ، منها قصة موسى عليه السلام ، ذكرت في سورة الأعراف ، وفي طه ، والشعراء ، وغيرها ، لوجوه من الحكمة : منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة . ومنها تمكين العبرة والموعظة . ومنها حل شبهة في المعجزة . . . » .

( ٤ ) قال الرماني بعد ذلك ص ٢٤: « والتضمين على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام مما كان يدل عليه دلالة الإخبار . والآخر ما يدل عليه دلالة القياس . فالأول كذكرك الشيء بأنه محدث ، فهذا يدل على الحدث دلالة الإخبار ، فأما حادث فيدل على المحدث دلالة القياس دون دلالة الإخبار . والتضمين في الصفتين جميعاً ، إلا أنه على الوجه الذي بينا . . . »

وذلك على وجهين :

تضمن<sup>١</sup> توجبه البنية ، كقولنا : « معلوم » ، يوجب أنه لا بد من عالم .

وتضمن<sup>٢</sup> يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به ، كالصفة بضارب ، يدل على مضروب<sup>(١)</sup> .

والتضمن كله إيجاز ، [ وذكر : أن ] التضمن الذى تدل عليه دلالات القياس أيضاً إيجاز<sup>(٢)</sup> .

وذكر : أن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من باب التضمن ، لأنه

( ١ ) قال الرماني ص ٢٤ : « والتضمن على وجهين : تضمن توجبه البنية وتضمن يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به ، ومن حيث جرت العادة بأن يقصد به . فالذى توجبه نفس البنية فالصفة بمعلوم توجب أنه لا بد من عالم وكذلك مكرم . وأما الذى يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به فكالصفة بقاتل ، تدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل ولا مقتول ، فهو على دلالة التضمن . والتضمن الذى يوجبه معنى العبارة من جهة جريان العادة فكقولهم : السكر بستين ، المعنى فيه بستين ديناراً ، فهذا مما حذف وضمن الكلام معناه لجريان العادة به » .

( ٢ ) قال الرماني : « والتضمن كله إيجاز استغنى به عن التفصيل ؛ إذ كان مما يدل دلالة الأخبار فى كلام الناس ، وأما التضمن الذى يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز فى كلام الله عز وجل خاصة ؛ لأنه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة ، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح أن يدل عليه ، وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة ؛ لأنه قد يذهب عنه دلالتها من جهة القياس ، ولا يخرج ذلك عن أن يكون قد قصد بها الإبانة عما وضعت له فى اللغة من غير أن يلحقه فساد فى العبارة »

تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى ، أو التبرك باسمه<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وأما المبالغة ، فهي : الدلالة على كثرة المعنى ، وذلك على وجوه :  
 منها مبالغة في الصفة الميينة لذلك ، كقولك : « رَحْمَنٌ » عدل عن  
 « راحم<sup>(٢)</sup> » للمبالغة ، وكقوله : « غَفَّارٌ » وكذلك فَعَال<sup>(٣)</sup> وفَعُول ،  
 كقوله : « شَكُورٌ » و« غَفُورٌ » ، وفَعِيل ، كقوله : « رَحِيمٌ » و« قَدِيرٌ » .  
 ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة<sup>(٤)</sup> ، كقوله : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٥)</sup> . وكقوله : ﴿ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) قال الرماني : « وكل آية فلا تخلو من تضمين لم يذكر باسم أو صفة ، فن ذلك : ” بسم الله الرحمن الرحيم ” قد ضمن التعليم لاستفتاح الأمور على جهة التبرك به والتعظيم لله بذكره ، وأنه أدب من آداب الدين وشعار المسلمين ، وأنه إقرار بالعبودية وأعراف بالنعمة التي هي من أجل نعمه ، وأنه ملجأ الخائف ، ومعتد للمستنجح » .

( ٢ ) س ، ك : « عدل عن ذلك للمبالغة » وقال الرماني بعد ذلك : « ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل ؛ لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له ، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء » .

( ٣ ) غفار مثال لفعال . وقد ترك المؤلف من الأوزان التي ذكرها الرماني : مفعّل كمدعس ومطعن ، ومفعّل كمنحار ومطعام .

( ٤ ) قال الرماني ص ٢٥ : « الضرب الثاني المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة » كقوله ، إلخ .

( ٥ ) سورة الزمر ٦٢

( ٦ ) سورة النحل ٢٦ وهذه الآية قد مثل بها الرماني للضرب الثالث من ضروب المبالغة ، وهو إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ثم قال : « أي أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك إتياناً له على المبالغة » .

وكقوله : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ <sup>(١)</sup> 〉 .

وكقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ <sup>(٢)</sup> 〉 .  
وقد يدخل فيه الحذف الذى تقدم ذكره للمبالغة <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وأما حُسْنُ البيان ، فالبيان على أربعة أقسام <sup>(٤)</sup> : كلامٌ ، وحال ، وإشارة ، وعلامة .

( ١ ) سورة الأعراف ٤٠ وقد مثل بها الرمانى للضرب الرابع ، وهو إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة .

( ٢ ) سورة سبأ ٢٤ وقد مثل بها الرمانى للضرب الخامس ، وهو إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة فى العدل ، والمظاهرة فى الحجاج

( ٣ ) قال الرمانى ص ٢٦ : « الضرب السادس حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى : ( ولو ترى إذ وقفوا على النار ) و ( لو يرى الذين كفروا إذ يرون العذاب ) ومنه ( ص والقرآن ذى الذكر ) كأنه قيل : لجاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو لجاء بالصدق . كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم . والحذف أبلغ من الذكر لأن الذكر يقصر على وجه ، والحذف يذهب بالوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم ، لما قد تضمنه من التفخيم »

( ٤ ) قال الرمانى ص ٢٦ « البيان هو الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره فى الإدراك والبيان على أربعة أقسام . . . والكلام على وجهين : كلام يظهر به تمييز الشيء من غيره فهو بيان ، وكلام لا يظهر به تمييز الشيء فليس ببيان ، كالكلام المخلط والمحال الذى لا يفهم به معنى . وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن ، من قبل أنه قد يكون على عى وفساد ثم حكى ما حكى عن عى باقل وإفلات الظبى من يده ، ثم قال : « فهذا وإن كان قد آكد للفهام فهو أبعد الناس عن حسن البيان »

ويقع التفاضل في البيان ، ولذلك قال عزّ من قائل : ﴿ الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾<sup>(١)</sup> .

[وتقيضه العي ، ومنه] <sup>(٢)</sup> قيل : أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، سئل عن ظبية في يده : بكم اشتراها ؟ فأراد أن يقول : بأحد عشر ، فأشار بيديه مادّا أصابعه العشرة ، ثم أدلّع لسانه ، وأفلتت الظبية من يده !!

\* \* \*

ثم البيان على مراتب<sup>(٣)</sup> .

قلنا<sup>(٤)</sup> : قد كنا حكينا أنّ من الناس من يريد أن يأخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا أنها تسمى « البديع » في أول الكتاب ، مما مضت أمثلته في الشعر .

ومن الناس من زعم : أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التي عددناها في هذا الفصل .

( ١ ) سورة الرحمن ١ - ٤ وسبب استشهاد الروائي بهذه الآية أنه قال : ص ٢٧ « وليس يحسن أن يطلق اسم بيان على قبيح من الكلام ؛ لأن الله قد مدح البيان واعتد به في أبياده الجسام فقال ( الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ) ولكن إذا قيد بما يدل على أنه يعنى به لفهام المراد جاز »

( ٢ ) الزيادة من م .

( ٣ ) قال الروائي ص ٢٧ : « وحسن البيان في الكلام على مراتب : فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ، ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرهان ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة . . . والقرآن كله في نهاية حسن البيان . . . »

( ٤ ) م : « فإننا قد » .

واعلم أن الذي يبناه قبل هذا وذهبنا إليه هو شديد<sup>(١)</sup> ، وهو أن هذه الأمور تنقسم :

فنها ما يمكن الوقوع عليه ، والتعمل له ، ويُدرَك بالتعلم ؛ فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به .

وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعمل من البلاغات ، فذلك هو الذي يدل على إعجازه ؛ ونحن نضرب لذلك أمثلةً ، لتقف على ما ذهبنا إليه .  
وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل : أن التشبيه تعرف به البلاغة ، وذلك مسلمٌ ، ولكن<sup>(٢)</sup> إن قلنا : ما وقع من التشبيه في القرآن معجز ، عرض<sup>(٣)</sup> علينا من التشبيهات الجارية في الأشعار ما لا يخفى عليك ، وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر ، وقد تتبع في هذا ما لم يتبع غيره ، واتفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء .

وكذلك كثير من وجوه البلاغة ، قد بينا أن تعلمها يمكن ، وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره .

فإن كان إنما يعني هذا القائل أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية ، ثم كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض ، وينتهي

(١) ك : « شديد » .

(٢) م : « وذلك إن » .

(٣) م : « اعترض » .



منه إلى متصرفاته — : على أتم البلاغة وأبدع البراعة ، فهذا مما لا نأباه ، بل نقول به .

وإنما ننكر أن يقول قائل : إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يتصل به [ من ] <sup>(١)</sup> الكلام ويُفَضَّى إليه ، مثل ما يقول <sup>(٢)</sup> : إن ما أقسم به وحده بنفسه معجز ، وإن التشبيه معجز ، وإن التجنيس معجز ، والمطابقة بنفسها معجزة .  
فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه ، فإن ادعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها ، فإنني لا أدفع ذلك وأصححه ، ولكن لا أدعى إعجازها لموضع التشبيه .

وصاحبُ المقالة التي حكيناها ، أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرُن به من الوجوه ، ومن تلك الوجوه ما قد بينا أن الإعجاز يتعلق به كاليان ، وذلك لا يختص بجنس من المَبِينِ <sup>(٣)</sup> دون جنس ، ولذلك قال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ <sup>(٤)</sup> ﴾ . وقال : ﴿ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ <sup>(٥)</sup> ﴾ . وقال : ﴿ بَلِّسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ <sup>(٦)</sup> ﴾ . فكرر في مواضع [ جَلَّ <sup>(٧)</sup> ] ذكره : أنه مبين .

(١) الزيادة من م .

(٢) م « ما نقول » .

(٣) م « بجنس دون جنس »

(٤) سورة آل عمران ١٣٨

(٥) سورة النحل ٨٩

(٦) سورة الشعراء ١٩٥

(٧) الزيادة من م .

فالقرآن أعلى منازل البيان ، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحُسن وأسبابه ، وطرقه وأبوابه : من تعديل النظم وسلامته <sup>(١)</sup> ، وحسنه وبهجته ، وحسن موقعه في السمع ، وسهولته على اللسان ، ووقوعه في النفس موقع القبول ، وتصوره تصور المشاهد ، وتشكله على جهته ، حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف ، مما لا ينحصر حسناً وبهجةً وسناءً ورفعةً .

وإذا علا الكلام في نفسه ، كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ، ما يُذهل ويُبهج ، ويُقلق ويؤنس ، ويُطعم ويؤنس ، ويُضحك ويبكي ، ويُحزن ويُفرح ، ويُسكن ويُزعج ، ويُشجى ويُطرب <sup>(٢)</sup> . ويَهْزُ الأعطاف ، ويستميل نحوه الأسماع <sup>(٣)</sup> . ويُورث الأَرْيَحَةَ والعِزَّةَ ، وقد يبعث على بذل المَهْجِ والأموال شجاعةً وجُودًا ، ويرى السامع من وراء رأيه مربي <sup>(٣)</sup> بعيداً .

وله مسالك في النفوس لطيفة ، ومداخل إلى القلوب دقيقة .

وبحسب ما يترتب في نظمه ، ويتنزل في موقعه ، ويجرى على سَمْتِ مَطْلَعِهِ ومَقْطَعِهِ — يكونُ عَجِيبُ تأثيراته ، وبديعُ مقتضياته . وكذلك على حسب مصادره ، يتصوّرُ وجوه مَوَارِدِهِ .

(١) م « وسلامته » .

(٢) ما بين الرقمين ساقط من م .

(٣) م « وترى السامع من ورائه مربي » .

وقد<sup>(١)</sup> ينبئ الكلام عن محل صاحبه ، ويدل على مكان متكلمه ،  
ويُنَبِّه على عظيم شأن أهله ، وعلى علوّ محله .

ألا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محبّ ، كان أرقّ  
وأحسن ؛ وإذا صدر عن مُتَعَمِّل<sup>(٢)</sup> ، وحصل من متصنّع ، نادى على  
نفسه بالمُدَاجاة ، وأخبر عن خبيثته في المرایاة<sup>(٣)</sup> . !؟

وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع ، فيعلم  
وجه صدوره ، ويدل على كنهه وحقيقته .

وقد يصدر عن المتشبه ، ويخرج عن المتصنع ، فيعرف من حاله  
ما ظن أنه يخفيه ، ويظهر من أمره خلاف ما يديه .  
وأنت تعرف<sup>(٤)</sup> لقول المتنبي :

فأخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرّفني

والحربُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ<sup>(٥)</sup>

من الوقع<sup>(٦)</sup> في القلب — لما<sup>(٧)</sup> تعلم أنه من أهل الشجاعة —

ما لا تجده للبحترى في قوله :

(١) م : « فقد » .

(٢) س ، ك : « متغزل » .

(٣) أ : « خبيثه » م « جنسه في المرامات » .

(٤) كذا في أ ، م ، ك : وفي س « تجدد » .

(٥) ديوانه ٢٦٢/٢ وهي رواية الواحدى ، وفي ك : « والحرب والطعن »

أ « والطعن والضرب » .

(٦) م : « الموقع » . ك : « الواقع » .

(٧) م : « ما تعلم » .

وأنا الشجاعُ وقد بدَا لك مَوْقِي بِعَقْرَقَسٍ وَالْمَشْرِفَةِ شُهْدِي<sup>(١)</sup>  
وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب ، في الفخر وغيره ،  
مالا تجده لغيره ؛ لأنه إذا قال :

إِذَا شِئْتُ أَوْ قَرْتُ الْبِلَادَ حَوَافِرًا وَسَارَتْ وَرَأَى هَاشِمٌ وَنِزَارُ  
وَعَمَّ السَّمَاءُ النَّعْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ دَخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارُ<sup>(٢)</sup>  
وقال :

قَدْ تَرَدَّيْتُ بِالْمَكَارِمِ دَهْرًا وَكَفَتْنِي نَفْسِي مِنَ الْإِفْتِخَارِ<sup>(٣)</sup>  
أَنَا جَيْشٌ إِذَا غَزَوْتُ وَحِيدًا وَوَحِيدٌ فِي الْجَفَلِ الْجَرَّارِ  
وقال :

أَيُّهَا السَّائِلِي عَنِ الْحَسَبِ الْأَطْ يَبِّ مَا فَوْقَهُ لِيَخْلُقَ مَزِيدُ<sup>(٤)</sup>  
نَحْنُ آلُ الرَّسُولِ وَالْعِتْرَةُ الْحَقُّ وَأَهْلُ الْقُرْبَى ، فَاذَا تَرِيدُ؟<sup>(٥)</sup>  
وَلَنَا مَا أَضَاءَ صُبْحٌ عَلَيْهِ وَأَتَتْهُ رَايَاتُ لَيْلٍ سُودُ<sup>(٦)</sup>  
وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله ، قال : أنشدنا محمد بن يحيى  
لابن المعتز قصيدته التي يقول فيها :

أَنَا ابْنُ الذِي سَادَهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَسَادَهُمْ بِي تَحْتَ الثَّرَى<sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه ٤٦١

(٢) ديوانه ص ٣٧ وفي م ، ك : « وعم سماء النعم »

(٣) ديوانه ص ٣٩ وفي ا ، ك ، م : « بالمكانم حولي »

(٤) ديوانه ص ٣٠

(٥) ا ، م ، ك : « القربى » س : « القرى »

(٦) م : « وأنا ما أضاء » وفي الديوان : « أتته آيات »

(٧) ديوانه ص ٦

ومالَى في أَحَدٍ مَرَّغَبٌ نَلَى في يَرَّغَبٍ كُلُّ الْوَرَى  
 وَأَسْهَرُ لِلْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ إِذَا أُكْتَحَلَّتْ أَعْيُنُ الْكَرَى<sup>(١)</sup>  
 فانظر في<sup>(٢)</sup> القصيدة كلها ، ثم في جميع شعره ، تعلم أنه ملكُ  
 الشعر ، وأنه يليق به من الفخر خاصةً ، ثم مما يتبعه مما يتعاطاه ،  
 مالا يليق بغيره ، بل ينفر عن سواه .

ولم أحب أن أكثر عليك ، فأطوّل الكتاب بما يخرج  
 عن غرضه .

وكما ترى من<sup>(٣)</sup> قول أبي فراس الحمداني في نفسك إذا قال :

ولا أَصْبَحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بَغَارَةَ

ولا الجيشَ ما لم تأتِه قَبْلِي النَّذْرُ<sup>(٤)</sup>

وَيَا رَبَّ دَارٍ لَمْ تَخَفْنِي مَنِيعَةٍ

طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ

وَسَاحِبَةُ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيَتْهَا

فَلَمْ يَلْقَهَا جَانِي اللَّقَاءِ وَلَا وَعْرُ<sup>(٥)</sup>

(١) ا ، م ، ك « اکتحلت » س « کحلت »

(٢) م « فانظر هذه »

(٣) م : « في »

(٤) ديوانه ٢١٢/٢

(٥) في الديوان رواية أخرى هي : « جَهَنَّمُ اللَّقَاءِ »

وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ  
وَأُتِبْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَيَّاتِهَا سِتْرُ<sup>(١)</sup>  
وَمَا رَاحَ يُطْفِئُنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى  
وَلَا بَاتَ يَثْنِينِي عَنِ الْكِرَمِ الْفَقْرُ  
وَمَا حَاجَتِي فِي الْمَالِ أَبْنَى وَفُورُهُ  
إِذَا لَمْ أَفِرْ وَفَرِي فَلَا وَفَرَ الْوَفَرُ<sup>(٢)</sup>

والشيء إذا صدر من أهله ، وبدا من أصله ، وانتسب إلى ذويه ،  
سلم في نفسه ، وبانت نخامته ، وشوهد<sup>(٣)</sup> أثر الاستحقاق فيه .  
وإذا صدر من متكلف ، وبدا من متصنع ، بَانَ أثرُ الغُرْبَةِ<sup>(٤)</sup>  
عليه ، وظهرت مخايل الاستيحاش فيه ، وعُرف شمائل التَّخِيرِ<sup>(٥)</sup> منه .  
إنَّا نعرف في شعر أبي نواس أَثَرَ الشَّطَارَةِ ، وَتَمَكَّنَ الْبَطَالَةَ ،  
وموقع كلامه في وصف ما هو بسبيله من أمرِ الْعِيَارَةِ<sup>(٦)</sup> ، ووصف الخمر

(١) هذه رواية في الديوان ، وهناك رواية أخرى هي : « ورحت ولم  
يكشف لأثوابها ستر » . وفي م : « وهبت له »

(٢) هذه رواية م والديوان . وفي س ، ك : « إذا لم أفر وفري »

(٣) س : « وشواهد »

(٤) ١ ، ك « الغربة » م « العرمة » س « الغرابة »

(٥) س « شمائل التخير » ك « بشمائل التخير »

(٦) كذا في ١ ، ك . وفي م « من أمر العناية في وصف الخمر » س « من

أمر المغازلة ووصف » . وفي اللسان ٣٠٢/٦ « يقال غلام عيار : نشيط في  
المعاصي »

والحمار؛ كما نعرف موقع كلام ذي الرُّمَّة في وصف المَهَامِه والبَوَادِي  
والجمال والأنساع والأزِمَّة .

وَعَيْبُ أَبِي نُوَّاسٍ التَّصَرُّفُ فِي وَصْفِ الطُّلُولِ وَالرِّبَاعِ وَالْوَحْشِ ،  
فَقَفَّزَ فِي قَوْلِهِ :

|                                          |                                                       |
|------------------------------------------|-------------------------------------------------------|
| دَعِ الْأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الْجُنُوبُ  | وَتُبْلِي عَهْدَ جِدَّتِهَا الْخُطُوبُ <sup>(١)</sup> |
| وَحَلَّ لِرَاكِبِ الْوَجْنَاءِ أَرْضًا   | تَحُبُّ بِهِ النَّجِيَّةُ وَالنَّجِيبُ <sup>(٢)</sup> |
| بِلَادٍ نَبَتْهَا عَشْرُ وَطَلَحُ        | وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا ضَبْعُ وَذِيبُ <sup>(٣)</sup>    |
| وَلَا تَأْخُذُ عَنِ الْأَعْرَابِ لَهْوًا | وَلَا عِشًا ، فَعِيشَهُمْ جَدِيبُ                     |
| دَعِ الْأَلْبَانَ يَشْرِبُهَا رِجَالُ    | رَقِيقُ الْعِيشِ عِنْدَهُمْ غَرِيبُ <sup>(٤)</sup>    |
| إِذَا رَابَ الْحَلِيبُ فَبَلَّ عَلَيْهِ  | وَلَا تَحْرَجْ ، فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ <sup>(٥)</sup> |
| فَاطِيبُ مِنْهُ صَافِيَةٌ شُمُولُ        | يَطُوفُ بِكَاسِهَا سَاقِ أَدِيبُ <sup>(٦)</sup>       |
| كَأَنَّ هَدِيرَهَا فِي الدَّنِّ يَحْكِي  | قِرَاةَ الْقَسِّ قَابِلُهُ الصَّلِيبُ                 |
| أَعَاذَلْ أَقْصَرَى عَنْ طُولِ لَوْحِي   | فَرَاجِي تَوَبَّتِي عِنْدِي يَخِيبُ                   |
| تَعْيِينِ الذُّنُوبَ : وَأَيَّ حُرِّ     | مِنَ الْفَتْيَانِ لَيْسَ لَهُ ذُنُوبُ ؟ !             |

(١) ديوانه ص ١٠٤ وفي « تسقيها »

(٢) س : « تحب بها »

(٣) راجع وصف أبي حنيفة للعشر في اللسان ٢٥٠/٦ والطلح في اللسان

٣٦٥/٣

(٤) سقط هذا البيت من م .

(٥) م : « ولا تتجرجن في ذاك »

(٦) م : « ساق أريب »

وقوله :

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلَاغَةُ الْفَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَا بِنَةَ الْكَرَمِ<sup>(١)</sup>

وسمعت الصاحب إسماعيل بن عبّاد يقول : سمعت براكويه<sup>(٢)</sup> الزنجاني يقول :

أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ هَلَالَ بْنَ يَزِيدَ قَصِيدَةً عَلَى وَزْنِ قَصِيدَةِ الْأَعَشَى :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟  
وكان وصف فيها الطلل ، قال براكويه<sup>(٣)</sup> : فقال لي هلال :  
فقلت بديهاً :

إِذَا سَمِعْتَ فَتَى يَنْكِحِي عَلَى طَلَلٍ مِنْ أَهْلِ زَنْجَانَ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ طَلَلُ

وإنما ذكرت لك هذه الأمور ، لتعلم أن الشيء في معدنه أعزّ ،  
وإلى مظانه أحسن<sup>(٤)</sup> ، وإلى أصله أنزَع ، وبأسبابه أليق ؛ وهو<sup>(٥)</sup>  
يدل على ما صدر منه ، وينبه ما أنتج عنه ، ويكون قراره على موجب

(١) ديوانه ٣٢٣ .

(٢) في ل ، س : « برلكويه » . وفي م : « ابن راكويه » . وانظر ترجمة « براكويه » في يتيمة الدهر للثعالبي ٤٠٤/٣ - ٤٠٥ .

(٣) راجع التعليق السابق . وفي م : « فقال ابن زاكويه قال : « ما تقول ؟ فقلت بديهاً »

(٤) كذا في ل ، م . وفي س : « وفي مظانه أحسن »

(٥) م : « وهذا »



صورته ، وأنوارُهُ على حسب محله ؛ ولكل شيءٍ حدٌّ ومذهب ،  
ولكلِّ كلامٍ سبيلٌ ومنهج .

وقد ذكر أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه في كلامٍ مُسَيَّلَمَةٍ  
ما أخبرْتُكَ به ، فقال : إن هذا كلامٌ لم يخرج من إلٍّ<sup>(١)</sup> . فدل على  
أن الكلام الصادر عن عزّة الربوبية ورفعة الإلهية ، يتميز عما لم يكن  
كذلك .

\* \* \*

ثم رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان<sup>(٢)</sup> ، ولو  
لم يكن فيه إلا ما منَّ به الله على خلقه بقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ  
الْبَيَانَ<sup>(٣)</sup> 》 .

فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه ، وأكملُهُ وأعلاه ،  
وأبلغُهُ وأسناه .

(١) في اللسان ٢٦/١٣ عن ابن سيدة « والإل : الله عز وجل ،  
بالكسر ، وفي حديث أبي بكر رضى الله عنه لما تلى عليه سبع مسيلمات : إن هذا  
لشيء ما جاء من إل ولا بر ، فأين ذهب بكم ؟ أى من ربوبية . وقيل : الإل :  
الأصل الجيد ، أى لم يجرى من الأصل الذى جاء منه القرآن . وقيل : الإل :  
النسب والقرابة . فيكون المعنى : إن هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق ،  
ولا إدلاء بسبب بينه وبين الصدق » . والنص في اللسان مجرف ، صححناه  
بما يستقيم به .

(٢) بل الحق إنه رجع إلى نقل كلام الرماني في البيان الذى سبق نقله  
لبعضه .

(٣) سورة الرحمن ٣ - ٤

تأمل قوله تعالى : ﴿ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . في شدة التنبيه على تركهم الحق والإعراض عنه . وموضع امتنانه بالذكر والتحذير<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . وهذا بليغ في التحسير .

وقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾<sup>(٤)</sup> . وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر ، معودين لمخالفة النهي والأمر<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . هو في نهاية المنع<sup>(٧)</sup> من الخلطة إلا على التقوى .

وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾<sup>(٨)</sup> . وهذا نهاية في التحذير من التفريط .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

( ١ ) سورة الزخرف ٥

( ٢ ) نص عبارة الرماني ص ٢٨ : « فهذا أشد ما يكون من التقرير »

( ٣ ) سورة الزخرف ٣٩ وقال الرماني : « فهذا أعظم ما يكون من التحسير »

( ٤ ) سورة الأنعام ٢٨

( ٥ ) قال الرماني : « وهذا أدل دليل على العدل ، من حيث لم يقطعوا عما

يتخلصون به من ضرر الجرم ، ولا كانت قبائحهم على طريق الخير »

( ٦ ) سورة الزخرف ٦٧ وقال الرماني : « وهذا أشد ما يكون له من التنفير

عن الخلطة إلا على التقوى »

( ٧ ) س ، ك « الوضع »

( ٨ ) سورة الزمر ٥٦ وقال الرماني : « فهذا أشد ما يكون من التحذير

من التفريط »

اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(١)</sup> . هو النهاية في الوعيد  
والتهديد<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ : هَلْ إِلَى  
مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ .  
يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفٍ<sup>(٣)</sup> 》 ؛ نهاية في الوعيد .  
وقوله : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ<sup>(٤)</sup> 》 ؛ نهاية في الترغيب .

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَذَهَبَ  
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ<sup>(٥)</sup> 》 ؛ وكذلك قوله :  
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا<sup>(٦)</sup> 》 ؛ نهاية في الحجاج<sup>(٧)</sup> .  
وقوله : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ<sup>(٨)</sup> 》 ؛ نهاية في  
الدلالة على علمه بالخفيات .

( ١ ) سورة فصلت ٤٠

( ٢ ) الرمانى ص ٢٨

( ٣ ) سورة الشورى ٤٤-٤٥

( ٤ ) الزخرف ٧١

( ٥ ) سورة المؤمنون ٩١

( ٦ ) سورة الأنبياء ٢١

( ٧ ) قال الرمانى ص ٢٩ : « وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج ، وهو الأصل  
الذى عليه الاعتماد فى صحة التوحيد ؛ لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتنازع  
بوجودهما دون أفعالهما »

( ٨ ) سورة الملك ١٣ - ١٤

ولا وجه للتطويل ، فإن يان الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على<sup>(١)</sup>  
سواء .

وقد ذكرنا من قبل : أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز ، وهو  
معجز من القرآن .

\* \* \*

وما حكينا عن صاحب الكلام : من المبالغة في اللفظ ، فليس ذلك  
بطريق الإعجاز ، لأن الوجوه التي ذكرها قد تتفق في كلام غيره ،  
وليس ذلك بمعجز ، بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة ،  
وجوه من اللفظ تثمر<sup>(٢)</sup> الإعجاز .

\* \* \*

وتضمن المعاني أيضاً<sup>(٣)</sup> قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة  
طريق البلاغة في أعلى<sup>(٤)</sup> درجاتها .

\* \* \*

وأما الفواصل فقد يئنا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز ، وكذلك  
قد يئنا في المقاطع والمطالع نحو هذا ، ويئنا في تلاؤم الكلام ما سبق :  
من صحة تعلق الإعجاز به .

( ١ ) سقطت من م

( ٢ ) س : « يثمر »

( ٣ ) م : « وأيضاً »

( ٤ ) م : « بالعبارة . . . من أعلى »

\* \* \*

والتصرف في الاستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الإعجاز ، كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام ؛ لأنَّ البلاغة في كل واحد من البائنين تجري مجرى واحداً ، وتأخذ مأخذاً مفرداً .

\* \* \*

وأما الإيجاز والبسطُ فيصح أن يتعلق بهما الإعجاز<sup>(١)</sup> ، كما يتعلق بالحقائق .

\* \* \*

والاستعارة والبيان في كل واحد منهما مالا<sup>(٢)</sup> يضبط حدّه ، ولا يقدر قدره ، ولا يمكنُ التوصلُ إلى ساحل بحره بالتعلم ، ولا يُتطرقُ إلى غوره بالتسبّب . وكلُّ ما يمكن تعلمه ، ويتهيأ تلقّنه ، ويمكن تحصيله<sup>(٣)</sup> ، ويستدرك أخذه — فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به . ولذلك قلنا : إن السجع مما ليس يلتمس فيه الإعجاز ، لأن ذلك أمر محدود ، وسبيل موزود ؛ ومتى تدرّب الإنسان به واعتاده : لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه .

وكذلك التجنيس والتطيق ، متى أخذ أخذهما<sup>(٤)</sup> وطلب وجههما ،

(١) س : « إعجاز »

(٢) م « منهما لا يضبط »

(٣) كذا في ١ ، م . وفي ك ، س « تخليصه »

(٤) كذا في ١ ، م . وفي س ، ك « أخذ أحدهما »

استوفى ما شاء ، ولم يتعذر عليه أن يملأ خطابه منه ، كما أولع بذلك أبو تمام والبُخترى ، وإن كان البخترى أشغف بالمطابق ، وأقل طلباً للمجانس .

فإن قال قائل : هلا قلت : إن هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية ، لا يوصل إليها بالتعلم ، ولا تملك بالتعمّل ؛ كما ذكرت في البيان وغير ذلك ؟

قلنا : لو عمد إلى كتاب « الأجناس » ، ونظر في كتاب « العين » ؛ لم يتعذر عليه التجنيس الكثير .

فأما الإطباق فهو أقرب منه . وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الإعجاز فيها ؛ لأنها لا تستوفى بالتعلم .

فإن قيل : فالبيان قد يتعلم ؟

قيل : إن الذي يمكن أن يتوصل إليه بالتعلم يتقارب<sup>(١)</sup> فيه الناس ، وتتناهى فيه العادات ، وهو كما يعلم من مقادير القوى في حمل الثقل ، وأن الناس يتقاربون<sup>(٢)</sup> في ذلك ، فيرُمون<sup>(٣)</sup> فيه إلى حد ، فإذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي ، ولم يقدروا على التعدّي ؛ إلا أن يحصل ما يخرق العادة ، وينقض العرف ؛ ولن يكون ذلك إلا للدلالة على النبوات ، على شروط في ذلك .

(١) كذا في م ، ك . وفي س « يتفاوت »

(٢) كذا في ك . وفي م « يتفاوتون »

(٣) ك ، م « ويرمون »

والقدرُ الذى يفوت الحدَّ فى البيان ، ويتجاوز الوهم<sup>(١)</sup> ، ويشذُّ عن الصنعة ، ويقذفه الطبع —: فى النادر القليل ، كالبيت البديع ، والقطعة الشريفة التى تتفق فى ديوان شاعر<sup>(٢)</sup> ، والفقرة تتفق فى رسالة<sup>(٣)</sup> كاتب ، حتى يكون الشاعر ابن بيتٍ أو بيتين ، أو قطعةٍ أو قطعتين ؛ والأديبُ شهير<sup>(٤)</sup> كلمةٍ أو كلمتين . وذلك أمر قليل<sup>(٥)</sup> .

ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك ، ويستمر على ذلك المنهج ؛ أمكن أن يدعى فيه الإعجاز .

ولكنك إن كنت من أهل الصنعة : تعلم قلة الأبيات الشوارد ، والكلمات الفرائد<sup>(٦)</sup> ، وأمثات القلائد .

فإن أردت أن تجد قصيدةً كلها وحشية ، وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتها مرضية ؛ لم تجد ذلك فى الدواوين ، ولم تظفر بذلك إلى يوم الدين .

ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ، ولفظة بديعة ؛ وإنما أنكرنا أن يقدروا على مثل نظم سورة أو<sup>(٧)</sup> نحوها ، وأحلنا أن

(١) م : « ويتجاوز الفهم . . . على »

(٢) م : « الشاعر »

(٣) س ، ك : « فى رسالة »

(٤) س ، ك : « شهيد » !

(٥) م : « قريب »

(٦) م ، ا : « الفوارد »

(٧) م : « ونحوها »

يتمكنوا من حدِّ في البلاغة ، ومقدار في الخطابة .  
وهذا كما قلناه : من <sup>(١)</sup> أن صورة الشعر قد تتفق في القرآن ، وإن  
لم يكن له حكم الشعر .

\* \* \*

فأما قَدْرُ المعجز فقد بينّا أنها السّورة ، طالت أو قصرت ، وبعد  
ذلك خلاف :

من <sup>(٢)</sup> الناس من قال : مقدار كل سورة أو أطول آية فهو معجز .  
وعندنا كل واحد من الأمرين معجز ، والدلالة عليه ما تقدم <sup>(٣)</sup> ،  
والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك ، فلذلك لم نحكم بإعجازه ، وما صح أن  
تتبين فيه <sup>(٤)</sup> البلاغة ؛ ومحصولها الإبانة في الإبلاغ عن ذات النفس على  
أحسن معنى وأجزل لفظ ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام .

فإذا بلغ الكلام غايته في هذا المعنى ، كان بالغاً وبلغاً . فإذا <sup>(٥)</sup> تجاوز  
حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة ، وانتهى إلى أمدٍ <sup>(٦)</sup>  
يعجز عنه الكامل في البراعة — صح أن يكون له حكم المعجزات ، وجاز  
أن يقع موقع الدلالات .

(١) سقطت من م

(٢) م : « بين »

(٣) م : « ما قد »

(٤) م : « فيه من »

(٥) م : « وإذا »

(٦) كذا في أ ، م . وفي ك ، س : « أمر »



وقد ذكرنا أنه يجنسه<sup>(١)</sup> وأسلوبه مُبَيَّنٌ لسائر كلامهم ، ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحدّ الذي يقدر عليه البشر .

\* \* \*

فإن قيل : فإذا<sup>(٢)</sup> كان يجوز عندكم أن يتفق في شعر الشاعر قطعةٌ عجيبة شاردة ، تبين جميع ديوانه في البلاغة ، ويقع في ديوانه بيتٌ واحد يخالف<sup>(٣)</sup> مألوف طبعه ، ولا يُعرَف سببُ ذلك البيت ، ولا تلك القطعة في التفصيل ، ولو أراد أن يأتى بمثل ذلك أو يجعل<sup>(٤)</sup> جميع كلامه من ذلك النمط ، لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصنعة ؛ لأنه<sup>(٥)</sup> يتفق من المتأخر فيها — : فهلاً قلم : إنه إذا بلغ في العلم بالصناعة مَبَالِغَهُ الْقُصْوَى<sup>(٦)</sup> ، كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسمت تلك القطعة ؟ وهلاً قلم : إن القرآن من هذا الباب ؟

فالجواب : أنا لم نجد أحداً بلغ الحدّ الذي وصفتم في العادة ، وهذا الناسُ وأهلُ البلاغة أشعارُهم عندنا محفوظةٌ ، وخطبهم منقولة ، ورسائلهم مأثورة ، وبلاغاتهم مَروية ، وحكمهم مشهورة ؛ وكذلك أهل

(١) م « لجنسه »

(٢) م ، ك : « إذا »

(٣) ا « يخالف »

(٤) س ، ك « ويجعل »

(٥) م « لأنه لا يتفق »

(٦) س « مبالغة قصوى » . م ، ا « الغاية القصوى »

الكهانة والبلاغة ، مثل قُسَّ بن سَاعِدَةَ ، وسَحَبَانِ وَاثِلٍ ، ومثل<sup>(١)</sup> شَيْقٍ ، وَسَطِيحٍ ، وغيرهم — كلامهم معروف عندنا ، وموضوعٌ بين أيدينا ، لا يخفى علينا في الجملة بلاغةٌ بليغٌ ، ولا خطابةٌ خطيبٌ ، ولا براعةٌ شاعرٌ مُفْلِقٍ ، ولا كتابةٌ كاتبٌ مُدَقِّقٌ .

فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يداني القرآن في البلاغة ، أو يشاكله في الإعجاز ، مع ما وقع من التحدى إليه المدة الطويلة ، وتقدم من التقرير في المجازاة<sup>(٢)</sup> الأمد المديد ، وثبت له وحده خاصةً قَصَبُ السَّبْقِ ، والاستيلاء على الأمد<sup>(٣)</sup> ، وعَجَزَ الكلُّ عنه ، ووقفوا دونه حيارى ، يعرفون عجزهم ، وإن جهل قوم سببه . ويعلمون نقصهم ، وإن أغفل قوم وجهه — رأينا أنه ناقض للعادة ، ورأينا<sup>(٤)</sup> أنه خارق للمعروف في الحيلة<sup>(٥)</sup> . وخرقُ العادة إنما يقع بالمعجزات على وجه إقامة البرهان على النبوات ، وعلى أن من ظهرت عليه ، ووقعت موقع الهداية إليه ، صادقٌ فيما يدعيه من نبوته ، ومحقٌّ في قوله ، ومصيبٌ في هديهِ ، قد شهدت<sup>(٦)</sup> له الحجة البالغة ، والكلمة التامة ، والبرهان النير ، والدليل البين .

(١) سقطت من ا

(٢) كذا في ك ، م . وفي س « والمجازاة »

(٣) كذا في م ، ا . وفي س ، ك « الأمر »

(٤) هنا خرم في ا

(٥) كذا في م ، ب . وفي س ، ك « في الحيلة »

(٦) كذا في ك ، م ، ب . وفي س « قد سادت »

## فصل

### ( في حقيقة المعجز <sup>(١)</sup> )

معنى قولنا : « إن القرآن معجز » على أصولنا : أنه لا يقدر العبادُ عليه ، وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصحُّ دخوله تحت قدرة <sup>(٢)</sup> العباد ، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه ، كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام ، فنحن لا نقدر على <sup>(٣)</sup> ذلك وإن لم يصحَّ وصفنا بأننا عاجزون عن ذلك حقيقةً ، وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا .

فلما لم يقدر عليه أحدٌ شُبَّه بما يعجز عنه العاجز ، وإنما لا يقدر العباد على <sup>(٤)</sup> الإتيان بمثله ، لأنه لو صحَّ أن يقدرُوا عليه بطلت <sup>(٥)</sup> دلالة المعجز ، وقد أجرى [ الله ] <sup>(٦)</sup> العادة بأن يتعذر فعل ذلك منهم <sup>(٧)</sup> ، وأن لا يقدرُوا عليه .

( ١ ) م ، ب : « المعجزة »

( ٢ ) ك ، م : « قد »

( ٣ ) م « الأجسام ثم لا يقدرُوا على »

( ٤ ) ك ، ب : « وإنما تعذر على العباد الإتيان »

( ٥ ) م ، ك : « بطل »

( ٦ ) الزيادة من ب

( ٧ ) س : « أن . . . منه »

ولو كان غير خارج عن العادة لآتوا بمثله ، أو عرضوا<sup>(١)</sup> عليه من كلام فصحاءهم وبلغائهم ، ما يُعارضه .

فلما لم يشتغلوا بذلك ، عُلِمَ أنهم فطنوا لخروج<sup>(٢)</sup> ذلك عن أوزان كلامهم ، وأساليب نظامهم ؛ وزالت أطماعهم عنه .

وقد كنا يئناً أنّ التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر<sup>(٣)</sup> ووجوه النظم المستحسنة في الأوزان المطربة للسمع ، ولا يُحتاج في مثله إلى توقيف ، وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب ، فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه [ وطلبوه<sup>(٤)</sup> ] ؛ وطلبوا أنواع الأوزان والقوافي ، ثم وقفوا<sup>(٥)</sup> على حسن ذلك وقدرُوا عليه ، بتوفيق الله عز وجل<sup>(٦)</sup> ، وهو الذي جمع خواطرهم عليه ، وهداهم له<sup>(٧)</sup> ، وهياً دواعيهم إليه ، ولكنه أقدرهم على حدٍّ محدود ، وغاية في العُرف مَضْرُوبَة ، لعلمه بأنه<sup>(٨)</sup> سيجعل القرآن معجزاً ، ودلّ على عظم<sup>(٩)</sup> شأنه بأنهم قدرُوا على ما يئناً من التأليف ، وعلى ما وصفنا من النظم ،

(١) س : « عرضوا »

(٢) ك : « فطنوا خروج »

(٣) م : « الشعراء »

(٤) الزيادة من ب ، م

(٥) ك : « وقفوا » . م : « ولما وقفوا »

(٦) ب : « وهذا »

(٧) ك : « وبدأ » . م : « وبذ »

(٨) س : « بأن »

(٩) كذا في ك . وفي م : « عظيم »

من غير تَوْقِيفٍ ولا اقتضاء<sup>(١)</sup> أثرٍ ، ولا تحدٍّ إليه ولا تقرّيع .

فلو كان هذا من ذلك القبيل ، أو من الجنس الذي عرفوه وألفوه ، لم تزل أطاعهم عنه ، ولم يذهشوا عند وروده عليهم ، فكيف<sup>(٢)</sup> وقد أمهلهم وفسّح لهم في الوقت ، وكان يدعو إليه سنين كثيرة ، وقال عز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ<sup>(٣)</sup> ﴾ .

وبظهور المعجز عنه بعد طول التقرّيع والتحدّي ، بأنَّه خارجٌ عن عاداتهم ، وأنهم لا يقدرّون عليه .

وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يُبين عاداتها<sup>(٤)</sup> من الكلام البليغ ، لأنَّ ذلك طبعهم ولغتهم ، فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن ، وهذا في البلغاء منهم ، دون المتأخرين في الصنعة .

والذي ذكرناه يدلّك على أنه لا كلامٌ أزيدُ في قدر البلاغة من القرآن .

وكل من جوّز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة ، لم يُمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال .

( ١ ) كذا في م ، ا ، ك . وفي س « ولا اقتضاء » !

( ٢ ) م ، ا « كيف »

( ٣ ) سورة فاطر ٤٥

( ٤ ) س ، ك « عاداتها »

ولولم يكن جرى في المعلوم<sup>(١)</sup> أنه سيجعل القرآن معجزاً، لكان<sup>(٢)</sup> يجوز أن تجرى عادات<sup>(٣)</sup> البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة، وأمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة.

وأما نظم القرآن، فقد قال أصحابنا [فيه]<sup>(٤)</sup>: إن الله تعالى يَقْدِرُ على نظم [هيئة أخرى تزيد في الفصاحة عليه، كما يقدر على مثله. وأما بلوغ بعض<sup>(٥)</sup> نظم [القرآن<sup>(٦)</sup> الرتبة<sup>(٧)</sup> التي لازيد عليها، فقد<sup>(٨)</sup> قال مخالفونا: إن هذا غير ممتنع، لأن فيه من الكلمات الشريفة، الجامعة للمعاني البديعة، وانصاف<sup>(٩)</sup> إلى ذلك حسنُ الموقع، فيجب أن يكون قد بلغ النهاية، لأنه عندهم — وإن زاد على ما في العادة —

(١) س « العلوم »

(٢) م « كان »

(٣) م « عادة ». وبلى هذه الكلمة في سائر النسخ المطبوعة قبل طبعتنا هذه ما يلي « الأولين وأخبار المرسلين، وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الإخبار عن الغيوب » — إلى قول المؤلف: « وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وإن اختلف الحال في ذلك »

وهذا الكلام الطويل الذي تبلغ سطور: ٤١ سطرًا مقحم هنا في غير موضعه، وقد سبق بنصه وفصه في ص ١٧ س ٩ إلى ص ١٩ س ١ من طبعة السلفية، وهو في طبعتنا هذه من ص ١٧ سطر ١ إلى ص ٢٠ س ٧ ! وهذا من أعجب العجب.

(٤) الزيادة من أ، ك

(٥) ب « بعضهم نظم »

(٦) الزيادة من أ، ب، م

(٧) س « في الرتبة »

(٨) س: « وقال »

(٩) م « فانصاف »

فإن الزائد عليها وإن تفاوت، فلا بد<sup>(١)</sup> من أن ينتهي إلى حدٍّ  
لا مزيد عليه .

والذي نقوله<sup>(٢)</sup> : أنه لا يمتنع أن يقال : إنه يقدر الله تعالى على أن  
يأتي بنظم<sup>(٣)</sup> أبلغ وأبدع<sup>(٤)</sup> من القرآن كله .

وأما قدر<sup>(٥)</sup> العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه ، مما تصح  
قدرتهم عليه .

(١) سقطت من م

(٢) س : « نقول »

(٣) م : « بنظم القرآن »

(٤) ا ، م : « وأبرع »

(٥) كذا في ا ، م . وفي س : « قدرة »

## فصل

﴿ في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأُمُور تتصل بالإعجاز ﴾

إن قال قائل : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب — وقد قال هذا في حديث مشهور ، وهو صادق في قوله — : فهلاً قلتم : إن القرآن من نظمه ، لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره ؟

قيل : قد علمنا أنه لم يتحدّهم إلى مثل قوله وفصاحته . والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء<sup>(١)</sup> ، كقدر ما بين شعر الشاعرين ، وكلام الخطيبين في الفصاحة ، وذلك مما<sup>(٢)</sup> لا يقع به الإعجاز .

وقد بينّا قبل هذا : أنا إذا وازنّا بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور ، وبين نظم القرآن — تبيّن من البوّن بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل و [ بين ]<sup>(٣)</sup> كلام الناس ، فلا<sup>(٤)</sup> معنى لقول من ادّعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم معجز ، وإن كان دون القرآن في الإعجاز .

فإن<sup>(٥)</sup> قيل : لولا أن كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل

( ١ ) كذا في س ، ك . وفي م : « والقدر الذي بين كلامه وكلامهم من الفصاحة كقدر »

( ٢ ) م : « وذلك ما لا يقع الإعجاز به »

( ٣ ) الزيادة من م

( ٤ ) س : « ولا »

( ٥ ) م : « فلو »



بين المَعُوذَتَيْن وبين غيرها من القرآن<sup>(١)</sup> ؟

وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت في أنه هل هو<sup>(٢)</sup> من القرآن أم لا ؟  
[ قيل : هذا من تخليط الملحدين ؛ لأن عندنا أن الصحابة لم يخفَ  
عليهم ما هو من القرآن<sup>(٣)</sup> ] .

ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره : وعدد السورِ عندهم  
محفوظ مضبوط .

وقد يجوز أن يكون شذَّ عن مصحفه ، لا لأنه نفاه من القرآن ،  
بل عوَّل على حفظ الكلِّ إيَّاه .

( ١ ) يزعم بعض الرواة عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي أنه قال : « كان  
عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول : إنهما ليستا من كتاب  
الله » !!! وقال السيوطي في الإتقان ١/١٣٧ : « وقال النووي في شرح المذهب :  
أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً  
كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح . وقال ابن حزم في كتاب  
القدح المعلق ، تتميم المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع . » وقد أبى ابن  
حجر إلا تصحيح تلك الرواية ، فقال في شرح البخارى : « فقول من قال إنه  
كذب عليه مردود ، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل  
الرواية صحيحة ، والتأويل محتمل . » ثم لم يستطع تأويلاً مقبولاً ، والله يغفر لنا وله .  
وانظر تأويل مشكل القرآن ص ٢٠ ، ٢١ ، ٣٣ - ٣٥

( ٢ ) م « هل بين من القرآن هذا من تخليط الملحدين »

( ٣ ) اشتبه ذلك على أبي فزاده في مصحفه على أنه قرآن ؛ لأنه - كما  
قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٣ - « رأى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يدعو به في الصلاة دعاء دائماً ، فظن أنه من القرآن ، وأقام على ظنه ،  
ومخالفة الصحابة جميعاً ، كما أقام على التطبيق . »

( ٤ ) الزيادة من ا ، ب

على أن الذي يروونه خبرٌ واحدٌ ، لا يُسكنُ إليه في مثل هذا ، ولا يعمل عليه .

ويجوز أن يكتبَ على ظهر مصحفه دُعَاءُ الْقُنُوتِ لثَلَاثِينَ سَاعَةً ، كما يكتب الواحد منا بعضَ الأدعية على ظهر مصحفه .

وهذا نحو ما يذكره الجهال : من اختلاف كثيرٍ بين مصحف ابن مسعود ، وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما .

ونحن لا ننكر أن يغلطَ في حروفٍ معدودة ، كما يغلطُ الحافظُ في حروفٍ وَيَنْسَى ، وما لا يجيزه <sup>(١)</sup> على الحُفَاطِ مما لم نجزه عليه .

ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادَّعَوْا ، لكانت الصحابة تناظره على ذلك ، وكان يظهر وينتشر ؛ فقد تناظروا في أقل من هذا ، وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل ، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ ! وقد <sup>(٢)</sup> علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف ، فكيف يُقدَحُ بمثل <sup>(٣)</sup> هذه الحكايات الشاذة المولدة <sup>(٤)</sup> في الإجماع المُتَقَرَّر ، والاتفاق المعروف ؟ !

ويجوز <sup>(٥)</sup> أن يكون الناقل اشتبه <sup>(٦)</sup> عليه ، لأنه خالف في النظم

(١) ك : « وما لا يجيزه » م « وما لا يجيزه الحُفَاطِ منا لم نجزه عليه »

(٢) م « لقد »

(٣) م « تقدح مثل »

(٤) م « الشاذة المؤلفة » . س « بالإجماع »

(٥) م « فيجوز »

(٦) كذا في أ ، م ، ك . وفي س « أشبه »

والترتيب ، فلم يثبتهما في آخر القرآن ، والاختلاف بينهم في موضع الإنبات غيرُ الكلام في الأصل ، ألا ترى أنهم قد اختلفوا في أول ما نزل من القرآن :

فمنهم من قال : قوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومنهم من قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومنهم من قال : فاتحة الكتاب <sup>(٣)</sup> .

واختلفوا أيضاً في آخر ما أنزل <sup>(٤)</sup> :

فقال ابن عباس : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقالت عائشة : سورة المائدة .

وقال البراء بن عازب <sup>(٦)</sup> : آخر ما أنزل سورة براءة .

( ١ ) سورة العلق ١ وهذا القول هو الصحيح ، وهو أول قول أورده السيوطي

في الإتيان ٣٩/١

( ٢ ) سورة المدثر ١ وهذا القول في الإتيان ٤٠/١

( ٣ ) انظره في الإتيان ٤٠/١

( ٤ ) راجع أقوال العلماء في ذلك في الإتيان ٤٤/١ - ٤٨

( ٥ ) سورة النصر ١

( ٦ ) هو أبو عمار البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن

مجدعة الأوسى الأنصاري ، استصغره الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر فردّه ،

ثم غزا معه خمس عشرة غزوة . وتوفي سنة اثنتين وسبعين ، وقيل : سنة إحدى

وسبعين . راجع تاريخ الإسلام ١٣٩/٣ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٩

المعارف ص ١٤٢

وقال سعيد بن جبير<sup>(١)</sup> : آخر ما أنزل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال السدي<sup>(٣)</sup> : آخر ما أنزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويجوز أن يكون في مثل هذا خلاف<sup>(٥)</sup> ، وأن يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع .

\*\*\*

ولو كان القرآن من كلامه ، لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئهما<sup>(٦)</sup> رجل واحد ، وكانوا يعارضونه ؛ لأننا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلى حد الإعجاز ، ولا يتفاوت التفاوت الكثير ، ولا

( ١ ) كتب سعيد بن جبير لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبي بردة وهو على القضاء وبيت المال . وخرج مع ابن الأشعث ، فلما انهزم أصحاب ابن الأشعث من دير الجماجم ، هرب سعيد إلى مكة ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكة ، فبعث به إلى الحجاج ، فأمر الحجاج فضربت عنقه سنة أربع وتسعين ، راجع المعارف ص ١٩٧

( ٢ ) سورة البقرة ٢٨١

( ٣ ) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ، مولى قريش حجازي الأصل ، رأى ابن عمر وابن عباس . وروى عن أنس بن مالك . توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، في إمارة ابن هبيرة على العراق . انظر الباب ٥٣٧/١ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٠

( ٤ ) سورة التوبة ١٢٩

( ٥ ) م : « اختلاف »

( ٦ ) س : « ينشئها »

يخفى كلامه<sup>(١)</sup> من جنس أوزان كلامهم ؛ وليس كذلك نظم القرآن ، لأنه خارج من جميع ذلك .

فإن قيل : لو كان على ما ادَّعَيْتُمْ ، لعرفنا بالضرورة أنه معجز<sup>(٢)</sup> دون غيره ؟

قيل : معرفة الفصل بين وزن الشعر [ أو غيره من أوزان الكلام لا يقع ضرورةً ، ويحتاج في معرفة ذوق الشعر ]<sup>(٣)</sup> ووزنه ، والفرق بينه وبين غيره من الأوزان يحتاج<sup>(٤)</sup> إلى نظر وتأمل ، وفكر وروية واكتساب ، وإن كان النظم المختلف الشديد التباين إذا وُجد أدرك اختلافه بالحاسة ، إلا أن كلَّ وزن وقبيل إذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه<sup>(٥)</sup> إلى الفكرة والتأمل<sup>(٦)</sup> .

فإن قيل : لو كان معجزاً لم يختلف أهل الملة<sup>(٧)</sup> في وجه إعجازه ؟  
قيل : قد يثبت الشيء دليلاً وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان ، كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث<sup>(٨)</sup> العالم من الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق .

( ١ ) س « كلام »

( ٢ ) م « لعرفنا أنه معجز ضرورة »

( ٣ ) الزيادة من ١ ، م

( ٤ ) س « تحتاج إلى »

( ٥ ) سقطت من م

( ٦ ) ١ « الفكر »

( ٧ ) م « الملل »

( ٨ ) م « حدث »

فأما المخالفون ، فإنه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلامُ الله ، لأنّ مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزاً ، لأنه إن خصّه بقدر من العلم لم تجرِ العادةُ بمثله ، أمكنه أن يأتي بما له هذه الرتبة ، وكان متعذراً على غيره ، لفقد علمه بكيفية النظم .

وليس القوم بماجزين عن الكلام ، ولا عن النظم والتأليف . والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا : فقد العلم بكيفية النظم ، وقد يتناقل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرّون عليه . والمفحّمُ قد يعلم كيفية الأوزان واختلافها ، وكيفية التركيب ، وهو لا يقدر على نظم الشعر .

وقد يعلم الشاعران<sup>(١)</sup> وجوه الفصاحة ، وإذا قالا الشعر جاء شعرُ أحدهما في الطبقة العالية ، وشعرُ الآخر في الطبقة الوضيعة .

وقد يطرّد<sup>(٢)</sup> في شعر المبتدى والمتأخر في الحذق القطعة الشريفة والبيت النادر : مما لا<sup>(٣)</sup> يتفق للشاعر المتقدم .

والعلمُ بهذا الشأن في التفصيل لا يغني ، ويحتاج معه إلى مادة من الطبع ، وتوفيقٍ من الأصل .

(١) م «الشاعرين» س «الشاعر»

(٢) كذا في أ ، م ، ك . وفي س «ترد»

(٣) م ، أ ، ك : «وما لا يتفق»

وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة، ثم يتفق لأحدهما من اللطف في الصنعة، ما لا يتفق للآخر<sup>(١)</sup>.

وكذلك أهل نظم الكلام — يتفاضلون، مع العلم بكيفية النظم؛ وكذلك أهل الرمي يتفاضلون في الإصابة، مع العلم بكيفية الإصابة. وإذا وجدت للشاعر بيتاً أو قطعة أحسن من شعر امرئ القيس، لم يدل<sup>(٢)</sup> ذلك على أنه أعلم بالنظم منه، لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد، وبحسب ذلك البيت في الشرف والحسن والبراعة، ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها، وإن<sup>(٣)</sup> كان كذلك، علم أن هذا لا يرجع إلى قدره<sup>(٤)</sup> من العلم، ولسنا نقول: إنه يستغنى عن العلم في النظم، بل يكفي علم به في الجملة، ثم يقف الأمر على القدرة.

وهذا يبين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرًا، فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئاً لتعذر، والعلم حاصل. وكذلك قد يحسن<sup>(٥)</sup> كيفية الخط، ويميز<sup>(٦)</sup> الجيد منه من الرديء، ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد.

(١) س: «في الآخر»

(٢) كذا في ك، م. وفي س «لا يدل»

(٣) م: «فلذا». س «وإن»

(٤) كذا في ك، ب. وفي ا، م «ما قدره». س «إلى قدرة»

(٥) سقطت هذه الكلمة من م

(٦) سقطت هذه الكلمة من: ك

وقد يعلم قوم كيفية إدارة<sup>(١)</sup> الأقلام ، وكيفية تصوير الخط ، ثم يتفاوتون في التفصيل<sup>(٢)</sup> ، ويختلفون في التصوير .

وألزمهم أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على إحداث الأجسام ، وإنما يتعذر وقوع ذلك منا بأننا<sup>(٣)</sup> لا نعلم الأسباب التي إذا عرفنا إيقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الأجسام .

وقد ذهب بعض المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريل ، فصار القرآن معجزاً لنزوله على هذا الوجه ، ومن قبله لم يكن معجزاً !! وهذا قول أبي هاشم<sup>(٤)</sup> ، وهو ظاهر الخطأ ، لأنه يوجب<sup>(٥)</sup> أن يكونوا قادرين على مثل القرآن ، وأنه لم [يكن]<sup>(٦)</sup> يتعذر عليهم فعل مثله ، وإنما تعذر بإنزاله ، ولو كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله .

وإن كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله ، فهو قولنا .

(١) سقطت هذه الكلمة من م

(٢) كذا في ك ، س . وفي م ، « يتقاربون في التشكيل » . وب « في التشكيل »

(٣) س « لأننا »

(٤) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي (٢٤٧ - ٣٢١) ، وكان يعتبر أن الواجب على المكلف هو الشك ؛ لأن النظر العقلي من غير سابقة شك تحصيل حاصل .

(٥) كذا في ا ، ب ، ك ، م . وفي س « يلزم »

(٦) س : « وإن لم يتعذر »



وأما قول كثير من المخالفين ، فهو على ما يتنا ، لأن معنى المعجز  
عندهم تعذرُ فعلٍ مثله ، وكان ذلك متعذراً قبل نزوله وبعده .

فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية ؟

فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه :

فمنهم من قال : ليس لذلك نهاية ، كالعدد ، فلا<sup>(١)</sup> يمكن أن يقال :  
إنه لا يتأتى قول قصيدة إلا وقد قيلت من قبل .

ومنهم من قال : إن ما جرت به العادة فله نهاية ، وما لم تجر به  
العادة فلا يمكن أن تُعلم<sup>(٢)</sup> نهاية الرتبة فيه .

وقد يتنا : أن على أصولنا قد تقرر لكلامنا [ ونظّمنا ]<sup>(٣)</sup> حدّ في  
العادة ، ولا سبيل إلى تجاوزه ، ولا يقدر [ عليه ]<sup>(٤)</sup> ، فإن القرآن خرق  
العادة فزاد عليها .

( ١ ) م : « ولا »

( ٢ ) س : « نعلم » . م « يعلم »

( ٣ ) م : « يقرر » . س « قد تقدر لكلامنا حد »

( ٤ ) س : « ولا يقدر فإن »

## فصل

إن قيل : هل من شرط المعجز أن<sup>(١)</sup> يعلم أنه آتى به من ظهر عليه ؟  
 قيل : لا بد من ذلك ، لأننا إن<sup>(٢)</sup> لم نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 هو الذى آتى بالقرآن ، وظهر ذلك من جهته — : لم يمكن أن نستدل  
 به على نبوته .

وعلى هذا لو تلقى رجلٌ منه سورةً ، فأتى بها بلدًا ، وادّعى  
 ظهورها عليه ، وأنها معجزة له — : لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا  
 ويتبينوا أنها ظهرت عليه .

وقد تحققنا<sup>(٣)</sup> أن القرآن آتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر  
 من جهته ، وجعله علمًا على نبوته ، وعلمنا ذلك ضرورةً ، فصار  
 حجةً علينا .

(١) م « وأنه »

(٢) سقطت من ك

(٣) كذا فى م ، ا ، ب ، ك . وفى س « حققنا »

## فصل

قد ذكرنا في الإبانة عن معجز القرآن وجيزاً من القول ، رجونا أن يكفي ، وأملنا أن يُقنع . والكلام في أوصافه — إن استُقصِيَ — بعيدُ الأطراف ، واسع الأكناف ؛ لعلو شأنه ، وشريف مكانه .  
والذي سطرناه في الكتاب ، وإن كان موجزاً ، وما أَمَلِينَاهُ فيه ، وإن كان خفيفاً — : فإنه يُنبِّه على الطَّريقة ، ويدلُّ على الوجه ، ويهْدِي <sup>(١)</sup> إلى الحجة .

ومتى عَظُمَ محلُّ الشَّيءِ فقد يكون الإسهابُ فيه عِيّاً ، والإكثارُ في وصفه تقصيراً .

وقد قال الحكيم ، [ وقد <sup>(٢)</sup> ] سئل عن البليغ : متى يكون عِيّاً ؟ فقال : متى وصف هَوًى أو حِييًّا .

وضلَّ أعرابي في سفر له ليلاً ، وطلع القمر فاهتدى به ، فقال : ما أقول لك ؟ أقول <sup>(٣)</sup> : رفعك الله ؟ وقد رفعك ، أم أقول : نورك الله ؟ وقد نورك ، أم أقول : جمَّلك الله ؟ وقد جمَّلَكَ !

ولولا أن العقول تختلف ، والأفهام تتباين ، والمعارف تتفاضل — لم نَحْتِجْ إلى ما تكلفنا ، ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ، ولو اتفقوا

(١) م : « ويهْدِيك »

(٢) الزيادة من م ، ك

(٣) سقطت من م

فيها لم يَحْزُ أَنْ يَتَفَقُوا فِي مَعْرِفَةِ هَذَا الْفَنِّ ، أَوْ يَجْتَمِعُوا فِي الْهَدَايَةِ إِلَى  
هَذَا الْعِلْمِ ؛ لِاتِّصَالِهِ بِأَسْبَابٍ [ خَفِيَّةٍ ] <sup>(١)</sup> ، وَتَعَلُّقِهِ بِعِلْمٍ غَامِضَةٍ الْغُورِ ،  
عَمِيقَةِ الْقَعْرِ ، كَثِيرَةِ الْمَذَاهِبِ ، قَلِيلَةِ الطُّلَّابِ ، ضَعِيفَةِ الْأَصْحَابِ .  
وَبِحَسَبِ تَأْتِي <sup>(٢)</sup> مَوَاقِعِهِ تَقَعُ الْأَفْهَامُ دُونَهُ ، وَعَلَى قَدَرِ لَطْفِ مَسَائِلِكُمْ  
يَكُونُ الْقَصُورُ عَنْهُ .

أَنشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِي ، قَالَ : أَنشَدَنِي الْمُتَنَبِّي ، لِنَفْسِهِ ،  
الْقِطْعَةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا      وَافْتَهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ <sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ      عَلَى قَدَرِ الْقَرَأَةِ وَالْعُلُومِ

وَأَنشَدَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَنشَدَنَا بَعْضُ مُشَائِخِنَا ،  
لِلْبُحْثِيِّ :

أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي سِنَةٍ      لَوْ أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا <sup>(٤)</sup>  
عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا      وَمَا عَلَى لَهْمٍ أَنَّ تَفْهَمَ الْبَقَرِ <sup>(٥)</sup>

فَإِذَا كَانَ تَقْدُّ الْكَلَامِ كُلِّهِ صَعْبًا ، وَتَمَيِّزُهُ شَدِيدًا ، وَالْوُقُوعُ عَلَى

( ١ ) الزيادة من م

( ٢ ) م : « تنامي »

( ٣ ) في ديوانه ٣٧٩/ ٢

( ٤ ) ديوانه ٦٧٣ « ذوى وسن في الجهل لو ضربوا »

( ٥ ) م : « من معادنها »

اختلاف فنونه<sup>(١)</sup> متعذرًا ؛ وهذا في كلام الآدميين<sup>(٢)</sup> — : فما ظنُّكَ  
بكلام ربِّ العالمين ؟ !

\* \* \*

قد أبتَّا لك أنَّ مَنْ قَدَّرَ أنَّ البلاغة في عشرة أوجه من الكلام ،  
لا يعرف من البلاغة إلا القليل<sup>(٣)</sup> ، ولا يفطن منها إلا لليسير .  
ومن زعم أنَّ البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم<sup>(٤)</sup> في  
الشعر ، فهو متطرّف .

بلى ، إن كانوا يقولون : إن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع  
وأصول اللطيف ، وإن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله مُلْحَقٌ بالأصل ،  
ومَرْدُودٌ على القاعدة — : فهذا قريب .

وقد بينا في نظم القرآن : أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ،  
والأسلوب يختصُّ بمعنى آخر من الشرف .

ثم الفَوَاتِحُ والخَوَاتِمُ ، والمَبَادِيُّ والمُنَانِي<sup>(٥)</sup> ، والطَّوَالِعُ والمَقَاطِعُ ،  
وَالْوَسَائِطُ والفَوَاصِلُ .

ثم الكلام في نَظْمِ السُّورِ والآيات ، ثم في تفاصيل التفاصيل ،

( ١ ) م : « نعوته »

( ٢ ) س ، ك « الآدمي »

( ٣ ) م : « إلا قليلا »

( ٤ ) م : « ما قلناه من قيل عنهم »

( ٥ ) م : « والمنادى والمباني »

ثم في الكثير والقليل <sup>(١)</sup> .

ثم الكلام الموشَّح والمرَّصَّع ، والمُفَصَّل والمُصَرَّع ، والمُجَنَّس والمُوشَّع <sup>(٢)</sup> ؛ والمُحَلَّى والمُكَلَّل ، والمُطَوَّق والمُتَوَّج ؛ والمَوْزُون والخارج عن الوزن ، والمعتدل في النظم والمتشابه فيه .

ثم الخروج من فصل إلى فصل ، ووصل <sup>(٣)</sup> إلى وصل ، ومعنى إلى معنى ، ومعنى في معنى ؛ والجمع بين المؤتلف والمُخْتَلِف ، والمتَّفِق والمتَّسِق .

وكثرة التصرُّف ، وسلامة <sup>(٤)</sup> القول في ذلك كله <sup>(٥)</sup> من التعسف ، وخروجه عن التعمق <sup>(٦)</sup> والتَّشْدُّق ، وبعده عن التَّعَمُّل والتَّكَلُّف ، والألفاظ المفردة ، والإبداع في الحروف والأدوات ، كالإبداع في المعاني والكلمات ، والبسط <sup>(٧)</sup> والقبض ، والبناء والنقض ، والاختصار <sup>(٨)</sup> والشرح ، والتشبيه <sup>(٩)</sup> والوصف .

(١) م : « والقريب »

(٢) كذا في ا ، ب ، م ، ك . وفي س « والموشى »

(٣) م : « ومن وصل »

(٤) م : « وسلاسة »

(٥) م : « كله وسلامته من » . وا « عن »

(٦) م : « العمق »

(٧) م : « والكلمات والاختصار والبسط »

(٨) م : « والاقتصار »

(٩) م : « والتشبيه والأمثال والرصف »

وتمييز الابتداء<sup>(١)</sup> من الاتباع ، كتمييز المطبوع عن المصنوع<sup>(٢)</sup> ،  
والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل .

\* \* \*

وأنت تبين<sup>(٣)</sup> في كل ما تصرف فيه من الأنواع أنه على سمتٍ  
شريف ، ومرقبٍ مُنيفٍ ، يهر إذا أخذ في النوع الربّي<sup>(٤)</sup> ، والأمر  
الشرعيّ ، والكلام الإلهيّ ، الدال على أنه يصدر عن عزّة الملّكوت ،  
وشرف الجبروت ، وما لا يبلغ الوهم مَواقِعَه : من حكمة<sup>(٥)</sup> وأحكام ،  
 واحتجاج وتقرير ، واستشهاد وتقرّيع ، وإعذار وإنذار ، وتبشير  
 وتحذير ، وتنبيه وتلويح ، وإشباع<sup>(٦)</sup> وتصريح ، وإشارة ودلالة ،  
 وتعليم أخلاق زَكِيَّة ، وأسباب رضىة ، وسياسات جامعة ، ومواعظ  
 نافعة ، وأوامر صَادِعة ، وقصص مفيدة ، وثناء على<sup>(٧)</sup> الله عز وجل بما  
 هو أهله ، وأوصاف كما يستحقه ، وتحميدٍ كما يستوجبه ، وأخبارٍ عن  
 كائنات في التأتّي صدقتْ ، وأحاديث عن المؤتَنفِ تحقّقتْ ، ونوَاهِ

(١) س : « وتميز الإبداع . . . كتمييز »

(٢) م : « عن المصبوغ »

(٣) م : « ترى » . ك « تبينه »

(٤) م ، ا « الديني » . وفي اللسان ٣٨٨/١ « والربّي : منسوب إلى الرب »

(٥) م : « من حكم »

(٦) م : « واتساع »

(٧) م : « عن »

زاجرةٍ عن القبائح والفواحش ، وإياحة الطيبات ، وتحريم المضارّ  
والخبائث ، وحثّ على الجميل والإحسان .

تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب ، مجلوةً عليك في منظر بهيج ،  
ونظم أنيق ، ومعرض رشيق ، غير مُعتاص<sup>(١)</sup> على الأسماع ، ولا مُتَلَوٍّ<sup>(٢)</sup>  
على الأفهام ، ولا مُستكرهٍ في اللفظ ، ولا مُستوحش<sup>(٣)</sup> في المنظر .  
غريب في الجنس غير غريب في القليل ، مُمتليء ماءً ونضارةً ، ولطفاً  
وغضارةً ، يَسْرِي في القلب كما يسرى السرورُ ؛ ويمرُّ إلى مواقعه كما  
يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ، ويزخر كما يزخر البحر . طموح  
العُباب ، جُوح على المُتناول المُتتاب ، كالرُوح في البدن ؛ والنور  
المُسْتَطِير في الأفق ، والغيث الشامل ، والضياء الباهر ﴿ لَا يَأْتِيهِ  
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

من تَوَهَّم أَنَّ الشعرَ يلحظ<sup>(٥)</sup> شأوه بأن ضلّاه ، ووضح<sup>(٦)</sup> جهله .  
إذ الشعر سَمْتُ قد تناولته الألسُن ، وتداولته القلوب ، واثالت عليه  
الهَوَاجِس ، وضربَ الشيطانُ فيه بسهمه ، وأخذ منه بحظه ، وما دونه  
مِنْ كلامهم فهو أدنى محلاً ، وأقرب مأخذاً ، وأسهل مطلباً ، ولذلك

(١) س : « متعاص »

(٢) كذا في ل ، م . وفي س « ولا مفلق »

(٣) س : « ولا متوحش »

(٤) سورة فصلت ٤٢

(٥) كذا في ل ، م . وفي س « يلحق »

(٦) س ، ك « وضح »



قالوا: فلان مُفَحِّمٌ، فأخرجوه مخرج العيب، كما قالوا: فلان عَيٌّ<sup>(١)</sup>، فأوردوه مورد النقص.

\* \* \*

والقرآن كتابٌ دل على صدق مُتَحَمِّلِهِ، ورسالةٌ دلت على صحّة قول المرسل بها، وبرهان شهد له برهان الأنبياء<sup>(٢)</sup> المتقدمين، وبينه على طريقة مَنْ سلف من الأولين<sup>(٣)</sup>. حيرهم<sup>(٤)</sup> فيه، إذ كان من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية، وبلغوا فيه الغاية؛ فعرفوا عجزهم، كما عرف قوم عيسى نقصانهم فيما قدرُوا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج، والوصول إلى أعلى مراتب الطب، فجاءهم بما يهرهم: من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؛ وكما أتى موسى بالعصا التي تلقفت ما دققوا<sup>(٥)</sup> فيه من سحرهم، وأتت على ما أجمعوا عليه من أمرهم، وكما سخر لسليمان الريح<sup>(٦)</sup> والطير والجن، حين كانوا يولعون به من فائق الصنعة، وبدائع اللطف<sup>(٧)</sup>. ثم كانت هذه المعجزة

(١) س: «عَيٌّ»

(٢) كذا في أ، ب، م. وفي ك، س «براهين الأولياء»

(٣) كذا في م، ب. وفي ك: «ما سلف إلى الأولين»

(٤) كذا في ك، م، أ. وفي س «تحداهم»

(٥) م: «التي تلقفت». س «تلقفت ما برعوا»

(٦) س، ل «لسليمان من الرياح»

(٧) ل، س «يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف»

مما يقف عليها<sup>(١)</sup> الأول والآخر وقوفاً واحداً ، ويبقى حكمها إلى يوم القيامة .

\* \* \*

انظر وفقك الله لما هديناك إليه ، وفكر في الذي دللناك عليه ؛ فالحق منهج واضح ، والدين ميزان راجح ؛ والجهل لا يزيد إلا عمى<sup>(٢)</sup> ، ولا يورث إلا ندمًا .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ<sup>(٣)</sup> 》 .

وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا<sup>(٤)</sup> 》 .

وقال : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا<sup>(٥)</sup> 》 .

وعلى حسب ما آتى من الفضل ، وأعطى من الكمال والعقل — تقع الهداية والتبيين ، فإن الأمور تتم<sup>(٦)</sup> بأسبابها ، وتحصل بآلتها ، ومن سلبه

( ١ ) س ، ك « عليه »

( ٢ ) س : « الإغما »

( ٣ ) سورة الزمر ٩

( ٤ ) سورة الشورى ٥٢

( ٥ ) سورة البقرة ٢٦

( ٦ ) م : « تستمر »

التوفيق ، وحرمة الإرشاد<sup>(١)</sup> والتسديد — ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ، لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا .

فأحمد الله على ما رزقك من الفهم إن فهمت<sup>(٢)</sup> ، ﴿وقل : رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ، [ إن أنت علمت<sup>(٣)</sup> ] ؛ ﴿وقل : رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ .

وإن ارتبت فيما يتناه فازدد في تعلم الصنعة ، وتقدم في المعرفة ؛ فسيقع بك على الطريق<sup>(٤)</sup> الأرشد ، وسيقف<sup>(٥)</sup> بك على الوجه الأحمد ؛ فإنك إذا فعلت ذلك أحطت علماً ، وتيقنت فهماً .

ولا<sup>(٦)</sup> يوسوس إليك الشيطان بأنه قد كان ممن<sup>(٧)</sup> هو أعلم منك بالعربية ، وأدرب<sup>(٨)</sup> منك في الفصاحة ؛ أقوام<sup>(٩)</sup> [ وأى ] أقوام ، ورجال [ وأى ]<sup>(٩)</sup> رجال ، فكذبوا وارتابوا ؛ لأن القوم لم يذهبوا عن الإعجاز ، ولكن اختلفت أحوالهم : فكانوا بين جاهل وجاحد ، وبين

(١) س : « وحرم الرشاد »

(٢) سقطت إن فهمت من م

(٣) الزيادة من ب

(٤) م : « السبيل »

(٥) س : « ويقف » . م « وستقف على الوجه الأحمد »

(٦) م : « فلا »

(٧) م : « من »

(٨) كذا في م . وفي س ، ك « وأرجح » . وفي ا ، ب « وأدهى »

(٩) الزيادة من م

كافر نعمة وحاسد<sup>(١)</sup> ؛ وبين ذاهبٍ عن طريق الاستدلال بالمعجزات ،  
وحائدٍ<sup>(٢)</sup> عن النظر في الدلالات ؛ وناقصٍ في باب البحث ، ومُختَلِّ<sup>(٣)</sup>  
الآلة<sup>(٤)</sup> في وجه الفحص ، ومستهينٍ بأمر الأديان ، وغاوٍ<sup>(٥)</sup> تحت  
حُبَالَةِ الشَّيْطَانِ ، ومقذوفٌ بخِذْلَانِ الرَّحْمَنِ . وأسبابُ الخِذْلَانِ  
والجهالة كثيرة ، ودرجات الحرمان مختلفة .

وهلّا جعلتَ يَازِءَ الكُفْرَةِ ، مِثْلَ لَيْدِ بْنِ رَيْبَعَةَ الْعَامِرِيِّ فِي حَسَنِ  
إِسْلَامِهِ ، وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ فِي صَدَقِ إِيْمَانِهِ ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ<sup>(٥)</sup> ،  
وغيرهم : من الشعراء والخطباء الذين أسلموا ؟

على أَنَّ الصَّدْرَ الْأَوَّلَ مَا فِيهِمْ إِلَّا نَجْمٌ زَاهِرٌ ، أَوْ بَحْرٌ<sup>(٦)</sup> زَاخِرٌ .  
وقد بينّا : أَنَّ لَا اعتصامَ إِلَّا بِهَدَايَةِ اللَّهِ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا تَوْفِيقَ إِلَّا بِنِعْمَةِ اللَّهِ .  
﴿ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

فتأمل ما عرّفناك في كتابنا ، وفرّغ له قلبك ، واجمع عليه<sup>(٨)</sup> لبك ؛

( ١ ) ك : « وحامد »

( ٢ ) س : « وحائر »

( ٣ ) م : « ومخيل الآلة »

( ٤ ) م : « وعار »

( ٥ ) م : « في سلامة أنبيائه »

( ٦ ) م : « وبحر »

( ٧ ) م : « الله تعالى »

( ٨ ) كذا في ا ، م . وفي ك ، ب ، س « له »

ثم اعتصم بالله يَهْدِكَ ، وتوكل عليه يُعِنِّكَ<sup>(١)</sup> وَيُجَرِّكَ ، واسترشد به  
يُرْشِدُكَ ؛ وهو حَسْبِي وحسْبُكَ ، ونِعَمَ الوكيل<sup>(٢)</sup> .

(١) كذا في م ، ب . وفي س ، ك « يغنك »

(٢) جاء في آخر م ، ا ، ك بعد ذلك ما يلي :

(١) في م : « تم كتاب الإعجاز ، والحمد لله على نعمه ، وصلى الله على  
سيدنا محمد وآله ، وسلم تسليماً كثيراً » . وبعد ذلك بخط مغاير : « هذا ما كتبه  
المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة ، وطالع فيه الحسن ابن المؤلف ، سنة تسع  
وتسعين بعد الثلاثمائة . . . »

(ب) في ا : « والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد خاتم  
النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . وكان الفراغ منه في غرة ذى الحجة سنة  
ثلاث وعشرين وأربعمائة . نسخته من أصل الفقيه الإمام أبي الحجاج يوسف بن  
عبد العزيز اللخمي ، الذي عليه خط شيخه عمدة أهل الحق ، أبي عبد الله  
التميمي ، وأخبرني أنه نسخها من نسخة صحيحة ، عليها مكتوب : فرغ من  
نسخها في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربع مائة . وقال لي : توفي القاضي  
المؤلف ، رحمه الله ، سنة أربع وأربع مائة . وعارضت نسختي هذه بالأصل ،  
وقرأتها عليه وهو يمسك أصله ، والحمد لله رب العالمين »

(ج) وجاء في ك : « تم كتاب الإعجاز في القرآن العظيم . وكان الفراغ  
من نسخه سلخ الشهر المعظم ، رجب سنة ثمانية عشر وستمائة . علقه الشريف  
حسن ، ابن الشريف محمد ، ابن الشريف علي ، ابن الشريف حسين  
الحسيني ، السمرقندي ، الناسخ . وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً » .

## مفاتيح الكتاب

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - » الأحاديث
- ٣ - » الشعر
- ٤ - » الأعلام
- ٥ - » الكتب الواردة في كتاب الإعجاز
- ٦ - » المراجع
- ٧ - » الموضوعات

مجلسه اول: ۱۳۹۸/۰۱/۰۱

مجلسه دوم: ۱۳۹۸/۰۱/۰۸

مجلسه سوم: ۱۳۹۸/۰۱/۱۵

مجلسه چهارم: ۱۳۹۸/۰۱/۲۲

مجلسه پنجم: ۱۳۹۸/۰۱/۲۹

مجلسه ششم: ۱۳۹۸/۰۲/۰۵

مجلسه هفتم: ۱۳۹۸/۰۲/۱۲

مجلسه هشتم: ۱۳۹۸/۰۲/۱۹

مجلسه نهم: ۱۳۹۸/۰۲/۲۶

مجلسه دهم: ۱۳۹۸/۰۳/۰۵

مجلسه یازدهم: ۱۳۹۸/۰۳/۱۲

مجلسه دوازدهم: ۱۳۹۸/۰۳/۱۹

مجلسه سیزدهم: ۱۳۹۸/۰۳/۲۶

مجلسه چهاردهم: ۱۳۹۸/۰۴/۰۲

مجلسه پانزدهم: ۱۳۹۸/۰۴/۰۹

مجلسه شانزدهم: ۱۳۹۸/۰۴/۱۶

مجلسه هجدهم: ۱۳۹۸/۰۴/۲۳

# المفهرست هـ

غفر الله له ولوالديه

## ١ - فهرس الآيات

| رقم الصفحة   | اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة    | اسم السورة، ورقم الآية                 |
|--------------|------------------------|---------------|----------------------------------------|
| ٤٠٥          | ١٧٨                    | ٣٢            | ٢ - سورة البقرة                        |
|              | ٤ - سورة النساء        | ١١٧           | ١٦                                     |
| ٣١٤، ٢٦١، ٥٣ | ٨٢                     | ٢٢            | ٢٤ - ٢٣                                |
| ٤٦٠          | ٩٨ (اقتباس)            | ٤٥٩، ٣١١      | ٢٦                                     |
|              | ٥ - سورة المائدة       | ٣٧٣           | ٦٥                                     |
| ٣٠٥          | ٤                      | ٣٩٠           | ٨٥                                     |
| ١٥٢          | ٣٨                     | ٧٣            | ٩٥ - ٩٤                                |
| ١٥٢، ١٤٠     | ٣٩                     | ١١٧           | ١٣٨                                    |
|              | ٦ - سورة الأنعام       | ٤١٥ هـ        | ١٦٥ وصوابها :<br>(ولو يرى الذين ظلموا) |
| ٤-٣          | ٧                      | ١٢١           | ١٧٥                                    |
| ١٢٧          | ٢٦                     | ٣٩٧، ١٢٢، ١٠٢ | ١٧٩                                    |
| ٤١٥ هـ       | ٢٧                     | ٣٩٨ هـ        |                                        |
| ٤٢٧          | ٢٨                     | ٤١٠           | ١٩٤                                    |
| ١٢٧          | ٨٢                     | ٤٠٤           | ٢١٤                                    |
| ٢٨٥          | ٩٦                     | ١٤٣ - ١٤٢     | ٢٥٧                                    |
| ٥١           | ١٠٥                    | ١٩٩           | ٢٧٩ (اقتباس)                           |
|              | ٧ - سورة الأعراف       | ٤٤٥           | ٢٨١                                    |
| ٤١٥          | ٤٠                     |               | ٣ - سورة آل عمران                      |
| ٣٧٢          | ١٢٦ - ١٢٥              | ٤٩            | ١٢                                     |
| ٤٠٦          | ١٤٩                    | ٩٢            | ٤٩ - ٤٨                                |
| ٤٠٣          | ١٥٤                    | ٤١١           | ٥٤                                     |
| ٣٠٦          | ١٥٧                    | ٧٣            | ٦٠                                     |
| ٣٩٩          | ١٧١                    | ٤١٨           | ١٣٨                                    |

(٣٠)



| اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة  | اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة    |
|------------------------|-------------|------------------------|---------------|
| ١٢ - سورة يوسف         | ١٥٢         | ١٧٥                    | ١٠٢           |
| ٨٠                     | ٤٠١، ١٥٢    | ١٧٦                    | ٣٩٧           |
| ٨٢                     | ١٤٥         | ٢٠١ - ٢٠٢              | ١٢٧           |
| ٨٤                     |             |                        |               |
| ١٣ - سورة الرعد        |             | ٨ - سورة الأنفال       |               |
| ٣١                     | ٤٠٤، ٧٢، ٥٠ | ٧                      | ٣٩٧، ٢٨١، ١٣٧ |
|                        | ٥٥          | ٢١                     |               |
|                        | ٦٥، ٢٩، ٢٦  | ٣١                     |               |
| ١٤ - سورة إبراهيم      |             | ٩ - سورة التوبة        |               |
| ٢ - ١                  | ٣٩، ١٢      | ٦                      |               |
| ١٨                     | ٧٨          | ١٤                     |               |
| ٢٠ - ١٩                | ٧٣          | ٢٣                     |               |
|                        | ٩٢ - ٩١     | ٢٤                     |               |
| ١٥ - سورة الحجر        | ٤٨          | ٣٣                     |               |
| ٦                      | ١٩٩         | ٣٦ (اقتباس)            |               |
| ٩                      | ٧٣          | ٨٣                     |               |
| ١٥                     | ٤١١         | ١٢٧                    |               |
| ٨٨                     |             |                        |               |
| ٩١                     | ٤٤٥         | ١٢٩                    |               |
| ٩٤                     |             |                        |               |
| ١٦ - سورة النحل        |             | ١٠ - سورة يونس         |               |
| ٢                      | ١٥٢         | ٢٢                     |               |
| ٤                      | ٣٩٧         | ٢٣                     |               |
| ٢٦                     | ٤٠٥، ٤٠٠    | ٢٤                     |               |
| ٢٧                     |             |                        |               |
| ٤٨ - ٤٩                |             |                        |               |
| ٥٣                     |             | ١١ - سورة هود          |               |
| ٥٤                     | ٢٣          | ١٣ - ١٤                |               |
| ٨٩                     | ٧٥          | ٤٩                     |               |

| رقم الصفحة  | اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة      | اسم السورة، ورقم الآية |
|-------------|------------------------|-----------------|------------------------|
| ٤٠٣         | ١٢                     | ٣٠٩             | ٩٨                     |
| ٤٠٥         | ١٥                     |                 |                        |
| ٤٢٨         | ٢١                     |                 | ١٧ - سورة الإسراء      |
| ٣٠٦         | ٢٢ - ٢٣                | ٣٢١             | ٨ - ٧                  |
| ١٣٢         | ٣٧                     | ٤٠٣             | ١١                     |
|             |                        | ٩١              | ١٦                     |
|             | ٢٢ - سورة الحج         | ١٤٠             | ٢١                     |
| ٣٧٢         | ١ - ٢                  | ١٠١             | ٢٤                     |
| ٣٣٠         | ٣١                     | ٤٠٥             | ٢٩                     |
| ٤٦٠         | ٣١ (اقتباس)            |                 |                        |
| ١٠١         | ٥٥                     | ٣٩٠             | ٨٢                     |
| ١٤٩، ١٢٢    | ٦١                     | ٢٨١، ٥٧، ٣١، ٢٣ | ٨٨                     |
|             |                        | ٣٨٧، ٣٨١        |                        |
|             | ٢٣ - سورة المؤمنون     |                 | ١٨ - سورة الكهف        |
| ٧٧          | ٣٦                     | ٤٠٦             | ١١                     |
| ٤٢٨         | ٩١                     | ٣٧١             | ١٨                     |
| ٤٦٠         | ٩٧ - ٩٨ (اقتباس)       | ٣٧٢             | ٤٧                     |
|             | ٢٤ - سورة النور        |                 |                        |
| ١٠١         | ٣٥                     |                 | ١٩ - سورة مريم         |
| ٤١١         | ٣٧                     | ١٠١، ٩٢         | ٤                      |
| ٣٩٩         | ٣٩                     | ٢٩              | ٩٧                     |
| ٧٣          | ٥٥                     |                 |                        |
|             | ٢٥ - سورة الفرقان      |                 | ٢٠ - سورة طه           |
| ٣٠٧، ١٩     | ٢ - ١                  | ٢٨٨ - ٢٨٧       | ١٠                     |
| ٢٩          | ٤                      | ٤٦٠             | ١١٤                    |
| ٣٠ - ٢٩، ٥٥ | ٥                      |                 | ٢١ - سورة الأنبياء     |
| ٣٠          | ٨                      | ٢٩              | ٣                      |
| ١١٩         | ١٢                     | ٥٥              | ٥                      |

| اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة   | اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة |
|------------------------|--------------|------------------------|------------|
| ٢٣                     | ٤٠٢          | ٢٩                     | ٢٩         |
| ٢٦ — سورة الشعراء      |              | ٧٤                     | ٧٤         |
| ٥١                     | ٣٧٢          | ٢٩٥                    | ٧٧، ٦٨، ٥٨ |
| ٥٢                     | ٣٧٢ ، ٢٩٧    | ٢٩٦                    | ٨٨، ٨١     |
| ٥٧ — ٦٠                | ٢٩٨ — ٢٩٧    | ٢٩ — سورة العنكبوت     |            |
| ٦٣                     | ٣٧٣ ، ٢٩٨    | ١٥٢                    | ٢٤، ١٧، ١٦ |
| ١٩٤ — ١٩٢              | ٢٩٨ ، ١٢     | ٤٠٢ — ٤٠١              | ٤١         |
| ١٩٥                    | ٢٢٧، ٤٥، ١٢  | ٧٤، ٥١                 | ٤٨         |
|                        | ٤١٨، ٣١٤     | ١٨                     | ٥١ — ٥٠    |
| ٢١٥ — ٢١٤              | ٢٩٨          | ٣٠ — سورة الروم        |            |
| ٢٢٤                    | ٣٤٥، ٧٦      | ٧٢                     | ٤ — ١      |
| ٢٢٥                    | ٤٠٥، ٣٤٥، ٧٦ | ١٢٢                    | ١٩         |
| ٢٢٦                    | ٣٤٥          | ١٢٧                    | ٤٢         |
| ٢٢٧                    | ٢٩٨          |                        |            |
| ٢٧ — سورة النمل        |              | ٣١ — سورة لقمان        |            |
| ٥                      | ٢٩٥          | ١٤٤                    | ٣٤         |
| ٦                      | ٢٨٧          |                        |            |
| ٨                      | ٢٨٨، ٢٨٧     | ٣٢ — سورة السجدة       |            |
| ٣٢ — ٣١                | ٢٩١          | ٤٠٦                    | ٢١         |
| ٣٤                     | ٢٩٣، ٢٩١     |                        |            |
| ٤٤                     | ١٢٧          | ٣٣ — سورة الأحزاب      |            |
| ٩١                     | ١٠٢          | ٤٠٥                    | ٤٦         |
| ٢٨ — سورة القصص        |              | ٣٤ — سورة سبأ          |            |
| ٤                      | ٢٩٤، ١٥٦     | ٧٧                     | ١٣         |
| ٨ — ٥                  | ١٥٦          | ٤١٥                    | ٢٤         |
| ٢٩                     | ٢٨٨          | ٥٥                     | ٤٣         |

| رقم الصفحة    | اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة       | اسم السورة، ورقم الآية |
|---------------|------------------------|------------------|------------------------|
|               | ٤٠ - سورة غافر         |                  | ٣٥ - سورة فاطر         |
| ٢٩٩، ١٢       | ٣ - ١                  | ٧٨               | ١٨                     |
| ١٢            | ٤                      | ٣٩٧              | ٤٣                     |
| ٣٠٠، ١٣       | ٦ - ٥                  | ٤٣٨              | ٤٥                     |
| ٣٠٢، ٣٠١، ١٣  | ٧                      |                  |                        |
| ٣٠٢، ١٣       | ١٣                     |                  | ٣٦ - سورة يس           |
| ٣٠٣           | ١٤                     | ٤٠٤، ٢٨٦، ١٠١    | ٣٧                     |
| ٣٠٣، ١٣       | ١٥                     | ٢٨٦              | ٣٩ - ٣٨                |
| ٣٠٣، ١٠٢      | ١٦                     | ٧٦               | ٦٩                     |
| ٣٠٣           | ١٧                     | ٣٧٢              | ٨٢                     |
| ٣٠٤           | ٢٠ - ١٨                |                  |                        |
| ١٤            | ٣٥، ٢١                 |                  | ٣٧ - سورة الصافات      |
| ٣٠٦           | ٦٥                     | ٣٠٧              | ١٠ - ١                 |
| ١٥            | ٨٥، ٧٨، ٧٠، ٦٩         | ٢٩، ٥٥           | ٣٦                     |
|               |                        | ١١٢              | ٤٩                     |
|               | ٤١ - سورة فصلت         |                  |                        |
| ٣٩، ١٥        | ٢ - ١                  |                  | ٣٨ - سورة ص            |
| ٣٩، ١٥، ٩     | ٣                      | ٥٤١٥             | ١                      |
| ٣٩، ١٦، ١٥    | ٤                      | ٢٦               | ٧                      |
| ١٦            | ١٣، ٨، ٦               |                  |                        |
| ١٧            | ٤١، ٣٦، ٣٠، ٢٦، ١٩     |                  | ٣٩ - سورة الزمر        |
| ٤٢٨، ١٧       | ٤٠                     | ٣٠٧              | ٨                      |
| ٤٥٧، ٣٧٠، ٢٨١ | ٤٢                     | ٤٥٩              | ٩                      |
| ٢٨٢           | ٤٢ (اقتباس)            | ١٣٢              | ١٥ - ١٤                |
| ١٨            | ٥٢، ٤٤                 | ٣١٤، ٣١١، ٥٣، ٣٢ | ٢٣                     |
| ٤٠٤           | ٥١                     | ٣١٤              | ٢٨                     |
|               |                        | ٢١٩              | ٣٣                     |
|               | ٤٢ - سورة الشورى       | ٤٢٧              | ٥٦                     |
| ١٩            | ٢٤                     | ٤١٤              | ٦٢                     |
| ٤٢٨           | ٤٥ - ٤٤                |                  |                        |

| اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة | اسم السورة، ورقم الآية | رقم الصفحة  |
|------------------------|------------|------------------------|-------------|
| ٥٢                     | ٤٥٩، ٢٨٤   | ٥١ - سورة الذاريات     | ٧٩          |
| ٥٣                     | ٢٨٥        | ٣ - ١                  |             |
| ٤٣ - سورة الزخرف       |            | ٥٢ - سورة الطور        |             |
| ٣                      | ٩          | ٢ - ١                  | ١٤٥         |
| ٤                      | ١٠١        | ٣٣                     | ٢٤          |
| ٥                      | ٤٢٧        | ٣٤                     | ٢٨٨، ٩٤، ٢٤ |
| ١٣                     | ٥٧٩        | ٥٢                     | ٣٨٦         |
| ٣٩                     | ٤٢٧        | ٥٤ - سورة القمر        |             |
| ٤٤                     | ١١٧، ٣٢    | ١٩ - ٢٠                | ٤٠٠         |
| ٥٨                     | ٢٩         | ٤٥                     | ٧٢          |
| ٦٧                     | ٤٢٧        | ٥٥ - سورة الرحمن       |             |
| ٧١                     | ٤٢٨        | ٤ - ١                  | ٤١٦         |
| ٤٦ - سورة الأحقاف      |            | ١٤                     | ٤٠٢         |
| ٢٩                     | ٦١         | ٢٤                     | ٤٠٢، ١١٢    |
| ٤٧ - سورة محمد         |            | ٣٧                     | ٤٠٠         |
| ٤                      | ٤٠٤        | ٥٧ - سورة الحديد       |             |
| ٢١                     | ٣٩٧        | ٢٠ - ٢١                | ٤٠١         |
| ٤٨ - سورة الفتح        |            | ٥٩ - سورة الحشر        |             |
| ٤٥، ١٦                 | ٧٢         | ٢١                     | ٢٨١         |
| ٤٩ - سورة الحجرات      |            | ٦٢ - سورة الجمعة       |             |
| ١٣                     | ٢٠١        | ٤ (أقتباس)             | ٤٦١         |
| ٥٠ - سورة ق            |            | ٥                      | ٤٠١         |
| ٣٠                     | ١١٨        |                        |             |

| رقم الصفحة | اسم السورة، ورقم الآية    |
|------------|---------------------------|
| ١٤٥        | ٧٩ - سورة النازعات ٤ - ٣  |
| ٤٠٤        | ٨١ - سورة التكوير ١٨      |
| ١٣٤        | ٨٥ - سورة البروج ٣ - ١    |
| ١٦٠        | ٩٤ - سورة الشرح ٦ - ٥     |
| ٤٤٤        | ٩٦ - سورة العلق ١         |
| ٧٩         | ١٠٠ - سورة العاديات ٢ - ١ |
| ١٤٥        | ١٠٧ - سورة الماعون ٨ - ٧  |
| ٧٩         | ١٠٧ - سورة الماعون ١٤     |
| ١٦٠        | ١٠٩ - سورة الكافرون ١     |
| ٤٤٤        | ١١٠ - سورة النصر ١        |
| ٨١ هـ      | ١١١ - سورة المسد ١        |

| رقم الصفحة | اسم السورة، ورقم الآية      |
|------------|-----------------------------|
| ٣٩٧        | ٦٣ - سورة المنافقون ٤       |
| ٧٨         | ٦٥ - سورة الطلاق ٣ - ٢      |
| ٣٠٧        | ٦٧ - سورة الملك ١           |
| ١١٩        | ٨                           |
| ٤٢٨        | ١٣ - ١٤                     |
| ١٤٥        | ٦٨ - سورة القلم ٣ - ٢       |
| ٤٠١        | ٦٩ - سورة الحاقة ٧          |
| ٤٠٣        | ١١                          |
| ٧٦         | ٤١                          |
| ٢٨٢        | ٧٢ - سورة الجن ٢ ( اقتباس ) |
| ٤٤٤        | ٧٤ - سورة المدثر ١          |
| ٢٥٨، ١٢١   | ٤                           |
| ٤٣         | ١٨ - ٢٥                     |
| ٧٨         | ٧٦ - سورة الإنسان ١٤        |

## ٢ - فهرس الأحاديث

| رقم الصفحة | الحديث                                                                                                                                                 |
|------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٨٨، ٨٧     | « أَسْجَاعَةٌ كَسْجَاعَةِ الْكُهَانِ »                                                                                                                 |
| ١٢٧        | « أَسْلَمُ سَالِمَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةٌ عُصَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتُجِيبُ أُجَابَتِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ »    |
| ٤٤١        | « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ » (إشارة)                                                                                                                   |
| ١٢٣        | « لَكُمْ تَكْرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ »                                                                                   |
| ١٠٣        | « إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ ، مَا يَقْتُلُ حَبِطًا أَوْ يَلِمُ »                                                                                |
|            | * * *                                                                                                                                                  |
|            | قوله صلى الله عليه وسلم - حين سُئِلَ عن المخرج من                                                                                                      |
|            | افتتان أمته من بعد وفاته :                                                                                                                             |
| ٢٨٢        | « بَكَّتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ؛ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . . . . » |
|            | * * *                                                                                                                                                  |
| ١٠٢        | « خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ : مَمْسُوكٌ بِفَرْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَلِمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا . »                                      |
|            | * * *                                                                                                                                                  |
| ١٠٢        | « رَبَّنَا : تَقْبِلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي . »                                                                                              |
|            | * * *                                                                                                                                                  |
| ١٢٧        | « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »                                                                                                            |
|            | * * *                                                                                                                                                  |
| ١٠٣        | « غَلَبَ عَلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ؛ وَهِيَ حَالِقَةُ الدِّينِ ، لَا حَالِقَةُ الشَّعْرِ »                       |
| ١٠٤        | « غَيَّرُوا الشَّيْبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ »                                                                                               |
|            | * * *                                                                                                                                                  |
| ٣٧٥        | « فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ ، كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ »                                                                  |

\* \* \*

١٢٧ « لا يكون ذو الوجهين وجيهاً عند الله »

\* \* \*

١٠٣ « الناس كإبل مائة : لا تجدُ فيها راحلةً . »

\* \* \*

١١٥ « نصرتُ بالرعب ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ؛ وليدخُلنُ  
هذا الدين على ما دخل عليه الليلُ »

\* \* \*

١٠٣ « وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم ، إلا حصادُ  
ألسنتهم »



### ٣ - فهرس الشعر

#### ١ - الأبيات

( ب )

|          |            |                             |                        |
|----------|------------|-----------------------------|------------------------|
| ٣٣١      | أبو نواس   | ... في الضمير وأعربا        | أعاذل أعتبتُ الإمام    |
| ١٥٤      | الأعشى     | ... وأبَّ ليذهبا            | صرمتُ ولم أصرمكمُ      |
| ١٥٥      | الخطيئة    | ... فوفقه الكَرَبَا         | قومٌ إذا عقَدوا        |
|          |            | * * *                       |                        |
| ٣٥٩      | جرير       | ... كلهمُ غضابَا            | إذا غضبتُ عليك         |
| ٣٦٠، ١٦٦ | أبو تمام   | ... عَوْدَا رَكوبَا         | فضربتُ الشتاء          |
|          |            | * * *                       |                        |
| ٥١٥٤     | المبرد     | ... في مفترى الكذبِ         | إن النومَ أَعْطَى      |
| ١٦٥      | أبو تمام   | ... نُضْجِ التينِ والعنبِ   | تسعون ألفاً            |
| ٣٢٩      | أمرؤ القيس | ... مشرق ومغرب              | راحتُ مشرقة            |
| ٣٢٥      | الأعشى     | ... في مدخل طيب             | فأدخلك الله            |
| ٣٢٨      | أمرؤ القيس | ... أعجاز نجم مغرب          | فأصبحتُ من ليلي الغداة |
| ١٣٦      | أمرؤ القيس | ... أو النخري أو ابن الملوح | فأصبحنا يوماً          |
|          |            | ... نحسه متغيَّب            |                        |
|          |            | ... طرفه أو أمرؤ القيس      |                        |

|           |                                |     |                        |
|-----------|--------------------------------|-----|------------------------|
| ...       | لم يُثَقِّبِ                   | ... | كأن عيونَ الوحش        |
| ١٣٩ ١٠٩   | امرؤ القيس أو علقمة الفحل      | ... | وتراهُ في ظُلَمِ الوغى |
| ...       | الرجال بكوكبٍ                  | ... | وسامعتان يُعرفُ        |
| ٣٦٥       | غير منسوب                      | ... | وعينان كالماويتين      |
| ...       | وسطَ ربرَبٍ                    | ... |                        |
| ١١١       | امرؤ القيس أو علقمة            | ... |                        |
| ...       | الصفيح المنصب                  | ... |                        |
| ١١١، ٥١١٠ | امرؤ القيس                     | ... |                        |
| * * *     |                                |     |                        |
| ...       | بطيء الكواكب                   | ... | كلينى لهم يا أميمة     |
| ٢٧٥       | النابعة الذبياني               | ... | وصلر أراح الليلُ       |
| ...       | من كل جانب                     | ... | ولا عيبَ فيهمُ         |
| ١١٣       | النابعة الذبياني               | ... | ولا يحسبون الخيرَ      |
| ...       | من قراع الكتائب                | ... |                        |
| ١٦١       | النابعة الذبياني               | ... | يقدر السلوق            |
| ...       | ضربة لازب                      | ... |                        |
| ١٢٥       | النابعة الذبياني               | ... | يمدون من أيدٍ          |
| ...       | نارَ الحُبَّاحب                | ... |                        |
| ١٧٣، ١١٨  | النابعة الذبياني               | ... |                        |
| ...       | قواضٍ قواضب                    | ... |                        |
| ١٣١       | أبو تمام                       | ... |                        |
| * * *     |                                |     |                        |
| ...       | الغنيمة كالركاب                | ... | أجعلُ دارِماً          |
| ٥١٣٧      | الفرزدق                        | ... | إن يقتلوك فقد ثلثتَ    |
| ...       | الحارث بن شهاب                 | ... | عصافيرٌ وذبانُ         |
| ٣١٧       | أبو دواد الأسدى أو ربيعة الأشر | ... | فخيةٌ من يخيبُ         |
| ...       | مُجَلِّحة الذئاب               | ... |                        |
| ٣٢٣       | امرؤ القيس                     | ... |                        |
| ...       | أعصر والرباب                   | ... |                        |
| ١٣٦       | زيد الخيل                      | ... |                        |

|                    |                        |      |
|--------------------|------------------------|------|
| فقد طوفتُ في       | ... من الغنيمة بالإياب | ٣٢٣  |
| وأدى الغنمُ        | ... أسرى كلاب          | ٥١٣٦ |
| نزع الوشاة لنا     | ... من يُرى به         | ١٥٩  |
| فأنت كالدهر        | ... ولا هرب            | ١١٦  |
| لها منظرٌ قيدُ     | ... خفارتها الحب       | ١٠٧  |
| ولو أنهم ركبوا     | ... بأسك مهرب          | ١١٦  |
| فعاجوا فأثنوا      | ... عليك الحقائق       | ١١٧  |
| حليم إذا ما الحلم  | ... في عين العدو مهيب  | ١٦١  |
| دع الأطلال تشفيها  | ... جدتها الخطوب       | ٤٢٤  |
| للحرب والضرب أقوام | ... كتاب وحساب         | ١٩١  |
| كان مثار النقع     | ... تهاوى كواكبه       | ١١٠  |

إذا ما عقدنا له ... وعقدَ الكَرْبُ  
 ١١٥ أبو دُوَادَ \* \* \*

(ت)  
 فلو أن قومي ... الرماحَ أَجَرَّتْ  
 ١٢٠ عمرو بن معد يكرب \* \* \*

رُبَّ أخ ... بَعْرًا مُصِيبته  
 ٨٤ غير منسوب \* \* \*

(ج)  
 ولي فرسٌ للحلم ... بالجهل مُسَرَّجُ  
 ١٤٣ محمد بن وَهَيْب الحميري \* \* \*

(ح)  
 مرفوعُها زَوَّلَ ... وَسَطَ رِيحِ  
 ١٣٦ طرفة بن العبد \* \* \*

وقالوا : حمامات ... والمطى طُلُوحُ  
 ١٢٩ أبو حية النميري \* \* \*

ولما قضينا من مَنَى ... مَنْ هُوَ مَاسِحُ  
 ٣٣٨ كثير عزة أو المضرب \* \* \*

فلراهبٍ أن لا ... يريثَ نِجَاحه  
 ١٤٦ ابن الرومي \* \* \*

(د)

|          |                                      |                            |               |
|----------|--------------------------------------|----------------------------|---------------|
|          | إذا ما الثريا                        | ... سلكه فتبدّأ            |               |
| ٢٦٥      | وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ ... | ماءٌ لِأَوْرَدَا           | ابن الطّرية   |
| ٣٥١      | وَلِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي ...        | بَنِيْتُ لَهْمٍ مَجْدَا    | المتنبى       |
| ١٤٢      | وقصيدة قد بت أجمعُ                   | مِيلَهَا وَسَنَادَهَا      | المقنع الكندى |
| ١٨٦      | ألا لا يمد الدهرُ                    | فَتَقَطَّعَ مِنْ الزَّيْدِ | عدي بن الرقاع |
| ١٦١      | بكل تداوينا                          | خَيْرٌ مِنْ الْبَعْدِ      | أبو تمام      |
| ١٥٣      | سرت تسجيرُ الدمعِ                    | عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدِ   | ابن الدمينية  |
| ١٦٤      | كريمٌ متى أمدّحه                     | لَمْتَهُ وَحْدَى           | أبو تمام      |
| ٣٤٥      | لعمري لقد حررتُ                      | وَحْدَهُ لَمْ يَبْرِدِ     | أبو تمام      |
| ١٦٤      | وأنا الشجاعُ وقد بدّأ                | وَالْمَشْرِفِيَّةُ شُهْدَى | أبو تمام      |
| ٤٢١      | وأنجدتم من بعد                       | سَاكِنِي نَجْدِ            | المتنبى       |
| ١٥١      | وترى الثريا                          | يَلْحَنَ بَعْدَ قَدِ       | أبو تمام      |
| ٢٦٤      | وسامعتان يعرفُ                       | بَحْوَمَلٍ مُفْرَدِ        | ابن المعتز    |
| ١١١، ١١٠ | وعينان كالماويتين                    | قَلَّتِ مَوْرَدِ           | طرفة          |
| ١١١      |                                      | طرفة                       |               |

|     |                   |                                                                 |                                 |
|-----|-------------------|-----------------------------------------------------------------|---------------------------------|
| ٨٢  | طرفة              | ... أَسَى وَتَجَلَد                                             | وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي          |
| ١٧٤ | البحترى           | ... نِظَامٌ فُرِيدُ<br>* * *                                    | فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ   |
| ١١٨ | النمر بن قُتُوب   | ... أَثَرُهُ بَادِي<br>* * *                                    | أَبْقَى الْخَوَادِثُ            |
| ١٠٧ | الأسود بن يَعْفَر | ... وَالرَّهَانُ جَوَادُ<br>النَّصِيحَةِ وَالْوَدَادُ           | بِمُقْلَصٍ عَتَدِ               |
| ١٦١ | أبو تمام          | ... مِنْ رُقَادٍ                                                | كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا |
| ٣٦٠ | المتنبى           | ... بِالْمُودَةِ قَاصِدُ<br>* * *                               | أَصْدُ بِأَيْدَى الْعَيْسِ      |
| ١٤١ | غير منسوب         | ... بِحَرٍّ مُزِيدُ                                             | رَيَّانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي    |
| ٣٦٢ | المتنبى           | ... أَوْ مَجْدَهُمْ قَعَلُوا<br>زَهِيرٌ أَوْ أَبُو الْجَوِيرَةِ | لَوْ كَانَ يَقْعُدُ             |
| ١٣٨ |                   | ... نَخْلَقُ مُزِيدُ<br>* * *                                   | أَيُّهَا السَّائِلِيُّ عَنْ     |
| ٤٢١ |                   | ابن المعتز<br>* * *                                             |                                 |

( ر )

|     |                |                      |                               |
|-----|----------------|----------------------|-------------------------------|
| ٤٢١ | ابن المعتز     | ... تَحْتَ الثَّرَى  | أَنَا ابْنُ الَّذِي سَادَهُمْ |
| ١٣٨ | الناطقة الجعدى | ... ذَلِكَ مَظْهَرًا | بَلَّغْنَا السَّمَاءَ         |

- وكانت فزارةُ تَصَلَّى ... أولى فزاراً  
١٦٠ عوف بن عطية الربابي
- \* \* \*  
أخشى الفواحشَ ... ناشئاً للمكبر  
١٣٣ هـ عبد الله بن سليم الأزدي  
طرب الحمامُ ... وأيُّكٍ ناصر  
١٥١ جرير
- فتذكر أثقلاً ... يمينها في كافر  
٣٩١ لبيد
- فله در الغول ... خائف متقفر  
٦٠ عبيد بن أيوب
- وكم عرستُ ... أصواتُ سامر  
٦٠ ذو الرمة
- وإذا حديثُ ساءني ... سرني لم أبشر (أو أشرر)  
١٣٣ عبد الله بن سليم الأزدي
- \* \* \*  
فبت أفرش خدي ... على الأثر  
٢٦٩ ابن المعتز
- وفؤادي كعهده ... ولم يتغير  
٧٩ غيرُ منسوب
- \* \* \*  
أهلاً بذاك الزور ... في فلك الدور  
٣٣٥ الصنوبري
- سأنتي على عهد ... بالساكين وبالقطر  
١٣١ ابن المعتز
- فقال فريقُ القوم ... ويحك ما تدري  
١٤٢ نصيب
- له همٌّ لا مُنتهى ... أجل من الدهر  
١٣٩ حسان بن ثابت أو بكر بن النطاح

|           |                     |                                                |
|-----------|---------------------|------------------------------------------------|
| * * *     |                     |                                                |
| ٢٧٢       | أبو نواس            | مثلُ الأطباءِ سميتُ ... صَوَادِرَ عَنْ غَدِيرِ |
| * * *     |                     |                                                |
| ١٢٢       | أبو المنهال         | ألا أبلغُ أبا حفص ... ثقة إزارى                |
| ١٧٣       | سحيم                | إنَّ الشقي الذي ... من النار                   |
| ١٤٥ ، ١٣١ | أبو نواس            | ديارُ نَوَارٍ ... هن منه عَوَارٍ               |
| ٤٢١       | ابن المعتز          | قد ترديتُ بالملكِ ... من الافتخار              |
| ٥١٧٣      | سحيم                | ما شقوة المرء ... يوماً يكثُر                  |
| * * *     |                     |                                                |
| ١٤١       | أبو صخر الهذلي      | عجبتُ لسعى الدهر ... سكن الدهرُ                |
| ١٣٢       | ابن المعتز          | هي الدارُ إلّا ... وأنهم سفرُ                  |
| ١١٥       | الأخطل              | وإن أميرَ المؤمنين ... بما فعل الدهرُ          |
| ٤٠٧       | أحد الجن            | وقبرُ حرب ... حرب قبرُ                         |
| ٤٢٢       | أبو فراس            | ولا أصبحُ الحى ... قبلى النذر                  |
| ١٥٤       | أبو البيداء الرياحي | وما بى انتصار ... من عندك النصرُ               |
| ١٤٤       | أبو نواس            | يا منّة امتنّها ... لها الشكرُ                 |



- إذا محاسنى اللائى ... فقل لى : كيف أعنذر ؟  
 ٥٣٣٤ البحرى
- أظله منك حتفٌ ... رأيتك القدرُ  
 ٥٣٦٣ بعض بنى ثعل  
 ٤٣٥ البحرى
- أهزُّ بالشعر أقواماً ... بالسيف ما شعروا  
 ٥٣٦٢ بعض بنى ثعل أو مسلم بن الوليد  
 ٥٣٣٤ البحرى
- تلمظ السيفُ ... والأقدارُ تنتظرُ  
 ٥٣٦٢ بعض بنى ثعل أو مسلم بن الوليد  
 ٥٣٣٤ البحرى
- للأمانى حديثٌ ... من قد يُسرُّ  
 ٥١٣٢ ابن المعتز
- لم يفعلوا فعلَ ... بثما اثتمروا  
 ٣٢٤ امرؤ القيس
- فخالط سهلَ الأرض ... خزيانُ ينظرُ  
 ١١٧ تأبط شراً
- فلا الجودُ يفنى ... والحدُّ مدبرُ  
 ١٢٦ تمثل به الحسن بن على
- ولو أنْ مشتاقاً ... إليك المنبرُ  
 ١١٨ البحرى
- أبدانُهُنَّ وما ... معاً حريرُ  
 ١٤٦ ابن الرومى
- إذا شئتُ أوقرتُ ... هاشم ونزارُ  
 ٤٢١ ابن المعتز
- حامى الحقيقة ... نفاعٌ وضرارُ  
 ١٤٦ الخنساء

- حَمَالُ أَلْوِيَةِ ... للجيش جَرَّارُ  
 ١٤٦ هـ الخنساء
- لَوْلَا الْحَيَاءُ ... والحبيبُ يُزَارُ  
 ١٧٧ جرير
- وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ ... بِحَانِيهِ نَهَارُ  
 ١٢٥ الفرزدق
- \* \* \*
- فَأَيَقَنْتُ أَنِّي ... شَيْءٌ أَحَازِرُهُ  
 ١١٥ هـ الفرزدق
- وَلَوْ حَمَلْتَنِي الرِّيحُ ... أَدْرَكْتَنِي مَقَادِرُهُ  
 ١١٥ الفرزدق
- \* \* \*
- فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ ... مَنْ يَسِيرُهَا  
 ١٣٥ خالد بن محرث أو ابن زهير الهذلي
- \* \* \*
- فِي الذَّاهِبِينَ ... لَنَا بَصَائِرُ  
 ٢٣٢ قس بن ساعدة
- قَدْ سَقَانِي الْمَدَامَ ... بِاللَّيْلِ مُؤْتَرَرُ  
 ٢٦٥ ابن المعتز
- \* \* \*
- ( ز )  
 سَلَهُ الرِّكْضُ ... أَهْلَ الْحِجَازِ  
 ٣٦٢ المتنبي
- \* \* \*
- ( س )  
 وَمُهْفَهْفُ تَمَتْ ... مُنِيَّةَ النَّفْسِ  
 ٣٣٢ ابن الرومي

وأقطع الهوجلَ ... مُستأنسٌ عنبريسُ  
الأفوه الأودى ١٢٣

كل يوم ... مثلُ أمسه  
غير منسوب ٧٨

( ض )

له قُصْرِيَا عَيْرٍ ... القيسرى العضوضُ  
امرؤ القيس ٣٢٣

وقد أعتدى والطيرُ ... عبل اليدىن قبيضُ  
امرؤ القيس ٥٣٢٣

وسين كسنيق ... بمدلاج الهجيز نهوض  
امرؤ القيس ٣٢٢

سوف تُدنيك من لميس ... ماء الكراض  
الطرمّاح ٣٢٧

كأن الثريا ... أو لجامٌ مُفضضُ  
ابن المعتز ٢٦٤

( ط )

وقد هوى النجمُ ... أرادتهُ وقد سقطا  
ابن المعتز ٢٦٥

طيب ريقه ... بجانب الغرب قُرطُ  
ابن الرومى ٢٦٥

(ظ)

وبعض قريض القوم ... الناطق المتحفظ  
٣١٥ خلف الأحمر

\* \* \*

(ع)

أبيت بأبواب القوافي ... من الوحش نزعاً  
١٨٦ سويد بن كراع

إذا أنت لم تنفع ... يضر وينفعاً  
١٢٦ قيس بن الخطيم أو عبد الأعلى بن عبد الله

\* \* \*

ولما ردها في الشول ... لها لفاعاً  
١٣٠ القطامي

\* \* \*

رجال إذا لم يقبلوا ... بالسيوف القواطع  
١٤٤ نافع بن خليفة

\* \* \*

ولاني وإن أبلغتني ... المطامع أخذ عي  
٣٦٠ البحري

\* \* \*

بان الخليط برامتين ... لبين تجزَعُ  
٢٦٩ جرير

وتقول بوزع ... بغيرنا يا بوزع  
٢٧٠ جرير

\* \* \*

أقضى نهاري ... بالليل جامع  
١١٣ ابن الدمينه

فإنك كالليل الذي ... عنك واسع  
١١٤ ، ١١٥ النابغة الذبياني

- طربت فأبكتك ... غصونٌ نوائعُ \* \* \*
- ٨٧ غير منسوب
- وما لامرئٍ حاولته ... السماء المطالعُ \* \* \*
- ١١٦ على بن جبلة
- إذا لم تستطع شيئاً ... ما تستطيعُ \* \* \*
- ١٤١ عمرو بن معدى كرب
- تشكى الوجى ... مرّت بقیعُها \* \* \*
- ٩١ البحرى

\* \* \*

(ف)

- وذاكم أن ذلّ ... لا تعرفُ الأنفَا \* \* \*
- ١٢٩ التوزى أو عيسى
- هل لما فات من ... الصبابة شافِ \* \* \*
- ١٣٠ البحرى
- وإني للماء الذى ... ورّادهُ لعيوفُ \* \* \*
- ٣٥١ غير منسوب

\* \* \*

(ق)

- يُقَصِّفُ فى الفارس ... فريقاً فريقاً \* \* \*
- ٣٦٤ بعض معاصرى الباقلانى
- فإن كنت مأكولاً ... ولما أمزقِ (مضمن) \* \* \*
- ٢١٨ الممزق العبدى

- وردتُ اعتسافاً ... ابنُ ماءٍ مُخلقٍ ٢٦٤ ذو الرمة
- فناولنيها والثريا ... حياً الندامى به الساقى ٢٦٥ ابن المعتز
- حتى يجمي بحال ... بعدَ ذاكَ لَقُوا ٥٢٣٢ قيس بن ساعدة
- وإن عتاق العيس ... أعجازهن مُعلقُ ١١٦ الأعشى
- ويأمرُ للحموم ... فقد كادَ يَسْتَقُ ٣٢٥ الأعشى
- يا ناعي الموت ... بزَّهم خرقُ ٢٣٢ قيس بن ساعدة

\* \* \*

## (ك)

- أهز به في ندوة ... بالهجان الأوارك ١٣٣ تأبط شرا
- وشاطري اللسان ... شابَ المحوُنَ بالنسك ٣٣٠ الحسين بن الضحاك
- فإن هم طاوَعوك ... مِن عصاك ١٣٥ خُليدٌ مولى العباس بن محمد

\* \* \*

## (ل)

- تمسكاً مني ... العهد ولا ٨٤ غير منسوب

|                    |                         |     |
|--------------------|-------------------------|-----|
| وأدهمَ قد جُبْتُ   | ... الكاعبُ الخيعلا     | ٥٨  |
| ونحنُ حفزنا        | ... الجوف أشكلا         | ١٢٨ |
|                    | قيس بن عاصم المنقري     |     |
|                    | * * *                   |     |
| عهدتُ لها منزلاً   | ... يحملن آلا           | ١٢٤ |
| لو أن الباذلين     | ... منك المطالا         | ١٥٠ |
| ونكرمُ جارنا       | ... حيثُ مالا           | ١٣٧ |
|                    | نعمير بن الأيهم أو غيره |     |
|                    | * * *                   |     |
| لو كان كلفها عبيدٌ | ... شد قمأً وجديلا      | ١٦٦ |
|                    | أبو تمام                |     |
| وفتية في مجلس      | ... عدموا التثقيلا      | ٧٨  |
|                    | أبو نواس                |     |
|                    | * * *                   |     |
| فر ميتٌ غفلة عينه  | ... قلبها وطحالا        | ٣٢٥ |
|                    | الأعشى                  |     |
|                    | * * *                   |     |
| لى حيلةٌ فيمن      | ... الكذاب حيلة         | ١٥٤ |
|                    | بشار أو غيره            |     |
| قد أركبُ الآلة     | ... العاجز بالجداله     | ٣٥٧ |
|                    | راجز                    |     |
|                    | * * *                   |     |
| سقى الرمل          | ... حل بالرمل           | ١٤١ |
|                    | جرير                    |     |
| فلو شاء قوى        | ... أعدائهم جهلى        | ١٣٥ |
|                    | جرير                    |     |
| متوسداً عضباً      | ... كمدبة النمل         | ٣٦٥ |
|                    | امرؤ القيس              |     |

|                      |                                  |                                   |
|----------------------|----------------------------------|-----------------------------------|
| ورمل عزيفُ الجن      | ... المغنينَ بالطبل              |                                   |
| تعرضتُ لى            | ... فى الطَّوَلُ                 | ٦١ ذو الرمة                       |
| تعرضتُ لى            | ... عن قتلى                      | ٥٢٦٣ منظور بن مرثد الأسدى أو زهير |
|                      | ... منظور بن مرثد الأسدى أو زهير | ٢٦٣                               |
|                      | * * *                            |                                   |
| تمسكاً منى           | ... ذى أملٍ                      | ٨٤ غير منسوب                      |
| مثلُ الأميرِ بغي     | ... وأيدى الخيل والإبل           | ٥٣٥٥ المتنبي                      |
| وعزمةٌ بعثها همةٌ    | ... الترب من زحل                 | ٣٥٥ المتنبي                       |
| وقد أرانى الشبابُ    | ... الروح فى بدلى                | ١٣٢ المتنبي                       |
| يحولُ عنه            | ... فيه أملى                     | ٨٤ غير منسوب                      |
|                      | * * *                            |                                   |
| أخواله للرستميين     | ... للتبعين بموكل                | ٣٤٨ البحترى                       |
| إذا قامتَا تَضَوَّعَ | ... برياً القرنفل                | ٢٤٨ امرؤ القيس                    |
| إذا ما بكى من خلفها  | ... شقها لم يحول                 | ٢٥٥ امرؤ القيس                    |
| إذا ما الثريا        | ... الوشاح المفصل                | ٢٦٢ امرؤ القيس                    |
| أغرك منى             | ... القلب يفعل                   | ٥٢٥٧، ٢٥٦ امرؤ القيس              |
| أفاطم مهلاً          | ... صرى فأجلى                    | ٢٥٦ امرؤ القيس                    |



|     |              |                         |                             |
|-----|--------------|-------------------------|-----------------------------|
| ٢٧٥ | امروء القيس  | ... فيك بأمثل           | ألا أيها الليل الطويلُ      |
| ٢٤٩ | امروء القيس  | ... بدارة جُلجل         | ألا رُب يوم                 |
| ٢٤٢ | البحترى      | ... إن لم يُسألِ        | إن سيلَ عَيَّ عن الجواب ... |
| ١٥١ | حسان بن ثابت | ... لم تُقتل            | إن التي ناولتني             |
| ٣٥٨ | البحترى      | ... صحابه المهلل        | إني أريدُ أبا سعيد          |
| ٣٣٥ | البحترى      | ... أو لم يفعلِ         | أهلاً بذكلكم الخيال         |
| ٣٥٧ | البحترى      | ... ثم لم يتحول         | أو ما رأيتَ المجدَ          |
| ٣٥٩ | البحترى      | ... نفسى مجهل           | بإبانة في كل                |
| ٣٤١ | كشاجم        | ... وقفاً أجلى          | بحياة حُسنك أحسنى           |
| ٣٣٥ | البحترى      | ... الركاب الضلّل       | برق سرى                     |
| ٣٥٢ | البحترى      | ... فوقَ بجبينه المهلل  | تتوهمُ الجوزاءَ             |
| ٢٦١ | امروء القيس  | ... لو يسرونَ مقتلى     | تجاوزتُ أحراساً             |
| ٢٧١ | امروء القيس  | ... وحشٍ وجرةً مُطفل    | تصد وتُبدى                  |
| ٢٥٣ | امروء القيس  | ... يا امرأ القيس فانزل | تقولُ وقد مال الغيظُ        |
| ٣٦٥ | البحترى      | ... غضةً لم تذبّل       | حملتُ حمائله                |

|                             |                   |                      |     |
|-----------------------------|-------------------|----------------------|-----|
| ذنبٌ كما يُحبّ الرداءُ ...  | كالقناع المسبل    | البحترى              | ٣٥٢ |
| سار إذا أُدْلجَ العفاةُ ... | غير مُعجَّل       | البحترى              | ٣٥٦ |
| ضليعٌ إذا استدبرتهُ ...     | ليس بأعزل         | امرؤ القيس           | ٣٥٣ |
| عال على نظر الحسود ...      | النجوم بأجبل      | البحترى              | ٣٥٧ |
| عُذْلَ المشوقُ ...          | لحاجُ العذَل      | البحترى              | ٣٤١ |
| فإذا أصابَ فكل ...          | من مَقْتَل        | البحترى              | ٣٦٣ |
| فإن كنت قد ساءتك ...        | من ثيابك تنسل     | امرؤ القيس           | ٢٥٨ |
| فتوضحَ فالمقراة ...         | جنوب وشمأل        | امرؤ القيس           | ٢٤٣ |
| فجئتُ وقد نَضَّتْ ...       | لبسة المتفضل      | امرؤ القيس           | ٢٦٧ |
| فدعوا أنزال ...             | إذا لم أنزل       | ربيعه بن مقروم الضبي | ١٥٦ |
| فضلٌ وإفضالٌ ...            | كالفاضل المتفضل   | البحترى              | ٣٥٦ |
| فظل العذارى ...             | الدممقس المقتل    | امرؤ القيس           | ٢٥٠ |
| ففاضتْ دموعُ العين ...      | بلّ دمعى محملى    | امرؤ القيس           | ٢٤٩ |
| فقلتُ : يمين الله ...       | عنك الغواية تنجلي | امرؤ القيس           | ٢٦٧ |
| فقلتُ لها : سبرى ...        | من جنّاك المعلن   | امرؤ القيس           | ٢٥٤ |

|           |                                                            |  |
|-----------|------------------------------------------------------------|--|
|           | فقلتُ له لما تمطى ... وناءً بـكـلـكـل                      |  |
| ٢٧٥       | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | فقمْتُ بها أمشي ... مرطٌ مُرجَلٌ                           |  |
| ٢٦٨       | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | فلما أَجَزْنَا ... ذى حَقافٍ عَقَنْقَلٌ                    |  |
| ٢٦٨       | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | فثلكِ حَبلى ... ذى تَمائمٍ مُخَوِّلٌ                       |  |
| ٢٥٤       | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | قد بُجِدْتُ بالطرفِ ... أبيتُك بـمـنـصـلٌ                  |  |
| ٣٥٨       | البحترى                                                    |  |
|           | فقا نبك من ذكرى ... الدخولِ فحَوِّمَلٌ                     |  |
| ٢٤٣       | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | كالبدْرِ غيرَ مُخِيلٍ ... غيرَ مُهَيَّلٍ                   |  |
| ٣٣٩       | البحترى                                                    |  |
|           | كدأبك من أم الحويرث ... أم الربابِ بمأسَلٍ                 |  |
| ٢٤٨       | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | كالهيكَلِ المبنى ... كصورةٍ فى هَيْكَلٍ                    |  |
| ٣٤٦       | البحترى                                                    |  |
|           | لا تكلفن لى الدموعَ ... إن لم يَفْضَلُ                     |  |
| ٣٤٣       | البحترى                                                    |  |
|           | لمحمد بن على الشرفُ ... إلا من عَـلِـ                      |  |
| ٣٥٤       | البحترى                                                    |  |
|           | له أَيْطَلا ظي ... وَتَقَرِيبُ تَتَفُـلِ                   |  |
| ٢٧٦ ، ١١٢ | امرؤ القيس                                                 |  |
|           | ما إن يَعَافُ قَدَّيْ ... تَحْمَدُ وَيَهْ الأَحولُ         |  |
| ٣٤٩ ، ١٥٩ | البحترى                                                    |  |
|           | ما الحسنُ عِنْدَكَ يا سَعَادَ ... ولا الجَمالُ بِمُجَمِّلِ |  |
| ٣٤٠       | البحترى                                                    |  |
|           | ماذا عليكَ ... وَقفَةٌ فى مَنزَلِ                          |  |
| ٣٤٢       | البحترى                                                    |  |

|                                  |                                   |     |             |
|----------------------------------|-----------------------------------|-----|-------------|
| ماض وإن لم تُتمضه                | ... وإن لم يُصقل                  | ٣٥٩ | البحترى     |
| مُتَوَجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ      | ... عليه مُوَصَّلٌ                | ٣٤٩ | البحترى     |
| مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي              | ... فِي يَدِ بُلْ                 | ٣٦١ | البحترى     |
| مُضْغٌ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى     | ... لَمْ يَبْدُلْ                 | ٣٦١ | البحترى     |
| مُضْرُ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا     | ... وَأَزْدُ الْمُوَصَّلِ         | ٣٥٨ | البحترى     |
| مَكْرٌ مَفْرٌ                    | ... حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَمَلِ | ٢٧٦ | امروء القيس |
| مِنْ غَادَةٍ مُنْعَتٌ            | ... لَمْ تَبْدُلْ                 | ٣٣٩ | البحترى     |
| مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءُ            | ... مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ   | ٢٧٠ | امروء القيس |
| نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدُ  | ... الْخَطُوبُ فَتَنْجِلِي        | ٣٥٨ | البحترى     |
| نَهَصْرَتْ بَغْصَنِي دَوْحَةٌ    | ... رِيًّا الْخَلِخَلِ            | ٢٧٠ | امروء القيس |
| وَأَغْرَفِي الزَّمْنَ الْبَهِيمَ | ... عَلَى أَغْرُ مُجْجَلِ         | ٣٤٦ | البحترى     |
| وَأِنْ شَفَاؤِي عَبْرَةٌ         | ... مِنْ مُعْوَلِ                 | ٢٤٧ | امروء القيس |
| وَأَنِ الضَّلُوعَ                | ... عَلَى مُعَمِّ مُخْوَلِ        | ٣٤٨ | البحترى     |
| وَبَيْضَةُ خَلَرٍ                | ... غَيْرَ مُعْجَلِ               | ٢٦١ | امروء القيس |
| وَالْجُودُ يَعْذُلُهُ عَلَيْهِ   | ... لِمَنْ لَمْ يُعْذَلْ          | ٣٥٤ | البحترى     |

|           |                  |     |                       |
|-----------|------------------|-----|-----------------------|
| ...       | ولا يُعطل        | ... | وجيد كجيد الريم       |
| ٢٧١       | امرؤ القيس       | ... | وسحابة لولا تتابعُ    |
| ...       | غير مُبخل        | ... | وقد أغتدى والطيرُ     |
| ٣٥٤       | البحري           | ... | ووقوفاً بها صخي       |
| ٢٧٦ ، ١٠٦ | امرؤ القيس       | ... | وكان شاهرة إذا        |
| ...       | الأوابد هيكل     | ... | وكانما سود النمال     |
| ٢٤٧ ، ٨٢  | امرؤ القيس       | ... | وكذاك طرفة            |
| ...       | أسى وتحمل        | ... | ولقد سكنت إلى الصدود  |
| ٣٦٥       | البحري           | ... | وليل كموج البحر       |
| ...       | بالسك الأعزل     | ... | وما ذرفت عينك         |
| ٣٦٣       | البحري           | ... | ويضحي فتيت المسك      |
| ...       | فصد الأكل        | ... | ويوماً على ظهر الكتيب |
| ٣٤٤       | البحري           | ... | ويوم دخلت الخدر       |
| ...       | عند أكل الخنظل   | ... | ويوم عقرت للعذارى     |
| ٣٤٣       | البحري           | ... | يتناول الروح البعيد   |
| ...       | الهموم ليتلى     | ... |                       |
| ٢٧٤ ، ١١٢ | امرؤ القيس       | ... |                       |
| ...       | أعشار قلب مُقتل  | ... |                       |
| ٢٥٨ ، ١٢٠ | امرؤ القيس       | ... |                       |
| ...       | عن تفضل          | ... |                       |
| ٢٧٤       | امرؤ القيس       | ... |                       |
| ...       | حلفة لم تحلل     | ... |                       |
| ٢٥٥       | امرؤ القيس       | ... |                       |
| ...       | إنك مُرجلي       | ... |                       |
| ٢٥٣       | امرؤ القيس       | ... |                       |
| ...       | من رحلها المتحمل | ... |                       |
| ٢٥٠       | امرؤ القيس       | ... |                       |
| ...       | في القضاء المقفل | ... |                       |
| ٣٥٩       | البحري           | ... |                       |

- يغشى' الوغى والترس' ... ليس بمقل ...  
 ٣٦١ البحرى
- يهوى كما تهوى العقاب' ... انتصاب' الأجدل ...  
 ٣٤٩ البحرى
- \* \* \*  
 ألم' تجزع' على ... وآثار' محول ...  
 ١٤٥ ابن المعتز
- وشعر كبر الكبش ... فى القريض' دخيل ...  
 ٣١٥ أنشده أبو البداء الرياحى
- \* \* \*  
 أبلغ' شهاباً بل' ... أذاك' الخبر' مال ...  
 ٣٢٥ امرؤ القيس
- ساكن' الريح ... منحل' العزالي ...  
 ٧٧ غير منسوب
- سليم' الشظا ... على الغال ...  
 ١٣٤ امرؤ القيس
- سموت' إليها ... على حال ...  
 ١١٣ امرؤ القيس
- قريب' المدي ... حتى تكون' معالي ...  
 ٩١ البحرى
- كان' قلوب' الطير ... والحشف' البالي ...  
 ١١٠ امرؤ القيس
- \* \* \*  
 وأجل' إذا ما كنت' ... وهو' مجمل' ...  
 ١٥١ عبد الله بن معاوية
- ولا حت' يساريها الثريا ... قرط' مسلسل' ...  
 ٢٦٥ الأشهب بن ربيعة
- وما بلغت' كف امرئ' ... حيثما نلت' أطول' ...  
 ١٣٨ الخنساء
- يود الفتى ... طول' السلامة يفعل' ...  
 ١٤١ النمر بن توبل

- إذا سمعتَ فنيَّ يبكي ... فاعلمْ أنه طللٌ \* \* \*
- ٤٢٥ هلال بن يزيد
- ودعْ هريرةَ إن ... أيها الرجلُ
- ٤٢٥ الأعشى
- بعزْمة مأمورٍ ... لحزمهمْ مثلُ \* \* \*
- ١٣٥ زهير
- توهمتْها في كأسها ... يدركه العقلُ
- ١٣٨ أبو نواس
- فأقسمتُ جهداً بالمنازل ... المقاديرُ والقَمَلُ
- ٣٢٦ زهير
- وقد غدوتُ إلى الحانوتِ ... شلشلٌ شولُ
- ٥٣٢٦ الأعشى
- وهل يُنبِتُ الخطيُّ ... في منابتها النخلُ
- ٣٢٦ زهير
- إذا أنتَ لم تُقصرْ ... أو أصابك جاهلُ \* \* \*
- ١٣٥ زهير
- متى أنتَ عن ذهليته ... مدة الدهر آهلُ
- ١٦٢ أبو تمام
- أليس قليلاً نظرةً ... ليس منك قليلُ \* \* \*
- ١٥٣ يزيد بن الطثيرة
- وأحمرَ كالديباج ... أرضه فحولُ
- ١٤٨ طفيل الغنوي
- وإنا لقومٌ لا نرى ... عامرٌ وسلولُ
- ١٥٧ السموأل
- وما ضرَّنا أنا قليلٌ ... الأكثرين ذليلُ
- ١٢٦ السموأل

- وَنُنْكِرُ إِن شَتْنَا ... حِينَ نَقُولُ  
 ١٤٨ غير منسوب
- القاتل السيف في ... للناس آجالُ  
 ٣٣٣ المتنبي
- صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى ... الصبا ورَّاحله  
 ١١٣ زهير
- وإن لم يكن إلا تَعْلَلُ ... نافع لي قليلها  
 ١٤٠ ذو الرمة
- \* \* \*

## (م)

- صَبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ... يَوْمَ الرُّوحِ مُنْتَقِمًا  
 ١٥٩ أبو تمام
- وَقَرَأْ مُعَلَّنًا ... الْفُؤَادَ السَّقِيمَا  
 ٧٩ أبو نواس
- عَشَوْنَا نَارِي فَقَلْتُ ... عَمُوا ظِلَامًا  
 ٥٩ شَمِيرُ بْنُ الْحَارِثِ الضَّبِّي
- وَتَرُومُ ... السَّمَاءَ مَرَامًا  
 ٢٦٥ ابن المعتز
- فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو ... لَنَا فَنَكَارَمُهُ  
 ١٥١ ابن ميادة
- فَازَرَرْنَا مِنْ وَقَعِ الْقَنَا ... بَعْبَرَةً وَتَحَمَّنَحُمُ  
 ١١٨ عَنَتْرَةُ بْنُ شَدَاد



- فتتج لكم غلمان أشام ... ثم ترضع فتفطم - زهير ٥٢٦٣
- فلما وردن الماء ... الحاضر المتخيم \* \* \* زهير ١١٦
- لقد كنت فيها يا فرزدق ... تابع للقوادم جريز ١٥٦
- ومن يعص أطراف الزجاج ... كل لهدم زهير ١٢٠
- ومهما تكن عند امرئ ... على الناس تعلم زهير ١٣٥
- يا أخت ناجية بن سامة ... إن طلبوا دى الفرزدق ١٧٧
- صفة الطلول بلاغة ... لابنة الكرم \* \* \* أبو نواس ٤٢٥
- لويعلم الركن من قد جاء ... موطئ القدم أبو تمام ١١٨
- أزمان فوها كلما ... فى القدّام \* \* \* امرؤ القيس ٣٢٣
- إن كنت كاذبة الذى ... الحارث بن هشام حسان بن ثابت ١٥٧
- فليس الذى حللته ... حرمة بحرام البحتري ١٤٠
- فما ذر قرن الشمس ... أحمد بن هشام إسحق الموصلي ١٥٧
- وهم تركوك أسلح ... من نعم أوس بن غلفاء ١٣٧

- وكم من عائب قولاً ... الفهم السقيم \* \* \*
- ٤٥٣ المتنبي
- بيضاء تسحب من قيام ... وصف أسحم \* \* \*
- ١٤٢ بكر بن النطاح
- فكأنها فيه نهار ... عليها مظلم \* \* \*
- ١٤٢ بكر بن النطاح
- إن البخيل ملوم ... على علاقته هريم \* \* \*
- ١٥٨ زهير
- فالخيل والليل ... والقرطاس والقلم \* \* \*
- ٤٢٠ المتنبي
- قف بالديار التي ... الأرواح والدَّيَم \* \* \*
- ١٥٣ ، ٢٤٦ زهير
- هم يضربون حبسك البيض ... إذا ما استلحموا وحموا \* \* \*
- ١٣١ زهير
- بعيدة مهوى القرط ... عبد شمس وهاشم \* \* \*
- ١٠٩ عمر بن أبي ربيعة
- وكنت إذا قوم غزوني ... يالهمدان ظالم \* \* \*
- ٢٢٩ عمرو بن بركة الهمداني
- متى كان الخيام ... أيتها الخيام \* \* \*
- ١٥٠ جرير
- ونبتهم يستنصرون ... كاهل وسنام \* \* \*
- ١٢٣ زياد الأعجم
- رمتني وستر الله ... الكناس رميم \* \* \*
- ٤٠٧ أبو حية النيرى

قد أعسفُ النازحَ المجهول ... يدعوهُامهُ اليومُ  
٦٠ ذو الرمة

حتى إذا أَلَقْتُ يَدًا ... الثغورَ ظلاً مُها  
٥٣٩١ ليبيد

إذا أيقظتكَ حُرُوبُ ... عُمراً نُمُ نَمُ  
١٤٧ بشار

## (ن)

ليتَ حظيَ كلحظةِ العين ... القليلَ المُهَنَّا  
١٥٣ ابن هرمة

هلا سألتَ جُمُوعَ ... أينَ أينا ؟  
١٦٠ عبيدُ بن الأبرص

وإذا الدرَزانَ حُسنَ ... وجهك زَينا  
١٤٩ مالك بن أسماء

يَجزُونَ من ظُلم ... السوءَ إحسانًا  
١٢٥ قُريظُ بن أُنَيْف

يَمشينَ هَيْلَ النقا ... الثرى حينًا  
١٣١ ابن مُقبل

ألا دارها بالماء ... حتى تُهينَها  
١٣١ أبو نواس

لولم يمتَ بينَ أطرافِ الرواح ... من شدةِ الحزنِ  
١٦٥ أبو تمام

ألا زعمتَ بنو سعد ... كبيرُ السنِ فاني  
١٥٠ النابغة الجعدي

- بمن لو أراه عانياً ... عانياً لفداني  
 ١٤٢ عُروة بن حزام  
 مخش مخش مجش ... الحلب العدوان  
 ١٤٤ امرؤ القيس  
 وتردي على صم صلاب ... لينات متان  
 ١٢٤ امرؤ القيس  
 وسابح هطل التعداء ... غير خوان  
 ١٥٨ أبو تمام

\* \* \*

- حاز صمصامة الزبيدي ... موسى الأمين  
 أبو الهول الحميري ، أو ابن يامين البصري أو أبو الغول  
 ٣٦٨ التميمي  
 خليل من كعب أعيند ... إن الكريم معين  
 ١٥٧ بشار  
 وكان المنون نيطت ... كل جانبيه منون  
 ٨٣٦٩ ابن يامين أو غيره

\* \* \*

- أهين لهم نفسي ... التي لا تهينها  
 ١٢٤ أعرابي

\* \* \*

- سبحان من سخر هذا ... له مقرنين  
 ٧٩ أبو نواس  
 قد قلت لما حاولوا ... لما توعدون  
 ٧٧ غير منسوب

\* \* \*

(٥)

- الحاظه قيد عيون ... طرف يتعداه  
 ١٠٨ غير منسوب

\* \* \*

(ى)

- أقولُ وقدُ شدوا لسانى ... أطلقوا عن لسانى  
 ١٢١ عبد يغوث الحارثى
- بنى عمنا لا تذكروا الشعرَ ... الغمير القوافيا  
 ١٢١ الشميدر الحارثى أو سويد المرثدى
- فتى تم فيه ما يسر ... ما يسوء الأعاديا  
 ١٦١ ، ١٣٢ النابغة الجعدي أو جندل الفزاري
- فتى كملت أخلاقه ... من المال باقياً  
 ١٦١ النابغة الجعدي
- فسر كإعلاني ... مثل ضوء نهاري  
 ١٢٦ غير منسوب
- وباسط خير فيكم ... عنكم بشماليا  
 ١٢٥ جرير

\* \* \*

- لنا غمٌ نسوقها ... جليتها عصي  
 ٧٨ امرؤ القيس

\* \* \*

٢ أنصاف الأبيات

(ب)

- \* سمو عباب الماء جاشت غواربه \* أبو تمام ١١٤

\* \* \*

(ت)

- \* ولا مثل يوم في قذاران ظلته \* امرؤ القيس ١١٤

\* \* \*

(د)

\* محمد بن عليُّ الشرفُ الذي \* البجترى ٣٥٥

\* \* \*

(ر)

\* أقبلنَ من مصرَ يُبارينَ البرى \* جليح بن شميز ٥١٣٠  
\* كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا \* امرؤ القيس ٥١١٤

\* \* \*

\* فالسيفُ يأمرُ والأقدارُ تنتظرُ \*  
٣٦٢ بعض بني ثعل أو مسلم بن الوليد  
\* في الشيب زَجْرٌ له لو كان يتزجرُ \* البجترى ٣٣٤

\* \* \*

(ش)

\* ويُضحى فَنيتُ المسكُ فوق فراشها \* امرؤ القيس ١٠٨

\* \* \*

\* قَيِّدَ الحَسَنِ عَلَيْهِ الحَدَقَا \* غير منسوب ١٠٨  
\* عودٌ على عودٍ على عودٍ خَلَقَ \* امرؤ القيس ١٤٧

\* \* \*

(ل)

\* أظَلَّ نَهَارِي فِيكُمْ مُتَعَلِّلَا \* ابن الدمينه ٥١١٣  
\* يَشْكُونُ قَرْحاً بِالْدَفُوفِ وَالْكَلَى \* جليح بن شميز ٥١٣٠

\* \* \*

\* ولیل کج البحر أرخى سُدُولَه \* امرؤ القيس ١٠٩  
\* قد أركبُ الآلةَ بعدَ الآلهِ \* راجز ٣٥٧

\* \* \*

- ٣٣٤ البحرى \* أهلاً بذككم الخيال المقبل \*  
 ٣٦٤ البحرى \* دبت بأيد فى قرأه وأرجل \*  
 ١٠٩ امرؤ القيس \* على بأنواع الهموم لبيتلى \*  
 ٢٤٥ امرؤ القيس \* فهل عند رسم دارس من معول \*  
 ٢٥٣ امرؤ القيس \* فوق الأرض ليس بأعزك \*  
 ٩٦ ، ٧٠ امرؤ القيس \* قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل \*  
 ١٠٨ امرؤ القيس \* نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل \*

\* \* \*

- ٣٥٧ امرؤ القيس \* سمو حجاب الماء حالا على حال \*

\* \* \*

- ٣٢٦ الأعشى \* شاور مشل شلول شلشول شول \*

\* \* \*

- ٣٥٧ امرؤ القيس \* سموت إليها بعد ما نام أهلها \*

\* \* \*

(م)

- ٢٤٨ امرؤ القيس \* إذا قامت تَضُوع المسك منها \*  
 ١١٤ أبو تمام \* سما للعلا من جانبيها كليهما \*

\* \* \*

- ٣٥١ بشار \* ولا يشرب الماء إلا بدم \*

\* \* \*

(ن)

- ١٦٥ أبو تمام \* تحشت عليه أخت بنى خشين \*  
 ٥١٦٥ أبو تمام \* وأنجح فيك قول العاذلين \*

\* \* \*

- ٥١٢٨ تميم بن أبى بن مقبل \* ألا يا ديار الحى بالسبعان \*  
 ١٢٨ » » » » \* أمل عليها بالبل الملوآن \*

\* \* \*

(و)

\* لَهُ عَلاَمَاتٌ عَلَى حَدِّ الصَّوَى \* جَلِيحُ بْنُ شَمِيزَ ٥١٣٠

\* \* \*

(ي)

\* عُمِيرَةٌ وَدَّعَ إِنِّ تَجْهَزْتُ غَادِيَا \* سَحِيمُ ٥١٧٣  
\* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا \* سَحِيمُ ١٧٣



## ٤ - فهرس الأعلام

- آدم عليه السلام : ٥٠ ، ٢٠١  
إبراهيم عليه السلام : ٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٨  
إبراهيم بن المدبر : ٣٣١ هـ  
أبوه = عروة بن الزبير  
ابن الأثير : ٢٠٢ هـ  
أحمد بن حنبل : ٢٨٣ هـ  
أحمد بن أبي دؤاد : ١٦١ هـ  
أحمد بن عبيد الله بن عمار : ١٦٤  
أحمد بن عثمان أبو عبد الرحمن : ٢٨١  
أحمد بن علي بن الحسن : ٢٨٢ - ٢٨٣  
أحمد بن محمد بن الحسين القزويني : ٢٨١  
أحمد محمد شاكر : ٢٨٣ هـ ، ٣٧٥ هـ  
أحمد بن هشام : ١٥٧  
أحمد بن يحيى أبو العباس = ثعلب  
الأخطل : ١١٥ ، ١٨٤ ، ٣٧٥  
الأخفش : ١٢٩ ، ٤٠٧ هـ  
أذربيجان : ٢١١ هـ  
أردشير : ١٠٤  
الأردن : ٤٩  
إرمينية : ٤٩  
الأزارقة : ١١٩ هـ  
الأزد : ٣٥٨  
الأزهرى : ١٠٣ هـ ، ٢٥٩ هـ  
أسامة بن أبي عطاء : ٢٨٢  
إسحق بن إبراهيم الطاهري : ٢٥٧ هـ

- إسحق بن إبراهيم المصعبي : ١٥٩  
 إسحق بن إبراهيم الموصلي : ١٤٩ ، ١٥٧ هـ  
 أسلم ( قبيلة ) : ١٢٧  
 إسماعيل عليه السلام : ٢٣٤  
 الأسود بن يعفر الإيادي : ١٠٧  
 الأشاعرة : ٤٤ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٣٩  
 أشجع السلمي : ١٧٥  
 ابن الأشعث : ٤٤٥ هـ  
 الأشعث بن قيس الكندي : ١٣٧ هـ  
 الأشهب بن رُميلة : ٢٦٥  
 أصحاب رسول الله : ٢٠٦ — ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٤٤٢ هـ  
 إصطخر : ٤٩  
 أصمّ باهلة : ١٣٧ هـ  
 الأصمعي : ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ،  
 ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٢٢  
 ابن الأعرابي : ١٣٦ هـ ، ١٧٣ هـ ، ٢٠٥ هـ ، ٣٢٧ هـ ، ٣٣٨ هـ  
 الأعشى : ١١٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ هـ ، ١٨٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ هـ ، ٤٢٥  
 أعشى تغلب : ١٣٧ هـ  
 الأفوه الأودي : ١٢٣  
 أبو أمامة : ٢٨٣  
 امرؤ القيس : ٢٥ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١٠٨ هـ ،  
 ١٠٩ — ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ،  
 ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٨٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ هـ ، ٢٧٥ ،  
 ٢٧٨ ، ٣٢٢ — ٣٢٤ ، ٣٢٧ — ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٥٣ ،  
 ٤٤٨ ، ٣٥٧  
 الأمين : ٣٦٧  
 أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة : ٣٦٢ هـ  
 أنس بن مالك الأنصاري : ٤٤٥ هـ  
 أنوشروان : ١٠٤  
 الأنصار : ١٢٣  
 أوس بن خلفاء : ١٣٧ هـ

اياد (قبيلة) : ٢٣٣  
الإياسى القاضى : ٣٦٧ هـ

\* \* \*

باب الأبواب : ٤٩  
باقل : ٤١٦  
البلاقلانى : ٧٤ هـ ، ٧٩ هـ ، ٨٧ هـ ، ١٠٥ هـ ، ١٣٠ هـ ، ٢٤٠ هـ ، ٢٩٣ هـ  
٣٢٤ هـ ، ٣٦٩ ، ٤٦٢  
باهلة بن أعصر : ١٣٦ ، ١٣٧ هـ  
البحرى : ٥٦ ، ٩١ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٥٨ — ١٥٩ ،  
١٦٦ ، ١٧٤ — ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ — ١٩٠ ، ٣٢٧ ،  
٣٢٩ ، ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٣٣٥ هـ ، ٣٣٦ — ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ هـ ،  
٣٥١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٥٣

البحرين : ٤٩  
البخارى : ٢٨٢ هـ  
أبو البخارى الطائى : ٢٨٢  
يدُر : ٤٤٤ هـ  
البراء بن عازب : ٤٤٤  
براقة : ٢٢٩ هـ  
براكويه الزنجاني : ٤٢٥  
البرامكة : ٣٦٢ هـ  
البراهمة : ٦  
أبو بُردة : ٤٤٥ هـ  
ابن برى : ٢٥٨ ، ١٠٩ هـ ، ٣٢٧ هـ  
بزر جمهر : ٤٧  
بشار بن بُرد : ١١٠ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٧ هـ ، ١٧٦  
بشر بن عبد الوهاب : ٢٨٢ — ٢٨٣  
بشر بن نمير القشيري : ٢٨٣  
البصرة : ١٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ هـ  
البعيث : ١٨٤  
بغداد : ١٥٩ هـ ، ١٧٦ هـ

أبو بكر (ابن الأنباري) : ٣٢٦  
 أبو بكر الصديق : ٤٨ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٤٠ ،  
 ٤٢٦  
 أبو بكر بن مقسم : ٣٩٠  
 بكر بن النطاح : ١٣٩ هـ ، ١٤٢ هـ  
 البكري ١١٢ هـ ، ١٢٩ هـ  
 بلخ : ٤٩  
 بلعنبر : ١٢٥  
 بوزع (بشعر جرير) : ٢٧٠  
 البيت الحرام : ٢٣٤  
 أبو البداء الرياحي : ١٥٤ ، ٣١٥ هـ

## (ت)

تأبط شراً : ٥٨ ، ١١٧ ، ١٣٣  
 تُجيب (قبيلة) : ١٢٧  
 تدمر (بشعر أبي تمام) : ١٥٨  
 الترك : ١٧١  
 الترمذي (صاحب السنن) : ٣٧٥ هـ  
 تُستَرُ : ١٨٧ — ١٨٨  
 أبو تمام : ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٨ هـ ، ١٥٠ ، ١٥٨ — ١٥٩  
 ١٦١ — ١٦٢ ، ١٦٤ هـ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٧٥ ،  
 ٣٣٣ ، ٣٤٤ هـ ، ٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤٣١  
 بنو تميم (بشعر جرير) : ٣٥٩  
 تميم بن أبي مُقبل : ١٢٨ هـ  
 توضّح (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧  
 التوزي : ١٢٩  
 تيم (قبيلة : في شعر) : ١٢١

## (ث)

ثعلب : ٩٦ ، ١٧٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٣٢٦ هـ ، ٣٣٨ هـ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ هـ

ثعلبة بن صُغير المازني : ٣٩١ هـ  
ثمود : ٢٣٣

## (ج)

المُحَاطِظ : ٧ ، ٨١ ، ١٤٧ هـ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤ هـ ، ٢٢٨ ، ٣١٥ هـ ،  
٣٧٧ - ٣٧٨

جبير بن مُطعم : ٣٨

جلود (موضع) : ١٢٨ هـ

جرير : ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٩ - ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٧٦ -  
١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٩ هـ ، ٣٧٥

جعفر بن محمد : ٢٣٠

جعفر بن يحيى البرمكي : ٣٦٧

جليح بن شميذ : ١٣٠ هـ

الجن : ٢٣ ، ٣١ ، ٥٧ - ٦٢ ، ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٣٨١ ، ٤٠٧ ، ٤٥٨

جندل بن جابر الفزاري : ١٣٢

أبو جهل بن هشام : ٣٩ ، ١٥٧ هـ

الجوهري : ٢٠٥ هـ ، ٣٢٧ هـ ، ٣٩١ هـ

أبو الجويرة عيسى بن أوس : ١٣٨ هـ

جيحون : ٤٩

## (ح)

ابن أبي حاتم الرازي : ٢٨٢ هـ

أبو حاتم الهجستاني : ١٥٦ ، ٢٣٣ هـ

حاتم الطائي : ٣٥٤

حاجز السروي : ٥٨ هـ

الحارث الأعور : ٢٨٢

الحارث بن شريك الشيباني : ١٢٨ هـ

الحارث بن هشام : ١٥٧

- الحجاج بن يوسف : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ٢٢٩ ، ٤٤٥ هـ  
 ابن حجر الحافظ : ٢٣١ هـ ، ٣٧٥ هـ ، ٤٤٢ هـ  
 الحديبية : ٢٠٤  
 حرب بن أمية ( في شعر ) : ٤٠٧  
 حزم بن أبي راشد : ٢٣٣ هـ  
 ابن حزم الظاهري : ٤٤٢ هـ  
 حسان بن ثابت : ١٣٩ هـ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ٤٦١  
 أبو الحسين الأشعري : ٨٦ ، ٩٩ هـ ، ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ٣٩٣  
 الحسن ( البصري ) : ١٤٨  
 الحسن بن أبي بكر الباقلاني : ٤٦٢ هـ  
 أبو الحسين التميمي : ١٥٤ هـ  
 الحسن بن عبد الله ( بن سهل ) بن سعيد العسكري : ١١٤ ، ١٣٢ هـ ،  
 ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ٢٣٠ ، ٤٢١ ، ٤٥٣  
 الحسن بن علي بن أبي طالب : ١٢٦  
 أبو الحسن علي بن محمد الأنباري : ١٥٨ هـ  
 حسن بن محمد بن علي الشريف : ٤٦٢ هـ  
 الحسين بن الضحاك : ٢٣٠ - ٢٣١  
 الخطيئة : ١٥٥ ، ١٦٣ هـ  
 حماد ( الراوية ) : ١٠٨  
 حمارٌ باهلة : ٣٢٢  
 حمدويه الأحوّل ( بشعر البحري ) : ١٥٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥١  
 حميرى الحنظلي ( بشعر امرئ القيس ) : ٣٢٤  
 آل حنظلة ( بشعر امرئ القيس ) : ٣٢٤  
 حنظلة الغسيل : ٢٣٠  
 بنو حنيفة : ٢٤٠  
 أبو حنيفة ( الدينوري ) : ١٢٤ هـ ، ٤٢٤ هـ  
 حوّم ( بشعر امرئ القيس ) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧  
 أمّ الحويرث ( بشعر امرئ القيس ) : ٢٤٨  
 أبو حيان التوحيدى : ٢٠٤ هـ ، ٢٥٧ هـ  
 أبو حية النخري : ١٢٩ هـ ، ٣٢٨ هـ ، ٤٠٧ هـ

## (خ)

- خالد بن عبد الله القسريّ : ٤٤٥ هـ  
 خالد بن محرث : ١٣٥ هـ  
 خالد بن الوليد : ١٠٤  
 الخيزرُزَيّ (أبو القاسم نصر بن أحمد البصري) : ٢٥٠  
 خديجة بنت خويلد : ٢٣٤  
 الخطّ (جزيرة) : ٣٢٦ هـ  
 خلف الأحمر : ١٧٥ ، ١٨٢ ، ٣١٥ هـ  
 خُليد : ١٣٥ هـ  
 الخليج - الحسين بن الضحاك  
 الخليل بن أحمد : ١٢٢ ، ١٢٦ ، ٤٠٩ هـ  
 الخنساء : ١٣٨ ، ١٤٦  
 الخوارج : ١٠٥  
 الخيف : ٢٠١ - ٢٠٢

## (د)

- دارم (في شعر) : ١٣٧ هـ  
 الدارمي (صاحب السنن) : ٣٧٥ هـ  
 ابنا دُخان = غنيّ وباهلة  
 الدّخول (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧  
 ابن دُرَيْد : ٨٧ ، ١٥٦  
 دعبل بن علي الخزاعي : ١٧٦  
 أبو دلف العجلي : ١١٤ هـ ، ١٣٩ هـ  
 ابن الدمينّة : ١١٣ ، ١٥٣ هـ  
 أبو دُوَاد الأسديّ : ١٢٤ ، ١٥٥ ، ٣١٧  
 دير الجمّاجم : ٤٤٥ هـ

## (ذ)

- ذُوآبُ بن ربيعة الأشتر : ٣١٧ هـ  
 أبو ذؤيب الهذلي : ١٣٥ هـ

الذّهبيّ الحافظ : ٢٨٣ هـ

ذهل (قبيلة) : ١٦٢ هـ

ذو الرّمة : ٦٠ ، ١٤٠ هـ ، ٢٦٤

ذو طلوح (بشعر جرير) : ١٥٠

(ر)

رؤبةُ بن العجاج : ١٠٦

الرّاعي الغيريّ : ١٢٩ هـ ، ١٦٦

أم الرّباب (بشعر امرئ القيس) : ٢٤٨

الرّبابُ (قبيلة : في شعر زيد الخيل) : ١٣٦

الرّبيعُ بن حوْثرة : ٣٤٤ هـ

ربيعةُ الأشتر : ٣١٧ هـ

ربيعةُ بن الحارث بن عبد المطلب : ١٩٩

ربيعةُ الخابور (قبيلة : في شعر البحريّ) : ٣٥٨

ربيعةُ بن مَقْرُوم الضّبيّ : ١٥٦ هـ

الرّسمان (بشعر البحريّ) : ٣٤٨

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ٣ - ٤ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ - ٢٢ ،

٢٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ - ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٤ هـ ، ٧٦ هـ ،

٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ - ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٧ - ١٣٨ هـ ،

١٩٥ - ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ - ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥ هـ ،

٢١٨ - ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ هـ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ،

٣٤١ هـ ، ٢٧٤ هـ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٩ ، ٣٧٤ ،

٣٨٠ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ هـ ، ٤٤٤ هـ ، ٤٥١

آلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٤ ، ٤٢١

الرّشيدُ : ٣٦٧ هـ

الرّمانيّ (أبو الحسن على بن عيسى) : ٣٩٦ - ٤١٦ هـ ، ٤٢٦ - ٤٢٨ هـ

رَمِيمُ (بشعر أبي حَية) : ٤٠٧

الرّوْحُ الأَمِينُ (جبريلُ عليه السلام) : ١٢ ، ٢٣٠ هـ ، ٢٩٨ ، ٤٤٩

الرّوم : ٦٠ هـ ، ٧٢

ابن الرّوميّ : ١٤٦ ، ١٨٤ ، ٢٦٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ٣٦٩



(ز)

زَرَادُشْت : ٤٦

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَمَى : ٥٤ ، ١١٣ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ،

١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ،

١٨٦ - ١٨٧ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ٣٢٦ ، ٣٧٥

زِيَادُ الْأَعْجَمُ : ١٢٣

أَبُو زِيَادٍ اللَّغَوِيُّ : ٢٤٦ هـ

زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ : ٢٠١ ، ٢٠٢ هـ

زَيْدُ الْخَيْلِ : ١٣٦

(س)

سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ : ٢٧٤ هـ

سَجَّاحُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَقْبَانَ : ٢٤٠

سَجِسْتَانُ : ٤٩

سَحْبَانَ وَائِلُ : ٤٣٥

سَحْمُ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ : ١٧٢ ، ١٧٣ هـ

السَّدِيُّ (إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) : ٤٤٤

السَّرِيُّ الرَّفَاءُ : ١٥٩

سَطِيحُ الْكَاهِنِ : ٤٣٥

سَعَادُ (بِشْعَرُ الْبَحْتَرِيِّ) : ٣٤٠

بَنُو سَعْدٍ (بِشْعَرُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ) : ١٥٠

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ : ٤٨

أَبُو سَعِيدٍ (بِشْعَرُ الْبَحْتَرِيِّ) : ٣٥٨

سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ : ٤٤٥

أَبُو سَعِيدٍ الْخَلَرِيُّ : ٢٠٣ ، ٣٧٥ هـ

سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : ٣٦٧ هـ

أَبُو سَقْيَانَ بْنِ حَرْبٍ : ٣٩ - ٤٠ ، ٤٠٧ هـ

سَقَطُ اللَّوِيِّ (بِشْعَرُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧

السَّقِيفَةُ : ٢١١

ابْنُ السَّكَيْتِ : ٣٩١ هـ

سلم الخاسر : ١١٦ ، ٣٦٨ هـ  
 سلمة بن عاصم النحوي : ٣٩٠  
 سلول ( قبيلة : في شعر السموأل ) : ١٥٧  
 سليمي ( بشعر جرير ) : ١٤٩  
 سليمان عليه السلام : ١٢٧ ، ٢٩١ ، ٤٥٨  
 السموأل بن عدى : ١٢٦ ، ١٥٧  
 أبو سنان : ٢٨٢  
 سهيل بن عمرو : ٢٠٤  
 سوار بن حبان المنقري : ١٢٨ هـ  
 سويد بن صميع المرثدي : ١٢١ هـ  
 أخو سويد بن صميع : ١٢١ هـ  
 سويد بن أبي كاهل اليشكري : ١٢٣  
 سويد بن كراع : ١٨٦  
 ابن السيد البطليوسي : ١٢٨ هـ ، ١٤٨ هـ ، ١٥٥ هـ  
 ابن سيده اللغوي : ٢٩٣ هـ ، ٢٠٠ هـ  
 سيف الدولة الحمداني : ٣٤١ هـ ، ٣٥١ هـ ، ٣٥٥ هـ  
 سيف بن ذي يزن الحميري : ٩٢  
 السيوطي : ٤٤٢ هـ

(ش)

الشام : ٤٨  
 شعاع بن محمد الطائي : ٣٦٢ هـ  
 شرحبيل عم امرئ القيس : ٣٢٤ هـ  
 الشريف الرضي : ١٠٢ هـ ، ٢٢٨ هـ  
 شعبة بن الحجاج : ٢٨٣ هـ  
 الشعبي : ٢٩٠ ، ٢٣٠  
 شق الكاهن : ٤٣٥  
 الشناخ : ١٣٠ هـ  
 الشميندر الحارثي : ١٢١ هـ  
 شمير بن الحارث الضبي : ٥٩ هـ

شهاب ( بشعر امرئ القيس ) : ٣٢٥  
شبية بن ربيعة : ٣٩

## ( ص )

الصاحب (إسماعيل بن عباد) : ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٩٠ ، ٤٢٥  
صالح بن جناح اللخمي : ١٤٣ هـ  
صحراء الغمير ( في شعر ) : ١٢١  
صخر بن الشريد ( أخو الخنساء ) : ١٣٨ هـ  
أبو صخر الهذلي : ١٤١ هـ  
الصنوبري : ٣٣٥  
الصولي = محمد بن يحيى

## ( ط )

أبو طالب : ٩٢ ، ٢٣٤  
الطبري : ٣٦٢ هـ  
طرفة بن العبد : ٨٢ ، ١١٠ هـ ، ١١١ ، ١٣٦ ، ٣٤٤  
الطرماح : ٣٢٧  
طفيل الغنوي : ١٤٨ هـ  
آل طلحة ( بشعر البحري ) : ٢٥٧  
طلحة بن عبيد الله التيمي : ١٩٦  
الطهوي : ٢٤٦ هـ  
الطور : ٧٤ ، ١٤٥

## ( ع )

عائشة : ٤٤٤  
عاد : ٢٣٣  
أبو العاص : ٣١٥ هـ  
عاصم ( بشعر امرئ القيس ) : ٣٢٥  
عامر ( قبيلة : بشعر السموأل ) : ١٥٧  
عباد بن سلمان : ٩٩ ، ١٠٠ هـ

- العباس بن عبد المطلب : ١٩٩  
العباس بن محمد بن علي العباسي : ١٣٥ هـ  
العباس بن يزيد الكندي : ٣٥٩ هـ  
عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر : ١٢٦ هـ  
عبد الحميد الكاتب : ١٨٤  
عبد الرحمن بن عوف : ٢١٠  
عبد الرحمن بن يزيد النخعي : ٤٤٢ هـ  
عبد الصّمد [ بن المعذل ] : ٣٣٣  
عبد القادر البغدادى : ٢٦٤ هـ ، ٢٦٧ ،  
ابن عبد الله ( بشعر السرى الرّقاء ) : ١٥٩  
أبو عبيد الله التميمي : ٤٦٢ هـ  
عبد الله بن الحسين : ١٧٥  
عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمري : ٢٣٠  
عبد الله بن سعيد : ١١٤  
عبد الله بن سليم الأزدي : ١٣٣ هـ  
عبد الله بن عباس : ١٠٤ ، ١٢٨ ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٤٤٤ - ٤٤٥  
عبد الله بن عتبة بن مسعود : ٤٤٥ هـ  
عبد الله بن عمر : ٤٤٥  
عبد الله بن عياش المتوفى : ١٤٧ هـ ، ٢٢٩ هـ  
عبد الله بن قيس = أبو موسى الأشعري  
عبد الله بن مسعود : ٢٢٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ هـ ، ٤٤٣  
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر : ١٥١  
عبد الله بن المعتز : ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٥٠ هـ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ،  
٤٢١ ، ٤١٧ ، ٢٦٨  
عبد الله بن وهب الراسبي : ١٠٥  
عبد المطلب : ٩٢ هـ  
عبد الملك بن عُمر : ٢٣٠ هـ  
عبد يغوث بن وقاص الحارثي : ١٢١ هـ  
عبيد بن الأبرص : ١٦٠ هـ ، ٣٤٤ هـ  
عبيد بن أيوب : ٥٩

- أبو عبيد : ١٠٣ هـ ، ٢٠٥ هـ  
 عبيد الله بن الضحّاك : ٢٣٢  
 عبيد الله بن طاهر : ١٧٦  
 عبيد الله بن قرّة : ١٥٧  
 عبيدة بن الأسود بن سعيد الهمداني : ٢٨٢  
 أبو عبيدة بن الجراح : ٢١٢  
 أبو عبيدة : ١٠٨ ، ١٢٠ هـ ، ١٣٧ هـ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ —  
 ١٨٧ ، ٢٤٥ — ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣٢٤ هـ  
 عتبة بن ربيعة : ٣٩  
 عتبة بن أبي سفيان : ٢٢٤  
 عتبة بن هارون : ١٠٦  
 عتيبة بن الحارث بن شهاب : ٣١٧  
 عثمان بن إدريس السامي : ١٥٨  
 عثمان بن عفان : ٢٤ ، ٢١٦ ، ٤٤٣  
 أبو عثمان المازني : ١١٤  
 عثمان بن مظعون : ٣٩  
 العجم : ٦٠ هـ ، ١٧١  
 عدس الخنظلي (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٤  
 ابن عدى : ٢٣٠ هـ  
 عدى بن الرقاع العاملي : ١٨٦  
 العراق : ٤٤٥ هـ  
 عروة بن حزام : ١٤٢  
 عروة بن الزبير : ٢٣٢  
 عريقة بن مسافع العبسي : ١٦١ هـ  
 عسل بن ذكوان : ١١٤  
 عصية (قبيلة) : ١٢٧  
 عطية العوفي : ٣٧٥ هـ  
 عضد الدولة : ٤٦٢ هـ  
 عقبة بن كعب بن زهير : ٣٣٨ هـ  
 عكاظ : ٢٣٠  
 أبو العلاء المعري : ٣٤٤ هـ ، ٣٥٤ هـ

- علقمة (الفحل) : ١١١ ، ١٣٩ هـ  
 علي بن إبراهيم : ٢٣٠  
 علي بن إبراهيم التنوخي : ٣٦٠ هـ  
 علي بن جبلة : ١١٦  
 علي بن الجهم : ١٧٥  
 علي بن الحسين بن إسماعيل : ٢٣٢  
 علي بن صالح الروذباري : ٣٦٢ هـ  
 علي بن صلاة : ٣٧٥  
 علي بن أبي طالب : ١٠٤ ، ١٠٥ هـ ، ١١٦ هـ ، ٢١٧ - ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ هـ ، ٢٨٢ - ٢٨٣  
 علي بن العباس : ١٧٦  
 علي بن محمد الأنصاري الحنظلي : ٢٣٠  
 علي بن مُرّ الأرمني : ٣٣٤ هـ  
 علي المتجم : ١٤٩  
 عُمر بن الأيهم التغلبي : ١٣٧ هـ  
 عُمر بن الخطاب : ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٨ - ٤٩ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ - ٢١٧  
 عُمر بن ذر : ١٤٧  
 عُمر بن أبي ربيعة : ١٠٩ هـ  
 عُمر (صاحب امرئ القيس) : ٥٩  
 عُمر بن عبد العزيز : ٢٢٨  
 عُمر بن العلاء : ١٤٧ هـ  
 أبو عُمر (غلام ثعلب) : ٩٦  
 عمرو بن بَرّاقة الحمداني : ٢٢٩  
 عمرو بن جندب (بشعر الطهوي) : ٢٤٦ هـ  
 أبو عمرو (ابن العلاء) : ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ هـ ، ٢٦٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٢  
 عمرو بن كلثوم : ٤١١  
 عمرو بن مُرة : ٢٨٢  
 عمرو بن معدى كرب : ١٢٠ ، ١٤١ ، ٣٦٧ هـ ، ٣٦٨  
 عمرو بن هند : ٣٤٤ هـ

عمورية : ٤٩

أبو العميثل : ١٣٥ هـ

ابنُ العميد (أبو الفضل) : ١٨٤ ، ٣٣٤ ، ٣٥٥ ، ٣٧٨

عمير بن الأيهم : ١٣٧ هـ

عميرة (بشعر سحيم) : ١٧٣ هـ

عميرة بن الأهم التغلبي : ١٣٧ هـ

أبو العنيس = محمد بن إسحق بن إبراهيم

عنتر بن شدّاد العبسي : ١١٨

عنيزة (بشعر امرئ القيس) : ٢٥٣

بنو عوف (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٤

عوف بن عطية بن الخرع الربّاني : ١٦٠ هـ

عون بن محمد الكندي : ١١٤

عوير بن شجنة العوفي : ٣٢٤

عيسى ابن مريم عليهما السلام : ٢٠٤ ، ٣٨٤ ، ٤٥٨

( غ )

الغار : ٢١٩

غفار (قبيلة) : ١٢٧

غني (قبيلة) في شعر زيد الخيل والفرزدق : ١٣٦ ، ١٣٧ هـ

أبو الغول التيمي : ٣٦٨ هـ

الغيلان : ٥٨

( ف )

فارس : ٤٩ ، ٣٤٨

الفراء : ٣٩٠

الفراءت : ٤٩

أبو فراس الحمداني : ٤٢٢

الفراعنة : ٥٠

أبو الفرج الأصفهاني : ١١٣ هـ

الفرزدق : ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٣٧ هـ ، ١٧٦ — ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ٣٧٥

الفرس : ٤٧ ، ٧٢

فرعون موسى : ١٥٦ ، ٢٩٤ ، ٣٧٢

قزارة ( قبيلة : في شعر عوف الربابي ) : ١٦٠

فسطاط مصر : ٤٩

فلسطين : ٤٩

### ( ق )

أبو القاسم الزعفراني : ٤٥٣

القاسم ( بن عبد الرحمن ) : ٢٨٣

القاسم بن مَهْرَوَيْه : ١٦٤ هـ

أبو القاسم نصر بن أحمد البصري : ٢٥٠ هـ

ابن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي : ١٣٦ هـ ، ١٥٥ هـ ، ٣٢٢ هـ ، ٣٣٩ هـ ، ٣٩١ هـ ،

٤٤٢ هـ

قُدَامَةُ بن جعفر : ١٠٧ - ١٠٩ هـ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ هـ

قَدَّارَانُ ( موضع : في شعر امرئ القيس ) : ١١٤ هـ

قَرَيْشُ : ٢٠١ ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٣

قَرِيظُ بن أنيف : ١٢٥ هـ

ابن قُرَيْعَةَ القاضي : ١٥٤ هـ

قُسَّ بن ساعدة الإيادي : ٢٣٠ ، ٢٣١ هـ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٣٥ هـ

قُشَيْرُ ( قبيلة : بشعر زيد الخيل ) : ١٣٦ هـ

القصر ( بشعر ابن المعتز ) : ١٣١

القطامي : ١٣٠

قَعْنَبُ بن مُحَرِّز : ١١٥

قيس بن الخطيم : ١٢٦

قيس بن ذُرَيْج : ١١٣ هـ

قيس بن عاصم المنقري : ١٢٨

قيس بن الملوح : ٣٢٨ هـ

قيصر : ٤٩



## (ك)

- كُثَيِّرَ عَزَّةَ : ١٥٠ ، ٣٣٨ هـ  
 كَرْمَانُ : ٤٩  
 كَسْرَى : ٢٠٣ ، ٤٩  
 كَشَاجِمُ (محمودُ بن الحسين بن السندی) : ٣٤١  
 كَعْبُ (قبيلة : في شعر بشار) : ١٥٧  
 كَعْبُ بن زُهَيْر : ٤٦١  
 كَلَابُ (قبيلة : في شعر زيد الخيل) : ١٣٦ هـ  
 كَنْدَةُ (قبيلة : في شعر عبيد بن الأبرص) : ١٦٠  
 كَهَانُ العرب : ٨٧ - ٨٨  
 كُورُ الأهواز : ١٨٧ هـ

## (ل)

- لَبِيدُ بن رَبِيعَةَ العامريّ : ٣٩١ ، ٤٦١ هـ  
 أَبُو لَهَب : ٨١ هـ  
 بَنُو لَيْث : ١٩٩  
 لَيْلِي (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٨

## (م)

- مَأْسَلُ (موضع : بشعر امرئ القيس) : ٣٢٥  
 المَأْمُونُ : ١٥٩ هـ  
 مَالِكُ (بشعر امرئ القيس) : ٣٢٥  
 مَالِكُ بن أَسْمَاءَ بن خَارِجَةَ : ١٤٩ هـ  
 مَانِي : ٤٦  
 المَبْرَدُ : ١٢٩ ، ١٥٤ هـ ، ٢١٠ - ٢١١ هـ ، ٢١٤ - ٢١٥ هـ ، ٢١٧ هـ ، ٤٠٨ هـ  
 المتكلمون : ٩ ، ٢٣٥ ، ٣٧٤  
 المتنبي : ١٣٢ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ هـ ، ٤٢٠ ، ٤٥٣  
 مُجَالِدُ بن سَعِيدِ الهمداني الكوفي : ٢٣٠ ، ٢٠٩ هـ

- مجنونٌ ليلي : ١١٣ هـ  
 المجوس : ٤٦  
 محمدُ بن أحمدَ الكاتب : ٣٣٨ هـ  
 محمدُ بن إسحقَ بن إبراهيمَ بن أبي العنيس : ٣٧٥ هـ  
 محمدُ بن حجاج اللخمي : ٢٣٠  
 محمدُ بن خزم الباهلي : ١٤٣ هـ  
 محمدُ بن حسان السمتي البغدادي : ٢٣٠  
 محمدُ بن داودَ بن الجراح أبو عبد الله : ١٦٤ هـ ، ٣٦٧  
 محمدُ بن راشد : ٢٥٧ هـ  
 محمدُ بن زكريا : ٢٣٢  
 محمدُ بن سلمة : ٢٨١  
 محمدُ بن عبد الله الصولي : ١٤٩ هـ  
 محمدُ بن عبد الملك الزيات : ١٧٤ هـ  
 محمدُ بن علي الأنباري : ١٥٨  
 محمدُ بن علي الأنصاري : ٢٣٠  
 محمدُ بن علي بن موسى القمي : ٣٣٥ هـ  
 محمدُ بن عمر (مملوح البحري) : ٩١ هـ  
 محمدُ بن عمر أبو عبيد الله المرزباني : ٣٣٨ هـ  
 محمدُ بن القاسم بن مهرويه : ١٦٤ هـ  
 محمدُ بن وهيب الحميري : ١٤٣ هـ  
 محمدُ بن يحيى الصولي : ١١٣ هـ ، ١١٤ ، ١٢٦ هـ ، ١٤٩ ، ١٥٤ هـ ،  
 ١٥٨ ، ١٧٥ ، ٤٢١  
 محمود محمد شاكر : ٢٧٤ هـ  
 محمودُ بن مروانَ بين أبي حفصة : ١٥٤ هـ  
 المدينة : ٢١٨  
 مرآةُ القوس : ١٠٤  
 مربدُ البصرة : ٥٢٠ هـ  
 المرزباني : ١٥٤ هـ  
 المرزوقي : ١١٧ هـ ، ١٢٠ - ١٢١ هـ  
 مروانُ بن محمد الأموي : ١١٩  
 أبو مروانَ يحيى بن مروان : ١٥٤ هـ

- مَرُوءُ الرُّوذ : ٤٩  
 مَرُوءُ الشَاهِجَان : ٤٩  
 مَرِيمُ ابْنَةُ عِمْرَان عَلَيْهَا السَّلَام : ٢٠٤  
 الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : ٣١٩  
 الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ : ٣١٩ ، ٧٢  
 أَبُو مُسْلِمِ الرَّسْتَمِيِّ : ٣٣٤  
 مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيد : ١٦٤ هـ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٣٦٣ هـ  
 الْمُسَيْبُ بْنُ شَرِيك : ٢٨٢ — ٢٨٣  
 مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ : ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ هـ ، ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤٢٦  
 مِصْرُ : ١٣٠ هـ  
 مُضَرُّ الْجَزِيرَةِ (بِشْعَرِ الْبَحْتَرِيِّ) : ٣٥٨  
 الْمَطِيرَةُ (بِشْعَرِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ) : ١٣١  
 مُعَاذُ بْنُ جَبَل : ٢١٢  
 الْمُعَاوِيَةُ بْنُ زَكْرِيَا : ٣٦٨ هـ  
 مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : ١٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ هـ  
 الْمُعْتَزَلَةُ : ٩٩ هـ ، ٣٨٦  
 الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : ١٣٣  
 الْمُفَضَّلُ الضُّبِّي : ١٧٦  
 ابْنُ مُقْبِل : ١٣١  
 الْمُقَرَّاءُ (مَوْضِعٌ : فِي شَعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ) : ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٣٣٧  
 ابْنُ الْمُقَفِّع : ٤٦  
 الْمُقَنْعُ الْكَنْدِيُّ : ١٤٢  
 مَكَّةُ : ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٤٤٥ هـ  
 مَكْرَانُ : ٤٩  
 الْمَلَائِكَةُ : ١٣ ، ٣٠ ، ٦٢ ، ١٥٩ ، ٣٠١ — ٣٠٢  
 الْمَمَزَّقُ الْعَبْدِيُّ : ٢١٨ هـ  
 مَنَى : ٢٠٢ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨  
 الْمَنْصُورُ : ١٤٧ ، ١٧٦  
 مَنظُورُ بْنُ مَرْتَدِ الْأَسَدِيِّ : ٢٦٣ هـ  
 أَبُو الْمَهَالِ (بَقِيلَةُ الْأَكْبَرِ الْأَشْجَعِيِّ) : ١٢٢ هـ  
 الْمَهْدِيُّ : ٣٦٧

ابن مَهْرَوَيْه : ٣٣١ هـ  
 المهلبُ بن أبي صُفْرَةَ : ١١٩  
 الموصلُ : ٣٥٨  
 مَوْكَل : ( في شعر البحري ) : ٣٤٨  
 موسى بن إبراهيم الرافقي : ٣٤٥ هـ  
 أبو موسى الأشعري : ٢١٤ ، ٢٢٤  
 موسى عليه السلام : ١٤ ، ٢٠ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،  
 ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٤٠٣ ، ٤١٢ ، ٤٥٨  
 ابن مِيَادَةَ : ١٥١

(ن)

النابعةُ الجعدى : ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦١  
 النابعةُ الذبياني : ٥٤ ، ١١٣ - ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ،  
 ١٧٣ ، ١٨٤ ، ٢٧٥ ، ٣٧٥  
 نافعُ بن خليفة : ١٤٤  
 النجاشي : ٢٠٤  
 نَزَارُ ( قبيلة : في شعر ابن المعتز ) : ٤٢١  
 نصرُ بن منصور بن بسام أبو العباس : ١٦٥ هـ  
 نُصَيْبُ : ١١٧ ، ١٤١  
 النظامُ : ٩٩ ، ١٠٠ هـ  
 النعمانُ بن المنذر : ١٦٦ هـ ، ٢١٨ هـ ، ٣٤٤ هـ  
 النمرُ بن تَوَلْب : ١١٧ ، ١٤١ هـ  
 النَوَارُ : ١٧٧  
 أبو نُوَاس : ٧٨ - ٧٩ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ،  
 ١٩٠ ، ٢٥٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ - ٣٣٢ ، ٣٣٣ هـ ، ٤٢٣ - ٤٢٤  
 نُوحٌ عليه السلام : ٥٠  
 النووي : ٤٤٢ هـ

(هـ)

الهادي : ٣٦٧ هـ ، ٣٦٨  
 هَارُونُ عليه السلام : ٨٦ ، ٩٣

هاشمٌ (قبيلة : بشعر ابن المعتز) : ٤٢١

بنو هاشم : ١٢٨

أبو هاشم بن أبي عليّ الجبائي : ٤٤٩

هبنقة : ٣٢٢

ابن هبيرة : ٤٤٥ هـ

هرم بن سنان (بشعر زهير) : ١٥٨

ابن هرمة : ١٥٣ ، ١٦٧

هريرة (بشعر الأعشى) : ٤٢٥

هذيل (قبيلة) : ١٩٩

هشام بن عبيد الله : ٢٨٢ — ٢٨٣

هشام (بن عروة) : ٢٣٢

هشام الفوطي : ٩٩ ، ١٠٠ هـ

أبو هفان : ٣٦٧ هـ

أبو هلال العسكري = الحسن بن عبد الله

هلال بن يزيد : ٤٢٥

همدان (قبيلة : في شعر ابن بَرّاقة) : ٢٢٩

الهند : ١٩٤ هـ

هند بنت النعمان : ١٣٣

هند بنت حجر : ٣٢٤ هـ

أبو الهول الحميري (عامر بن عبد الرحمن) : ٣٦٧ ، ٣٦٨ هـ

الهيثم بن عدي : ٢٠٩ هـ ، ٢٢٩ هـ ، ٣٦٧ هـ

( و )

الواحدى : ٤٢٠ هـ

الوليد بن عبد الملك : ٤٤٥ هـ

( ى )

ابن يامين البصري : ٣٦٧ — ٣٦٨ هـ

يحيى بن سعيد القطان : ٢٨٣ هـ

يحيى بن العلاء : ٢٨٣ هـ

يحيى بن عليّ المنجم : ١٤٩

يزيد بن الطثرية : ١٥٣ هـ

يزيد بن عمرو بن الصّغق : ١٣٧ هـ

يزيد بن الوليد الأمويّ : ١١٩

بنو يشكر : ١٢٣ هـ

أبو يوسف الصّيدلانيّ : ١٤ ، ١٢٧

يوسف بن عبد العزيز اللخميّ : ٤٦٢ هـ

يوسف عليه السلام : ١٤ ، ١٢٧

يونس ( بن حبيب ) : ١٧٧

## ٥ - فهرس الكتب الواردة بكتاب الإعجاز

(س)

الإنجيل : ٤٤ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٩٢ ، ٣٠٦ ، ٣٩٥

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ : ١٩٣

(ت)

التوراة : ٤٤ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٩٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٩٥ ، ٤٠١

(ح)

الحماسة لأبي تمام الطائي : ١٧٧

(د)

الدرة لابن المقفع : ٤٦ - ٤٧

(ص)

الصحف : ٤٤

(ك)

كتاب الأجناس : ٤٣١

كتاب الأصول للباقلاني : ٧٠

كتاب بُزْرْ جُمهُرُ في الحكمة : ٤٧

كتاب خبر الواحد للجاحظ : ٣٧٧

كتاب الردّ على النصارى للجاحظ : ٣٧٧

كتابُ زَرَادُشت : ٤٦  
 كتابُ العين ( للخليل بن أحمد ) : ٤٣١  
 كتابُ ماني : ٤٦

( م )

معاني القرآن للباقلاني : ٣١٧ ، ٣٧٤

( ن )

نظم القرآن للجاحظ : ٧ ، ٣٧٧

( و )

الوحشيات لأبي تمام الطائي : ١٧٧

اليتيمة لابن المقفع : ٤٦ - ٤٧



## ٦ - فهرس المراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ( حجازي ١٣٦٠ هـ )  
أخبار أبي تمام للصولي ( لجنة التأليف ١٣٥٦ هـ )  
أخبار أبي نواس لابن منظور ( الجزء الثاني . بغداد )  
أدب الكتّاب لابن قتيبة ( الرحمانية ١٣٥٥ هـ )  
أساس البلاغة للزمخشري ( دار الكتب المصرية ١٣٤١ هـ )  
أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ( المنار )  
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر ( السعادة ١٣٢٣ هـ )  
الأصمعيّات ( ليبسك ١٩٠٢ م )  
الأضداد لابن الأنباري ( الحسينية ١٣٢٥ هـ )  
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ( بولاق ١٢٨٥ هـ )  
الاقتضاب لابن السيد البطليوسي ( الآداب ببيروت ١٩٠١ م )  
أمالى القالى ( دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ )  
أمالى المرتضى ( السعادة ١٣٢٥ هـ )  
إمتاع الأسماع للمقريزي ( لجنة التأليف ١٩٤١ م )  
الإمتاع والمؤانسة للتوحيدى ( لجنة التأليف ١٩٤٢ م )

### ( ب )

- البداية والنهاية لابن كثير ( السعادة ١٣٥١ هـ )  
البديع لابن المعتز ( مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ )  
البصائر والذخائر للتوحيدى ( لجنة التأليف ١٣٧٣ هـ )  
بغية الوعاة للسيوطي ( السعادة ١٣٤٩ هـ )  
البيان والتبيين للجاحظ ( لجنة التأليف ١٣٦٩ هـ )

### ت

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ( عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ )  
تاريخ الإسلام للذهبي ( القدسى ١٣٦٧ هـ )

تاريخ الأمم والملوك للطبري ( الحسينية ١٣٢٣ هـ )  
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ( السعادة ١٣٤٩ هـ )  
 التاريخ الكبير للبخاري ( حيدر آباد )  
 التشبيهات لابن أبي عون ( لندن ١٩٥٢ م )  
 تفسير ابن جرير الطبري ( بولاق ١٣٢٩ هـ )  
 التمهيد للباقلاني ( دار الفكر العربي ١٣٦٦ هـ )  
 تهذيب التهذيب لابن حجر ( حيدر آباد ١٣٢٥ هـ )

## ( ج )

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ( حيدر آباد )  
 جمهرة أشعار العرب لأبي زيد ( بولاق ١٣٠٨ هـ )  
 جمهرة أنساب العرب لابن حزم ( المعارف ١٩٤٨ م )  
 جمهرة اللغة لابن دريد ( حيدر آباد ١٣٥١ هـ )

## ( ح )

حماسة البحري ( الكاثوليكية بيروت ١٩١٠ م )  
 حماسة ابن الشجري ( حيدر آباد ١٣٤٥ هـ )  
 الحيوان للجاحظ ( مصطفى الحلبي ١٣٦٤ هـ )

## ( خ )

خاص الخاص للثعالبي ( الخانجي ١٩٠٨ م )  
 خزائن الأدب لابن حجة الحموي ( الخيرية )  
 خزائن الأدب لعبد القادر البغدادي ( بولاق ١٢٩٩ هـ )  
 الخصائص لابن جني ( دار الكتب المصرية )  
 خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي ( الخيرية ١٣٢٢ هـ )

## ( د )

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ( المنار ١٣٦٧ هـ )  
 دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ( حيدر آباد . أولى )

- ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م)  
 ديوان الأعشى (فيينا ١٩٢٧ م)  
 ديوان الأفوه الأودى (ضمن الطرائف الأدبية . لجنة التأليف ١٩٣٧ م)  
 ديوان امرئ القيس (الرحمانية ١٩٣٠ م)  
 ديوان البحترى (بيروت ١٩١١ م)  
 ديوان أبى تمام (بيروت)  
 ديوان جرير (الصاوى ١٣٥٣ هـ)  
 ديوان حسان بن ثابت (الرحمانية ١٣٤٧ هـ)  
 ديوان الحطيثة (التقدم ١٣٢٥ هـ)  
 ديوان الحنساء (الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م)  
 ديوان ابن الدمينه (القاهرة ١٣٣٧ هـ)  
 ديوان أبى ذؤيب الهذلى (ضمن شعر الهذليين . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ)  
 ديوان ذى الرمة (كمبردج ١٩١٩ م)  
 ديوان ابن الرومى (القاهرة ١٩١٧ م)  
 ديوان زهير بشرح الأعلام الشتمرى  
 ديوان زهير بشرح ثعلب (دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ)  
 ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس (دار الكتب المصرية ١٩٤٩ م)  
 ديوان السرى الرفاء (القدسى)  
 ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧ هـ)  
 ديوان طرفة بن العبد (قازان ١٩٠٩ م)  
 ديوان عبيد بن الأبرص (ليدن ١٩١٣ م)  
 ديوان علقمة الفحل (المحمودية ١٣٥٣ هـ)  
 ديوان عمر بن أبى ربيعة (التجارية)  
 ديوان الفرزوق (الصاوى ١٣٥٤ هـ)  
 ديوان كثير عزة (الجزائر ١٩٢٨ م)  
 ديوان كشاجم (بيروت)  
 ديوان المتنبي بشرح البرقوقى (الرحمانية ١٣٤٨ هـ)  
 ديوان المعانى لأبى هلال العسكري (القدسى ١٣٥٢ هـ)  
 ديوان ابن المعتز (بيروت ١٣٣٢ هـ)  
 ديوان النابغة الذبياني (بيروت ١٣٤٧ هـ)  
 ديوان أبى نواس (واصف ١٢٩٣ هـ)

( ذ )

الذخائر والأعلاق ( القاهرة )  
ذيل أمالي القالى ( دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ )

( ر )

الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى ( الخانجى ١٣٥٧ هـ )

( ز )

زهر الآداب للحصرى ( الرحمانية ١٩٢٥ م )  
الزهرة لابن أبى داود

( س )

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ( الرحمانية ١٣٥٠ هـ )  
سنن الدارمى ( دمشق )  
سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ( المصرية )  
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ( المؤيد ١٣٣١ هـ )

( ش )

شرح أدب الكاتب للجوالقى ( القدسى ١٣٥٠ هـ )  
شرح الحماسة للتبريزى ( التجارية ١٣٥٧ هـ )  
شرح الحماسة للمرزوقى ( لجنة التأليف ١٣٧١ هـ )  
شرح سنن الترمذى للمبار كفورى ( الهند )  
شرح شواهد الشافىة للبغدادى ( حجازى ١٣٥٩ هـ )  
شرح شواهد المغنى للسيوطى ( البهية ١٣٢٢ هـ )  
شرح القصائد العشر للتبريزى ( السلفية ١٣٤٣ هـ )  
شرح المعلقات للزوزنى ( الرافعى )  
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ( الحلبي ١٣٢٩ هـ )  
الشعر والشعراء لابن قتيبة ( عيسى الحلبي ١٣٧٠ هـ )

( ص )

الصاحبي لابن فارس ( السلفية ١٣٢٨ هـ )  
الصناعتين لأبي هلال العسكري ( الآستانة ١٣٢٠ هـ )

( ط )

طبقات الشافعية للسبكي ( الحسينية )  
طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ( المعارف ١٩٤٢ م )  
الطبقات الكبرى لابن سعد ( ليدن ١٣٢٢ هـ )

( ع )

عبث الوليد للمعري ( الترقى بدمشق ١٣٥٥ هـ )  
العقد الفريد لابن عبد ربه ( لجنة التأليف ١٣٥٩ هـ )  
العمدة لابن رشيق ( التجارية ١٣٥٣ هـ )  
عيون الأثر لابن سيد الناس ( القدس ١٣٥٦ هـ )  
عيون الأخبار لابن قتيبة ( دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ )

( غ )

غرر الخصائص الواضحة للوطواط ( الأدبية ١٣١٨ هـ )

( ف )

الفائق للزمخشري ( عيسى الحلبي ١٣٦٦ هـ )  
فتح الباري لابن حجر ( بولاق )  
فهرست ابن النديم ( التجارية ١٣٤٨ هـ )

( ك )

الكامل للمبرد ( مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ )  
الكتاب لسيبويه ( بولاق ١٣١٧ هـ )

(ل)

اللاآلى شرح الأمالى للبكرى ( لجنة التأليف ١٣٥٤ هـ )  
لسان العرب لابن منظور ( بولاق ١٣٠٨ هـ )

المؤتلف والمختلف للآمدى ( القدسى ١٣٥٤ هـ )  
ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن الكريم للمبرد ( السلفية ١٣٥٠ هـ )  
مبادئ اللغة للخطيب الإسكانى ( الخانجى ١٣٢٥ هـ )  
المجازات النبوية للشريف الرضى ( مصطفى الحلبي ١٣٥٦ هـ )  
مجمع الأمثال للميدانى ( القاهرة ١٣٥٢ هـ )  
مجمع البيان للطبرسى ( صيدا ١٣٥٤ هـ )  
مختارات ابن الشجرى ( الاعتماد ١٩٢٥ م )  
مروج الذهب للمسعودى ( السعادة ١٣٦٧ هـ )  
مصارع العشاق للسراج ( الجوائب ١٣٠١ هـ )  
مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ( الميمنية ١٣٢٤ هـ )  
المفضليات ( المعارف ١٩٥٢ م )  
المعارف لابن قتيبة ( القاهرة ١٣٥٣ هـ )  
المعانى الكبير لابن قتيبة ( حيدر آباد ١٣٦٨ هـ )  
معاهد التنصيص للعباسى ( السعادة ١٣٦٧ هـ )  
معجم الأدباء لياقوت ( رفاعى ١٣٥٧ هـ )  
معجم البلدان لياقوت ( الخانجى ١٣٢٣ هـ )  
معجم الشعراء للمرزبانى ( القدسى ١٣٥٤ هـ )  
المعمرين لأبى حاتم السجستانى ( السعادة ١٣٢٣ هـ )  
مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ( الأول . السعادة ١٣٢٣ هـ )  
المنتظم لابن الجوزى ( حيدر آباد ١٣٥٨ هـ )  
الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى ( حجازى ١٣٦٣ هـ )  
الموشح للمرزبانى ( السلفية ١٣٤٣ هـ )  
ميزان الاعتدال للذهبي ( السعادة ١٣٢٥ هـ )  
الميسر والقдах لابن قتيبة ( السلفية ١٣٤٣ هـ )

نثار الأزهار لابن منظور ( الجوائب )  
نزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الأنبارى ( حجر ١٢٩٤ هـ )

- نظام الغريب للربعي ( أمين هندية )  
 النقائص بين جرير والفرزدق ( ليدن ١٩٠٥ م )  
 نقد الشعر لقدامة بين جعفر ( الجواثب ١٣٠٢ هـ )  
 النكت في إعجاز القرآن للرماني ( دهلي ١٩٣٤ م )  
 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي ( الآداب والمؤيد )  
 نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ( الاستقامة )  
 نوادر أبي زيد ( بيروت ١٨٩٤ م )  
 نوادر القالي ( دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ )

( ى )

يتيمة الدهر للثعالبي ( حجازي )

## ٧ - فهرس الموضوعات

|                                                                                                                                                                                                                                                   |         |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| مقدمة المؤلف :                                                                                                                                                                                                                                    | ٣ - ٩   |
| بيان شرف القرآن الكريم ، وأن البحث فيه والكشف عن معانيه من أهم ما يجب على المسلمين . السبب في خوض الملحددين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف ، في كل يقين - أقوال الملاحدة في القرآن - موازنة بعض الجهال القرآن بالشعر وتفضيله الشعر على القرآن . | ٣ - ٦   |
| تقصير المؤلفين في معاني القرآن في بيان وجه إعجاز القرآن ، وما نجم عنه . تقصير الجاحظ في كتاب « نظم القرآن » . سبب تأليف الكتاب ، وبيان منهج المؤلف فيه .                                                                                          | ٦ - ٩   |
| فصل : في أن القرآن معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . بيان أن القرآن معجزة عامة للإنس والجن ، في سائر العصور . تخطئة زعم : أن عجز أهل العصر الأول عن معارضة القرآن كاف في الدلالة على النبوة ، وغير مستلزم عجز أهل الأعصر التالية .             | ١٠ - ٢٠ |
| بيان أن كثيراً من الآيات والسور - : كسورة المؤمن ، وسورة فصلت : يدل على أن الله لما ابتعث النبي جعل القرآن معجزته ، وبني أمر نبوته عليه ؛ كما جعله حجة لازمة عامة ، وبين وجه إعجازه .                                                             | ١٠ - ١١ |
| بيان مفارقة حكم القرآن حكم غيره من الكتب المنزلة السابقة . فصل : في تبين كيفية الدلالة على كون القرآن معجزاً .                                                                                                                                    | ١٩ - ٢٠ |
| نقل الباقلاني عن العلماء : أن الأصل في ذلك هو علم كون القرآن المرسوم في المصاحف ، هو الذي جاء النبي به ، والذي تلاه من في عصره . وبيان الطريق إلى معرفة ذلك ، والدليل على عدم حدوث تحريف فيه ، أو كتمان شيء منه .                                 | ٢١ - ٤٧ |
|                                                                                                                                                                                                                                                   | ٢١ - ٢٦ |



- ٢٣ إبطال زعم أنه لا يمكن علم وحدانية الله بالقرآن .
- ٢٥- ٢٦ اختلاف الدواعي إلى ضبط البشر القرآن ، وحفظهم إياه .
- ٢٦- ٣٣ إثبات أن النبي قد تحدى العرب بالقرآن ؛ وأنهم لم يأتوا بمثله ، وعجزوا عنه .
- ٣٣- ٤١ ذكر بعض الاعتراضات التي ترد على ذلك ؛ ودفعها .
- ٣٨ سبب إسلام جبير بن مطعم ، وعمر بن الخطاب .
- ٣٩ بعث وجوه قريش بعتبة بن ربيعة ، إلى النبي ، ليجادله ؛ وما حدث منه .
- ٣٩- ٤٠ بيان أن الله جعل سماع القرآن حجة على بعض المشركين ؛ وأن ذلك لا يستلزم أن يسلم الجميع عند سماعه .
- ٤٠ مجيء أبي سفيان بن حرب إلى النبي - عام الفتح - ليسلم ؛ وما كان منه .
- ٤١- ٤٤ القول بالصرقة ، والرد عليه .
- ٤٤- ٤٦ الاعتراض بالزام كون الكتب السماوية الأخرى معجزة ؛ ودفعه .
- ٤٦- ٤٧ الرد على زعم المجوس أن بعض كتبهم معجزة ؛ وعلى زعم : أن ابن المقفع قد عارض القرآن .
- ٤٨- ٧١ فصل : في جملة وجوه إعجاز القرآن .
- ٤٨- ٥١ نقل الباقلاني عن الأشاعرة ، ثلاثة أوجه :
- ٤٨- ٥٠ الوجه الأول : تضمن القرآن الإخبار عن الغيب . الاستدلال له
- ٥٠- ٥١ الوجه الثاني : إتيان القرآن بجملة ما حدث - : من عظيمة الأمور ، ومهمات السير - من بدء الخليقة إلى حين بعثة النبي ؛ مع كونه صلى الله عليه وسلم أمياً ، لا يعرف شيئاً من كتب السابقين وأنبيائهم . والاستدلال له .
- ٥١ الوجه الثالث : بديع نظم القرآن ، وعجيب تأليفه ، وتناهيه في البلاغة .
- ٥١- ٧٢ بيان الباقلاني الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن ، وتأليفه ، وبلاغته .
- ٥١- ٥٢ المعنى الأول : ما يرجع إلى جملته .

- المعنى الثانى : كون كلام العرب غير مشتمل على فصاحة القرآن وغرابته ، ولطيف معانيه ، وغزير فوائده ؛ وما إلى ذلك . ٥٣
- المعنى الثالث : عدم التفاوت والتباين فى عجيب نظم القرآن ، وبديع تأليفه . ٥٤ - ٥٦
- المعنى الرابع : كون كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً ظاهراً فى الفصل والوصل ، والعلو والتزول ؛ وغير ذلك . ٥٦ - ٥٧
- المعنى الخامس : كون نظم القرآن - من حيث البلاغة - : خارجاً عن عادة كلام الثقلين . ودفع ما قد يرد على ذلك . ٥٧ - ٦٢
- لامية تأبط شراً فى مقابلة الغيلان ؛ وأبيات لامرى القيس وغيره فى مخاطبة الجان . ٥٨ - ٦١
- المعنى السادس : اشتغال القرآن على جميع أنواع الخطاب عند العرب ؛ مع تجاوزه حدود المعتاد بينهم . ٦٢ - ٦٣
- المعنى السابع : تضمن القرآن ما يمتنع على البشر من المعانى فى أصل وضع الأحكام والقواعد ، والاحتجاج فى العقائد ، والرد على المعاند . ٦٣
- المعنى الثامن : كون الكلمة من القرآن يتمثل بها خاصة فى تضاعيف كلام كثير . ٦٣ - ٦٦
- المعنى التاسع : كون الحروف التى بنى عليها كلام العرب : تسعة وعشرين حرفاً ؛ مع أن عدد سور القرآن - المفتتحة بذكر الحروف - : ثمان وعشرون سورة ؛ وجملة الحروف المذكورة فى أوائل السور أربعة عشر حرفاً . وشرح ذلك . ٦٦ - ٦٩
- المعنى العاشر : سهولة سبيل القرآن ، وخروجه عن الوحشى المستكره ، والغريب المستنكر ؛ وبعده عن التصنع والتكلف ؛ وقربه إلى الفهم . ٦٩ - ٧٠
- عدم موافقة الباقلانى ، بعض الأشاعرة فى جعله كون الأحكام الشرعية معللة بعلة موافقة لمقتضى العقل - : وجهاً من وجوه الإعجاز . ٧٠ - ٧١

- ٧١ بيان الباقلاني كون إعجاز القرآن ليس من جهة كونه حكاية لكلام الله النفسى القديم ، أو كونه عبارة عنه ، أو قديماً في نفسه .
- ٧٢-٧٥ فصل : في شرح وجوه إعجاز القرآن المتقدمة :
- ٧٢-٧٣ شرح الوجه الأول .
- ٧٤-٧٥ شرح الوجه الثاني .
- ٧٥ شرح الوجه الثالث .
- ٧٦-٨٥ فصل : في نفي الشعر من القرآن .
- ٧٧-٧٩ بيان ادعاء أن في القرآن شعراً كثيراً .
- ٧٩-٨٤ الجواب عن هذا الادعاء .
- ٨٤-٨٥ بيان أن ليس في القرآن كلام موزون كوزن الشعر ، وإن كان غير مقفى .
- ٨٦-١٠٠ فصل : في نفي السجع من القرآن :
- ٨٦-١٠٠ بيان أقوى أدلة مثبتى السجع ، ونقضها .
- ٩٥-٩٧ اختلاف العلماء في الشعر كيف اتفق للعرب ؟ .
- ٩٩-١٠٠ إلزام الباقلاني مجوزى السجع في القرآن بالقول بالصرقة ، وبوقوع الخبط في طريقة نظمه ، وبلاستهانة بعجيب تأليفه .
- ١٠١-١٧٠ فصل : في ذكر البديع من الكلام .
- ١٠١-١٠٦ تصدير الباقلاني ، الجواب عن كون إعجاز القرآن : هل يمكن معرفته من جهة أنواع البديع التى تضمنها — : بذكر ألفاظ من الكتاب والسنة وكلام البلغاء ، تضمنت بعض أنواع البديع .
- ١٠٦-١٦١ نقل الباقلاني جملة من طريق البديع الكثيرة ؛ التى اشتمل عليها الشعر ؛ مع بيان معانيها ، وذكر شواهد لها أيضاً من القرآن وكلام البلغاء .
- ١٠٦-١٠٩ الاستعارة البليغة أو الإرداف .
- ١٠٩-١١٧ التشبيه الحسن ، وبعض أنواع الاستعارة .
- ١١٧-١١٩ الغلو والإفراط في الصنعة .
- ١١٩-١٢٢ التمثيل أو المماثلة .
- ١٢٢-١٢٦ التضاد أو المطابقة .
- ١٢٦-١٣٢ التجنيس أو المجانسة .

|                                                                                       |         |
|---------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| المقابلة .                                                                            | ١٣٣-١٣٢ |
| الموازنة .                                                                            | ١٣٤     |
| المساواة .                                                                            | ١٣٦-١٣٤ |
| الإشارة .                                                                             | ١٣٧-١٣٦ |
| الغلو والمبالغة .                                                                     | ١٣٩-١٣٧ |
| الإيغال .                                                                             | ١٣٩     |
| التوشيح .                                                                             | ١٤٠-١٣٩ |
| رد عجز الكلام على صدره .                                                              | ١٤١-١٤٠ |
| صحة التقسيم .                                                                         | ١٤٣-١٤١ |
| صحة التفسير .                                                                         | ١٤٣     |
| التكميل والتتيم .                                                                     | ١٤٤-١٤٣ |
| الترصيع وأنواعه .                                                                     | ١٤٦-١٤٤ |
| المضارعة .                                                                            | ١٤٦     |
| التكافؤ .                                                                             | ١٤٧-١٤٦ |
| التعطف .                                                                              | ١٤٨-١٤٧ |
| السلب والإيجاب ، والكناية والتعريض .                                                  | ١٤٨     |
| العكس والتبديل .                                                                      | ١٤٩-١٤٨ |
| الالتفات .                                                                            | ١٥٢-١٤٩ |
| الاعتراض والرجوع .                                                                    | ١٥٤-١٥٣ |
| التذييل .                                                                             | ١٥٦-١٥٥ |
| الاستطراد .                                                                           | ١٦٠-١٥٦ |
| التكرار .                                                                             | ١٦٠     |
| الاستثناء .                                                                           | ١٦١-١٦٠ |
| رد الباقلاني على من زعم إمكان استفادة إعجاز القرآن ، من أنواع البديع المتقدمة :       | ١٧٠-١٦٢ |
| بعض لامية أبي تمام : ( متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل ) ؛<br>ونقده مع نقد أبيات أخرى له . | ١٦٦-١٦٢ |
| بيان أن البحرى لا يرى فى التجنيس ما يراه الطائى ، ويقل<br>التصنيع له .                | ١٦٦     |

- رجوع الكلام إلى أنه لا سبيل إلى إمكان استفادة الإعجاز ،  
من أنواع البديع . ١٦٨-١٧٠
- فصل : في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن : ١٧١-٢٣٥
- معرفة إعجاز القرآن لا تنهياً إلا للعربي المتناهي الفصاحة . ١٧١-١٧٢
- اختلاف أهل الصنعة في اختيار الكلام . ١٧٢-١٧٨
- بعض دالية البحترى في مدح ابن الزيات . ١٧٤
- شرح قول علي بن الجهم - عن شعر أشجع السلمى - :  
إنه يخلى . ١٧٥
- الخلافا في التفضيل بين أبي نواس ومسلم بن الوليد ؛ ثم  
بين الفرزدق وجريير . ١٧٦-١٧٧
- بيان أن اختيار أبي تمام - في كتابيه : الحماسة ، والوحشيات -  
أعدل اختيار . ١٧٧-١٧٨
- بيان وجه تفضيل العربية على غيرها . ١٧٨-١٨٠
- بيان أى الكلام أحق بأن يكون شريفاً ؟ ١٨٠-١٨٢
- بيان أن المتقدم في صنعة الفصاحة ، لا تخفى عليه وجوه الكلام ،  
ولا تشبه عليه طرقه ؛ بل يستطيع نقدها ، ومعرفة المتماثل  
منها ؛ والتمييز بين شعر الشعراء ، وبين رسائل البلغاء ؛ وإدراك  
الفرق بين الكلام العلوى ، واللفظ السوقى ؛ وإدراك التابع من  
المتبوع . وبيان أن معرفة البليغ بعلو شأن القرآن وعجيب نظمها ،  
أمر يستحيل غيره ، ولا يشبهه على ذى بصيرة . ١٨٢-١٩٢
- ذكر الأمثلة ، وعرض الأساليب ، وتصوير صور النثر والنظم ،  
التي تفسح أمام البليغ الطريق ، وتفتح له الباب لإدراك إعجاز  
القرآن ، ومعرفة الفرق الواضح بينه وبين سائر الكلام . ١٩٢-٢٣٤
- ما حكاه الجاحظ - في حد البلاغة - عن بعض الأمم  
والجماعات . ١٩٣-١٩٤
- ما ذكره أهل اللغة عن حد البراعة ، واختلافهم في معنى الفصاحة . ١٩٤
- شروع الباقلاني في ذكر شيء من كلام النبي ؛ لإظهار  
الفرق بين كلام الله ، وكلام البشر . ١٩٤-١٩٥
- خطبة النبي : « توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا . . . » . ١٩٦
- خطبة النبي : « .. إن لكم معام ، فانتبهوا إلى معامكم .. » . ١٩٧

- خطبة النبي : « .. نعوذ بالله من شرور أنفسنا .. » . ١٩٨-١٩٧
- خطبة النبي في أيام التشريق : « .. أتلدرون في أى شهر أنتم ؟ .. » . ٢٠٠-١٩٨
- خطبة النبي يوم فتح مكة : « لا إله إلا الله وحده . صدق وعده » . ٢٠١
- خطبة النبي بالخيف : « نصر الله عبداً سمع مقاتلي فوعاها » . ٢٠٢-٢٠١
- خطبة النبي : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة .. » . ٢٠٣
- كتاب النبي : إلى كسرى ملك فارس . ٢٠٤-٢٠٣
- كتاب النبي : إلى النجاشي ملك الحبشة . ٢٠٤
- نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية . ٢٠٦-٢٠٤
- بيان أن من كان له حظ في الصنعة ، وقسط من العريية ؛ لا يشتبه عليه الفرق بين القرآن وكلام النبي . ٢٠٧-٢٠٦
- شروع الباقلاني في ذكر جملة من كلام الصحابة والبلغاء ، زيادة في تبين الفرق بين القرآن وغيره . ٢٠٨-٢٠٧
- خطبة أبي بكر الصديق : « أما بعد : فإنني وليت أمركم ، ولست بخيركم . . . » . ٢٠٩
- عهد أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب . ٢١٠-٢٠٩
- كلام أبي بكر الصديق - في علته التي مات فيها - مع عبد الرحمن بن عوف . ٢١١-٢١٠
- كتاب أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ؛ إلى عمر بن الخطاب ، في نصيحته . ٢١٢
- رد عمر عليهما . ٢١٣-٢١٢
- عهد عمر إلى أبي موسى الأشعري ، في شأن القضاء . ٢١٦-٢١٤
- خطبة عثمان بن عفان : « إن لكل شيء آفة . . . » . ٢١٧-٢١٦
- كتاب عثمان بن عفان - وهو محصور - إلى علي بن أبي طالب . ٢١٨-٢١٧
- رثاء علي أبا بكر . وقد تضمن بعض الأحاديث الشريفة التي تعلق بوصفه . ٢٢١-٢١٨
- خطبة علي : « أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت . . . » . ٢٢٢
- خطبة علي : « .. اتقوا الله ؛ فما خلق امرؤ عبثاً . . . » . ٢٢٣
- كتاب علي إلى عبد الله بن عباس ، وهو بالبصرة . ٢٢٣
- كلام لابن عباس ، يبين فيه المانع من لإرسال علي إياه يوم الحكمين . ٢٢٤

- خطبة عبد الله بن مسعود : « أصدق الحديث كتاب الله ... » . ٢٢٤-٢٢٥
- خطبة علي - المنسوبة إلى معاوية بن أبي سفيان - : « .. إنا قد أصبحنا في دهر عنود ... » . ٢٢٨-٢٢٥
- خطبة عمر بن عبد العزيز : « أيها الناس : إنكم ميتون ... » . ٢٢٩-٢٢٨
- خطبة الحجاج بن يوسف : « يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق ... » . ٢٢٩
- الخطبة المنسوبة إلى قس بن ساعدة : « أيها الناس ، اجتمعوا .. » ٢٣٠-٢٣٢
- الخطبة الأخرى المنسوبة إليه أيضاً ، والتي صدرت بأبيات أولها : « يا ناعي الموت والأموات في جدث ... » . ٢٣٣-٢٣٢
- خطبة أبي طالب في شأن زواج النبي من خديجة . ٢٣٤
- بيان أن من تأمل الخطب المتقدمة ونحوها ، سيقع له الفصل بين كلام الآدميين ، وكلام رب العالمين . ٢٣٥
- باب : في بيان ما إذا كان الشعر أفصح من الخطب ، وأبرع من الرسائل - : فيحتاج إلى الموازنة بين نظمه وبين القرآن - أو أن النثر يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة ؛ ما لا يتأتى في الشعر . ثم نقد بعض القصائد الكبيرة ، لبيان عظيم شأن القرآن . ٢٣٦-٣٧٩
- ما حكى من أن المتنبي أنكر نظره في المصحف الشريف . ٢٣٧
- ذكر شيء من كلام مسيلمة الكذاب ؛ وبيان أنه أحقر من أن يهتم به ، وأنخف من أن يفكر فيه . ٢٣٨-٢٤١
- الكلام على جودة شعر امرئ القيس ؛ ثم نقد معلقته ، وبيان أن شعره لا يصح أن يوازن بين القرآن وبينه : ٢٤١-٢٧٨
- أبيات بديعة في وصف الثريا . ٢٦٤-٢٦٥
- التفاضل بين أبيات امرئ القيس ، وأبيات النابغة الذبياني ، في وصف الليل . ٢٧٥
- بيان الباقلاني أن نهج القرآن ونظمه ، وتأليفه ورصفه ؛ تنبيه العقول في جهته ، وتضل دون وصفه . واستشهاده لذلك بأبيات كثيرة ، في القصص والأخبار ، والعقائد والأحكام ؛ وما إلى ذلك . مع توضيح ما تضمنته توضيحاً جليلاً شافياً . ٢٧٩-٣٢٢
- بيان أن من القرآن ما لا يمكن إظهار البراعة فيه ، وإبانة ٣١٦-٣١٧

الفصاحة عليه ؛ وأن المعتبر في مثله تنزيل الخطاب ، وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى .

بيان أن الآيات الأحكاميات — التي لا بد فيها من أمر البلاغة — يعتبر فيها من الألفاظ ؛ ما يعتبر في غيرها . ٣١٨

بيان أن من آيات القرآن ، ما زاد الإفهام به على الإيضاح ، أو ساوى مواقع التفسير والشرح ؛ فكان النهاية في معناه . ٣٢١-٣١٩

تصريح الباقلاني بأن الذى عارض القرآن بشعر امرئ القيس ، لأضل من حمار باهلة ، وأحق من هبنقة . واستدل له لذلك . ٣٢٧-٣٢٢

بيان الباقلاني أن جنس الشعر عامة — رديئه وجيده — لا يصح موازنته بالقرآن ؛ وأن تخلف شعر امرئ القيس عن ذلك ، يستلزم تخلف شعر غيره ؛ وأن الجيد — من الأشعار — إنما يعدل بمثله ، لا بالقرآن ؛ وأن الشعراء يغير بعضهم على بعض . ٣٣٣-٣٢٨

إغارة أبى نواس ، على معنى للضحاك ، في وصف شارب الخمر ؛ وأبيات جيدة لابن الرومى في ذلك . ٣٣٢-٣٣٠

نقد الباقلاني لامية البحرى : ( أهلا بذلكم الخيال المقبل ... ) التي تعتبر أجود شعره . ٣٦٦-٣٣٤

قطعة أبى الهول الحميرى ، أو ابن يامين البصرى ، في وصف السيف . ٣٦٩-٣٦٨

بيان أن شعر البحرى إنما يوازن بشعر شاعر من طبقتة ؛ وأن نظم القرآن عال عن أن يعلق الوهم به ، أو يسمو الفكر إليه . ٣٧٠-٣٦٩

ذكر بعض أقسام الوصف الصادق ، والتمثيل لها من القرآن الكريم . ٣٧٣-٣٧١

السبب في اقتصار الباقلاني ، على نقد قصيدة البحرى ، دون شعر غيره من المحدثين . ٣٧٣

بيان الباقلاني أن الغرض من تصنيف كتابه هذا ، هو الكشف عن إعجاز القرآن ؛ دون الرد على مطاعن الملاحدة عليه . ٣٧٥-٣٧٤

بيان الباقلاني أن ذكر الأشعر والأبلغ من الشعراء ، خارج عن غرض الكتاب . ٣٧٦



- ٣٧٧-٣٧٦ رد الباقلاني على من يزعم أن سلامة بعض الكلام من العوارض والعيوب ، وبلوغه الأمد في الفصاحة والنظم العجيب - يقتضى إعجازه .
- ٣٧٨-٣٧٧ انتقاد الباقلاني أسلوب الجاحظ وطريقته ؛ وبيانه أن بعض متأخري الكتاب - كابن العميد - قد نازعه فيها ، وسأواه أو تقدم عليه .
- ٣٧٩-٣٧٨ بيان أن ليس في مقدور البشر معارضة القرآن بحال .
- ٣٨١-٣٨٠ فصل : في الرد على من زعم أن عجز أهل عصر النبوة ، عن معارضة القرآن والإتيان بمثله - لا يستلزم عجز أهل الأعصر التالية .
- ٣٨٥-٣٨٢ فصل : في التحدى ، وبيان أنه قد يكون ضرورياً في معرفة كون القرآن معجزاً ؛ وقد يكون استدلالياً .
- ٣٩٢-٣٨٦ فصل : في قدر المعجز من القرآن ؛ وبيان الخلاف - بين الأشاعرة والمعتزلة - في ذلك .
- ٣٨٩-٣٨٦ اختيار الباقلاني مذهب الأشعرى ، واستدلاله له ، ودفعه ما يرد عليه .
- ٣٨٩ بيان الباقلاني أن زعم الملاحدة أنه لا يقع العجز عن الإتيان بسورة قصيرة أو آيات بقدرها ؛ يخالفه الواقع ، ولا يستقيم مع زعمهم أن ليس في القرآن كله إعجاز .
- ٣٩٠ بيان أن الإعجاز يتفاوت ظهوراً وغموضاً ، بسبب اختلاف حال الكلام .
- ٣٩١ نقل الفراء عن العرب : متى يسمى الشعر يتيماً ، أو نتفة ، أو قطعة ، أو قصيداً ؟
- ٣٩٢ بيان أن اشتغال الكلام على البيت النادر ، أو المثل السائر ، أو المعنى الغريب - سببه الغزارة في أصل الصنعة .
- ٣٩٣ فصل : في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ أو استدلالاً ؟ وأنه استدلالى في حق الأعجمى ؛ ضرورى في حق المحيط بمذاهب العربية ، وغرائب الصنعة .
- ٣٩٥-٣٩٤ فصل : فيما يتعلق به الإعجاز : أهو الحروف المنظومة ؟

أو الكلام القديم القائم بالذات ؟ أو غير ذلك ؟ . وبيان  
الخلاف فيه .

فصل : في وصف وجوه من البلاغة ؛ مع التمثيل لها . ٤٣٥-٣٩٦

نقل الباقلاني عن بعض أهل الكلام والأدب - وهو أبو الحسن ٤٢٩-٣٩٦

الرماني . - : أن البلاغة على عشرة أقسام . وبيانه لها .

الكلام عن الإيجاز وأقسامه . ٣٩٧-٣٩٦

» » الإطناب ؛ والفرق بينه وبين التطويل . ٣٩٩

» » التشبيه . ٤٠٢-٣٩٩

» » الاستعارة ٤٠٦-٤٠٢

» » التلاؤم وأضرابه ؛ والفرق بينه وبين التنافر . ٤٠٩-٤٠٧

» » الفواصل ؛ والفرق بينها وبين الأضجاع . ٤٠٩

» » التجانس ووجوهه . ٤١١-٤١٠

» » المناسبة . ٤١١

» » التصريف . ٤١٢

» » التضمين ووجوهه . ٤١٤-٤١٢

» » المبالغة ووجوهها . ٤١٥-٤١٤

» » حسن البيان ؛ وذكر أقسام البيان ومراتبه ، والفرق ٤٢٩-٤١٥

بينه وبين العي .

بيان فساد زعم أن إعجاز القرآن يؤخذ من جميع وجوه البلاغة ٤٣٣-٤١٧

المقدمة . وبيان أن الذي لا يستوفى بالتعلم والتعمل منها ،  
هو الذي يؤخذ ذلك منه .

بيان أن الإعجاز يتعلق بالبيان ؛ وأن القرآن أعلى منازل . ٤٢٩-٤١٨

شعر جيد لابن المعتز في الفخر . ٤٢٢-٤٢١

قطعة من رائية لأبي فراس في الفخر ؛ أولها : ( ولا أصبح ٤٢٣-٤٢٢

الحى الخلوف بغارة . . . ) .

أبيات لأبي نواس في وصف الطلول : ( دع الأطلال تسفيا ٤٢٤

الجنوب . . . ) .

معارضة هلال بن يزيد ، بيت الأعشى : ( ودع هريرة ٤٢٥

إن الركب مرتحل . . . ) .

الاستدلال على أن بيان القرآن أشرف بيان وأعلاه . ٤٢٩-٤٢٧

٤٢٩-٤٣٠ بيان أن المبالغة لا يتعلق بها الإعجاز ؛ دون التضمين ،  
والفواصل ، والتلاؤم ، والتصرف في الاستعارة البديعة ، والإيجاز ،  
والبسط .

٤٣٠-٤٣١ بيان أن كل ما لا يضبط حده ، ولا يقدر قدره - كالاستعارة  
والبيان - يتعلق الإعجاز به ، وأن كل ما يمكن  
تعليمه ، ويستدرك أخذه - كالسجع والتجنيس والتطبيق -  
لا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به .

٤٣١-٤٣٣ الرد على من زعم أن البيان قد يتعلم .

بيان متى يمكن أن يدعى في كلام البشر الإعجاز ؟ وبيان  
أنه يمكنهم استدراك كلمة شريفة ، دون نظم نحو السورة ؛  
وأن البلاغة لا تتبين بأقل من مقدار السورة أو أطول آية .

٤٣٤-٤٣٥ بيان أنه لا يوجد شاعر أو ناثر جميع كلامه عجيب شارد ،  
مخالف لمألوف الطبع ، وغير معروف سببه في التفصيل . وإن  
اتفق وقوع شيء من ذلك في كلامه .

٤٣٦-٤٤٠ فصل : في بيان حقيقة المعجز ؛ وانفراد الله تعالى بالقدرة  
على المعجز الدال على صدق النبي ؛ وأنه خارج عن عادة  
البشر .

٤٣٩-٤٤٠ نقل الباقلاني عن الأشاعرة أن الله تعالى يقدر على نظم هيئة  
أخرى تزيد على القرآن في الفصاحة . ونقله عن مخالفهم  
أن بعض نظم القرآن يجوز أن يكون قد بلغ الرتبة التي لا مزيد  
عليها . وردة على ذلك .

٤٤١-٤٥٠ فصل : في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمور تتصل  
بالإعجاز .

٤٤١-٤٤٦ بيان أن القرآن ليس من نظم النبي ؛ وإن كان قادراً في  
الفصاحة ، على مقدار لا يبلغه سواء من البشر . ودفع ما اعترض  
به على ذلك ، من أن ابن مسعود اشتبه عليه الفصل بين  
المعوذتين وغيرها من القرآن ؛ كما اشتبه دعاء القنوت على أبي  
بن كعب . وبيان أن نحو ذلك إنما هو تخليط الملاحظة .

٤٤٤-٤٤٥ الاختلاف في أول القرآن نزولاً ، وآخره .

٤٤٦ بيان أنه لا يلزم من كون نظم القرآن خارجاً من جنس أوزان

- العرب ، أن تكون معرفة إعجازه ضرورية .  
 بيان أنه لا يلزم من اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن ،  
 عدم إعجازه . ٤٤٦-٤٤٩
- الرد على ما ذهب إليه أبو هاشم الجبائي ، من أن إعجاز القرآن  
 إنما تحقق بسبب أن جبريل أنزله . ٤٤٩-٤٥٠
- بيان المذاهب في أن التأليف له نهاية ، أم لا . ٤٥٠
- فصل : في بيان أن من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به  
 من ظهر عليه . ٤٥١
- فصل : في بيان أن ما تقدم - من الإبانة عن كون  
 القرآن معجزاً - كاف ومقنع مع وجازته . وأن الإسهاب في ذلك ،  
 يكون نوعاً من العي الذي لا فائدة منه . ٤٥٢-٤٥٤
- بيان بعض الحكماء متى يكون البليغ عيباً ؟ . ٤٥٢
- وصف أعرأى القمر ، بسبب اهتدائه في السير به . ٤٥٢
- كلمة ختامية للباقلاني ، تضمنت وصف القرآن الكريم ، وسرد  
 أنواع البلاغة والبديع التي تحققت فيه ؛ ثم وصف الشعر  
 والفرق بينهما . ٤٥٤-٤٦٢

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....